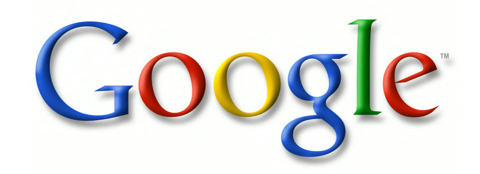


This is a digital copy of a book that was preserved for generations on library shelves before it was carefully scanned by Google as part of a project to make the world's books discoverable online.

It has survived long enough for the copyright to expire and the book to enter the public domain. A public domain book is one that was never subject to copyright or whose legal copyright term has expired. Whether a book is in the public domain may vary country to country. Public domain books are our gateways to the past, representing a wealth of history, culture and knowledge that's often difficult to discover.

Marks, notations and other marginalia present in the original volume will appear in this file - a reminder of this book's long journey from the publisher to a library and finally to you.

Usage guidelines

Google is proud to partner with libraries to digitize public domain materials and make them widely accessible. Public domain books belong to the public and we are merely their custodians. Nevertheless, this work is expensive, so in order to keep providing this resource, we have taken steps to prevent abuse by commercial parties, including placing technical restrictions on automated querying.

We also ask that you:

+ *Make non-commercial use of the files* We designed Google Book Search for use by individuals, and we request that you use these files for personal, non-commercial purposes.
+ *Refrain from automated querying* Do not send automated queries of any sort to Google's system: If you are conducting research on machine translation, optical character recognition or other areas where access to a large amount of text is helpful, please contact us. We encourage the use of public domain materials for these purposes and may be able to help.
+ *Maintain attribution* The Google "watermark" you see on each file is essential for informing people about this project and helping them find additional materials through Google Book Search. Please do not remove it.
+ *Keep it legal* Whatever your use, remember that you are responsible for ensuring that what you are doing is legal. Do not assume that just because we believe a book is in the public domain for users in the United States, that the work is also in the public domain for users in other countries. Whether a book is still in copyright varies from country to country, and we can't offer guidance on whether any specific use of any specific book is allowed. Please do not assume that a book's appearance in Google Book Search means it can be used in any manner anywhere in the world. Copyright infringement liability can be quite severe.

About Google Book Search

Google's mission is to organize the world's information and to make it universally accessible and useful. Google Book Search helps readers discover the world's books while helping authors and publishers reach new audiences. You can search through the full text of this book on the web at http://books.google.com/



Digitized by Google


Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google

الرسايل الكبيرة لابن العباد

PC1=0

Digitized by Google

Digitized by Google

Ibn ʿAbbād



الرسائل الكبرى للعلامة الإمام البحر الفهامة الهمام الولي الشهير العارف بالله سيدي محمد بن عباد رضي الله عنه

الحمد لله هذا من فضل نعم الله تعالى على عبده [illegible]
كتبه محمد بن [illegible]
تملكه بالشراء [illegible] 19 رجب الفرد الحرام عام 1339

Digitized by Google

(RECAP)
2271
4022
3745

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

وبعد فقد بلغنا انكم كتبتم في بعضها مسألة الخاتم وان دعوة التي اخترتم فيها توسلا بذلك الحرز
الحرز المذكور فذلك من الامور الجائزة والله اعلم وقد ترجم البخاري رحمه الله في كتابه
على محبة كون العمل وادخل الحديث المذكور فيه صلة الرحم ولسنا ننكر خواص الاسماء
والحروف ومنافعها في ذلك المطلب وانما استفيد حال من يفعل العمل به كما هو المذكور عليه
وبحقائق ذكر الله تعالى واسمائه وسيلة الى غيره وذلك مذكور في الزاد وكسر في الحج وقد يكون
بعض ذلك من التوسل في اسباب الفادحة في مقام التوكل كما بين شيخ فلاه وغيره هذا
ما عندي في المسألة والله تعالى اعلم واما ما طلبتموه من الكلام على مسائل البداية
فذلك مما فيها غير محتاج الى التكلم عليه الان الفضل ابن حزم من قول كاتبه ومن كثر في ان عدم
اخذ في طريق التصوف الخاص لن يجد غير ما عندي عليه الا ان اذكر منه المعنى واعلم ان الحق
يستفسر في المسألة فالمراد بعلم التصوف وثمرته وفائدته لان الحكم على الشيء رداً او نحوه
فرع عن كونه معقولا وحقيقة التصوف كون العبد على حالة تقربه من مولاه ومحبته
له وذلك على قسمين علم وعمل فالعلم يستفاد به تصحيح عقائد اهل الدين وقواعد
التكاليف والعمل يستفاد به قيام العبد بحسن الادب بين يدي رب العالمين لتمحضه عبوديته
له في كل حال وفي كل حين ومعنى امره حقيقة ما جاء به الينا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
من الدين القويم والصراط المستقيم وهو دين الاسلام الذي لا يقبل الله تعالى سواه ولا يرتضي
من احد دينا سواه ومعناه الخضوع والاستسلام لنوازل الاحكام وان نقياد الافعال
لمقتضيات اوامره ظاهرا كما هو باطنا وسرا وعلانية من غير حرج في الصدر ولا غيره في
القلب ولا تلكؤ في التعبير فاذا كان معنى التصوف لم يتصور من احد يؤمن بالله
واليوم الاخر ان يهمله او يشتغل بغير اعمال النظر فيه او يتشاغل عنه بغيره فذلك انما
يكون لعدم معرفته به ومن هنا تعلم ان اكثر طلبة العلم محروقون في زماننا اذا اشتغلوا
فنلا بقدر الفقه المصطلح عليه الذي هو اقرب العلوم في الكمال لدى المقصود ولم يعتنوا افضل

ذالك

Digitized by Google

ذلك بتصحيح نياتهم ومقاصدهم بكثير من المتصوفة كانوا بذلك متشبعين في معارفهم منغمسين
في رأيهم وذلك من اللهو واللعب الذي جعل له في المنقلب وذم الذين اتخذوا دينهم لعبا
ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا فإذا رأيت من أحد منهم أن نشأ في ذلك حصة فقيل له من أين
لك هذا فإنك لم تسلك طريقة فيها مشايخ ينقطع إليها الذات للسبيل التي ذلك إلا إذا
ضرب بشيئهم في كثير من القوم فإن في ذلك الكثير يتكشف له خدع النفس وخفايا فتنتها بعد
التعود والطبع وفيه تنبيه إياه عن غير السيرة وجليته وذلك من الآفات وجلالها لما فيكون
إذا أخذ فيه بنا يمضي عليه غير مشوب بغرض من هواه وعند ذلك يكون خارجا
من كثير من المتصوفة الذي يغتر بالأنا فحسب ذلك من جملة الأعمال المطلوبة منه في التحقيق
بمعناه وقد قدمنا أن العمل أحد قسمي مدلوله ومصداقه وما ذكرناه من شيم أهل التصوف لما
ذكرناه من المعاني قال بعض له الشيخ أبو نعيم رحمه الله حين ذكر السادات من الصحابة والتا
وأئمة المسلمين وتحلى كل واحد بحليته وبصفته بصفته فإنه يقول وقد قيل إن التصوف كذا
وقد قيل إن التصوف كذا اشعارا منه بأنهم وإن اختلفت عباراتهم ومذاهبهم وتباينت
مطالبهم ومراتبهم قد اشتركوا في مدلول هذا الاسم ولم يروا في مقتضاه بأسا وقد يشفهم
والخاص من هذا الاسم معنى مع حقوق ما عدا الباطل فإن قلت إنكم حصرتم
الأمر في كثير واحد وسعى كثير من المتصوفة وأبطلتم تعدد الطريق مع أنه وقع الاختلاف بين
الناس حتى توجهت كل فرقة إلى جهتها وارتضت مذهبها خلاف مذهب صاحبها فأقول
لما حدثت البدع وأن معه كثر الخلاف وتشعبت الآراء انقسم هذا المعنى في الكتاب
المذكور فيه البدعة والتقليد من جملة الكتب التي عندكم فإني أحب أن أريح نفسي من التطويل
الذي لا فائدة فيه مع أنه أكثر من كل كثير ‌‌‌ وليس يصح في الأذهان شيء ‌ إذا
احتاج النهار إلى دليل ‌ قال قلت مثل الإشهار عن المتصوفة في زمان
الصحابة والتابعين ووقع من التدقيق والتحقيق فيه ما وقع بين أيمتهم لا سيما من ذكر اللاء
المتأخرين فأقول معناه بكماله حين يتم ويدل عليه وجوده ثم إنه من دخول البدع والأهواء
كلمته ونجا منه من عاداه واستحقه وشغلهم بعض أهل الذين منعهم من التبحر في علمه والاعتناء
النكتة فيما له غاية ولا غاية له مع أنهم مشتغلون عن هذا الكل بما منعهم ثم قد فيه من غبار
التوحيد فلما قدر الله تعالى بما قدر به من ذهاب الدين وخبو أنوار الإيمان واليقين وخرج

لعله
بعين
لأنه

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY DUPL
Digitized by Google

الناس من الذين اقواما كما دخلوا فيه افواجا انفردوا اصحاب الخصوصيات بانفسهم واعتزلوا
عن ابناء جنسهم اذ لم يشتغلوا بالاشتغال بغيرهم مع قصر عمر الانسان فيتفرغ له الاولون من التفقه
في علوم التوحيد والتحقق بمقامات اهل الفناء والتجريد الى غير ذلك من تربية وتهذيب وتصنيف
وتبويب وجمع وترتيب وصار بذلك خلوة في مقام خلوة لما اشتغل على غيره من انتشار
الغيرة وابتلي به سواهم من استعملها في الغفلة وهؤلاء اشباه من الذين تمنى
رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيتهم واشتاق اليهم وسماهم اخوانه وهم المعنيون
بقوله صلى الله عليه وسلم ان لله عبادا ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء
قال الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي رحمه الله سئل بعض اهل المعرفة عن قوله صلى الله عليه
وسلم يغبطهم الانبياء والشهداء كيف يغبطهم الانبياء وهم فوقهم في الحال فقال ان الانبياء
شغلوا بقرائن الابلاغ ومشاهدة الخلائق واولائك لم يكلفوا ذلك فلم يشغلهم عن الحق
شيء فلذلك يغبطهم الانبياء وان كان الانبياء اعلى وانا اكثر شيئا من هذا المعنى في اول
كتاب الكافي المنتخب ثم انهم يقلون في كل زمان حتى يكاد يرى منهم احد وهذا معنى ان ذلك
فنسال الله تعالى حسن العافية وجميل الخاتمة فاذا فهمت ما ذكرنا لك في معنى التصوف
ورجعت الى ما ذكره صاحب البراءة علمت منه انه لا يتحصل الا من كلامه حقيقة تشير
عليها يدري فان قوله ومن كان له ادمان اخذ في طريق التصوف انما هو لرجال [illegible]
عليهما يقتضي ان هناك طريقين نور ظلمة وان احدهما افضل من الاخر وقد قدمنا ان الطريق واحد
فتكلم كما ان الدين المحمدي واحد وقوله للتنبيه رجل منعه من السعي في طلب ذلك رفيقه فصرفه الى
ذكر الموانع له من الاخذ في طريق التصوف على الجملة ومن عرف فقتضي هذا الكلام ان ينتصر
في حقه مانع منعه كما قدمنا ان الارادة بما يحمله عليه كما حمله على سلوك طريق غيره
لاسيما في القسم العلمي منه واذا اخذ في ذلك بالتعلم وان حيث عاد ومال المعاملة الى القسم
العملي ليبادله ويتحقق به ولم يمنعه منه ما ذكر وقوله اذ رجل اسرته شهوات نفسه الى آخر
هذا المعنى فصرفه الى تفصيل الموانع التي توهمها موانع وليس كذلك بل هي نوازع ومثبطات
على التحقيق لان الفقراء اعلم ذلك التمس ذلك واستعملوا فيه نصيبه وعناء له وقد احسن
فيه من وجه واساء فيه من وجه اما وجه استحسانه فلما فيه من تحسين التعبير والتخفيف عليهما
بالزم والمعنى واما وجه استقباحه فمن جهة غفلته عن النعم التي هي من هذه المسالة وكلها

Digitized by Google

ولعل من جملة النعم عليه توقيفه للاعتراف والاعتذار وعدم المعاندة —
وارينا عليها فقابحه وعقوبته ثم
والاستكبار ولو ان سيدا خلع على عبده خلعة عظيمة تنتن عليه
انه لم يفعل بذلك الدون بروعه رأسا بل اخذ يثنى للناس فاستر عليه مولاه العبد ذلك منه
سوء ادب لاستهانته بالخلعة واحتقاره لها وانما يستحسن منه ذلك في حالة او عاده
شيء من نعوت السيادة له واضافتها اليه بحيث يخشى من نفسه وجود الحجبة والاعتزاز
يتوهم بذلك وجود مشاركة فلا يفعل ذلك بغضب السيد ويبرأ من نفسه فايليق بعبوديته
وتقصيره وآفته ولهذا حين عاتبه عائشة رضي الله عنها فاكان اعترافها واستنادها بمعالم الاستناد
عليها ابن عباس رضي الله عنه في ان يزورها او يعودها قالت فلما دخل عليها ويثني
على او كما قالت فلما اذن له ودخل عليها وقع منه ذلك وقالت لكنت وكنت
وانت لو ذكرت وددت انني كنت نسيا منسيا وذلك منها اد بقوله صلى الله عليه
وسلم اعتراه في وجه المداحين التراب على احد التأويلات وهذا الكلام من صاحب الهمزية لم
يماد مثلا ولم يكن انما للاستدلال به على دعوى الافعال وقوله بعد ذلك ولم ازل
منزل البلاء وحسن الابتغاء وخالف الراية فيهم ارى فليتني شعرى التعبد والاقتقار والمنهم ان
اعظم من تحققه بتلك الاحوال التي ذكر مع مشاهدة عجزه وقد افيد وقوله وما يكتم
من حالي اني قايل ان كذا قد ابتليت على ترميم وعودكم بغير وقد اسنى الى بطالة وقوله
وودت انه حين لم اكن مع السابقين خلفت البنية في المقام مع من دونهم كذلك ايضا وقوله
لا كنت قد تروبا للامن هؤلاء ولا من هؤلاء كلام شافعه في معرض الذم لحاله وحقوق العقبة
عين المرح لها لانه اذا لم يكن من اهلها يعتبر في نظم سالم من الفتنة والدعوى للاولى الفتنة مع
اهل الكلام يعتبر والدعوى مع الناس وقوله للذي كلما ازددت النفوس مع قراب فقد جنا
وتكست على راسه هذا معه حال من لم يأت الامر من بابه ولا قصده من وجهه بل لم يعرفه
حق المعرفة ولعله يعني بكلمه الى حقيقته وابلاسه برحمة مولاه وبفيه له بناء حاله على
اساسه من غير تحول منه ولا قوة وقوله وارمالت النفس الى المقام التالي تشوقت الى
الى الكن بدل الاخرى بعد عن معها كما قالت النبي هذا من تأثير الشيء تعلق له والهجة به
اذا ما تنعما ربما يتشم بقول حمل عليه وقوله واما الكريم ابن حزم وانا ممتنا في
غاية الابلاس هذا هو الذي ينبغي له في المقام ولا يسعه سوى العمل كل حال حفظ الله له

رؤية الابلاس ويمحى عن قلبه استيلاء الغفلة والوسواس ويعوّض كل من قصد بابه الكريم
وطلب منه هدايته الى الصراط المستقيم. ثم إنما أردنا ذكر هذا الكلام على ما في البراءة
وقد استدعينا الرجوع الى ما كنا تركناه منذ زمان من القضاء والغرامة ولا كره في ذلك
منا بعد تأمل كثير واستخارة كل ذلك موافقة لغرض بلادنا واتباعا للمراد له والله تعالى
يغنيه عن هذا وأمثاله بما يفتحه على قلبه من هدايته ويتممه له من نعمه وعنايته فإنه
على كل شيء قدير. أما بعد وقد بلغنا كتابكم الذي أخبرتمونا فيه عن الأمر الشنيع الذي
أصابكم مع العامة الجهلة وقد عظم ذلك علينا كثيرا وبلغ منا ومن بعض أصحابنا كل مبلغ
وقد حصل لكم بحمد الله ما ينتفع به من وجوه أخروية أصابتكم بتلك البلية ولولا
الله تعالى بكم بسلوك هذه الطائفة الصوفية وقد قال بعضهم للاعبه أحذر أن يصيبه
بلاء في هذا الطريق وكلا قلنا هذا معناه وانظروا الى كلام ابن عطاء الله حيث قال
ليخفف ألم البلاء عليك والمسألة التي بعد هذا وثانيهما معرفتكم بالزمان وأهله وهذه
أيضا فائدة جزيلة لأن ذلك يؤديكم الى الحذر منهم وعدم الركون اليهم فينقطع همكم بهم
وتتمكنون منه بوجود قلبكم وانظروا هذا المعنى عند قول ابن عطاء الله رحمه الله إنما أجرى
الأذى عليهم. وقد سأل أبو ذر رضي الله تعالى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم عما
كان في صحف إبراهيم فذكر له أشياء الى أن قال فيها وعلى العاقل أن يكون عارفا بزمانه
مقبلا على شأنه حافظا للسانه. وكلام العلماء في مثل هذا أكثر من أن يحصر وثالثها
خمول ذكركم وسقوطه منكم من قلوب بعض الناس فإنكم لا تعرفون في تلك النازلة من كان
حالكم بتلك بما أمنه من بعضكم وبعضكم فيهم ذلك منكم عندي وهذه أيضا من الفوائد
العظيمة وانظروا هذا المعنى أيضا عند قول ابن عطاء الله ادفن وجودك في أرض الخمول وكلامه
في التواضع قريبا من آخر الكتاب ورابعها استفادة تكون راحة قلبكم من استشعار كونكم
مأمورين بالنصيحة لعباد الله وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وخوفكم بعد ترك
ذلك حصول العقوبة عليه وبوات اثم منه لأنكم لا محالة تكفون بعد هذه الواقعة
عن الأخذ فيما يمكن أن يؤدي الى مثلها ولا تتعلقون بعد بذلك الوصف وتباعدا من هذا الأمر
الشنيع الذي حل بكم بل تكتفون في ذلك بالنية والنية في ذلك أبلغ من العمل هذا إن كنتم
فيما قلتم وفعلتم صادقين مخلصين وإن لم تكونوا على هذه الصفة بل كان ذلك منكم على

Digitized by Google

شبيل الاسنن سار على مقتضى الجبلة وقتا بعة الغزو والسفر فيجبركم ذالك تعسة
النعيسر في بعلبه والانكباق فيما تشتغلون به من مثيله لان هذا من التكليف الذي تم امنه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وان تقفيلوا من امته وخالفيهم شبهات تعرفة ضيفكم من عدوكم لتنزلوا
الناس منازلهم وتعاملوا كل صنف منهم بما يليق به من المعاملة فتسلمون مع كلا الكاتبين
من الظلم مع الصديقين بالتعريج ومع العدو بالبحر ولا شك انكم في هذه النازلة تبع بين
ذالك انتم تعرفون فتعملون على حسب ذالك من الاستعانة والتلطف والمنافرة والتالف
وسادة شبهات استعدادكم به حصول الجواب فيه على كتابكم لانه لما اتى بكم قال الهاتكم
كتبتم لي بذالك فلم يسعني الا ان اكتب لكم جوابه ليحصل لكم بذالك التعريف بما ذلي
الفوايد التي ذكرنا فقد وجدنا الفوايد اعلامي اياكم بانكم اخطأتم فيما بعلتم ومعرفة الانسان
خطأه من اعظم الفوايد وخطأكم في ذالك من وجوه احدها اخذكم فيما لا يعنيكم ومن
اتباع رايكم فيما اقدمتم عليه من ذالك من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وفي علمكم
ثم من هاير روي هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما كان ذالك مما لا يعنيكم
لان ذالك مما يجب عليكم ومن عمل ما لا يجب عليه في هذا الزمان لا يسلم من الافات
قال ابو جعفر رضي الله عنه لا يحل الكلام الا لرجل اذا سكت خاف العقوبة على
سكوته وانما يجب ذالك على من نصب نفسه لارشاد العوام وتصدر لتبليغ الاحكام
لان هؤلاء ان قام في فتنتهم يسمعون لهم ويستجيبون لدعوتهم فمن على ذالك اقدر
وبتعاطيكم مثل هذا اثرتم اخذر ولا يكره الله تعالى لما اراد منه اكثر العباد من شمو واشغالهم
من غيبته لمن ابتلاهم هؤلاء واصم اسماعهم وطبع على قلوبهم فاذا اطلب الناس موعظة
او ابتلوا بزاعمية وتجولوا في ذالك اليمن لا يعتبرون فيهم متمسكا ولا يشترون بهم الى
ثم يولعون مسلكا وقد ورد في بشراخر الزمان ان الناس يصيبهم فيه فتنة فيلجئون
في ذالك الى علمائهم فيجدونهم قد مسخوا قردة وخنازير ومسخ الصور الظاهرة للعبرة به
وانما المعتبر ما يكون من الباطن فيقع على حسب ذالك ما اخبر به الصادق المصدوق
بالله فانا لله وانا اليه راجعون وكوا فتنتهم في هذا الزمن من بعض سلمان حيث قال الا وهي
هذا ولا ادخل فيه لكان احسن علي انه لم يقل من خطيها في سكوته وتعاطيه عن مثل هذا
ولا يكن لامر ضحي في مثل ذالك الخطا ونه نبهتا انكم لم تسلكوا فيه بواقفنا رضي الله عنهم

في هذا الباب من الذي اذكر لكم وهو انكم للتخلق في منزلة النازلة من التعريف بحكم بين التصوف ومحاولة
الدعاء اليه والارشاد لسبيله بين يدي الجملة من العموم اصحاب الرسوم لان متبوعهم هو الذي
يعظمون منه اي نكارا والقدح في اهله فلا تقدرون على الصبر على الرد عليهم حسبما اعرفه
منكم حين تنحرجون وتضيق اخلاقكم ومن يدرك هو منزلة نفيسة او درجة حكيمة لا ينبغي ان
تسمح نفسه بان يلقيها للبقار والحمير او ان يلقيها في اعناق الكلاب والخنازير ولم نر احدا
من الائمة المقتدى بهم في زماننا الصالح فعل شيئا من ذلك ولا قال به ولم نلق احدا منهم
اعتقد في كتم ذلك حرجا لم يجد منه مخرجا والاخلاق بسببه ضيقة كما انه تقتضي مقاتلة او
مقاومة بل نزلوا الخلق الذي حيث انزلهم وكانوا انا كمن يرى معاملته معهم فاذا كان هذا في
تلكم الازمنة حيث الانوار في قلوب الناس مشرقة متمكنة فكيف يكون الحال في هذا الزمان
الذي عم فيه الاكدار واستحوذت على القلوب جنود الانكار وخبت فيه انوار الايمان
فلم يبق منا فيه سوى الخفاء والاستتار ولقد رايت في بعض التعاليق عن سهل بن عبد الله
رضي الله عنه سئل عن علامة الكذابة واعلامهم انه او هو عند موته فقال من كان عنده شيء من
كلامنا فليدفنه ولا يظهره فانه نسبة ثلاثمائة الى وافق فما يحصى من الناس كلامهم
وعباداتهم لباسهم ومعتقدهم بكونهم لا يعبدون الله تعالى باعمالهم وللشيخ ابي طالب
المكي رضي الله عنه شيء من هذا المعنى في كتاب العلم له اذ ذكر ان من غلب احوالهم وجد
وتجاوز الحد وتعلقت منه شيء من ذلك استثقلوا التقرر وعموا بابن يزداد الذي هو على
ابن البشر للارض منهم في مشاعرهم معذورين النصيحة للمتكلم لسيبهم في انكم لما اصابكم
ذلك جزعتم وضاقت عليكم الارض بما رحبت فيعلم انه يحق لكم ذلك لانه موقف
صعب فلمن يثبت فيه او يسلم منه على حال غربتكم وعدم المخالفة من ينادي الى مساعدتكم
وابن عبير نكارهم والاذى سماعة ومعرفة منكم بما صدر من ذلك فيعم حق هذا من البلاء
العظيم الذي يعجز اللسان عن على الصبر عليه ولاكراه وقعنا مع كثير من الناس واخذهم بذا الى
على قلوبنا على الدوام لا يكون لنا فيه راحة ولا سلوان بل ربما زادنا ذلك شيئا او اعقبنا
تعبا وخشيا وكلفونا الفاجعة ما يجر ملك النار ويعيبون علينا بلايانا الكبار فلا
يسعنا الا السلوك سبيل معاوية والائمة رضي الله عنهم والحزن علوينا بهم والنسج على
منوالهم فانهم لما ظهروا بحبوبهم ونالوا من قربه وكلفوا بهم ثم ينسبوا الى الخلق نفعا

وجوده

بعد

١٢٨١

Digitized by Google

وبهم او لم يعدوا في معاقلتهم اياهم باكرام الوالد انتقام بردا والاحرام بل شاهدوا وبعد العهد
تعادي وخذل والنشر واهمل هذا البيت وغلبتم به لتبدا بتوفيقهم عذرا

* وان يبوا دار عنه لك حاسد * وان دما ام بيته لك شاكر *

وتعال ولنفتقد بعضنا لعلنا نصل الى شيء من مقاصدنا فيجمع همنا هو لانا ونلهوا
بذكره عن دنيانا واخرانا ونبدا ذلك بان نشتغل بانفسنا ونعتني ابناء جنسنا
ونقنع بما رزقنا الله تعالى من كثير وقليل مع ان قليل الله تعالى لا يقال له قليل ولا
نجعل لمن برو وربعد ولا نبالي بمن فات وفقد ونستعمل الرهبة التي كتبت بها اليكم في
الكتاب الذي قبل هذا فان حلت بنا مصيبة او نفذ علينا القدر بلية فلا نطلب النعم
من غير الله ولا نرجو النفع بما سوى الله وندع ذلك كله بغير الله وهذا الحال وان
ذكر من اهلها فلابد لنا من استشعارها ومعاودة تذكارها وتكرارها ليحصل الانس
قلوبنا بشيء من انوارها ويكون استقرارها فان وقع منا حزن على فوت شيء من حطام
دنيانا انسانا الحزن على ما فاتنا من مولانا فيقع الشيء في محله ويعرف الحق لاهله
ورايتكم انكم لم تذكروا لي شيئا مما قلتموه لهم او قالوه لكم في ابتداء الامر وانتهائه يوم
تعسروا لي شيئا من ذلك ولم تفعلوا في ذلك شيئا واحسبوا انكم شاهدتموني بالكلام
ان تكونوا حينئذ تشتهون عن كل دقيق وجليل وتذكرون كل غث وسمين ولا تتركون شيئا
مما يحتاج اليه او لا يحتاج اليه الا وتخبرون به والقلم احد اللسانين اما تعلمون ان
في الاطلاع على الامور الجزئية الحصول على الراحة الكلية والاقوم على العبد عند كلية
الراحة في دنياه انه ليبذل ذلك بمعاملة مولاه وتم به الفلاح يغنيه عن المشابهة
في الكلام عند تنائي ابن شماس وابن جسام وقد قبلت عذركم في اختصار كتابي الذي هذا
جوابه لاجل فاذكم من ان تستعملوا فيه مثل سائر الكتب التي تكتبون بها تشتغلون فيها
فلا يرون تعزية منكم من امور الصغار والكبار وتذكرون فيها اشياء خارجة عن المقصود ولكن
هذا نادر منكم ان كنتم تعذرون من تشتغلون به في التوصيل التي تتكلفوا في ذلك من المشقة
ما به يحصل به فائدة للذي تعذركم مقبولا اذ لا ينبغي لاحد ان يتعب نفسه فيما ليس له
والا بحصول ولو نزلت في هذا الكلام يا اخي هذا مستحل ابن لزام وانت اعرف مني بالعناء
والملام وفي كتبت لكم نحو العشرين كتابا بين كبير وصغير ولم يقع لنا منكم الا كتابان

خ الكتاب

ح في ذلك

او نالته بعد الحاج كثير وكتاب محمد بن الكدر فيه لكم مستفيضا ولاكن غفلتم عن الغزو بينه وبينكم
انه في بلاد غريبة وارض جرداء وبر وقلما يكاد يوجد عندنا من يتشوق النفوس الى تعرفه
وكتاب الاخبار به وانتم في حضرة المملكة ودار السلطنة ومنار تلك الحضرة والدار ان يجلب
اليها كل شيء عجيب ويحضر بها كل نفيس غريب وبعض ما تضمنته من الجبال والمكان لا يوجد في
غيرها وجميع ذلك مشتمل على اسرار وانوار يتشوق الى الاطلاع عليها ارباب البصائر والابصار
والخبر قد يغني عن العيان والدليل المتحكم قد يقوم مقام البرهان والاجل مقدار وما اشبهه عين
مثل من سكن تلك البلاد ولا يمكن املك لنفسي قوة ولا قدرة الا ان يسهل الله تعالى
العقال وياذن لي في الزيارة وان ينقل فيجمع من شملنا ما تصدع ونشاهد بابصارنا
ما كانت اذاننا قبل تسمع ولكن في هذا الكلام على حسب ما وقع لكم من الجواب العظيم
كفاية ومقنع ومن قدم له الزبد والشهد بدلا من الشيح والمقرع فبالقليل منه يكتفي
وباللقمة منه يشبع فتأمل ما كتبنا لكم مقنعا اجمع وفي النكت فيه خفة لتستمتع به
وتنتفع فهذا عملت لك فيه عمل من كتب لمن حب فلا تحتشم في استعماله ذكرا ولا تفزع
بعد الثريا والقرار والبيد تندرج بها يلد كل السمر يحث شرف اشهد يلمع وهذه امور معنوية
فاجروا بها لكي تنكم واضغ باذنك لان تسمع واقدر بهذا التبرك فان ذكر من يعلمها او
من يجهلها تبلغ واشتر بجهة الكلام وافوا ما قاله يعقوب الكرام على نبينا
وعليهم افضل الصلاة والسلام وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين
ولا تكن الا انفع ما عندنا وافصح الكلام واختم الكتاب مما عندنا بالرحمة والبركة ومعاذ
السلام ولاكن من اريد من الكلام الجزل المشتمل على الجد والهزل ما تحلى به عنكم بقايا
الهموم التي علقت بكم من اصحاب الرسوم والجملة العموم عما بالكم الله مما اصابهم بوسن
بلادهم وحال بينكم وبينهم كما حال بينهم وسما بهم وقولوا على هذا الدعاء امين اللهم
ومن يتعلق منكم من اولاد المسلمين الذين سلموا من الذنوب ويسر لهم في الغيوب وشملتهم
بعموم تكليفهم رحمة علام الغيوب لعله يستجيب هذا الدعاء وان صدر من غير صفاء الا انه
اذا كان كذا الذي الي منهم العناء والتعب وحصل لهم الثناء والارب وقدتم في نيلكم
لما لا تستعيقونه غاية العجب وليس في امر الله تعالى من عجب فلنرشد هذا الا الى الحجاج
ما وجه به يحيى بن احمد السراج لما تواتر التهم والغم ووده والوغم وصاحب الياقوتة في

اليه ولا كان الله بفضله ورحمته يسلم فاشكر الله على ما به انعم وتامل هذا الرمز وتفهم
واقرع بسمعك قلبك الى الكلام على تمام المعنى الذي تقدم فاني اقول وعلى الله تعالى المعول
فانتم ترون ما استعملته عليه من تلك الكائنة من النعم الغامضة الباطنة التي اذا شئتم
رايتموها محققة متصلة عندكم فضلا مما يرجى لكم من الثواب الجزيل في دار الملك الجليل
فاذا علمتم ذلك علم يقين واردتم سلوك سبيل اولياء الله الموقنين لم تشكوا
في ان الشكر احق بحالكم من الصبر وان الاستبشار والفرح اولى بكم من الحزن والترح فاذا
فهمتم فواجب الشكر وحقيقته ذكر الاء الله تعالى بالذكر لما تعلق من امر الله تعالى الخير والفلاح
والفوز والنجاح قال الله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم وقال عز من قائل فاذكروا الاء
الله لعلكم تفلحون والشكر هو الصراط المستقيم الذي قعد عليه العدو اللعين ليصد عنه
من تبعه من الضالين قال الله تعالى مخبرا عنه لاقعدن لهم صراطك المستقيم الى قوله ولا
تجد اكثرهم شاكرين ولم يقل صابرين ولا خائفين ولا راجين ولا محبين ولا عابدين ولا متوكلين ولا
غير ذلك من مقامات الابرار والمقربين لعلمه بان مقام الشكر تنتظم فيه سائر المقامات
وتندرج فيه الاحوال والكرامات فانظر كيف عمد هذا العدو اللعين فنهج
الغواية فيه ولا كان حرمه من ايته وتوفيقه وقد اوحى الله تعالى الى بعض انبيائه
على نبينا وعليهم السلام حببني الى خلقي فقال يا رب كيف احببك الى خلقك فقال ذكرهم
الائي ونعمائي فانهم لا يعرفون مني الا الجميل او كما قال ربنا عز وجل وقد جعل
الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي رضي الله عنه من عيوب النفس ان يكون العبد في محل الشكر
وهو يظن انه في مقام الصبر لانه مامور بالترقي في المقامات والكون على احسن الحالات
وجعل دواءه رؤية الفقير نعم الله تعالى في جميع الاحوال ثم قال بعقب ذلك فاني سمعت سعيد
ابن عبد الله يقول سمعت عمي يقول سمعت ابا عثمان يقول الخلق كلهم مع الله في مقام الشكر
وهم يظنون انهم معه في مقام الصبر وليت شعري ما الذي حمل هؤلاء احبتنا واتباعهم واشياعهم
على التعرض لكم بالاذاية دون غيركم ومن المعلوم ان طلبة موضعكم لا يقدرون على السكوت
على ما هو اقل من ذلك وكانهم لم يجدوا في تلك البلاد اخف منكم واما ان تكونوا ذوي نعم على
ايديهم في ارتكاب التنقيص واما ان صاحب الصنعة الذي صنعه عدو وبغيض ولو كان في الدنيا
شيء من الخير لكان لكم مجلس فيما الله مجلسه وكرسي فيما بين الكراسي والغير نكدا لكم

كما ان المعين بنظارة النبيء فان اشتغل بقراءة كتاب من كتب الحديث اشتغلت انت بقراءة كتاب
آخر مثله وان اخذ في شرح الحديث من تلقاء نفسه فسر انت بكلام العلماء وان قال فيروا ان
استند حديثا او خبرا بغير اسناد اسندت انت عشرة احاديث وان اتى به من كتبه او واحد حدثتهم به من حروف
كثيرة وان اشتغل بسبب المبتدعة من غير تغيير بدعتهم فعلت انت مثل ذلك مع تغيير بدعتهم
وان انتم عليكم بالعامة انتم من عليه بالخاصة وان اشتغل عليكم باهل الدنيا استغنيتم
عليه باهل الآخرة ولا كسر من يبوء في الدنيا ولا في اغلقها خير بغير نفسك فيهم كل الغير
وكن في حزبك منهم كل الكبير واشتغل في الجد في السير لعلك تبتعد عن كل كدر وغير فتكبر كل
كرب وضير فاذا بلغت الى المطلوب وانكشفت لك اسرار الغيوب وتجلت شمس القلوب
التي ليس لها افول ولا غروب انجلت عنك الهموم واسترحت من مكابدة اصحاب الرسوم
وانكشفت من دونك معالم القوالب والجسوم وتقول حينئذ بفضل الحضرة وتحكي فيما بما
تشاء من جمال ونكتة الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي احلنا دار
المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب حقق الله لنا هذه المنية
وانالنا هذه البغية وحجب عنا كل حسود ضار وحال بيننا وبين كل جبار في استكبار
والتقصير على ما ذكرناه فقد انقضى من البيان لتلك الدلالة وكل البدء والعنبر وتم بالخير
المرتج من هذا الكاغد بجميع عشرا لا نرجع عن مقصودنا بحسب خير وقصودنا
انما هو نادية حوش الكم والجرم على اصلاح حالكم والامر بيد الله ولا قوة الا بالله
وبعد فقد سرني ما آل اليه امركم من السلامة والنجاة من الهلكة
فلله الحمد كثيرا الا انني موقنا اشرت به اليكم في الكتابين السابقين من شروا وقد احسنتم
في بعضها وتلك المسئلة بالواو والفاء لانه تعرضت منها امورا كنت فتحتها فيهما وامر ما كان
على بعد انتم الذي اصابكم اشكال امر قد ذكرته لكم قبلها او مثل الكيفية فاريد ذلك وتمام
لا يمنعني بعض العذر لانكم ادخلتم انفسكم في اشياء كنتم عنها في غنى من جهة فساد الوقت
وان كان بعضها حقا في تغيير الامر كذا فان يسعكم السكوت عنها وترك العمل بها لاجل
ما ذكرناه مع انكم لا تقدرون على ما تريدونه من ذلك فعيننا ولا اناس اوليف ضرو عليكم
كنتم في قولكم لكم زد من على ايديكم في هذا فقيد ومع هذا لم يكن ينبغي له ان يسكت في هذا الامر
وان يتغافل عنه لما يتضمن ذلك من المفاسد التي انا ذاكر مقابل يتعمر او لا الدفع عنكم

Digitized by Google

وستر باب التقول عليكم والفاقة اذا فاتت بعلف وثياب انما هي من امر الله وحماية
اولياء الله والنصيحة لعباد الله فانه لم يبق لهم من الفراغ وقد يتحككون به من
الضلال العام الى حسن ظنهم وسلامة عقدهم فيما يرجع الى تعظيم من لا ينفع ونفسهم
تعظيمهم لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم الى تعظيمهم وقد تعمهم يحكمون في احاد
ان سماعهم ولعل الخفا في ذلك من ابهام المعتمد ومنهم من ليس لهم من يعوذ الى دراية وكمال
التمييز فلا يتميز به عندهم الهادي من الكاذب والمحق من المبطل فلا لوم لهم في الخداع
الى من غرهم بالله بل ذلك من المطلوب منهم وامر المخادع الى الله فان شملته رحمته
وادركته عنايته لم يجد الماء اذا وكفى فقد ورد تبديلا ولا تحويلا وان حقت عليه كلمته
واحاطت به شقوته فالله اشد باسا واشد تنكيلا فما يفعل اولياء ولهم فليعذروهم يعيشون
في ستر الله ويتمتعون بوعد الله فلعل ذلك ان يكون حظهم من الله اذ لا يضيع لهم عقد
الفقر من الانتساب عند الله فلم يفتقرون مسيئهم من ان يكون في خفارة محسنهم فلا
يعظمونه ولا يوقرونه ويدعون محسنهم ان يحشر في رفقة مسيئهم فيستعينون به
فيعرفونه وقل امرهم ان يبنيه على التلبيس واخفاء الحال والحال بما يشغلونه من
مقال وفعال فلا دلالة ولا حجة ترد عليهم ولا امارة للفقه تشير اليهم وقد خبا الله
ولايته في خلقه كما خبا رضاه في طاعته وسخطه في معصيته فكذلك ينبغي للاحرار ان يحتقروا
شيئا من هذا ولم يبلغنا عمن تقدم ولا من تاخر من علماء الدين انه تعرض لما تعرض له ذلك
الرجل من منع هذا المعلوم ولا جعلوا ذلك وكذا امرهم ولا ابتغوا فيه مثل عمره منهم ومنهم
اغير على الدين وانصح لعباد الله المسلمين منه بل فضلوا امرهم السكوت فهذا
منهم على سلامة عقائد بمحاريب البيوت التي هي اوهن من خيط العنكبوت ومن العوام
الذين لا فرق بينهم وبين ان تعلم اللائق لبس الثياب وفصاحة الكلام وان تكلموا فعليه
من عامل او اجابة لمشتري سائل كل ذلك يحتم على جانب اولياء الله تعالى الحقيقية
للكلام وان يدعوا الهم السماع والمشايخ ان قام ابو القاسم القشيري رضي الله
عنه فانه لم يستثن ان اخذ في ذكر معايب المنتسبين الى طريقة الصوفية وان كان من احكم
الناس غيرة على الحقيقة ان يعذر من خاف ان يعتقد صحة نسبة ما لا يليق بها الشطحات وان
لم يرد وليس له امامهم فامسك الا عليهم وارادوا ان يبين سنتهم الماضية واثارهم الدارسة
الغابية ليعتز عن غيرها ويتسع على منوالها وكان ذلك به خليفا اذ هو من اهلها

قد يختبرون

في عباده

بشايهم

تخفيفا وأما من يشتغل عامه بزمن بعض هذا الجيل ويترك معاينهم بين الصحبة والحلول
ويجعل ما صنعوا أخذوا فيه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيلة الى هذه الهامة
الكبرى وذريعة الى ما يضاد سنة المتكلم ويروج ذلك على العامة لعمائهم ويرفعهم
من حيث لا يشعرون في مساجد مولاهم بذلك من اكبر الكبائر والبدع التي لم تعهد في الاوايل
والاواخر وقد كنت اعتقد انه لا يتصور له في تلك البلدة كلام لما اختصت به من ارباب
الجمال وأولي الغيرة على الدين من أهل السلام فبان لي بطلان هذا الاعتقاد وتحققنا أن
سعر في كل واد وتكلموا بما علمتم وحزنوا الى يوم التناد ولست أعجب من جاهل غريب
قصد الى بلد ليس له فيه على الحقيقة صديق ولا حبيب فاقتصر للمقلية حالته ونشر فيه
مقالته وأراهم من معيبه كأنه ورقة مذهبة حتى أن الأمر منهم في حوزتنا والذي عسى
ثم يفضي الى اثارة نار الفتن المحرقة والتعرض لقتل النفس المحرمة من تحت الحال والأرحام
في موضع جمع المأمور والآمر والعالم والقادر وإنما أعجب ممن هو من أهل الدين موسوم
بالشفقة على المسلمين في حاله وقدره عند العامة والسلاطين حيث لم يتكلم في هذا
الشأن بكلمة تسمع ولا انتصر في هذا الأمر بما يكون له موقع وهو يعلم ما تضمنته من
المفاسد التي يعظم ضررها وفسادها مع أنه وجد سبيلا للكلام لما قصر الأمراء والحكام
ليكون له عليهم من الحكام وادى ما يجب عليه في هذا المحال أن يعاملهم بالعنف والإغلاظ
في المقال ويقبح لهم حالهم فيما اعتمدوه من نصرة الباطل والمحال ولا يعرض لهذا وراء فالله
مما زينا بزحلة في مراء أو جدال فهذا أقل ما يجب عليه في نصرة الدين والنصيحة
لله تعالى وللمسلمين وذلك آكد عليه من جميع ما يشتغل به في حقهم لله رب العالمين
وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا ظهرت في أمتي البدع فليظهر العالم
علمه ومن لم يفعل فعليه لعنة الله وهذا الحديث ذكره الفقيه أبو القاسم إسماعيل بن إبراهيم التجيبي
الفقيه المالكي رحمه الله في مقدمة كتاب النصائح له وجعله عمدته في كل ما بينه فيه
ونقله وأي بدعة أعظم مما ذهب هذا الرجل بصدده من استحلال ما يمنع من قواعد الدين
وإضلال عوام المسلمين وتحبيبه عليهم الحلو الواضح المبين حتى أنه يعرفوا بين غث وسمين
وليس يشتغل بما وقع بنا في هذا الزمن من ضروب الفتن وأنواع الرزايا والمحن
بسبب ذلك في حقنا فقليل بل هو على ابتلائنا بما هو أعظم منه عندنا وقليل حبس
هذا أن أهل ... منادينا يتمسح بها جهلة العوام وهذا أولياء الله تعالى على جلالة

افرادهم عشرات وتهوي من التيه لزنة علينا في افواه المشايخ غير على تمر الليالي والايام
وعمرت بيوت الله المشرفة بمثل هذه المناقب وشيدت امورها في المحافل وعلى رؤوس المنابر
وشاع ذلك في النواحي والبلاد فكان والقرى والامصار وجوه المؤمنين تعلق بمحبته بذلك
الاقتصار ولعظم الخصوصيات الواردة من الله تعالى علينا والموصلة لكل فضيلة وعار
الينا نبور قلوبنا واستنيرت ارضنا عن هذه المعاني فلم يكفي بحضور ذلك عدم تاثرنا
بها وعدم من يفهمنا البقا وذلك كله امارات وجود نشرات الغلبة التي مثال امرنا
الرحمن وتاويغ ربنا من حضرة الرب هدى الله عنا عقوبته ورزقنا في كل اوقاتنا مراقبته
بمنه وكرمه عكس ما اولياء الله تعالى من يشوق امرهم ولا يكل الى غيره امرهم وفي
الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يرويه عن ربه عز وجل من اهان لي وليا فقد
بارزني بالمحاربة وفي بعض الروايات وانا الثائر لهم او كلاما معناه هذا المعنى ذا اردت
ان اذكر اقل من الكلام في بيان ما وقع منه من الحكاية عن هذه النازلة العظيمة عما يلتمعا وهو
نفث مصدور هنا وعن تحمله جلدي واعجز عن الاتيان به وكذا

والصبر يجمل في المواطن كلها الا عليك فانه لا يجمل — يحمد

وكان المتيم له ستر السائل ولولا ان تسمح النفس باذاعة في الرسائل ورجونا ممن
يقف عليه من اخواننا المسلمين الناصحين لله تعالى في البرين ان يحمله الغيرة الايمانية
على الشفقة على الامة المحمدية فينتصر لاولياء الله تعالى ممن قطع شيمة من اسبابهم
ووقع بفرية على رقابهم فتحسم مادة تلك العلة الصعبة وينقلب اعداء الله
بالصغار والخيبة واما انا فان كان فيهم عنهم من بالصبر واللطف عمروا اهل التيه ان
شاء الله تعالى بالكتب والرسم وجعلوا المحل يستحسنون ويشكر واما الحكم ذنب لا
يكاد ان يغتفر وان اشارة تغني عن العبارة لاكرم بينكم مروءة الستارة وقد
اعجبني كلام فلان وزاد في ذلك يحيكه فيه ولو كان منا الداهية مثله لحصل المقصود من
القمع والردع اذ ابدا كل واحد منهم غاية الوسع ولاكن الله تعالى سلب منهم البركة
حتى لم يقدروا على نهوض للمركة والله تعالى ولي التوفيق لنا ولهم الى ما يحبه ويرضاه
والذكر الذي تضمنته تلك الرؤيا معدود من اشرف الاذكار في استجلاب الانوار
ومن ذكر من النفع له في سلوكه من ابواب المعارف وفنون اللطائف فان بها يحصل استعداد
وانبعاث عقله فيه على العبرة في السلوك والوقوف عن السير الى حضرة ملك الملوك

فإذا استشعر السالك ذلك وتشاغل بهذا الذكر المخصوص على الوجه الذي رسمه له مشايخ
هذه الطريقة لم يزل فرقه سيره في حل وترحال ولم يكن له تعكيس لازم وشرب دائم فإن كنتم
على هذه الحالة فتشاغلوا به أن حرقتم شيئا من شروط الذكر فيه وكيفية العمل فيه وقلما تجرونه
وقد كنت تعرفت من كتبكم السالفة أنكم رجعتم إلى الأخذ في الرواية وأنكم شغفتم بها
وأنكم معرضون عن كتب التصوف وفقه العقائد والنظر فيها لمجرد عجز تعيش في باطني وأنكرت
من أجل أن معرفتكم ما يطلب الذكر من التصوف من البين للأصل به حماسين عليه وقد أبين عنه في
كثير مما عرفوا إنكاره منكم فلما رأيت ذلك منكم خفت أن يكون شأن هذه الطريقة التصوفية
لم يرسخ في قلوبكم كل الرسوخ وأن يكون عندكم كالثوب المعار وثوب العارية لا يستمر فضلا
عن أن يحصل به متعة أو زينة إذ لو كان ذلك فيكم راسخا لم يطلعكم تغير الأحوال
وتقلب الأمور عنه حتى هان وقدركم بسبب فقد الدوام منه وحصل عندكم من الوساوس
وضروب الخيالات وفنون الآفات ما لا تقدرون بأنفسكم من التخلص وأين تنفصلون عنه
حتى انتهى بكم الحال إلى استيلاء المرة السوداء فصرتم تردون بسببها في عالم النوم
أمورا لا وجود ثم أن يحصل لكم منها الغزاء حسبما ذكرتموه في كتابكم المتقدم وكان الكدر
عند تقلب أمركم وتغير حالكم ما فهمت منه غاية العجب لأني لم أعهده منكم إنكم قلتم
في بعض كتبكم وقد بلغني الكاسة تعتبرون الكاسة التي بعثت بها من أنه ندلسي ولم تزيدوا
على هذا فيا واحداه إنكم تقولون لي فيما كتبت فيها من التنبيهات على تلك الإشكالات
التي تضمنتها أم لا وتعدونكم فيها تقول وقع ذلك منكم موقعا زالت عنكم بسببه شبهة
أو انتفت لكم جادة أم لا فإن الذي يتم عن ذلك هيهات ولم تعرجوا عليه بتلويح ولا تصريح
مع أني قصرت في ذلك فضركم واعتبرت تفعلكم لأنكم قلتم في بعض كتبكم ما معناه أنكم
إذا نظرتم تلك الكاسة بتكلم قلبكم ويتغير حالكم فساءني لأجل ذلك بكم والشغب
بسوء الظن فيه فلما تعرفت أن زمن كتابكم إلي أنه تغلق عليكم باب تعبد
مما كنتم فيه ومن التفكر في ذلك يقع بهذا اللاحق لكم من واقع البرهان وعكسهم التيار ونوه
البدير عنكم لما زال عني ذلك الكرب ولينكم حين فر بذلك عليكم تركتم الأخذ فيه
بالكلية ولم يستسلموا منه بقية لأجل ما عرض لكم من الشبهة الخيالية والأكدار
الموسوسة أن تفارقكم وكانت لم يبق عليكم من فروض الكفاية أن تكون حاملا الرواية
الرواية من أجل الشجاعة والغرابة لتعمل بذلك من رفعة القدر في دنياك وأخراك

إلى

الى الغاية فابوء من غشيتها وانتعش من حيث تبلج فلاح الصباح وبادرك من حجج الله
تعالى فالبشرى لك فيه انفطاع ولا براح والله تعالى يجعلنا واياكم على رشد من امورنا ويجنبنا
عن مسالك الجهالات والغرور بمنه وبالفضل جدير وهو على كل شيء قدير

وسئل الشيخ في كتابكم دام خيركم عن المسئلة التي ذكرها صاحب المقامات رحمه الله
ورضي عنه وتلك المسئلة اشارة الى حال الخضر مع موسى عليهما السلام ساقها
رحمه الله كالدليل على ما هو بسبيله من تقرير ان ثم امورا انقى دونها العوام قد جاوزت
ابن حوار والمقامات وفارقت النعوت والعلامات وذا الحال الخلق كما قرره في بابه وهو
العبد وتغيبه وحقيقة التصوف راجعة اليه باجماع من اهل هذا الشان وكل ما هو من
نعت العبد مصحوب بالعلل ولن الحال انف الابدال منها لما فال وذكرها لك اجماع الكلام
فيه يدور على قطب واحد وهو تبدل المعروف وكم ابن ذرواكن ما جرى في تلك القصة خارج
عن مقتضى ما قاله في حقيقة الخلق لنسر منه في شيء من التأديب على التعلم والمسترشد وهو
موسى عليه السلام حين قال له الخضر عليه السلام فان اتبعتني فلا تسئلني عن شيء حتى
احدث لك منه وهو انما اتبعه متعلما مسترشدا او من التعاسر على المتبع والتساهل وهو
موسى عليه السلام حين قال له الخضر عليه السلام انك لن تستطيع معي صبرا
الى قوله هذا فراق بيني وبينك ومن خرق سفينة المساكين وقتل الغلام غير البالغ فانت
ترى هذه المسائل كيف جاوزت مقام الخلق الذي هو حاصل امر التصوف ليست منه في شيء
وللسبيل لاحرار يستشكلها ولا يستقيمهما وان لم يكن له وجهها قد اتفق هذا
لم يستبعد ان ينبغي للعوام بامور جاوزت الاحوال والمقامات التي من جملتها الخلق وهو فهل
اراد رحمه الله ان يقرر لوانها لم تذكر من مسائل الخضر عليه السلام اقامة الجدار فليس
من هذا الباب وقد ذكره في باب الخلق في الدرجة الثالثة في التخلق بما ذكره ابن خلدون وهو
بمقامة الخاصة وهو ما اشار اليه ها هنا ولما كان الخلق من نعت العبد ووصفه كان ما
جاوز الخلق ليس من نعت العبد وتعني بنعت العبد حاله فانه لم ينقطع عن نفسه فاذا
انقطع عن نفسه زال عنه النعت ولم يكن له اسم ولا رسم فيهم حينئذ من اهل القبضة
واهل القبضة هم خاصة الخاصة المشار اليهم بقول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم
حاكيا عن ربه عز وجل من قوله فاذا احببته كنت سمعه ونم له وكذا وكذا فبهم ينفخ على

Digitized by Google

أيديهم أشياء فتمسكوا بها في كثير من العلم وبالجملة فهو بحر إذا كثر وجمعه أعني بجمعيته
وحقيقته كمسائل الخضر عليه بعد تفسيرها لا يمنع معترض ولو عن نفوسهم ومأخوذون عن
مقتضيات رسومهم فكذلك القوم فإن الجارية عليهم غير منسوبة إليهم وكل ما لم ينسب
إليهم لا سبيل لأحد أن يسأل عنه سوى الاعتراف والانقياد فليس إلا التسليم وجميل الانقياد
لمن الملك اليوم لله الواحد القهار، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وقد نبه الخضر
عليه السلام على هذا المعنى بقوله وما فعلته عن أمري وقوله في إقامة الجدار فأراد
ربك وإنما أسند الإرادة إلى نفسه في مسألتي السفينة والغلام دون المسألة الأخرى
تأدبا لما في كل منهما من البشاعة وأجمل على هذا الأسلوب الذي ذكرناه في معنى هذه
المسألة كل ما ينسب إلى الأكابر من أحوال بشيعة ويجوز أن يكون ذلك من هذا القبيل
لتسلم بذلك من التهمة وسوء الظن بالأكابر إذ لا تقدر في ذلك عثرة عما ترك فعل النبي
صلى الله عليه وسلم أو غيره لما التبس على بعض الناس إنما يبنى على غير من حمول البدء وما أشبه
هذا مجمل ما حضرني من الكلام على هذه المسألة التي سألتم عنها على
طريقة القوم نفعنا الله بهم ومعنى انتهى تفسير المسألة المذكورة وقوله لا كنت
إرادة أهل التخصيص إلى آخر ما قلتم فهو مبني لما ذكره من أحوال الخواص فلا يقوله يبقى فيها
على ما هو عليه من بيان أو إشكال وقد تكلفت من الكلام عليه يا أخي بما لك ولهذا
كله دعه لأربابه واشتغل أنت بروايتك وعنعنتك وسلسلتك على طريقة أرباب
الحديث لتنال رتبتهم في هذا الزمان الفاسد الخبيث ولتكون مبلغا للشريعة المحمدية
في الفترة الجاهلية أي من بين من هذا خلق كثير بالكلية لتتحلى بذلك أحوالهم
الفاسدة ويستنون أمورهم في دينهم على أمر قائم ... ومثل يجلو العقائد لأبصار الدين
... ولو تأملت أن تسأل حاله بعين التفهيم لكان له حظ من عقل وإنصاف لعلم أن جميع
ما أنتم فيه مما تميل إليه نفسه من قناعة وقربة وفضل عن مباح ومعصية لا تابع له
عليه سوى الهوى ليتوصل به إلى حظ دنيا ومن شأنه أو يتوهم نيله ثم لا يناله ولا حكم
له فيه في الآخرة وذلك الذي هو العمل يحتاج فيه لا محالة إلى تعب ومقاساة نصب
فإذا رزق الله تعالى العبد شيئا من القناعة وتناوله من وجه لا يلزمه عمل ولا يحتاج فيه
إلى كبير مؤونة لخدمة وحرفة وكون فضل الأعمال وراء ذلك من اتساع الحال وكثرة المال

ينبغي له أن يقتصر على ذلك ويقنع به ولا يتشوف إلى غيره بثمن يقتضي وجود تعب
وشغل قلب فذلك كله شر كلامي واحكمه سرا واسره في العافية ضرا كل ما يسعى
بدين يستجلب ذلك من ينتسب إلى الدين من أهل العلم والعمل مع اعتنائه بقبح حاله
واحكم من كل حكيم واشر من كل شر إذا لم يعتن بذلك بل عدل دينه فيهما وهم أهلا [illegible]
مستقيما وهذا من حال الناس عافانا الله منه فإذا التزم ما ذكرناه ونفع به وفقنا لما
في دنياه حصل له عند ذلك من حظوظه الدنيوية ما يتوقى أقله وأدنى ذلك حصول له
على الراحة القلبية والبدنية وخروجه من حيز الغرور وكونه محلا للشيطان الغرور
بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ فليقبل هذه النصيحة ممن
هو أخوه إلى أن يتصالح بعد فيه وقل لي يا نصيح أنت أولى بنصيحتك إذ علمت بما
انبعثت ولا إكراه أن رجعنا إلى حديث ذا فلا يسعنا إلا الصمت والتزام أدب الوقت
خشية حلول المقت أعاذنا الله من سخطه ومقته بمنه وكرمه والمراد منكم أن تجتمعوا
مع فلان وتعتذروا له عني فإني لم أكتب له جواب كتابه وكان سأل مني فيه أن أكتب إليه
وأوصيه وكنت قبل هذا كتبت له كتابا بمثل ذلك لما طلبه مني ونبهته فيه على
الذي يفيد المطلوب منه ومن ذلك الشكر إذ هو الذي يولي الافتقار وبينت له وجوها من النعم
هي ملابسة له وأشرت له إلى كيفية الشكر عليها ليتصل بذلك إلى مزيدها ومطلوبه
من غير تعب ولا مؤنة فلما وصل إليه الكتاب لم يقنع بذلك لأنه وقف مع حال نفسه
ووقع نظره فيها وشكا إلي ذلك وقال لي أنا أغرق بنفسي وتوهم أنه قد حققته واستحسنت
حاله وأنا لم أفرح أحدا إلا الله تعالى ولم أستحسن إلا فعله معه ووجه من يكون هذا
كان هذا من حالي معه ومع غيره من الوزراء رجلا في غاية الصلاح وآخر في غاية الفساد
لسلبتهما عن حالهما وبقيت مع مراد الله فيهما وفعله معهما فإذا كان هذا حالي فكيف
يستفيد مني أن أكاتب أحدا إلا أن يجيء عليه فيفعل معه ما اعتاد الناس في وصاياهم ومواعظهم
من التخويف والتحذير والمبالغة في الجد والتشمير مع التغافل عما هو عليه من سوء الأدب
بين يدي الله تعالى من رؤية النفس وغلبة الدعوى وصاحب هذه الحالة لا يفلح أبدا ولو بلغ
في الجد والاجتهاد كل مبلغ ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور والجاهل لا يسعى
إلا فيما فيه هلاكه ولا يشعر بذلك فكيف يروم مني أن أوافقه فإنما أنا على حال ما أنا عليه

Digitized by Google

انه زمن تكليف الكتب من اجل العلة التي في بصري ولولا انه لتكلم عني وحشي بعملكم عني في ان تنازل
هذه النازلة كلها ولم اذكر شيئا من هذه المعاني ولا بد ذلك هذا الذي حملني عليه وخفف عني
مؤنة كتبه بعض ما كنتم تقفون عليه من هذا وعلى ما ذكرته لكم فبيان هذا على وجه التمييز وتفريع
الى ذلك من عندكم ما ييسر موقعه لعله ينتفع بهذا المعنى ومن شاء الله من تمم له والله تعالى
يبلغ الجميع الى سبيل الرشاد وهو حسبنا الحميد بمنه وفضله

وبعد فقد وصلني كتابكم وتعرفت منه حالكم في تلك النازلة الشنيعة
وقد كان مآل الامر فيها الى خير وقد دفع الله تعالى لكم فاحمدوا الله تعالى على السلامة
وان تعتبروا منه جزيل الكرامة واما ما ذكرتم من الكرب الذي كان اصابكم بسبب فقد ذلك
الكتاب فلا تجعلوا ذلك من بالكم فلعل في ذلك خيرا من جهة للتعلم وقد جاء ذلك على
مقتضى الظاهر وسررت بذلك لانه تدارك من امره ما احتجنا اليه في الكتاب الذي بعد وما
لا يحتاج اليه او يؤدي الى وقوع ضرر بسببه وما ذكرتم فيه من امر الشيخ وغيره
وانكم انتم اهلية ذلك لي وحلفتم على ذلك باسم الله تعالى العلي فانا احلف ايضا بمثل
ذلك اليمين على نفي ما انتم قلتم ونفي ما ابن عثمان وكلانا ان شاء الله تعالى في يمينه بار
لانه حلف على مقتضى ما عنده وانتم تعلمون بما يجب عليكم من تهمة انفسكم ورؤية عدم
استيفائكم للتمكن العالي الذي ذكرتم حين قلت لكم ما لك ولهذا دعة للزيارة بحالي ان لو اذعتم
ان ذلك منه مكاشفة بما لكم ثم تبدل الكم النكد بما ذكرتموا ولو افصح بكلامي سيرا مع
ضرب من الرعاية والمنهاج الذي ليس عليكم فيهما جناح وقولكم فهذا عني المثل الى الرواية
الكلية ولم يبق الا ان الركون الى المقابلة صحيح لو وقعتم عليه ولم تستنفدوا مقابلة
ما بقي لكم من الحركة ومثل المقابلة انه من يقابل ذلك وكانكم اذا تركتم مقابلة ذلك الكتاب
نتعلم سارية في جامع القرويين كيف وفي بلاد ابن سلاع والبلاد التي اشتمل عليها
عبرة الاصلاح في ذلك فاني لكم من نسخ المؤلف وبعضها في غاية الصحة وجودة المقابلة
وتمامه ذلك قد نسج عليه العنكبوت وتعطلت به زوايا البيوت وما اشتغل به الناس
منه الا ما كان شبكة للمطامع ومصيدة للحطام فان نسخة صحيحة تبقى لكم مع قراءة التهمم
بالمقابلة لولا وجود الوسوسة التي استزلتكم فان ادركتم لم تجعلوا الى
من عمكم قبل ما علمتم ذلك من هذا من الكتابة التي لابد لكم منها في تبييض فيه

وما

Digitized by Google

وأما طلبتم من بيان ما بقي من المسألة التي وقع الكلام عليها ومن قول صاحب كتاب
المقامات لاكن إرادة أهل التخصيص إلى آخر مقالة فهم من الكلام الذي سمعته على
الكلام الذي تفرع تلك المسألة لم يشكل علينا شيء منها بتاتا فأقول فيه إن الخواص
متحققون عن أنفسهم معزولون عن صفاتهم فإذا انكشف لهم حقيقة الإرادة فمنسوبة
إلى العبد وجدوها متعددة ومتعلقاتها متعددة إذ لكل مراد فيه ومن إيصال منبعثة
لذا ومراد له ومن إيجاد ما به المنبعثة أو يكون ذاته مراده فإذا انكشف لنا البعض مسلوبة
عن العبد بالكلية والشهود الجمعي لم يبق له منها شيء ومن معنى ما ذكرنا من التجرد
وحينئذ يشاهدونها غير متعددة لا من مراد أنه مراد أو واحد أو زائد أنه من حيث لا تعدد ولا
تغيير والعبارات في هذا المعنى ضيقة المجال ومن ذاق عرف لا تخلو من إيهام ما هو
باطل أو محال فالقليل منها وكثير انبساطها عنها فإن ذلك لا حاجة بكم إليه الآن ولا
يليق ذكره بمثل هذا الزمان وقد قدمت لكم من كلام سهل بن عبد الله رضي الله عنه التحذير
عن مثل هذا المعنى وأما الذكر الذي طلبتم مني أن أعينه لكم لتداوموا عليه
وتتخذوه وردا فإن ذلك ليس من شأني من شأن الشيوخ المربين وقد تقدم فيه
على عدم الأهلية لزوال العلة والصبر والذكر الذي ذكرتم عليه من أنواع الأذكار ما
كان منها دعاء ومن الدعاء ما يتضمن حمدا أو ثناء ويقتضي من داء الرعونات أشياء
والحمد ذلك الذي في المواظبة على سيد الاستغفار الذي جاءت به صحاح الأخبار لما
تضمنه من المناجاة والحضور والإقرار بربوبية الملك الغفور ثم إخلاص الوحدانية
والاعتراف بفاقة الخليقة وذلة العبودية ثم إظهار الحاجة في تكاليف الخدمة إلى الحفظ
والمعين والاستعانة بالله تعالى فيما يتيسر به من ذلك القليل ثم الرجوع إلى الله تعالى
بالنعم وتحمل الذنب المجترم ثم سؤال الغفران والمتاب والاختتام بالثناء الحسن
على رب الأرباب فإن جعلتم ذلك صبيحة اليوم في أوقاتكم حصل لكم بذلك الخير
الكثير مع القيام بشكر الذي بين يدي الملك القدير والخمس والكيفية من الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم فإنها من أقرب الوسائل إلى أشرف المقاصد والتزموا ذلك
فيما تيسر له من الحالات والأوقات واشتغلوا بهما ما فاتكم منه بعد تسلطكم
بباب حاديث التي تزود وتقطع عن النفحات وتمنع البركات وأما التشوش تحتوي فيه

من لبسكم للدواس بين اكثر من الناس فان ذلك مما لا ابالي لكم فيه مع تعرضكم بذلك للطعن
العامة وشتمهم ووقوع المضرات من قبلهم واما الحانوت فدعوها مبنية مدارا على
حالكم وتقية ولا يتم لكم ذلك اذا احرقت فيه النية فان الزمان قد بلغ الغاية في الفساد
وشملت الفتن جميع العباد الا من عصم الله تعالى منهم والله تعالى يعيذكم من شر الاشرار
وتسلط الفجار واما التستر فمرتقى فيه ايضا من تسميع الناس كلامه
وحملهم بذلك على اتباع مقصده وتركه فان غلب عليكم حال يحملكم على الكلام فلا يعاب
عليكم ولا ملام اذ لعله يكون في تلك الحال مرادا منكم والا فالسلامة في ترك ذلك جملة
الا ان تجدوا اهله ومحله واما ما ذكرتموه من الرمز فليس ذلك برمز على الحقيقة
وانما اوردت لعلمكم معنى المغيبين كل واحد منهما صحيح فلو ذكرتم في المعنى الذي فهمتم
منه ذكرت لكم المعنى الذي اردته ذلك وانما قصدت بذلك كله التسلية لكم عما
كان اصابكم من الكرب بموت في ذلك الكتاب ان يكتب كل صعب وذلول وان يعتبر في العبارات
والاشارات التي تشتمل على معانيها الاسماء وتلمح بمعانيها العقول وما من حرف منها او كلمة
الا وتحتها كلام او محصول لينتفع بشيء من ذلك زيادة ولا فضول وكذلك في سائر ما نكتب
به اليكم ولكنكم لا تشعرون به اذ لو شعرتم بذلك لاكتفيتم بالقليل منه ولا كتبت لكم ما
علمت منكم ذلك من اكثر الكتب واضع الصناعة مواضع النقب والنكاح في كتب
الرسائل المبعوث بها الى البلدان ينبغي له ان يدع شيئا من البيان ولا يرى تعرفه بينها
وبين ما لكتبة المشايخ والعيان بل بما كانت تلك اكثر ايضاحا وابلغ تصريحا
وايضاحا كل ذلك ليحصل المقصود من كتاب واحد ولا يحتاج معه الى مراجعة توجب
كثرة الانتظار وتشوف الوارد لاسيما فيما تباعد من الديار وتناءى من ابن فكذلك
وان يتكلم بشيء مما يشيب ويتسبب من لم يتسبب ويكون ذلك في حقيقة من ينتسب
الى من اليه انتسب فالجمع الاشارة واجب عن كل ما فيه بشيء او تلويح كطلب
فان جعلت ذلك تعب وان لم تفعله اخطأت فليجب بذلك لا يتعلم عتاب من على ذلك
عتب بان يغفل الامر فيه عنه فقد غيب وحجب وقد حسب ما كان صاحبنا ولا كذب
ولا وهم ولا حسب بل شبه وكتب وتخوف وحذر ولسان الحال افصح من لسان المقال
فيما خبر وخبر وليس عليك في هذا الامر نعسر ولا محتسب وسيعلم كل من كلم اي منقلب

منقلب

ينقلب والسلام **وبعد فقد وصلني كتابكم**
وذكرتم فيه انه حصل بايديكم تاليف الفقيه فلان في نحو كم يقتضي بان احاديث الصحيحة
ولا باس لو نسختموه وبعثتم به لان الاحاديث النبوية مكنونة الفوائد لمن عرف تاويلها
وطلبتم فيها بقطع البال فيما وقع في كتابينا من العبارات المسجعة لما طلبتموه منا في
كتاب قبل هذا وذكرتم فيه ما فهمتموه فيهما وسالتم هل وافق فهمكم ما قصد
فيهما ام لا فاقول اما ما فهمتم في الكتاب الاول فقد وافقتم وهذا وفيتم الغرض في
الكثير منها وفي بعض منها قربتم وكنت نبهتكم على هذا في كتاب كتبته اليكم قبل
هذا ولا ادري هل بلغكم ام لا واما ما فهمتموه في الكتاب الثاني فقد رميتم في
ذلك مرمى بعيدا وحملتم بعض الكلام حملا ثقيلا وذكرتم في تاويلها اشياء من
التمحل العالي من مسائل التوحيد والحقيقة والجمع والتفرقة وغير ذلك مما عبرتم
به من العبارات فلعلكم من هذا وافق مع النظر الى نفسه وكذا وكذا والا فهم
ما يعم به اولياء الله يتكلمون به وكيف ما يذكرونه باشارة او تلويح والكلام انما هو الا
تقريب الى مسالة وان تفننت في العبارات في مقامات مراد وزيادة الله بحسب ما يليق
بالكلام المتقدم عليه وان اوجب ذلك لكن حتى لا تغتروا على المقصود بازالة
والله تعالى اعلم ما تقول في انه ذلك السجع من الحروف والكلام انما ربك
بعضه ببعض على تعزير بقاء ذلك الحزن نابتا فلما وقع ذلك تمم الكلام وحصل
ان شكال واني ومراد الكلام المحمول ان الكلمات المسجعة انما قصدت به
الكتاب الذي كتبته في شان الرجل الذي كان عندكم واردت بذلك ان يكون امرا للناس
ليتكلم عليه ويكمل الغرض الذي قصد اليه وكان في ذلك فيه فرحة تامة واطلاع ذلك
فيه بعد ان كنت تغافلت عن ذلك الطلب فلا رضي ببيان الحكم في تلك النازلة فاغتنمت
ذلك وكتبته كتابا مستقلا بنفسه لم اخلطه معه غيره فلما رايت ان ذلك لا يحمل
شيئا وانه فيه بمنزلة من يبذر في ارض خالية مع انه ترفعت كراهية فلا لذلك الا في
غرضت به فيه وانا بك احب ان يحرر فيه له الا انما يرى اليه معنى ما كنت في ذلك او لهذا
يعرف ذلك الكلام وقلت لك لا تطلع عليه احدا سيرا احتراز اذ لكن ... المراد
اوجب انقطاع ذلك الكلام حتى لم تحصل منه بفائدة ونقص ما الحق منه واكثر

يقطع

فلا ادرج كتبه وكتب ونبه يسرا الرقم في الحين رغب وقولوا احبتنا وما كذب فما احببنا ولا
كذب في هذا فانصرفت بهذا السجع واما السجع المتصل به من قبله فهو من تتمة
الامر معروفة مما تفرقت من الكلام فقولي كذا ذلك ليحصل المقصود من كتاب
واحد ليحصل المقصود من جوابكم عن كل ما تضمنه كتابه بشرح او تلويح من كتاب
واحد اكتب به اليكم ولا احتاج الى مراجعة بكتاب في امر الطلب منكم فيه كذا وكذا وكذا
مما لا يحصى ولا يعد فيحتاج في ذلك الى كثرة التكرار وتشتيت سيما فيما تباعدت
الديار من التكرار لذلك يتشعب من لم يشب ويتشعب من لم يتشعب ان اجل لذلك الحال
لغلبة الذي تشتو ولا كثير الرقائق وعلى من جهتكم من كتاب تخبرونه فيه باشياء مما
يصلح ان يفعل ومن فيه منها السائل من امور واقعة بكم او بغيركم وما قيل فيها وما جرت
اليه الى غير ذلك ليحصل لي بذلك بعض انس لانه قد قطعنا بحال غربة لا احد من احد
ما لا تناسب حاله ولا من عنده يكاد يوقف عليه فيحصل استوحش لذلك وانا من
قبله فاذا ورد علي كتاب منكم كثير الحجم فيه كلام كثير المحتوى ذلك من قبل ان افرد له
وقتا لعلي فيه شيئا فاذا قرأته وحذرته تغيير من بغيض فاؤدي لو كان يملي خلاف ذلك
وهذا وان كنتم لا تعلمون الغيبة بغير الكراء عندكم فكنه بالاشارات والتلويحات
والمعروفة بالك من امر والمقاصد وقولي ويكون ذلك في صحيفة من ينتسب الى من اليه
انتسب هذا الكلام فهذا الذي حملتم احملا ثقيلا كما ذكرته لكم لا كراه فيتم انكم لا تعرفون
تاويله وانما قصدت بذلك ان لم ازل اجد في ذات نفسي تكرار الكتاب بكم الذي اطمع ان يكون موقوفا
لغرض تخبرونه مكتوبا في صحيفتكم وانما غيرت العبارات لاجل القافية او ما يشبه القافية
ونعني بالانتساب النسب الذي اشتركنا فيه حسبما كنتم ذكرتم لي في وقصدت بهذا الكلام
نوعا من المزاح لا انه حقيقة لاني احب ان يكون في صحيفة اخير تباعة من قبل فكلامكم
وهذا ايضا ليست بتباعة وانما تشبهها في الكلم والتقسيم الذي وسم به هذا الكلام
لا يحتمله كلام اللغة لانه عبرت فيه بمن التي هي لمن يعقل وقلت لمن اليه انتسب ولو
اردت ما ذكرتم لقلت لما اليه انتسب فمراد ما ذكرتم فيه نوع من دعوى الانتساب
الى كبير القوم وانا لا افتخر ان حصل الانتساب الى ذلك ولا التماس عليه ولا يعترف
على هذا بقولي في مفرقة التنبيه على مقدمة ابن عطاء اذ من علينا بان نتماء الى قراء المبهم

لانكم

والانتساب

والانتساب الى كريم فمناسبتهن لان الانتماء والانتساب معناهما ليس بخلاف النزاهة
عمدة فيكون ذلك دعوى وانما اسندت ذلك الى الله تعالى واعتمدت في هذا الاسناد و على
في الاخبار لله تعالى وعلى غيره من اعتقاد تلك النسبة ورجوت من الله تعالى في الاخبار من ذلك
في الاخبار ان يكون مخففا ان يقع الامر كذلك عندك والكريم اذا ادعي عليه شيء مما في
يديه فيكون الحق له او مراده هو له معتقد الله بصدقه في دعواه ويسوغ له مقصده وجوده
فما افضل بهذه الرجوع منه تلقين تلك الدعوى وكان عالما بالسير والنجوى سبحانه نعم المولى
وقولي فالجميع الاشارة واجب ليقع منكم الوفاء بالغرض الذي تقدم ذكرناه وقولي
فان تعلمه ذلك تحسب انه تقع على المقصود عنه وقولي وان لم تفعلوا اخذت ما يجب
من حق افتراضي عليكم ولو تعلمتم كما افعل انا فعلتم وذلك انني اخذ كتابكم واطليه طليا
بحيث لا يبقى فيه شيء مما يقتضي فيه جواب لكم فان تركت منه شيئا فانما اتركه لعمل
لغرض لا اني لا ارى لكم فيه مصلحة ولا فايدة ويستعين ذلك في مزية الشيخوخة التي
ادعيتموها في كما شاء الله تعالى وقدره وقد وافقتكم على دعواكم لتري ذلك كما ارى
ان اذ يلزم ان رواختم به هذا الغرض ان فان قلت شان الشيخ ان لا يطالب تلميذه
بشيء من حقوقه والزامه ولا يتعاظم ذلك منه ولا يتعبه ولا ينكر عليه تقصيره
وانما يشتغل بما يعود عليه بالمصالح الدينية والدنيوية لان الشيخ قد فرغ من
تاديب نفسه وتهذيبها وانت يا ايها المتكلم لم تفعل شيئا من ذلك لان هذه المطالب
كلها التي نشا عليها مما يشتت الهم ويكدر القلب وانت تدعي انك ذلك وثم شيء عليه
تحصيل الغرض الذي يعود على منه مصلحة معتبرة مما يقصد به الشيخ تلميذه ومريده
بل ربما اذا لم يشتغل عليه فاقول هذا كله مما يتكلم دعواكم التي هي الشيخوخة
وجميع ما اشتملت به على ذلك ساقط لا يقوم على ساق وان رضيتم بشيخوخة تصطلح
علينا البعض من الشيخوخة الحقيقية في شيء بحيث يقع فيها ما ذكرتم مما ان يقع
في الشيخوخة الحقيقية من طلب الحقوق وان غرض التي يحكم بشيء فيها الحريص
فلا حجر عليكم في ذلك ولا اصطلاحات ان يقع علينا سؤال والبيت من فرض الدين
وقد لا تستبدل كذا الى النظم بغيض ينظم بعد عشر وفي حقي يصدر والبيت الذي قيل فيه شهود
بعض ابن زمية وفاطيما ان كان بعد تبديل فاهية من اسمائهم فيقال لي

لي

من يدر أن الزمان وأنت شيخ ... قريب من قريب في قريب

وكان في البيت شهود المعمر فافهم من يدري وقام بدلا من شيخ وارتضيتم سؤالا بذلك
اجبتم في مقابلة لزام ايه الزمنا المنع على لسانكم جوابا مقنعا ولن تجدوا فارقا حتى تقولوا
بغير دليل وقولي بل كل لا يصلح عتاب من على ذلك عتب ان كنتم تعتقدون عن قصد
وعاتبتم على ذلك معاتب فان عتابه اياكم لا يستقيم لانه تكليف لكم بفهم تلك
الاشارات والتلويحات والمجاوبة منكم على حسبها تكليف شطط يقع للعالة
فيه الغلط فلا يستقيم فيه العتاب ولذلك قلت في تعليله لان الامر فيه عنده قد
بسن وجب وقولي وقولوا احسنتم ما كذب صاحبنا ولا كذب غير امر مرتب على العجز
قبله والقصور عما منا خاطبنا وليس بمنا ولذلك قلت بقولي ولسان الحال ابلغ من لسان
المقال فيما اخبر وجوابا ونعني بذلك ان تكونوا بعد ما كتبنا لكم ذلك الكتاب من ذكرنا لكم
في قولي وشيء بسيط من في الثني ينبغي على حال تكافئون معنى ذلك الكلام فان رأيتم من بعض من
تعرفونه عليه بعض انكار او تلبيس عما كنا نبينه فيه من الافتخار فلتبين في انفسكم ذلك
الكلام ليلا يقع منكم في شيء مما ذكرناه لكم تفهيم واجماع وتعتقدوا ما كذب صاحبنا
له فيما ادعاه فيه ومعنى وما كذب اذ ان العلم الحاصل له بذلك علم يقيني يشبه العلم
المتلقي من الملك الملك في المكاشفة والقول بحيث لا يعتريه وهم ولا اشتباه ولذلك
قلت بقولي ولا وهم واقتديت في تلك العبارة بابي ذر رضي الله عنه حين قال في قصة وفاته
المشهورة للنفر الكرام تبرئة لذا اقرأ بشارة لهم ما كذبت ولا كذبت لما اخبر به ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان قال له انك تموت بفلاة من الارض وتشهدك عصابة من المسلمين
او كما قال صلى الله عليه وسلم وقولي بلا شرب وكرب وبذا جعلوا وجوبه هذا هو الغرض
في جميع تلك المقامات التي ذكرت لنا بذلت فيها جميع معرفاته منه ذلك الكتاب بعلمه
وقولي وليس عليك في هذا الا من معترض ولا محتسب انه ليس عليك في التكلم بهذا الكلام
معترض من عقل ولا محتسب من شرع لانه من ابواب التحدث بنعمة عنه وقولي وسيعلم
كل من كان من منقلب ينقلب فهو تنبيه لمن يحضر تلك النازلة ان سيعلم من كان بقلب
لك منكرا ووضع لك شيئا في غير مواضعها قدره ان وسل الذين هم اولياء الله تعالى وخاصته
اذا بات يكشفون عليهم بأنك فلان وان ذئابا الذين اشتملت عليهم ثيابهم وتحمقن على

ولا محتسب

اولياء الله

أولياء الله تعالى كلا بل هم رؤوسا يسمع منهم الكلام وتصدر منهم الأحكام وهم أهل
سبيلا من مقام إلى مقام أي منقلب ينقلبون إذا انكشف الغطاء وبرح الخفاء وحال
به الشقاء وانقطع من يده حبل الرجاء فهنالك يقرع السن من ندم ويأسف من التحسر
والتأسف على فوت ويعود لما قدمه من عظيم الذنب وشر ما كان ذنب بين يدي الرب
أن يردوا إلى القوم فيبدلات سيئاتهم خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ويوم
تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون نعوذ بالله من الخسران الذي ليس له تدارك ولا
جبران ونسأله أن يرزقنا من حسن الأدب والتعظيم لأولياء الله تعالى الذين اتخذوه وكيلا
ورضوا به كفيلا ولن يرجعوا لمن سواه تأميلا ولم يروا لهم على غيره تعويلا ولا ابتغوا
من الذنوب على قدم العبودية له تبديلا ولا تحويلا فأوجب لنا منهم القبول ويعفو
لنا سببا عندهم في اليوم المهول ويختمنا في سلك محبيهم ويجعلنا من حزبهم ودعوتهم
وتلبيهم *
* يا عبادات للإله عبيزا * لا ذو حجا منكم بركن فوي *
* فاقبلوا بفضلكم وارحموا * واستغفروا فيه للإله العلي *

فصل وقد أردت أن أذكر لكم في بيان ما أشكل عليكم ونبهناكم في فهمه على أشياء
كنتم غافلين عنها لتعملوا على حسبها إن شئتم ولم يكن غرضي ذكر ما عسى تركتموه لعله
وذكرتم في كتابكم أنكم تركتم الرواية بالكلية وعملتم في ذلك حتى بعثتم كتاب الموطأ وغيره
أنفسكم بغير ذلك ولا يخفانا جواز أخذ كل من أراد المراد منكم أن لا تجعلوا ذلك من همتكم كل
الفعل والله يصلح منا القول والفعل ويعاملنا بالحسنى والفضل لا بما نحن له أهل
وبعد وقد بلغني كتابكم وأنتم تذكرون فيه وفاة سيدي الحاج فالله
تعالى يرحمه ويبرد ضريحه ويجزيه عنا أفضل الجزاء فقد كان لكم نعم الصاحب والحبيب
ولقد استراح من هموم متاعب الدنيا وشتاتها وبقينا بعده في غمرة ذلك
ليس من مات فاستراح بميت * إنما الميت ميت الأحياء
ولعظم الفترة التي دفعنا إلى مكابدتها في هذه الدين لا زال من بعدها يتوالى من سوء الحالة
والعياذ بالله وسبيل نجاتنا منها في غاية الغموض والإشكال والزلل عليها
كعنقاء مغرب لا توجد بحال ولولا الفترة التي عمت ما قلوبنا من دائرة هذه الكلية لقيتنا الحمد
لما ذهبنا به من المصائب التي سدت علينا أبواب الرحمة وقطعت عنا قوة العصمة

فإنا لله وإنا إليه راجعون وقد كان السلف الصالح رضي الله عنهم يخافون من الغش
النفاق في أديانهم فيترددون إلى العلماء ليطلعوا على ما هم عليه من الصفاء والزكاء فيقول ابن إبراهيم
فيقولون له عن حالهم وإن شيء بحالهم مخوفا أن تزل صحة إيمانهم وصفاء يقينهم بسبب
أنوار النبوة التي فاضت عليهم من رفضهم للدنيا وإيثار الآخرة عليها وبذلهم الجهد
وإن جهاد فيما يؤدي بهم إلى منزل المطلب الشريف وكانوا في منزلة من يفتن له من كثير
بالكسير يتوصل به إلى قلب كثير فيتبع بوجود أحد يثلا زمن فيه ويرجع إليه عليه فكيف ترى
يكون حاله في التمرد والتمعك وفي حديث أبي جحيفة رضي الله عنه أنه قال خرج علينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم متغير اللون فقال ذهب صفو الدنيا وبقي الكدر فالموت
اليوم تحفة لكل مسلم فيسار مع هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال هذا وقاله
أحد من أصحابه رضي الله عنهم في زمانهم الصالح فماذا عسى أن يكون قولنا نحن الآن
في مثل هذا الوقت الذي يغير من قلب صاحب البصائر متعرض للزيادة والنقصان عالم بالصفاء
والكدر وما بقي منهما وما بان واستحالت بعد رقائق منا القلوب واستولى عليها ران
الذنوب فضعف بسبب ذلك إيماننا بالله واليوم الآخر وصار حديثنا بذلك
حديث مستهزئ ساخر فركنا إلى هذه الدار التي فيها نغتني ونعيش مع أنا لم نحصل
منها إلا على الكراء الدنيء وفزنا بها عيشنا وإن كان حاصلها زورا ومينا بحيث أنا
بعد البقاء فيها ولو ساعة واحدة غنيمة باردة مع ما نلقى فيها من أنواع البلايا
وضروب الرزايا حتى إذا أنزل بنا أمر نتوهم أن يكون فيه الموت قامت علينا القيامة
وانقلبت الدنيا بنا على عدو شهد الاستيشعار بذلك فلا يسر نحن من زمان يتمنى فيه
الموت ونزل به لوادر كناه لكنا من الغافلين ولا لكنا أخذنا الزمان قامت فيه القلوب
وتمكنت فيه المنكرات فما سلب منها من أنوار الإيمان واستولى عليها من جنود الشيطان
فما أحقنا بالبكاء بل بالدموع بالدماء وما أحرانا أن نكون على حال لا نغفل أن نرى به
نكلنا سماء وأعظم المصائب علينا أننا لا نجد أحدا يشبهنا على مثل هذا ويتعيش
قلوبنا بحاله أو مقاله وإنما نجد من تزداد به نار غفلة الباطل ورسوخنا في الضلال
ومن الدجاجلة الكذابين الذين خاف علينا منهم الناصح لنا والشفيق علينا صلى الله
عليه وسلم أكثر مما خاف علينا من المسيح الدجال ولعمري لمن كنت من قريب يتبين

Digitized by Google

مثلا ولاة الناس فرد ابوابكم عليهم واستغنيا بولد الرعونة من غير ان يحتاج الى كبير مؤونة ولا
تعب بدن او لبسا كقوله ذلك ابلغ كفاية والكلام اذا دعا المؤمن الى الكبر جهارا
لم يقبل منه ولم يستجب له فاذا تلطف في ذلك واحتال عليه بالتلبيس بامور تناسب
حال المؤمن يستتر عنه بذلك استتارا خفيا ويبقى فيه اسيرا فلا يشعر به نجح فيه
يحصل على مراده لا جرم وفي حديث الفتن والتعريف باسمائها حيث قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيهم دعاة على ابواب جهنم من اجابهم قذفوه فيها وما
اجاب به حذيفة رضي الله عنه حين سأله عن صفتهم فقال صلى الله عليه وسلم هم
قوم من جلدتنا يتكلمون بالسنتنا اشارة الى المناسبة والمقاربة التي ذكرناها
والله اعلم وابليس لم يقدر على اغواء ذلك العابد من بني اسرائيل حتى بنا مسجدا
قبالة مسجده وزاد عليه في اجتهاده وتعبده وحينئذ تمكن منه والضلال يحصل بعين
ما تقع به الهداية والتوفيق ينال ان من سبقت له من الله العناية يضل به
كثيرا ويهدي به كثيرا وعند كتب هذا الكتاب وصلني كتاب منكم
تضمن اخبارا بامور من جملتها السؤال الذي سال عنه الشريف الذي ذكرتم لان الاشكال
عليه في ذلك انما اتاه مما توهم من ان الروح اذا رأت بعد خروجها مصحوبة بالمشقة
ومن اين له هذا فان قاسه على المعهود في النوم فلا مشقة في ذلك ردا ولا خروجا
وان قاسه على حال الموت فلا رد هنالك تشاهد فيه المشقة وانما تشاهد المشقة
حال خروجها عند الموت وقياس خروجها في البرزخ على خروجها عند الموت لا يستقيم
في موجب وجود الالم منتف هنالك لعدم وجود البشرية التي تشعر بالالام واللذات
الدنياوية والمشقة التي ذكر هي تابعة لذلك وهذا القدر كاف في ازالة الاشكال
والزيادة عليه وتحقيق القول في كيفية هذا الامر فضول لا يسع الوقت الان له والامر
كيف خفي هذا على الفقهاء والطلبة الذين ذكرتم ان السائل سال لهم فلم يجد عندهم
ما يشفيه فاما ان تكونوا اخبرتم كذلك ان شكال لهم ... واما ان ابا حنيفة اراد
ان يهدي رحله وما ذكرتم في هذا الكتاب والكتاب الذي قبله من انكم اردتم المجيء الى
هنا برسم الزيارة ومقابلة الشيخ وتصحيح بعض ما تفهمه وسألتم مني الكلام في ذلك
فلا بد لذلك من الجواب والله الموفق للصواب ان الشيخ في هذا الزمان صالح لانه

معتذرا في خرق وفرق العادات الظاهرة فيه فليطلة لا تفي بمتاعب السفر وتشتت البال وفراق
الاهل في مثل هذا الموسم وتعلق الخاطر بالاولاد والمسير وغير ذلك مع ان الجرأة بيسيرة
لا يحصل في مثلها تشوف ولا استراحة الى مثل هذه ولا الكلام

ابن فتنا حول لا قبلنا اجتمعنا في كان نشاطه عظيم ودائما

فسمع ان تزاورنا الاحرار بالاسرار والحبيب يقوم مقام نفسه ربك له رب عفوا ومقابلة الشرع
معنى مقتضى الوسوسة التي يحتملهم من رواية الاثار وتحسين معانيه الاعلى وجيا السوار
وذكر بعد خلع العذار وقطع الزنار وعدم الوقوف مع جهة او دار فيما لك بلوغ الامال
وان ذكار في على نفسه بلسيه قوصاء منزل في ولبنزله فيها نفسيه واسمه في
وتبيل فلما مسألة ذلك الشريف بالتعبير لا يستنبهم مما يكفيه قوله الالا النفس
فلا بن للكيمع في ادخاله واخراجه وكسل ما الامر الكيمع معلوم انه لا ان فيه والسنة
وافقة دخول الروح وخروجها من الجسد فالمرء بهذا يحرر به لين نشاكل والامناسبة
فوجدان ذلك لم في ذاته لينس يستغفر ولو امثلة مرتبة حال النوم واليقظة وما يجري في
دخول الروح وخروجها في ذلك من يفرق ان الحلم وعدم اعتداد جيراته للزمنة ما اشكل على ذلك
الشريف بحو وحماه وبعد وعلى رسول الله افضل الصلاة والسلام وقد تفهمتم
في مسألة الشيخوخة وورد تم الكلام في حكم التعبير وعدم حكم التعبير والخلاف في ذلك
بيننا خلاف في شهادة انتم تقولون حكم نفس محمود وانا اقول حكم نفس مذموم ووقع
الخلاف في ذلك بينكم فتوكلوا الى اهل الفهوم والاكرمين تفهمتم في تلك المسألة واهله
واحكمتم فيما فهم انا اورد عليكم سؤال اشغل به بالكم واتقرب بجوابه من الفتح
التصوف مقدار ما لكم ليقع لي الفرح وان شئتم بشارة اذا ادعتم فيه الحق والصواب
وان كشف وان نكتشاة ادا فهم منكم عن ذلك الجواب ومتوارى رجلا ممن ينتسب الى
كمال نفقة الفقر جاد زائدا ان نوع لم يتم مشاهد قبل الاعلية يستفكر امر نفسه وجعل يبكي على
دنوه من نفقة الفقر وخلاء الدنيا من اهلها وتبدل ما الف منهم واستحالة ما عهده عليه
فلما سمعت بذلك قلت لا يبقى مقدار الرجل في منزله ولم يشتغل بزيارة احد وكان يوصي
على نفسه العدالة والتعب في قطع المسافة البعيدة من جسم ذلك مع ضيق الوقت وتشوشه
وخوف الثقيل وقلة البضعة فكان او جوبه واسلم له في مقلبه فانهضي ووري لا ويبتغي الرا

الوسوسة

وقال الذي يظهر لكم فيه وما كان من هذا الذي اردت يكون عليه في فصل الزيارة فان اجبتموني
عن هذا الجواب بشفاء شرح تمونه بذلك وعلمت ان شيخي معكم لم يقع من كل الوجوه وانما
قلت من كل الوجوه لان بعضه قد ضاع من جهته منها وذلك من جهة ما يرجع الى من
تحسين نية واخلاص عقد وانا في ذلك كما شاء الله تعالى وما انبنى على مثل هذا فمحمل
ذاهب انفع عليه بعلم للاكثر هذه الكلمة للمنع من حضور القبائل على يده لمن شاء الله عز
وجل بحجة قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر فلا يستغني
لاحد قلع على يديه احد ان يدعي صلاح حاله فيما بينه وبين ربه لان هذا الحديث يرد
عليه ويدفع في هذا والسترة في هذا اعني والله اعلم ان من لاحت له حقيقة من الخلل
ووجد محلا فاضلا للافادة فيه لم يسعه الا ان يذكرها ولو نشر بالمناشير وصبر على
ذلك بالين العذاب وقع نيته في ذلك نعم او لا ثم يرجح الله تعالى للاتفكل ولا ابد
من ان يفيد الله تعالى الا فاهمنا من شاء الله عز وجل من مومن او فاجر او كافر او صديق
او زنديق واعتبر هذا المعنى بقصة الراهب الذي اجتمع به ابراهيم بن ادهم رضي الله
عنه في دير معتكفه واعطاه من قوته وباعه من تلامذته بعد امر الثمن وعنايته على
عدم سعيه منهم باغتفار ذلك وانما رد له عزته عليهم وعظم امره في قلوبهم مع
اعتمانه على نفسه بالكفر بربه ودعايه اياه الى علوم التوحيد وابطال كل معبود
سوى الله عز وجل ولم يعتبر في ذلك ما يعافيه على نفسه من ابراهيم بن ادهم من فتنة نفسه
وتغيير امره عن ولايه اي اتباع حتى يتبرا منه فيه وينصفون في وجهه ولكنه كان
معتمدا على ذلك لم يجد انفكاكا ولا سبيلا الا ان لا يتكلم بذلك الكلام الحقيقي لابراهيم
ابن ادهم مع شهوده في قبيلته ذلك ولذلك قال ابراهيم بن ادهم في ابتداء تلك
القصة تعلمت المعرفة من راهب وقد تعلمنا منه الا من هذا الوجه مع ردة بجزاله
ومشكنته وعدم تمالكه فيما اتصل يستشهد به فيما ادا الى الله ما هو عليه من الكفر
من الخيانة والحكم لا ولا يدل ان تباع الذين يدينون هو معه ويعتقدون ربوبيته او ما
يشبه الربوبية وما ذلك الا ان الله تعالى اقام حجته على لسانه ووقع يكون ما كان
ويمثل هذا المنزع حاله جار غير محمود في ذلك ولا مشكور ولا مثاب ولا ماجور
والحمد لله والشكر لله رب العالمين وانظر ما ذكرنا ما معنا لم يكن في خاطري منه

ذم محمد

شيء حتى قلت وعلمت أن شيخي معكم غير ضايع من كل الوجوه ثم تسلسل الكلام
وجرى القلم بما ترون ومن القاصر يوجد مثل هذا وأنتم تجيبونه على ذلك بجواب شاف
فأنتم تدرون ما أريد أن أقول والله تعالى يخلصنا من الفضول ويرزقنا منه القبول
وبلوغ المأمول واتباع سبيل الرسول المبين من الحق فيما يفعل ويقول بمنه وكرمه
وبعد فقد بلغنا كتابكم المشتمل على المسائل المتنازع فيها
وكلمتم منه أنتم ما حضرني فيها **أما** مسألة رؤية الأولياء للملائكة
على وجه الكرامة أما الجواز فلا ينبغي لأحد أن ينكره إذ إذا كانت رؤية الله تعالى
على وجه الكرامة جايزة في الدنيا على أحد قولي شيخنا أبي الحسن فجوازها في حق
الملائكة أولى وأما الوقوع فقد نقل أن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم رأوهم لاكن
على صورهم التي هم عليها ويكفي في ذلك الحديث الصحيح الذي ذكر فيه الإسلام
وأن فيه رواية الأعشاري وفي آخره فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم هذا جبريل جاء
يعلم الناس دينهم **وأما عائشة** رضي الله عنها ففي بعض الأحاديث أنها
رأت جبريل عليه السلام في صورة دحية الكلبي وفي بعضها لم تره وإنما قال لها
النبي صلى الله عليه وسلم هذا جبريل يقرئك السلام فقالت عائشة وعليه
السلام ورحمة الله وبركاته ترى ما لا نرى تريد رسول الله صلى الله عليه وسلم **وأما**
عمران بن الحصين رضي الله عنه فلا علم لي برؤيته لهم وإنما المنقول عنه
أن الملائكة كانت تزوره وتسلم عليه كما ورد في بعض كتب الحديث وكانت الملائكة
تسلم عليه من حيث لا يراهم ولكن حينئذ يحتج به على رؤية الملائكة لا يتم والله
تعالى أعلم **ولا فرق** في ذلك بين الصحابة وغيرهم فيما يظهر لي وقد يكون ذلك
ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيح أن بركته لا تختص بالصحابة بل أتباعه
كلهم تشملهم بركته وسائر من أتى بعدهم معجزة له صلى الله عليه وسلم فمن ادعى رؤية
الملائكة من أولياء الله تعالى العارفين على هذا الوجه لم ينبغ الإنكار عليه **فإن**
قيل إنما حصل العلم للصحابة رضي الله عنهم بكون الذين رأوهم هم الملائكة من
جهة إخبار النبي صلى الله عليه وسلم إياهم بذلك ومثل الهادي والمهدي [illegible]
يعلم ذلك من بعدهم **قلنا** أن يستحيل في مقدور الله عز وجل أن يخلق الله تعالى لهم

علما ضروريا بذلك اذ فاتتهم رؤية النبي صلى الله عليه وسلم واختبار له والعلم الضروري
لا يتكهن وقد ذكر الشيخ ابو طالب رضي الله عنه وتبعه الشيخ ابو حامد الغزالي
والنص له عن بعض العارفين قال كشف لي الملك فسألته ان املي علي شيئا من ذكر الخفي
والحكاية الى آخرها فلو قد نقل سيدي عبد النور في الكتاب الذي الفه من كرامات سيدي ابي
الحسن الشاذلي رضي الله عنه وجملة من علومه وكلامه حكاية عن الشيخ ابي العباس
الجاي عن ابي عبد الله الفهري قال سألت سيدي عبد الله الحبيبي وكان من كبار اصحاب
سيدي ابي الحسن فقلت له يا سيدي اخبرني بشيء مما رأيت من احوال سيدي ابي الحسن رضي الله
تعالى عنه فقال لي نزلت معه وقتا من جبل زغوان وهو راكب وانا امشي خلفه فقال لي يا عبد
الله اذا ورد علي حال فاتبع الدابة تمشي حيث توجهت ولا تعترض لها في شيء فبينما نحن
نمشي واذا به قد كسته حال غيب فيه واذا بسحابة خضراء سترت ما بين السماء والارض قد
اظلته واذا باربعة من الطير بيض يقدمها طير كبير فاكتنف ذلك الطير العظيم للشيخ فاحتضنه
وجعل منقاره في فم الشيخ وبقيت من ذلك فزعا وارتفع ذلك وذهب الطير ورجع
الشيخ الى حسه فنظر الي وقال يا عبد الله رأيت شيئا فقلت له نعم رأيت وذكرت له ما
ذكرت لك فقال لي اما السحابة الخضراء فهي ارواح الاولياء لله تعالى واما الطير الكبير الذي
يقدم الطيور البيض فهو الملك فهو صاحب ملك الغيم سألته في علم يختص به
ولا سبيل الى تغطية احد من هؤلاء الائمة ولا تكذيبهم فيما احتمل في الارض النقل في هذا
المعنى لانه كثيرة مستعمل واما رؤية الملائكة على الصور التي هم عليها
فلم ينقل عن احد من الاولياء انه رآهم كذلك والذي يظهر ان ذلك من خواص الانبياء عليهم
الصلاة والسلام ولعل ما وقع للقاضي عياض في ذلك انما هو في ادعاء رؤيتهم على هذا
الوجه اذ هذا الوجه قد يبطل وجود الاجماع ومراده من ما يخالف الاجماع وقد يكون بذلك
وكلام عياض لم اقف عليه ولم يسع الوقت استعارة الكتاب الذي هو فيه فهذا ما ظهر لي
والله تعالى اعلم على ان التشاغل بمثل هذا فضول اذ هو شيء لا يتعلق به عمل
واما المسألة التي جرت بينكم وبين فلان في السلوك والجذب فسأل الذي يظهر
لي ان السلوك لا بد له من جذب يتقدمه والجذب لا يلزم منه ان يكون له سلوك يتقدمه بل يكون
الجذب ابتداء ثم يأخذ في السلوك ثانيا فان عنيتم بقوله لا بد في الجذب من سلوك السلوك

كذا

الحكاية قبلها ذكر الافق ... من ابي عثمان الشاذلي ... تغير صفة الاختيار ...

رؤية الملائكة على الصور التي هم عليها لم ينقل عن احد منهم ... دعوى ... رآهم كذلك

الذي في ذاته خلل وهو صحيح وأما في الابتداء فلا يصح للزوم التسلسل وقد ذكرت هذا المعنى
في بعض كتبي تلك الكراسة وأما المسألة التي تنازعتم فيها مع فلان فلا اختلاف
بينكم على الحقيقة لأن الولي إذا فعل فعلا فيتكلم في الكلام فيه للأمر الذي له تأويل يسوغ عند الشرع
كمسائل الخضر فإن العقل يفهم جواز فعلها شرعا ولا ينكر ذلك وأما ما لا يمكن فيه
تأويل يسوغ عند الشرع فإن الشرع لا يجوزه ولا يقع من الولي إلا على سبيل الغلبة والجنون
والعقل يساعد على هذا أيضا فما أخذه هو من اعتبار نظر العقل صحيح وإنما أخذه في
آحاد الجزئيات وما أخذتموه أنتم من اعتبار التأويل صحيح وإنما أخذتموه في الغالب نعم
العقل وادعاؤكم أنه معزول بعد ذلك وليس هذا من المواضع التي ينعزل فيها نظر
العقل فإن الأحكام الشرعية يوافق عليها نظر العقل لأنها قوانين موضوعة لتمييز أفعال
المكلفين وتعقل ذلك أمر لازم وإنما يكون العقل معزولا في مسائل الاعتقادات بمعنى
بمعنى أنه لا يتصرف فيها بجعل ولا تكييف **وأما مسألة السالك المجذوب**
والمجذوب السالك وتقديم أحدهما على الآخر في استحقاق الشيخوخة
فالذي يظهر في ما قاله الشيخ زروق رحمه الله تعالى لأن المجذوب السالك أنجح
تربية من السالك المجذوب فيصل به المريد في أقرب مدة لأن سلوكه على بينة وبعد
تقدم مشاهدة بالسالك على بينة أيضا لأنه ما يشير به من آثار سلوكه ووجود
حلاوة فيه لأن سلوك شيخه كان على منزلة الترتيب والارتباط من حال الشيخ وحال التلميذ
أمر متحقق وبهذا النظر يترجح للشيخوخة من ذكرناه على الآخر وأما ما احتججتم به
من كون المجذوب بمنزلة من أخذه الملك وخلع عليه خلعة عناية به ومحبة له والسالك
بمنزلة من قيل له سر إلى موضع كذا وأعطيك كذا فليس بمناسب لما ادعيتموه ومعه
نافع حتى يتم ما ذكرناه وما احتج به المنازع لكم في تقديم السالك المجذوب فهو
بعيد المناسبة فيما يرجع إلى الشيخوخة والتلمذة لأن اللازم أن ترتب للسالك المجذوب
على مجاهداته ومكابداته للأمر له في ترجيح حاله على حال الآخر في آكد من أن ذكرناه وذكر
اللازم مطلقا أنه قيل لا ينبغي أن يتكلم به كل من ينتسب إلى كلام بغية النصوص لأن القوم
لم ينالوا حظوظهم ولم يعملوا أعمالهم بل يعتقدون نظر منهم إليه ذنبا من الذنوب لأن ذلك
راجع إلى حظ النفس ومن إنما يعملون في كل نفس عملا إلا الحظ لهم حتى يتحققوا بذلك

كل

عبوديتهم وهذا هو حال المثل الغريب السائر بين الناس نقل بالقلب وأما الالتفات
إلى الأحج فهو شأن الأبرار العاملين بكثرة الطاعات الموظفة على الجوارح المحسوسات
ولا مدخل لها للكلام في هذا الباب ثم وقولكم في الرد عليه ليس من شأن المتصوف البكم
إلى هذا مقراته ومكابراته ولا يصح له عليهما حجة قليح ومن أين لكم هذا الولاء مساعدة
الريح فاحمدوا الله تعالى الذي هداكم واشكروا على ما أولاكم وتهيئوا بذلك للازدياد
المعارف والاقتداء بأنوار هديه وتعنوا بهذا إنا لكم الله من فضله ودعوا الشنعة تحتج وينادي
وأما المولد فالذي يظهر لي أنه عيد من أعياد المسلمين وموسم من مواسمهم
وكل ما يفعل فيه مما يقتضيه وجود الفرح والسرور بذلك المولد المبارك من إيقاد
الشمع وإمتاع البصر والسمع والتزين بلبس فاخر الثياب وركوب فاره الدواب
أمر مباح لا ينكر على أحد قياسا على غيره من أوقات الفرح والحكم بكون هذه الأشياء
بدعة في هذا الوقت الذي ظهر فيه سر الوجود وارتفع فيه علم الشهود وانقشع بسببه
ظلام الكفر والجحود وادعاء أن هذا الزمان ليس من المواسم المشروعة لأهل الإيمان
ومقارنة ذلك بالنيروز والمهرجان أمر مستثقل تشمئز منه القلوب السليمة
وتدفعه الآراء المستقيمة ولقد كنت فيما خلا من الزمان خرجت في يوم مولد
إلى ساحل البحر فاتفق أن وجدت هنالك سيدي الحاج ابن عاشر رحمه الله وجماعة من أصحابه
وقد أخرج بعضهم طعاما مختلفا ليأكلوه هنالك فلما قدموه لذلك أرادوا مني
مشاركتهم في الأكل وكنت إذ ذاك صائما فقلت لهم إني صائم فنظر إلي سيدي الحاج نظرة
منكرة وقال لي ما معناه إن هذا اليوم يوم فرح وسرور يستقبح في مثله الصيام بمنزلة
يوم العيد فتأملت كلامه فوجدته حقا وكأني كنت نائما فأيقظني لأكبر المناكر انتهى
الغرض في الغلو من اجتماع الرجال والنساء وتزاحمهم وتضامهم والإصغاء بالسمع
وإرسال البصر في المستحسنات المحظورة الممنوعة والمنكورة وعدم اشتغال الوقت
بالأذكار والأشعار وقلة استماع وعظ الوعاظ من التي تكون في هذه الحالة المرضية
وتوجب للمتذكرين الاشتغال بما يوقع في هذه البلية وإن يشتد هذا الباب على نفسه
بالكلية فإذا تركتم العمل بذلك لأجل ما يئول إليه من الفساد لا لأجل كونه بدعة
فمن يرتكبه في كل حال من الأحوال كان نهيتكم فيه صحيحة والأئمة تؤثم الناس فيهم

الصلاح بسبب ذلك ولا حاجة بكم الى ذم الناس بتقديم رجوعكم الى الحال الاولى وسيركم
للمسير في ذلك الوقت لا وجه له مع ان ذلك يفوتكم منفعة الاولاد الذين جرت العادة
باحضارهم في ذلك اليوم المكاتب لاسيما الاولاد الذين يسافرون بالبدو والكبار وانواع
الحرب والشبكة ان لم ينصب فيها اصحابها للصبيان في مكتبه وموضعه فيها لم يكتف منه
بكتاب ولا باس بزيادة شيء في المسير ذلك اليوم المبارك بفرقة بينه وبين عشرة
من الايام ويجعلون فيه اربعة فقط بحوا او خمسة او ستة او سبعة او عشرة وان كان
ذلك شيئا فعلوا احسن ويشتغل الاولاد اذ ذاك بالواجب وان ابيح لهم شيء غير
ذلك فاذا اشتغل الصغار فاكلفوا الاولاد واسلكوا في ذلك مسلك الاعياد
وحكم ما يفعل لكم فيه حكم ما يفعل لكم في اعياد المسلمين اذ لم يقصد بذلك غرض
فاسد في الدين والحكم بذلك والفضلاء بمن فوقكم من الائمة والسلف رضي الله عليهم النكير
فيما يجوز من ذلك وما لا يجوز فذا الذي فهم هذا كله وانتم حيث قدرتم له ولم تجدوا
في انفسكم رعونة من ترك مخالفة الناس فيما اعتادوه او ترك موافقتهم على الكل
الا فعل مما ارادوه وكنتم تفشلا فيما عسى ان يتحصل الغير لكم من شنائع الغرور ويفوتكم
من ذلك بسبب ما عملتم عليه من التجارة التي لا تبور كانت حالكم صحيحة ليس فيها
شيء ولا علة ومن معيار رشاد وتتحصنون به حالكم وتنتفعون منه من ابكم وحالكم
والله تعالى ولي التوفيق   وبعد وصلنا كتابكم وانتم تذكرون فيه
اشياء من جملتها انكم سألتم عن العلة في تلك المسألة على كمر بو الخامة والادب
كيف عقلتم عنها ومن فيتنه في كلامي على اوقسنطنة من مسائل ابن عطاء وفيما
كان المعتبر في ذلك لا يفهمه كل احد ولا فائدة فيه لاكثر الناس بل ربما اضر ذلك
بعض من ذكره ولم ابسط الكلام عليه واكتفيت في ذلك بالايماء والاشارة ومنها
انكم ذكرتم انكم ما وجدتم الجواب على تلك المسألة التي القيتها عليكم واشرت الى ان
جوابها راجع الى ما تضمنه الكتاب الذي فيه جواب فلان وان فيه للاشارة اليه ولكن
تنبيها على ميزان النازلة من المطلوب وما ذكرتم من قولكم وبالجملة فانتم تعلمون
وترشدون للادب حيث يدري النباه ان تمام كلام مجمل لا يفهمه كل احد وبعضه لا يماس
تلك النازلة كل المماسة ومطلوب انما هو ما ذكرته من النص بل الذي يحتاج فيه

وافنا

اي

Digitized by Google

الى التكثير ولا باس بالتشاغل بمثل هذا او قطع الوقت فيه لاني اخذ القياس من
نفسي لاني اذا ابقيت بلا شغل يصيبني فتكم وضيق فتجدني اتشاغل باشيا واعتقد
انها لا تنفعني كل المنفعة في حال ولا مآل فلا بد لي من ذلك واحسب ان جميع الناس
مثلي والله تعالى يلطف بنا فان شئتم مثل هذا الحال الذي من انفسكم فدونكم وما
تتشاغلون فيه وان لم تجدوا فيسر الله لكم بما يعطيكم وتغافلوا عن جميع ذلك
وقد اعطاكم الله عنه وعن غيره ووقع لكم في الكتاب الاخر انكم اردتم حضور
دولة المولى كما قال حضرتم واردتم مني الاشارة لكم بما تفعلون مما تشتهون من على
الحضور او تغيبون عن ذلك اعتذار احضروا ونظروا ولم يكمن لي ما اشير به عليكم وحضور
مجالس العلم بركة لا كل لا تهمل الا لمن كانت له فيه نية صالحة محققة فلو اخبرتموني
بالذي فتح عليكم فيها لكنت انظر وعلى فيها وحيث لم تخبروني بشيء منه الان لم ادر ما
اقول وقد كنت بعثت اليكم جواب الكتاب الذي بلغنا قبل هذا وتحققت وصوله
اليكم لان الحامل له شخص موثوق به وله فيه منفعة وقد ذكرت لكم ما فهمته في تلك
المسائل وكنت استعجلت في كتب ذلك الكتاب وبقي علي بسبب ذلك امور
منها انا انبهكم عليها الان مسالة رؤية الملائكة فذكرت لكم ما فهمته فيها ولم
اذكر في ذلك نصا لاحد من ائمتنا ولم يحضرني حينئذ والمسالة قد نص عليها الامام
ابو حامد الغزالي رضي الله عنه في كتاب القلب وذكر نحو ما قلناه او ابلغ منه
فانظره هناك والامام ابو حامد عظيم القدر

اذا قالت حذام فصدقوها ... فان القول ما قالت حذام

وما نقل عن القاضي عياض مما يخالف ذلك لم اقف عليه كما لم تقفوا انتم عليه
ولعل من نسب ذلك اليه وهم فيه والله تعالى اعلم وفي الكلام على السالك
المجذوب والمجذوب السالك اشتد راي او جبه عدم التامل مني لما كنتم به وذلك
انكم لما استدللتم على تقديم من قدمتم على الاخر بما ذكرتم من الكلام قلت لكم ان ذلك
الكلام غير مناسب لدعواكم تقديم من ذكرتم تقديمه للمشيخة وقلت لكم انه نافع
حتى يتم بما ذكرناه لكم وذلك كله صحيح بالنظر الى ذلك اعني تقديمه للمشيخة
ومع قطع النظر عن ذلك وادعاء افضلية احدهما على الاخر في انفسهما ربما

يظهر بادي الرأي فلا نعدل لكم عن تقديم المجذوب السالك على السالك المجذوب وليس يظهر
في فرق بينهما من جهة الحقيقة لأنهما اشتركا جميعا في كون كل واحد منهما غير ناظر إلى عمله
ولا طالب به حظا لنفسه وحاصل الفرق بينهما أن المجذوب السالك وجد باللطف ومن
تعرف يؤدي إلى المعرفة التامة بما ابتدأ له به من السلوك واللاحق فوجد بالعنف ومن
أيضا تعرف يؤول إلى معرفة تامة بما ابتدأ له به من الجذب وكلاهما محبوبان قد خلع
عليهما خلعة العناية والمحبة والمكابدة التي لزمت أحدهما دون اللاحق بعد تحقيق
قوله لا تنقصه كمالا لأن أحدا التي مقترن من شأنه أن يعدم تحقيق قوله لا تكمله فمن أين
يقع تفضيل أحدهما على الآخر **فإذا تقرر** هذا الكلام فلا مثلتم به حال الشخصين
غير موف بالغرض في تقديم المجذوب السالك على السالك المجذوب وكلام الشيخ الذي
لم أذكره ولم أقف عليه ولم يقع بين كتابه وهذا كله مني بفضل الله تعالى بخلط منه وقد
كنا منه في خلال لولا القدر أنه ليس للعبد منه ملجأ ولا منام **وقد بلغنا**
كتابكم وذكرتم فيه أنكم وقفتم على جواب المسائل التي سألتموني عنها وقد جملتها مسألة
المنزل المبارك وحكمتم بأن ما ذكرته فيهما في غاية الحسن إلا أنه يشكل استمرار من
اجتماع وقت الشمع مع قراءة الألواح وتقدا ذلك عليهما ولم يعجبني هذا الكلام منكم
لأني تعرفت منه أنكم ما أردتم سلوكه فسلكت الناس فيما يفعلونه ذلك اليوم بالكلية
وأردتم ذلك إلى ... أو تغافلتم بالكلية حتى تكون علمتها بين الجمهور ولا أن أردتم أن
تكون أحد مذهبين الوجهين على وجه لا ينكره شرع ولا ينوجه قبل من يفعله زجر ولا ردع
وخصوصا الوجه الأول فإذا لم يقدر وأما أن يمنعكم منه كأنكم نفوسكم بعمله وانشرحت
صدوركم في أغلبه وأوله وهذه المسألة أن سلكتم في معاملتكم لربكم في هذه النازلة
ليس بمرضي عندنا من باب التوقيف الذي استفاده وأنارت المعرفة والتحقيق لأن العبد
من شأنه أن لا يكون له غرض من أمره ويود أن يوافقه مولاه عليه وأدبه في هذا ألا يكون له
من وقوع موافقة مولاه له وإمضاء غرضه وذلك بأن يكون غرضه تابعا لما يأمر به
مولاه فإذا ورد منه ما يكون له فيه غرض فذلك من الذين بالشهوة والإكراه غرضه
ولغير للإمتثال به وأنتم في هذه النازلة خرجتم عن طريق الأدب وأن كنتم بما زين على القيام
بما عليكم وجب والله تعالى ينفع لنا ولكم وهمت هذه الكلمة من فقه لكم إلا أن عندكم

Digitized by Google

في ما بينا فقد قلنا ارجع اليه فلولا تشوش بكم الى ذلك ما تصححتم عليه وكيف اذكر لكم ما
بينا فقط والحال قد اثبتنا الذي قد ذكرته لكم حتى لن نجد تصحيحه عنه لانا ان جمعنا بين وبين
السمع وذلك المقال المعروف لن يجاوز ذلك المذكورين ونوع المنكر الحالوق مسلاة من
مسلاة وابن من ابن وما يؤدي الى هذا كيف يستجيز عاقل ان يجعله اتباعا لمن هاك الناس
من غير امر ولا اجر في قلة او قرنه من المصابيح فانيس واشتغل الاولاد بما فيهم كل
يوم اعتبرونكم لن يقع منا ذلك شيء مما يجوز او ينكر وحصلت لكم القلابة الحالوقة
ذلك اليوم من مجيء الصبيان اليكم وانتم لهم بالتخفيف والكرم عليكم ولو اقل الكم
او قدروا عليكم الف قنديل حتى لا يوجد الى التخلص من المنكر سبيل ولكن سلكتم
ثم يقال وسلكنا بين التكثير والتقليل والى ما يقارب التقليل اميل لكن ذلك ليجتمع لنا
القيام بحق المولد واغتنام الثواب المتجدد والسلامة من المنكر المتبدد والله تعالى
الموفق والمؤيد ايها القوم رجال متورعة الامر بين يلمون ذلك المنكر بالضرب والقهر
ويدفعون الشر بما هو منه اشد فانتم اعلم وان حكام السلكمانية لا ادخل فيما

واما المسالة الثانية وقعت بينكم وبين فلان فلم يقع منكم تحريم بها وانما النزاع في
هكذا هل يقع العقل في شيء من مسائل العقل ان يحكم له ابدا ولا يقبله ام لا وهذا سؤال جوابه
لا يقع ذلك ولا يصدر منه الا على سبيل الغلبة والمجوزة ولا ينبغي ان يفهم خلاف
هذا في فرض المسالة وجوابها وقول القايل فلا يهمه العقل بالكل فاذا ابيد له
كذا للعقل عنه فكان صحيحا كسلام محتمل والله تعالى اعلم لان الباطل في الكل ابدا واليه
صحيح ابدا والعقل ليس له حكم وانما الذي ادركه الحكم اعني انه يدرك كون الفعل حسنا
في حكم الشرع او قبيحا في حكمه والعقل لا يحكم بحسنه ولا قبحه فاذا اتبع العاقل
الشرع وعلم ان فيه امورا كثيرة واسرارا باطنة لم يتجاسر ان يحكم على احد بشيء
فيه الجنة وعلى ما قد يدري عقله في عقل يوما ما موافقته للشرع كثيرا ويا كثيرا وكل
الامر في ذلك الى الله عز وجل اذ ان يكون عقله مؤيدا بنور اليقين بحيث يلوح له
الباطل من الحق ويستبين وبهذا المعنى الذي ذكرناه من كون العقل يدرك ولا يحكم في
الالزام الذي الزمتموه لكم الى تفسير الامر وقد يصح ان يقال ام الذي الزمتموه على المعنى الذي
فهمتموه وقد بلغني كتابكم وذكرتم فيه امورا منها انه وصلكم

الذي وجهت اليكم مع فلان وذكرتم انه لاح لكم معشر ما اشكل عليكم من تلك المسألة التي
تضمنها كتاب فلان لما تاملتموها ودمتم النظر فيها وليتكم كنتم فعلتم هذا اول مرة فلم تحتاجون
الى سؤال ولا مراجعة واما ما كتبتم في جواب تلك المسألة فهو في غاية الحسن ونهاية
الاتقان وفيها ما فتح الله به عليكم من علو الفهم والمعتمد ولا مزيد على كلامكم فيها
فالحمد لله الذي وفقكم لذلك وجعلكم ممن حكم بحكمه واقر عينه بها ابل بشيء ومنها الشر
نعم او هذا الوقت ولم يبق واضحا لاحد مع جدهم في الطلب وتعلقهم بكل سبب والله
يؤتيه فضله من يشاء واما ما طلبتم منا من بيان المسألة التي ذكرتم فيها قصة
الراهب مع ابراهيم بن ادهم رضي الله تعالى عنه من فوق الدير بعضه ضاع من جملة منها
فانا لم اتذكر هذا الوقت ولم اسمع بشيء من سوابقه ولواحقه القريبة منه بعد توجيه
فكري اليه بالكلية وانما تضمنت من ذلك امرا جمليا لم انتكر لشيء من تفاصيله والذي
فهمتم منه لم يكذب وما ذكرت فيه كل المطابقة وان كان كلامكم فيه حقا وقد
نبهت على شيء من المعنى الذي ذكرتم فيه في كتاب فلان واما مسألة فلان من المسائل
التي ان خض فيها فهو الكمال بعينه ولا محصول لا يتعلق بها عمل ولا ينتفع منها
بمسائل وقد كان يرتفع منها الاشكال الذي اعترا اذا ما التمثيل بالروح او بالنفس
وذلك هو المقصود الملتمس ويفتح عليكم الاشكال في الغرض من ان من يرد بها اعني
التمثيل باحدهما دون الاخر وانما اخترت التمثيل بالروح دون النفس لان النفس امر
يقتضيه الطبع بمعنى انه لا يتفق وجود الابن في الملائمة فيه ذاتية والامور الذاتية
لا تتصور مفارقتها حال الملابسة الطعام والشراب للبدن المعتدل المزاج السالم من
الاخلاط اي وان عوفى ولذلك لا تتفق الملائمة على نفي الالم بل قد تكون مقتضية لوجود
اللذة فاذا مثلنا خروج الروح عند الموت كخروج النفس في عدم الالم لان نسبة دخول
النفس وخروجه نسبة واحدة والمعروف من الحال خلاف هذا واما ملائمة الروح فليست
مقتضاة للطبع بالمعنى الذي ذكرناه بل هو ملائمة عرضية بواسطة ما جعل فيها الله من
التهيؤ والقابلية والاقبال ومناسبة بين الامر العلوي والامر السفلي حتى يقتضي احدهما
الاخر الاقتضاء اللازم فاذا مثلنا خروج الروح ودخوله عند الموت وبعد البعث خروج الروح
ودخوله عند النوم والاستيقاظ استقام هذا التمثيل ولم يلزم منه في خروج الروح عند

من أمور

فيه

الموت من عدمه إذ لم يبق منه بعد خروجه بالنوم كما قررنا ذلك
في التمثيل بالنعش والملاء فهذا الذي ذكرتها في النعش حتى أوجبنا
بسبب وجودها فقدان إذ لم والمشقة إنما عنيت بها الملاء فقد
الذاتية التي ذكرتها إن كان الملاء فذا الذي اعترض علي بسببها ولم
أردها بل غلطت في إطلاقها والغلط يرجع من التلبيس ومن كان من
نفسه منها العصمة من الغلط والخطأ فهو من أتباع إبليس وليس
كل ما تكلمنا عليه يكون غلطنا فيه هذا كذا والله ولم أتجاوز
بحميته على أن المعترض قد يمنع هذا كله ولا يسلمه ويدعي
استواء الأمرين في كون الذاتية والعرضية فلنسلم له ما ادعاه
ولئن وافقه على الغرض أن نقصر ونزاه ودليلا على مسألة واحدة
أقوى من دليل واحد وقد بلغ الغرض وحصل المقصد بالزائد وأما
ما ذكرته من كلام الشهرزوري رحمه الله على مسألة السالك
المجذوب والمجذوب السالك فهو كلام مرذول وجرى ثم أدرى وقد
وكانت عبارته عن مشاهدة وعيان للأمر تخمين وحسبان كما عندنا
به نحن والمعقول إنما هو على ما ذكره أرباب الشهود المستغرقون بالوجود
الذين رفعت عليهم أنوار الكرم والجود ولهذا قد مر غريق في بحار
الغفلة والجهل موسوم بالوقوف في القول والفعل بحال المتكلم لكن
بجهله الجهل فلا عبرة بكلامه ولا معول على نقضه وإبرامه ولينا
حكينا بالبعض عنهم وحسن الظن فيهم لأن كنا الغلو وقدامهم
وكمال أنوارهم واتساع جاههم عند الله لم تجاسرنا على
أن نخوض في المعاني التي فيها يخوضون والنحو على أمثلتهم التي يرسمون
والكفيل مقبول عند الكرام فهذا بل بالبر والإكرام يا كل الأكاذيب
الطغام ويتعاطى بينهم كؤوس المدام وتمثيل الأمثلة هنا إلى الشوبون
والخرام ثم ينقلب عنهم مشكور الإنعام مغمور الإكرام مشتغلا
بالتحية والسلام معهم القوم يستغفر جليسهم وأما قادة كرمهم

عندهم

بينهم

من حالكم وما انتم عليه من عيوب وذنوب فاخبرني بذلك نسبة ما انبهمتموا
عني من الحال السيء الذي لكم وتمثيلكم ان لو كان ذلك حالكم فلم تطاقوا
في شيء من ذلك الغرض كيف وانتم تعتقدون مني اني شريف عليكم
وكمال المعرفة بكم من انفسكم واني اعلم بنفسي منكم وبالله الذي
لا اله الا هو فما جميع ما ذكرتم في انفسكم من الذنوب والعيوب من حيث
تعرضكم بها الى سخط الله تعالى وعقوبته في جنب ما عندي الا مستصغر
مستقل من حيث التعرض المذكور ولا اقول هذا تأدبا ولا هضما من
النفس كما الف في العادة وكما وقع من ابي بكر الصديق رضي الله عنه
حين قال وليتكم ولست بخيركم وانما قلته حقيقة بحيث لو انكشف
الحجاب عما انبت من ذلك في ام الكتاب لكان هذا ابلغ بهذا المنهاج
فتاح بفتاح وقد ذكرت لكم حال الزاهد مع ابراهيم بن ادهم ان
لتعرفوا من ذلك حالي مع حالكم فان كان هذا العلم نافعا عند الله
عز وجل فانا خير منكم بالوجه الذي يكون به الزاهد خيرا من ابراهيم بن
ادهم وان لم ينفعني هذا العلم عند الله عز وجل كنتم خيرا مني
بالنسبة التي يكون بها ابراهيم بن ادهم خيرا من الزاهد والظاهر
انه لا ينفع فانه زهد اولى بالزهد بالتوبة وما ذكرتم هنا من
المطالب الشريفة انا وانتم في هذا كله مع اني لا انكر صحة جميع ما
نسبتموه لانفسكم واضعافه واضعاف اضعافه مما تعلمون منه ودوانا
بل داء ودواء ولا ادري كيف منه ولا الذي يخرج فيه ولو سألتم عن ذلك لكان
اول ما لا تريدونه بذلك علما بكم وبما انتم عليه ولكن انما كلفتم
مني التكلم على السبب الذي من اجله عرض في الحال السيء الذي ذكرتم
حسن منكم ان تخبروني بذلك ولا اعلم سبب ذلك الا ضعف اليقين
الذي ينشأ عن الجهل المركب او ما يشبه الجهل المركب وانما قلنا انه
مركب او ما يشبه المركب من قبل انكم لستم عندي من العوام الذين
يجهلون ما تتضمنه العبادات والطاعات من الفوائد الاخروية

جملة



فاذا علمتم ذلك فبادروا اليه واغتنموا الثواب الموعود عليه قبل
انتهاء مدة حياتكم وانما قلنا ذلك لان جهلكم مركبا او يشبه المركب
وذلك انكم لما علمتم ما شاء الله ان تعلموه كنتم مثلهم فيما ذكرنا
من المسارعة والمبادرة فلما تفقهتم واطلعتم على اشياء عديدة
ولم تحكموا حالكم بالتصوف وقدام انتظام التيسير فيما علمتموه وعي فيه
صار ذلك العلم الاول عندكم جهلا او كالجهل فلما حصل عندكم هذا
النوع من الجهل حدث عندكم بسببه الكسل عن العمل بواسطة ما نشأ
عنه من ضعف اليقين وهذا النوع من الجهل هو الذي صعبة المرام
محفوفة بالمكاره وان لام لان المتصف به لا يعتقد وجوده في نفسه
فيعالجه بالتعلم وان تصور ان يعتقده ويتشوق الى ازالته لوجود
شيء من التمهيد لنفسه حملا لكم ولذلك قلنا او ما يشبه المركب لان
صاحب الجهل المركب والعياذ بالله لا تمهيد له لنفسه البتة لم
ينقص في ذلك الحكم المفروض لانه يقول بالوجه الذي انقلب علمه الاول جهلا
ينقلب هذا العلم الذي يريد ان يتعلمه لانه بعد العلم الاول جهلا فما
يزيد على الا العناء والتعب والمشقة والنصب ثم يشوش عليه ما
هو فيه من التعبد وتمهيد التيسير فيدعوه الى التعلم وفي اثناء هذه
الترددات والمجاذبات كيف يستطيع ان يعمل او يبلغ من الاجتهاد
في الطاعات امل ومثل هذا الاحمال لا يستطيع وقد اشار الحق
تبارك وتعالى الى مثل المعنى على ما فهمته بفهمي القاصر في قوله في قصة
اصحاب الكهف انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم او يعيدوكم في ملتهم ولن
تفلحوا اذا ابدا فان معنا ولاء القوم لما فروا بدينهم ولبثوا ما لبثوا في
كهفهم واحتاجوا الى سبب تنتعش به نفوسهم بعد ان كانوا تلك الغيبة
ولم يكن لهم بد من الرجوع الى الاغيار بسبب ذلك حذروا عند رجوعهم
اليهم من اطلاعهم عليهم فاما ان يقتلوهم قتلا حسيا بالرجم او معنويا
بردهم اياهم معهم بالرجوع الى ما كانوا عليه من الكفر والظلم ثم لا يفلح

ايضا

منهم بعد ما أفلح لأنهم رجعوا إلى الفساد بعد الصلاح وإلى الانحراف
فسلك الجهال وهكذا وقعت الأعداء الضلال بعدما كانوا فيه من
ترائي الصبر والإقبال والذنب في البعد ليس كالذنب في القرب فإن الملك
يرجى له الغفران وهذا يعرض فيه على صاحبه الحرمان والخسران وهذا
كله من مقتضى الغيرة الإلهية فإن الغيرة إذا انصرف عن باب
مولاه بعد إن ألفه ووالاه لا يبعث المولى وراءه رسولا ولا يلطف
له في استعطافه ما يوجب له رجوعا ولا قبولا بل يخلي له حالته
التي اختارها لنفسه ويحسر له ضلالته إلى أوان حلوله في رمسه

أزرى لمن غاب عنك غيبته * فذاك ذنب عقابه فيه

وإذا كان المولى سبحانه يتقرب ذراعا لمن يتقرب منه شبرا وباعا
لمن يتقرب منه ذراعا وبأي منزلة لمن يأتيه مشيا فحق إذا أن يفعل
مع من يتباعد عنه واختار من الأمة من يحبهم ويحبونه إنه حكيم عليم
وإنما يرحم الله من عباده الرحماء فهذا من أليق فيما ذكرناه وكان الأستاذ
أبو علي الدقاق رضي الله عنه يقول إن أصحاب الكسل عن عبادته هم
الذين ربط الحق بأقدامهم مثقلة الخذلان فاختار بعدهم وأخرهم
عن محل القرب ولذلك تأخروا وفي هذا تنبيه لك أن الإنسان كلما تمادى
مقامه في علم أو عمل ولم يحقق به تمامه لنفسه ونقص من فوقه مع
عقله وحرسه بل يتحكم الآن فيما هو عليه من حال الآن من الناس فيما هو مثلا
ولينشد لو شاء وأدرى في ذلك فيما استغرق واغتنم واعتبر هذا بحكمة
بلغام ذي صبر وبهذا المعنى كان العوام خيرا من المتفقهة والمتفقرة
لأن فلاح العوام أقرب من فلاح المتفقهة والمتفقرة لأن فلاح هؤلاء منهم
وأبعد من العوام ونعني بالعوام الذين لم يشموا شيئا من علوم هذه
الطائفة لا رائحة شيء منها ولو لشيء اليسير فمن تمكنه من أول
نفسه فيعود إلى صحته من مرضه ونكسه وأما من لم يمكنه منها
بشيء فإنما استدلالا بشعر وما ألبسه من معونة وزهد وما الغبس

نجارشم

بتجارته وما اعظم خسارته خسارة ربحه وان خسارة لم يخسر فيها امثالا
جمالا وانما خسر نفسه التي لا يرجو فيها تعويضا ولا ابدالا خسروا
انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون فاذا تقرر هذا فلنرجع
الى الاحوال التي ذكرتها ولنبين شبيبة هذا النوع من الجهل فيها
فنستعين بالله تعالى ونقول اما الطاعات والعبادات والتمتع
بالشهوات فانك لما تفقهت في هذا الكم يوضح لك امور قد توجب
في نظرك ان يكون لشيء من العبادات المتعلقة بك خلل وقع من ترك
او التزامها محفوفة بالعلل والآفات فاتفق فوتها واحتمالا ولا تسمح نفسك
بالتحرز من آفاتها وان سمحت بذلك ربما لم تتوسع في التحرز فتنتفي
عنها العبادة في نظرك فتتكاسل عنها لاجل ذلك وقد تقلد في ذلك
اناسا كثيرين ممن هو مشتغل بعبادة ولم يزهد في شهواته ولم يضف الى
ذلك عناية بها ويكون ذلك من احكام اهل البداية او يعلق

البداية

بقلبك في التمتع بشهوتك ما قاله ابن بطال في كتابه في الورع من ان
المباحات لا زهد فيها ولا ورع وتناوله على خلاف ما يجب له او جهلا
على ذلك موافقة الاعراق للوالد وابن هوازن الصحاب ويكون من موافقتهم
في ذلك من جوال الفرب او ترى ان النعم انما خلقت للتمتع بها وفضله
الاكثر منها فاذا وجدت لذتها وتذوقتها وكمعها الشهي شكرت الله
تعالى على ذلك بكليته قلبك كما يعلم ذلك الرجل الذي كان يبرد الماء وينكر
على من اختار شرب الماء الحار وتناول في ذلك قول الله تعالى قل من حرم
زينة الله الآية او غير هذا مما لم يحضر في الان واما ترك الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر فانك تتبعه في ذلك وتعتقد سعة في العلم
بحيث يؤدي ذلك الى حسبان قيام منكر غير منكر بضرب من التاويل
او يغلب عليك شهود توهين من يصحبه شرع ولا يؤهل الورع فتعذر
بذلك لم تكن له وقد يصدر مثل ذلك المنكر منك فلا تبال به ولا تعبأ به
لكثرة ما ذكرناه وقد تقلد في ذلك من ترى الخير منه حتى يرى المنكر فلا

بغيرها او غير هذا من الوجوه وامّا ان سعيت في طلب الرزق الذي هو
مضمون على لسان اهل الحق فانك تتعجب وتقول انّا مأمور بالطلب والتوكل
لا ينافيه السبب ولو تركت السبب ولم اجتهد فيه كل الاجتهاد لاشتغل
كما هي في الخلق فانّ من انقطع عنهم بما انا فمن يشتغل بي من امر الرزق
وايضا انا شخص معيل فان تركت سئلت عن ذلك ضاع عيالي ولم اقم بالواجب
لهم عليّ لا سيما في هذا الزمان الفاسد الذي استولى فيه الشح والبخل
على الناس وغلت الاسعار واشتعلت نيران الفتن وتعذر في ذلك
من تزاحم عالي المرتبة في الدين او غير ذلك مما لا يحصى الآن من الوجوه
العقلية التي توقع صاحبها في كل محنة وبلية لانك اذا ركنت اليها
وعوّلت عليها كسلت عن العبادات والطاعات وحرصت على
التمتع بالشهوات وتركت التعرض لتغيير المنكرات واستغرقت في
طلب الرزق والفضول في جميع الاوقات فاذا استمررت على هذه الامور
اعقبك الاستمرار عليها ما ذكرته من القسوة فاذا انتبهت بعض
تنبهك واردت ان تشتغل بالطلب منك من ذلك كله وجدت في نفسك
من الفتور وعدم انشراح الصدر بذلك ما لا مزيد عليه فاذا قمت الى
عبادة او نويت الاشتغال بمجاهدة ورياضة لم تساعدك فحزنت على
ذلك لان النفس اذا اشتملت حال الكسل تعز مفارقتها ما قاسيت من
شدة العمل فلا تريد صاحبها الا ما الف ويكون حالها في ذلك بمنزلة
من يروم ان يوقف رقا فارغا او يحسر رقا منفوخا في ماء فكلما غمسه
واطلق يده منه رجع الى وجهه وان اردت ان تنهض الى الاشتغال او في السبب
او تخرج ممّا عسى ان يكون في يدك من مال او نشب مع انه ما في يدك من ذلك
شيء لم تقدر على ذلك لان النفس من الفتن فضلا الاوطار والتوصل
بالمال الى اغراضها الكبار فاذا وجدت نية في بذل الفضل لزكاة او قربة
لله او حج او عمرة او غير ذلك او وقع ما بين يديه لم تجد قابلية ولم
تقدر على امضاء عزيمة ولا نية وكان حالك في محاولة ذلك بمنزلة صاحب

الورع الذي كلما أراد أن ينطق أو يتصرف تقلقلت فإذا أرسلها لم يستطع
ولزمت كل حلقة مكانها من جسده كما ورد بمعنى هذا الخبر ولقد كان
أبو بكر الصديق رضي الله عنه حيث قال في وصيته لأن يقدم أحدكم فيضرب
عنقه في غير حد خير له من أن يخوض في غمرات الدنيا فنعوذ بالله من هذه
الحالة السيئة التي حذر منها الصديق رضي الله عنه ونسأله أن يلطف
لنا ولمن يليه بما لمن كان أصحب الناس لنا وأسرعهم ميلا إلينا حتى
لعبت بنا أمواج الغرور وغرقتنا في بحار هذه الدنيا وتعرضنا للبطش
وكنا عنها في غنى **وأما عدم تغيير المنكر** فقد تنتهي
حالتك إلى ما ذكرنا من أنه لا ينكره قلبك للعكس ولا على غيرها بل
يشغله عن قلبه ما وقع ولا يفر لذلك من أرضه ولا يرى إيمانه وتستهين
بالأوامر والنواهي واعتبر بجميع ما ذكرناه لك مما قدمناه كل ما أتيت
عمرك كله من ذنوب وعثرات التي أدعيت أنك لو ذكرتها لهلكت منها
في أوانها ولا يخفى عليك وجه الاعتبار مع ما قدمناه لك من وجوه
الاستبصار فإن أصابتك سبب تتوقع به نزول الموت بك ثم أردت
الاشتغال بالاستعداد له بالتقوى والطاعة وأخذت في ذلك لم
تتوفر عليه كل الدواعي لما تعودت في كثير منها من الخلل والنقص
والطرد السابق لا يتعلق الرفض وما سبب هذا كله إلا مسامحة النفس
في ابتداء الأمر ومساعدتها على ما تقتضيه ثم ما قلت في السر والجهر
حتى آل إليها إلى القسوة التي لا ينفع معها التنبيه حركة ولا فرق
والقسوة حالة ينكشف بها قلب العبد عن تعاطيه لتلك الأعمال
التي حملها عليها ما ألفه من التنعمات والتأويلات بسبب ما كان أخذ
فيه من العلوم والمعارف المكتسبات ومداومته على ذلك وسيرته
مع استصحاب غرضه وهواه فمن أراد أن يأخذ الحذر بكل قلبه ونفسه
بذلك أنه يريد أن يحصل له الفلاح الأعلى مع مصاحبته للهوى ومتبعاته
وتبعات جل بساطه الحول بكاه مسامرته هواه والسنى

بمنزلة المعاينة كلمتنا الاشارة بقوله تبارك وتعالى الم يان للذين امنوا
ان تخشع قلوبهم لذكر الله الاية فقوله امنوا احكم لهم بالايمان والتزام
اوامره ومقتضياته والايمان ياتي بدليل قوله تعالى قل بيسما يامركم
به ايمانكم ثم قال تعالى ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق
وخشوع القلب لينه وتاتيه الى الانقياد الى مقتضيات العبودية
وهو ضد القساوة التي هي من الصلابة وخشوع القلب للذكر وما نزل
من الحق انما يكون بشغوفه بالتقوى والبراءة من الدعوى فيقابل العبد
مولاه حينئذ بما اقتضاه ذكره وتنزيله مقابلة صحيحة خالصة
صافية من الشوايب والكدرات ثم قال تعالى ولا يكونوا كالذين اوتوا
الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم بين في هذه الاية
الكريمة ان سبب قساوة قلوبهم انما هو طول الامد بعد اتيانهم الكتاب
الذي فيه الهدى والرشد وذلك انهم لما اتاهم الكتاب اقتضى منهم
المبادرة الى العمل بمقتضاه من غير تعمق ولا تاويل لما اقتضاه من منزلة
الامتثال الجمهرية فما اتاهم من الايمان وما نزل عليهم من القران ولا يتاتى
ذلك الا برفض الهوى جملة فلما لم يرفضوا هواهم وبقوا معه سوفوا
بالاعمال واستشعروا تراخي الاجال فاعقبهم هذا الاهمال الفساد منهم
ان قست قلوبهم بسبب ما تمرنوا عليه من الضلال والتضليل الذي
تسكعوا فيه عمرهم الطويل بسبب ما القوه من التعمق والتاويل
فانسلخوا بذلك من الدين انسلاخ الشعرة من العجين ولذلك كان
اكثرهم فاسقين كما قاله احذق العالمين في هذه الاية وفي
الاشارات عن الله سبحانه عندي اذا اتى الحازم فكن كالنار والا فخلها
النار يعني بذلك والله تعالى اعلم المبادرة الى الامتثال من غير تردد
ولا تلكؤ ولا تراخ لانه اذا تراخى ولو ادنى شيء ملكته نفسه واسرته
بهواه واثرت الانفعالات من اثرتها بمشغولة واعتبر هذا المعنى بحال
ذلك الرجل الذي قصد الى قطع الشجرة التي كانت تعبد من دون الله بنية

خالصة

فالشجرة وعقيدة جازمة فلما تمثل له ابليس واراد ان يصرفه عن ذلك
لم يسمع منه ولم يعبأ به فلما اصابه الشيطان من جهة الرخصة فلما
ذكر له امانيه الباطلة ومواعيده الكاذبة واخلفه في ذلك راح فقطع
الشجرة ثانيا فلم يقدر ولم يطقه وذلك فلما اصابه من جهة الرخص عنه
وهذه الشجرة مثال لا غير ومثل بها الامام ابو حامد الغزالي رضي الله
عنه في فن التعبير وشبه اثمارها وافاتيها واعراضها وجعل ذلك بمنزلة
شجرة اريد من بعض الناس قطعها وقلعها ولا شك ان اسهل ما تكون ازالة
منها اخذه في ذلك بالجد والبدار لانه اذا كان قويا وهي ضعيفة فان تراخى
عن ذلك ولو شيئا يسيرا ازدادت قوة ورسوخا وازداد هو في جسمه
ضعفا ووهنا وعلى مقتضى النسبة كلما تباطأ عن ذلك وهذا مثال بليغ
ومعناه صحيح فالاوائل الامور هي التي ينبغي ان يراعيها المدبر والله
ولي التوفيق والتأييد لي فاذا كانت التفقهات والتأويلات
مدركة لكم هذا الدرك العظيم مع انكم مشتغلون بالعلوم الحقيقية
والمناحي التصوفية فكيف ترون يكون حال غيركم من اصحاب الرسوم
اذا تفقهوا وتأولوا فلا تسألوا عما يكون بهم من المصائب المشيب
ذكرنا للنواحي والزوايا فترى الواحد منهم اذا تعلم مسألة او مسألتين
او مسائل فقهية تنتعش نفسه وتنتفخ ريشه ويعظم في نفسه ويتكبر
ويتقدم في المقال والرأي بين يدي من سواه ولا يتأدب ويستحسن حال نفسه
غاية الاستحسان وينظر الى من عداه وان علا بمنزلة الحشرات والذباب
وقد لا ينتبه لمن يوقظه او يصغي لمن يسمعه الى وعظه من يعظه اعاذنا الله
واياكم مما يليق به من سيء الاحوال وما قاله من جهله المركب الذي هو داء
عضال ومنشأ كل ظلم وضلال *

لا يبلغ الاعداء من جاهل * ما يبلغ الجاهل من نفسه

والكلام في المتعبد والمتزهد كالكلام في المتعلم والمتفقه سواء بسواء
فان قلت جميع ما ذكرتموه هنا معنا من اوله الى اخره فشبع بالقلب

Digitized by Google

فمن ضيع عمليته وضرب بينه وبين التوفيق بسرادق احاطه بيده وانتج حوالته
فكيف يتأتى منه الرجوع الى المحمود من حالته الاول ومن نجوز ذلك
من المحال الذي لا يعقل

كيف الوصول الى سعاد ودونها ... قلل الجبال ودونهن حتوف
الرجل حافية وما لي مركب ... والكف صفر والطريق مخوف

فهل من شيء يتسبب من هذه الحاله وبماذا يكون اشتغاله فأقول قال
ولع العبد بعد الحزن لبسه والتأسف على ما فاته من انسه فلا من مرجو
للذي يريد ان اسرف ما امكن ان يتوصل به الى سنا الارباح في تلك الحال والاشتغال
على اصحاب الرسوم الذين ماتت قلوبهم ولم تنقشع منهم الهموم واى احزان
معاصيهم وذنوبهم فليكن شغل هذا العبد البكاء والاستغفار والتضرع في حال
الاضطرار وما احقه بهذا الامر وكل ما كان معتمدا عليه وراكنا اليه في
سائر امره من علمه وعمله وقوته وحوله فقد خذله واسلمه ولم يغن
عنه شيئا فيما قصده ويممه بل كان جميع ذلك سببا للعذاب عليه
وجالبا للفضائح والمخازي اليه ومن امثال عامة الاندلس فيمن تمنوا
يستغني بترف يمنوا او فرغني . ومن هذا معنى حال كل من عمر الكون
من معاد او اشتغال من علم او حوال فان رفض جميع ذلك رفض النوالة
وانبذه نبذ الغزالة وخلا رجل متبذل بالمقام الاعلى وانخ ركايب
كلمه في المسالك الاسما وناداه بلسان حالك ومقالك وقل يا ارحم
الراحمين ويا مغيث المستغيثين ارحم من ليس له حبيب ولا صديق
من جميع العالمين فاذا فتح لك من الله هذا الباب الكريم حصلت على
الشرف العظيم وحللت في جنات النعيم واتيت الله بقلب سليم
وقلت حينئذ بلسان حكيم عليم بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ومن هذا فهو
الكلام الطيب الذي يصعد اليه من بين سائر الكلام والعمل الصالح الجاري على
مقتضى هذا الذكر يرفعه اليه من غير ان يتوجه على صاحبه عتاب او ملام

Digitized by Google

الكيفيات للكيف والكيفون للكيفيات فيسئل يعني بذلك الأعمال والعمال
فإنما كانت أعمالهم بشهود التوحيد وإنما كانوا براء منهم بالافتقار إلى
العزيز الحميد فلا جرم تنزلوا من الملإ بكل كبير ويجتمعون تحت شهوده
كوثر دائم بين ويقال لهم سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين جعلنا
الله منهم برحمته آمين وقــولكم واستتر الأمر علي إذ عثرت على هذا الحال
السني ثم أبى الطمع أن ينال درجات أهل الكمال فلا أدري درجات الكمال
التي تمثلتموها أي شيء هي وما درجات الكمال إلا التقلب في عبودية
الله تعالى كيف ما دارت بك الحال فإن تخيلت منها شيئا غير هذا وجعلت ما
شاهدته من نفسك من القبائح حجابا بينك وبين ربك حتى تروم زوال ذلك
بنفسك وحولك وقوتك وحينئذ تفضي إليه بما أعطاك الحمل البرزة أداك
إليه ما قرع سمعك منذ كذا وكذا سنة من علوم أهل التحقيق ولعمري لقد
استتر عليك من قربات ما توهمته كأن الأمر معروف فقد غبت حينئذ بفوائده
لأنك متلبس بما هو أشرف منه وهو امتثال الطاعة فقيل للمجذوم اغسل
يديك فقال أهبا بعد الجذام حلية ؛ فانتبه يا أخي من نومتك وامسح
العمش من مقلتيك والزم بجهدك أفضل ما انتهى إليه نظرك وحقيقته
وحرفته فإنك حينئذ لا تشاهد في الدار دارا وتنظر إلى الملك العزيز
يتصرف في ملكه كيف شاء بلا منازع ولا معارض وتستغيب من مسائل
المساعدة والنظراء تعرف أن جميع تصرفك وتقلبك وتضربك وتشوفك
وكراهيتك ومحبتك صادر عن شؤون الملك التي هو كل يوم فيها وأن الحال التي
كنت عليها قبل هذا النظر والشهود فشأن في تخال وتؤثر في معلاي
لا ينجيك منه غش ولا اختلال وحينئذ تتخلى من نفسك همك من لا له شيء
توهمته عفريتا تلازمه فتبينت أمرها أخيرا في غمار وليد ضربها ومثلها وقد أحق
للأجلاء الذي نقله من يعلمها *

لي

ارتعادت العقرب ممن لدغتها * وكانت النعل لها حاضرة

إذ تبدل فيه نظرك وصح بمنزل خبرك ووجدك دلالة عليه تنال منها

فملكة حسيبة لا يدرك لها قدر ولا قيمة او فضل من لاح له بشر بريقه شيء
يتوهمه ذلك نفيسة فبيننا معرفة اذ بدل الينا ليا اخذها فجعلها في
يده او يرجعها عنده فلا ابقى عنده في ذهنها بمشرور بعزة والمثال
ان ذا وزانه فاكرمته واتحفته مع مسامرته لنفيسة فلا انسى معرفة
اقامة الحول لك فيه يعود عليك بذا وسلاما والمثال الثاني وزانه ما
اكرمته واحببته مع نشا معرفته لنفيسة فلا انسى معرفة من قال الحق
ابا المجمعة تغرد ذلك فيه لكعبة واخوانا وتمثل هذه الهيا كعبان والمطالبات
اخاطب نفسي واكما البهاد الاقربون اولى بالمعروف ايّاك اعني واسمعي
يا جارة : فهذا ما اردنا ان نذكره لكم في بيان السبب فيما طلبتم والخ
الكلام الى تاتيه واثبت بعض هذه النكت في هذا المختصر مثل ما ذهبت فيه
الغرض ووقفت على حقيقة المرض وقمت بالواجب المفترض اوعرنا على
المقصود وتقصيت في بذل المجهود ولن اوفى بالامر الموعود واخبرك
ان الذي يظهر لكم من حال الكم عند قراءة هذه الاحرف وتاملها والتفكر في
تفصيلها وجملتها فان من نظمتها نظما عجيبا وسقتها مساقا غريبا
فلا تنا ان اجمع بالصبر الذي يقع في حبالي واسال ان احرز لما ضاع من تلفيقي
واختيالي ونغفر لي حينئذ ما فاتني من اشتراك لا بنيتها كل شيء فملكته
فعل ابن السعد والمرجو من فضل الله تعالى ان ينفع سعيي فيما
طلبتم وان يكون جازما حين الكلمة التي بعد الذي ذكرتم ولا اقول كلمة
واحدة بل كلمات مجتمعات ومفترقات لان الغمتك فيما فلا يدرك تحتل
حلا وتعالج فيك ابد الدهر وستفيد شربة يعجزهم عن تركيبها ومعرفة
اجزائها الحياة هذا العمر وحينئذ لا يبقى عليك من حالك اشكال
ونعرفه وتعلمت كيف تعامل مولاك في كل حال ودعمك بعد هذا تعيش
او تموت بعد حصول لك الاكسير والياقوت وذلك من بركة التعلق بخيوط
العنكبوت وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله واما ما حكيتم لي
عن سيدي ابي العباس المرسي رضي الله عنه مرات فلانه كانت موجودة في زمان

فهو صحيح وهو من الرأي الحسن اذ بوجازتها نسلم من الآفات وجاذبة الخواطر
وبتمامها يكون فيها اغلبية التقرب بها الى الرب القادر وكون صلاة
الابدال خفيفة لا يبطل مفعولها ذكرناه لاجل ان الثقل والخفة امور
نسبية فرب صلاة خفيفة بالنسبة الى ما هو اثقل منها وان كان
فيها طول والناس يغلطون في هذا فاذا سمعوا ان تخفيف الصلاة مطلوب
بالشرع نقروها نقر الديك ولم يعتنوا باتمام ركوعها ولا سجودها
ولا قراءتها حدودها فالشرع يرجع في تقدير الخفة والثقل الى ما
ثبت في الشرع وقد ورد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى
في اواخر عمره صلاة المغرب بسورة الطور والامر هذا الحديث في الصحيح
مع ان صلاة المغرب من اقصر الصلوات قراءة فاذا اعملنا على هذه النسبة
كانت الصلاة التي نصليها اليوم المغرب ونحوها خفيفة جدا وقد
اسند الحافظ ابو نعيم رحمه الله عن ابراهيم التيمي قال كان ابي وهو
يزيد بن شريك قد ترك الصلاة معنا فقلت ما لك تركت الصلاة معنا
قال انكم تخففون قلت فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فيكم
الكبير والضعيف وذا الحاجة قال قد سمعت عبد الله بن مسعود يقول
ذلك ثم صلى بنا ثلاثة اضعاف ما تصلون فانظروا في هذا ويظهر ان يصلح
ما جرى الى السلف في الزمن المتقدم ما ذكرناه هنا وذلك انهم كانوا
لا يحتاجون في صلاتهم الى تسميع مسمع كيف وقد رد بعض العلماء
بطلان صلاة المسمع والمصلي بتسميعه ولم يشترط احد في الائمة ان يكون
ضعيفا ولا ان يتكلف رفع صوته زائدا على الجهرية وقد كانت صلاتهم مع
هذا كله صحيحة تامة لا اختلال فيها وقد ذكر الآن صلاتهم كانت
الكثير مما جرت به عادة اهل زماننا فكان الامام اذا دخل في عمل من
اعمال الصلاة اقتدى به في ذلك الذين يلونه اولا ثم القوم ثم اتبع الذين
يلونهم ولا ان يلونه هكذا الى ان يفرغوا جميعا من ذلك العمل ثم ينتقل
الى عمل آخر هكذا الى تمام الصلاة بسكون وسكوت وخشوع وهذا الامر الذي

يحتاج الى تكميل قال لانه ان لم يكن ذلك انسد على المأمومين سبيل الاقتداء
بالامام في جميع افعال الصلاة ولزم من ذلك ان يكون الامام في ركوع والمأموم
في ذكر اخر لا يتلاقون معه الا في قيام لقراءة او جلوس لتشهد لا سيما ان
كثرت الجماعة المصلون بصلاته ومثل هذا تخليط في الصلاة وان وقع من
الامام سهو لعبث ابريء ذمتهم جوابا لصلاته كما حدث التسميع الابعد
ان رفع اليدين وصارت الصلاة على الناس بمنزلة الحمل الثقيل الذي ليس
عندهم ان لم يجد عن رفعه بدا واستحق احسنهم منه بتركه وصلوا بالتسميع التي
ان يقتدي المأمومون بامامهم في جميع اعمال الصلاة بدون عد واحدة بعض
الذكر الذي يقتدى به فيه يليه يقتدون به فيه من صلى في اخريات المسجد الكبير
لا سيما ان كان المسمع شيخا او يتعدد المسمعون بحيث يكون واحد يلي
الامام وآخر عند الثريا الكبيرة وآخر عند الصومعة وآخر عند المنصة
ولقد كنت رأيت شيئا مماثلا لذلك بفاس ونزل المسمع بالاصوات فان حدث
للامام سهو لم يمكنه تلافيه حينئذ الا بالتسبيح او بالتصفيق كنحو
القيام من اثنتين يقوم المأموم خلفه ويقول باعلى صوته وقد قاموا فيه
اثنتين من غير حضور ولا خشوع وكذلك الاخر فالاخر ولولا ذلك لفسدت
صلاة القوم كل ذلك ليحصل لهم عند ظنهم من التخفيف مع سلامة الصلاة
من التغيير في الاركان مع الحال التي اعتاد ومقابل التباعد من المقربين
التباعد الكثير وفات الناس بسبب العرج الا اليسير في الناس من الائمة بعدا ولا
عن السنة فسلط عليهم البلاء والفتنة وبالله التوفيق والعصمة
وأمثال ما ذكر تتحول من الكلام وتعرفوا الغافل اعتبار في نكر ما
في جميع المعنى اما التعبير الذي النكر فهو ان يكون نكر العبد
مشيرا الى الشرع وذلك بان يجعل الشرع حاكما على عقله ومعرفته للاتم
الاقوال فيتحرر بذلك عقيدته على الصراط المستقيم الذي لا ميل فيه ولا
انحراف ومثال احد الذي هو في محاولة الوصول واقف النجد عن حملة الخبر
فهو ان يرجع العبد الى نفسه فيرى نفسه في غاية الذلة والحقارة بحيث لا يرى

Digitized by Google

فيها المثلية استيفاء بشيء من الأشياء ولا أن تخبر ولا أن تخبر عنها وهذا
هو الأصل الثاني وأما التشوف للقبول فمعناه أن يأخذ العبد في السعي والتشمير
الى مقصوده بالأعمال والطاعات والمجاهدات والمكابدات حتى تعلم
بذلك لقبول حضرة العزة له ويتحقق بما ذكرناه في الأصل الثاني فيتحقق
حينئذ بالمعرفة والمشاهدة والمسارة والمحادثة وهذا هو الكبير
بمقابلة الوصول الذي جعله ذلك القائل بمنزلة الثلاثة أصول فالأصلان
الأولان علميان فقهي فالأول علم يتعلق بالله تعالى والثاني علم يتعلق
بذات العبد والأصل الثالث عملي فقهي وهو كيفية معاملة العبد
للرب هذا ما فهمته الآن في هذه الكلمات وأما حضوركم في حلقة
المتوكلة فلا حرج عليكم في حضورها فإذا استمعتم فيها ما يكون فيه موافقة
لما بأيديكم من علوم القوم فاقبلوه وإن سمعتم ما يخالفه فيها ولو
قدرتم وإن لم تقدروا فسلموه ولا تردوه ولا تقبلوه واستروا الخلاف
عليكم إن دمتم على ذلك فتسارعه كطباع أهل الرسوم وكونوا مع أهل العلوم
المتحققين في هذا الوقت المشؤوم وقد أشرنا في هذا الكتاب إلى أحوالهم
وما آلت إليه وذكرتم في كتابكم الذي هذا جوابه قول الله تعالى
وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين وأشرتم بذلك إلى أنفسكم وهذا شبه
الرمز فإن أتيت بما مقام شريف وقد رده الله تعالى على المدعين لذلك
وإن كانوا مثبتين في قوله تعالى قالت الأعراب آمنا ولا أقول لكم لا
تعتقدوا أنكم مؤمنون ولا كبر الأدب في المقام الشريف اه ولذلك كان الاستثناء
مستحسنا فيه في قول القائل أنا مؤمن إن شاء الله فلا تعودوا إلى مثله
وكذلك لا تعودوا أيضا إلى التحليف بالله تعالى في شيء من الأشياء
فقد قلتم مثل هذا في كتابكم والتحليف بالله تعالى عليكم ولم ينو في
كتابكم ما أبهمكم علمه غير هذا والله تعالى ولي التوفيق برحمته
وقد وصلنا كتابكم وذكرتم فيه أشياء من جملتها أنكم
بلا أدام تعلمكم فيما كان عندكم فيه وقد كان وقع بيننا ذكره إلى

وكم من له فيه انما غايته لما طلبت منه ان يشتغل في كتاب البخاري ولم
يكن غرضي في استغراقه ولا كنت ممن يكتب لكم بذلك فيتعلق خاطره ثم بينا
لا ينقص منه شيء ولا فائدة فيه لان العلم بعصمته من الهوى فيه في مجرى
العادة لا يستند الى اقامة دليل من الادلة السمعية ولا العقلية وانما
يوجبه ما يلقيه الحق تعالى في اسرار من اختصه من عباده بحيث يفهم منهم
ذالك ويحملهم على الاعتقاد به بحيث لا يسعهم التشكك فيه وهو علم
اليقين الذي لا اتساع فيه لتهمة ولا لشك ولا ارتياب وان كانت كثرة من
النصوص قد تفيده ومثل هذا لا يدرك بالمنى ولا ينال بالتمني فلا
مطمع للاغيار بكون مقيدا في حوزه فكذالك اليقين فما يلقيه اليه من
الادلة المذكورة لانه لا ينعقد الا النص فالصحيح لا يحتمل التاويل وهذا غير
موجود البتة ولو كان موجودا لم يقع بين الصحابة فضلا عن اهل علم
الكلام واهل علم الباطن ما وقع من الاختلاف الذي لا يقدر احد على دفعه
واليقين اعز شيء نزل من السماء الى الارض ومن وجد به لم يقع له اشكال
في شيء من النصوص الشرعية ولا يبقى له فيما تعارض ظواهره تناقض والتفرقة
في نكتة الشريعة والحقيقة وصار من امره على اوضح طريقة فمن عكس هذا
الامر وراع نصرة هذا الكلام بما تقتضيه الظواهر لم يجد شيئا يخلصه
من المشكلات ولم ياتي بشيء يوجب له قمع معاند وكلا مغالبة منازع وربما
يؤدي ذالك الى تعريض الكلام بشبهة للانتقاد وحمل الداخل فيه على سوء
الاعتقاد ثم ان الغرض الاهم من ذالك انما هو ما ذكرته من الدعاء الى الله
تعالى والجذاب القلب اليه من احسن وذالك انما ينفع في حوزة فيه علم
همة ومكانة بصيرة ومن كان بهذه الصفة لا يحتاج الى تقديم دليل على
حقيقة علماء الظاهر بل يكفيه ادنى شيء من الرموز والاشارة وهو الذي
يعني النبي صلى الله عليه وسلم لما جاء في الخبر اعني على نفسك بكثرة السجود
واما من كان ذا همة دنية وبصيرة ردية فقد ضرب بينه وبين هذه
الطريقة بحجاب لا ينفذ فكف العين وجعل في جملة شرار الخلق في العريس

وتقدم أن الخوض معه في هذه الطريقة وإن لم تنكر نشر بدعة كما فعله النبي وجماعة
بالسيف على إقامة كلمة أهل السنة فقط فمن تعرض لها وراء ذلك فضال
عن دين الله والشريعة من أهل الكتاب أن هذه الأمة الحنيفية أن هو ما لنا إلا الكتاب
والميزان ولهذا كانت هذه الطريقة مخصوصة بمخصوصين يدخل معهم
كمعقلين ومن يحوم حولهم بفضولهم فهذا مما أوجب لنا التغافل عن ذلك
مع أنا لم نر أحدا من أئمتنا سلك تلك المسالك والاتباع خير من
الابتداع وأن الذي يدخل رأسه من هو مثلي فهو الابتداع وإن أردت في هذه
ما ذكرناه فعلا أنا أذكر لك دليلا عقليا في نفي الصوفية على الجملة
ولا يراد أعم من ذلك على أهل الإيمان لم يقبلوه وكان فيهم من هو أقرب من جلوسه
على كرسيه والذي يدل على ذلك إجماع الأمة على ذلك فقد كان من هذه البدعة
المنكرة لإدرار الأمة فيهم من قال بمن فتنوا أو قيل رضيت ومنه سكتت
وسلمت والساكتون منهم لا سبيل إلى أن يكون بعض أن سكوتهم تقية ومداهنة
للتمنع لغيرهم عن الدين وأن النصح للمسلمين من إجلالهم ذلك عن السكوت على باطل
لا سيما وجامعهم عند ملوك الأعصار فإنهم وإن فيهم من قاطع ومتصل في
العوائد فصار سكوت من سكت منهم كتكلم غيره ولا يشترط في الإجماع
على الشيء أن ينقل القول به عن كل فرد فرد فإن ذلك متعذر أو مستحيل بل
يكفي في ذلك أن ينقل عن الأكثر مع سكوت الباقين عليهم وهذا كله
معلوم عند من مارس الكتب ووقف على السير والأخبار ولم يقتصر على البحث
على ما ذكره اللخمي في تبصرته وابن رشد في بيانه والقاضي عياض في تنبيهاته
وهذا كله يبين لمن أراد الله توفيقه وهداه لتحقيقه ومن لم يرد توفيقه الله
تعالى فهذا اعترض على ما ذكرناه ونازع فيه وقال كيف يصح هذا الإجماع ومن
نقله وقد يعكسه ويدعي الإجماع على نقيض هذا المطلب فهذا كله إذا استدل
بالإجماع على كفر الصوفية على الجملة وأما التفصيل فلا يمكن دعوى الإجماع
فيه لأن الخلاف بين العلماء في تبيين المذكورتين عنهم وفي شأنهم شهير
ولا كما إذا انكشفنا وجئنا بنكت إذ قد يكون فيه نوع استدلال على أن الحق

في جانبهم لم يقبل ومن ثم بدع وجهل من جادل به وبعد فسيرد ذلك النظم انا اذا تاملنا
ما اختلف فيه العلماء رضي الله عنهم وجدنا المسائل لا تعدو احد امرين اما شيء يرجع
الى الاعتقاد واما شيء يرجع الى تكاليف العباد ومن المسائل الفقهية اما
ما يرجع الى الاعتقاد فلا ينكر احد ان بينهم فيما زاد فيها لا يأثم بل يعدون
اهل الزيغ كمنكر العقل وكل ما ينتحلونه مدرك عندهم بالعيان وخصومهم
انما ينكر من ضاعة عقولهم وان احدهم من الاهم والاسيل ان حدا ان ينكر
عليهم ذمهم ومعرة الحال كما لا يستحيل ان حدا ان ينكر على من يدعي النبوة دعواه
في زمان نبيه فيه ذلك لانه ادعى امرا جوزه العقل السليم وواجبه في تعلق قدرة
الله ولا يجوز فيه الامرين فيما يرجع الى عدم تكذيب كل واحد من العبيد فليس
لا كرامة النبي فلا مور بر بما الحلول الذي هو مذهبه فلا بد من جهل فيما يصدقه في دعواه
على يديه من امر خارق للعادة وذلك هو المعجزة وانه حق عندهم فلا مور بذلك
فلا يلزم في حقه ما لزم في حق النبي واما المسائل الفقهية فمن اصول الصحابة
فيما امر به فهو اذا رجعنا الى الانصاف وتجنبنا الاعتساف فان المحقق
منهم مصيب وثواب الغير وعليهم مشهود ومن انواع من اول من ابتدع احكام
التصوف والحكم بالقلب على ظاهر الشرع ومعرفة الاحوال مقتضية لوجود
العلوم الحقيقية والتصوف اول العلوم على اسم ارتفاع الخلاف بينهم في جميع
معناه وانكسر ما قاله الشافعي في شان شيبان الراعي رضي الله عنهما لما
بموقف في شان سؤاله له قال انه معنا ووفق للعمل بما علمنا وبمثل هذا النظر
احتج بعضهم على ترجيح اجتهاد اهل المدينة على اجتهاد غيرهم من قبل ما نالهم
من التوفيق ببركة مجاورة رسول الله صلى الله عليه وسلم وافقهم في اعجب
الفقائع الى الله عز وجل وهذا مالك رضي الله عنه من هذا الحكم اذ هو قد
اعتنى ببركة المجاورة والبقعة ولم تزل ائمة اهل الكمال في اقطار الخالية
ينتحلون بصوفية وفقهاء ويعظمونهم ويحملونهم ويلتفتون ومنهم نفيس
الكلام ويعتقدون فضلهم على جميع الانام قال الشافعي رحمه
الله جالست بين يدي شيبان الراعي وشيبان الثوري يفعل بين يدي يعقد

رابعة

العروبة

العدوية ويقول لها علميني مما أفادك الله من كتب أبيك الحكمة فتقول له نعم الرجل
أنت لولا أنك تحب الدنيا وكان حماد بن زيد يسألها في حوائج يقضيها لها
فتقول له إني لأستحيي من السؤال أسأل الدنيا من يملكها فكيف ممن لا يملكها
وقال أحمد بن حنبل لأحمد بن أبي الحواري حدثني بحكاية عن شيخك أبي سليمان
الداراني ثم كان منه بذلك وسعيد الذي ذكر له الحكاية التي ذكرناها في
أول التنبيه ولما صنف أبو داود كتاب السنن أراد سهل بن عبد الله رضي
الله عنه فأعجبه وأحب سماعه منه فبلغ ذلك أبا داود فبادر زمن جاء
إليه ووفد عليه وقال له ما كنت بالذي تتعنى أنت الذي حسن أن بعضهم
كان إذا اتفق له سماع كلام أحد من هؤلاء أو رؤيته حال من أحوالهم يبدوا
عليه من آثار ذلك ما يكثر به كل من رآه أنه بمنزلة من كان بلهما ثم استيقظ
ويعتريه بسبب ذلك تغيير وده منهم وحصل لهم في علومهم مزيد فوائد
وأنكر أحد وقد ذكر عنهم ابن فلاح أبو القاسم القشيري رضي الله عنه في أول باب
وصيته المريدين في آخر الرسالة قال أبو القاسم القشيري عكسهم من
علماء أهل السنة وممن يتم أهل الكلام بتغير كلامه في مصنفاتهم ونحو
من أئمة هذا العلم رضي الله عنه ونفعنا به ولا أكثر لا يعرف الانتقال إلى
أن قائل ومعاذ الله ابهم ودينهم فدينا وحديثنا لم نزل نسمع خلاف
ذلك حتى جاء هذا الوقت المذكور فإنا لله وإنا إليه راجعون ولقد
كانوا إذا اتفق لبعضهم لقي أحد من هؤلاء يجال بينه وبين عقله من
السرور والفرح وما ذاك إلا لما كانوا عليه من إيثار الإنصاف وسلامة
الصدور واعتقاد التعظيم والإجلال في الكبير والصغير منهم من الأخلاء والجيرة.
وليتأمل المتأمل في الحديث المذكور معه أويس القرني رضي الله عنه إذ قال
عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبشر أمره وأشار على خيار أصحابه
إذ أقول أن يلتمسوا منه الدعاء والاستغفار وما ذاك إلا ليس بالحسن
اختص به والخصوصيات لا تنكر فقد يكون من هو عند الله تعالى أكرم
وآثر لا لكرامة من الوجه المعتبر الا ترى إلى ما روي في بعض طرق حديث الخثعمي

مع موسى عليهما السلام لما قال له إنا على علم علمنيه الله لا ينبغي لك أن تعلمه
هذا وموسى حبيب الله وصفيه وكليمه ونجيه وانظر إلى كلبه له واتباعه
إياه واحتماله على كلفته وتعسره عليه وقصة الخضر التي نص عليها القرآن
وجاءت بتصحيحها الصحاح الأخبار مما يحتج به على إثبات هذا الطريق
لأهل قبوله وتسليمه لا ينكر الذي من أيده الله تعالى بالتوفيق وعلى مثل ما
ذكرناه درج السلف الصالحون رضي الله عنهم في الخارج إلى رمي ذلك
المنزع والسالك خلاف ذلك المسلك لم ينلج صدره بنور اليقين
ولم يحط علما بما كان عليه أئمة المتقين فهذا مع تقرير هذا النظر لا يكن
لا يسلم من أهل إنكار من ترتبك في الجهل والغمر وأذكر في قوله لا يعرف
الأمثال إلا الأماثل وقد روى الشعبي أن عدي بن حاتم الطائي رحمه الله قدم على
عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فقال له ما كنت تعرفني وكان والله أعلم
توهم منه عليه شيئا فقال له عمر رضي الله عنه وكيف لا أعرفك وأول صدقة
بيضت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة طيء أعرفك أسلمت إذ
كفروا وأقبلت إذ أدبروا ووفيت إذ غدروا فالواجب على من ابتلي
بأذى أهل الإنكار المنكرين أن يعرض عنهم ولا يلتفت إليهم ولا يذكر حديثه
معهم إلا لهم ولا يبني عليه لما يخاف عليهم من الإنكار على السادات وذوي
المراتب فإنهم عند العقلاء من جلب المصالح ولا ينبغي أن يعتقد فيهم إلا
أنهم مكبوبون على قلوبهم ممقوتون عند ربهم مكرودون بإبعاد الكبر بهم
وصدودهم عن الصراط المستقيم الذي تركه يعد من بعد في الاشتغال
بإرشادهم ولا خسران عظيم وعذاب أليم والتماس محال لا يستقيم
كإسماع الرميم واستيلاد العقيم وليس مراده أن يكثر في هذه الكرة نفي
الزهاد وإنما المراد أن يكون واحد من أبناء نوع يعمر به الفراغ وينجلي به
الظلام ويستشفى به جميع الأسقام ويكون محلا لنظر الملك العلام وقبل
هذا السر لا يخلو منه زمان من الأزمنة المتفرقة ولا المسائل بفضل
الله عز وجل وقد روينا كيف لا نعرفه وقد أدركته وأوصلته إلينا وأنوار علامة

لا

أمثال

علينا

علينا لما جعل الله تعالى بيننا من التصرف بوجه يفيد ومن الله جزيه وتعريفه
وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله فهذا ما أردنا أن نذكر لكم لئلا تقعوا
بعد ما عساه يعرض لكم من الوساوس وتكتفوا به عما تطلبونه منا فمن
الى هذه الغاية من اصبح في فيافي الشكوك والالتباس ونحن نامركم ان لا تعبأوا
بهم ولا تلتفتوا اليهم ولا ترجوا منهم صلاحا ولا فلاحا فاداموا بانفسهم
عن رشدهم بضلاله سماحا وافادوا ذلك اجتهادا منهم في طلب الدليل فاذا
اوضح لهم الهدى السبيل قابلوه بالرد بمشكل التاويل ولو نزل عليهم
بذلك جبريل وميكائيل فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا
ذلك مبلغهم من العلم

وقد بلغنا انكم وانتم تذكرون فيه اشياء مكروهة لا تليق
بالوقت وذلك لما اشتمل من السمع والمقت نسأل الله تعالى النجاة
من المهالك والكون في كلاءة الواحد المالك ويا اخي اني اذكر
لكم امرا ربما كنتم تعرفونه فان كنتم نسيتموه ذكرتموه اذا اطلعتم على
هذا المكتوب وان لم تنسوه لم يزدكم اعلامكم بذلك الا خيرا وهو ان تذكروا
نعمة الله عليكم في الامر الذي وفقكم له من انكم لم تجعلوا همكم بين القوم بكثرتهم
منكم كما فعل غيركم بحيث اقدركم الله على تلقي شيء من الرزق من حرث الزرع
واتساع العمل حتى تمنوا ما يعقبكم ذلك في اكثر الاوقات وان كان بين من يدرا
عليكم ما لو كلفتم تطلبه او وقفتم اذا استعملتم بحيلة تتبدد وربما من قبل
انفسكم ان تعززوا على ذلك من ذلك وحصول هذا الخير من حفظ لشدته
فان تعلمتموه موجودا لكم فاشكروا وان لم تعلموه موجودا لكم فقد يكون
ذلك احسن لكم من تعلمكم به فانتم لو خيرتم من سلب هذا الحال عنكم
ويعطاكم عوضها عنها ملك العراق وتنبغي لكم مع ما فيه من الابتلاءات
التي يكون بعضها ما لو ذكرت لكم ما اظنكم تعدلون بعدها بما شيئا وهذا
كله من غير استحقاق منكم ومن انى للعبد بذلك وانما هو لولا فضل الله
تعالى عليه ورحمته وعنايته ومننه له الباب الذي ومن الله تحميده

وتفكهاتها الرذيلة. فاستذكروا هذه النعمة العظيمة لتحصل لكم بمعرفتها الشكر
عليها فيعظم لكم ذلك المزيد منها. وأي شيء المزيد منها هو أن يرفع الحق
تعالى الوسائط بينكم وبينه فلا ترون أمرا لأحد من الخلق غيارا فعلا ولا جعلا وتحوزون
بذلك الحالة التي حصلت لذلك الرجل الذي ذكرت أمره في أثناء التنبيه على
قول الشيخ رحمه الله الغافل إذا أصبح نظر فيماذا يفعل حسبما حكيناه
عن كتاب الصقلي رحمة الله تعالى عليه فيا لها من حالة ما أعظم قدرها وأجل
خطرها لو انقلبت السماء على الأرض والعرش على الفرش لم يكن عنده ما يهمها
فيهتم لذلك لأنه يرى نفسه في قبضة قبضته ومن الذي يعترض عليه في فعله
أو يعتقد في خلقه شيئا من ذلك من نعمه وكقوله الا الجاهلون الغافلون الذين
هم عن الحكم في الغير والسمع للخير معزولون وهذا كله كلام يتضمن التعزية
لكم فيما أصابكم على يد بعض الناس من الأذايات الحسية والمعنوية وقد ابتلاكم
الله تعالى بذلك وعافاكم من مثله فارحموا أهل البلاء واسألوا الله العافية
فلو كنتم مكانهم وكانت أفعالكم أفعالهم أي شيء كنتم تصنعون وربكم
وربهم واحد وأنتم وهم في تصريف القدرة واقتضاء المشيئة شرع سواء
وقد كان السلف يقولون إذا ظلموا بكلمة نعمة الله علينا إذ لم
يجعلنا ظالمين وجعلنا مظلومين أعظم علينا بإتياننا من الظلامة وفي
بعض الأخبار المروية إذا أراد الله أن يتحف عبدا من عباده سلط
عليه من يظلمه وأما ما فعلتم في المنزل وما اعتراكم بسبب ذلك
من أمور راجعة إلى أحوال الناس فذلك كله معلوم وقد عذر فلو كنتم
أعطيتم لهم الأذن الصماء لكان في ذلك أعظم الردع لهم والكف لكم وفعلتم
ذلك لو كثير ذلك زللا ولم ينجحوا في قراءة الواعظين وتغافلتم عن ذلك
من المطلوب منهم ومنكم ولو أمكنكم في ذلك الوقت أن تأذنوا لهم في الاشتغال
بلهو مباح أو لعب ليس عليكم فيه جناح مع أنكم من الذين يحدث عندهم
أو عند غيرهم بذلك فساد في تغييرهم أو ضرر في نفس حال لكان ذلك منكم
حسنا جميلا ولكن لا سبيل لكم إلى ذلك في هذا الوقت واستيفائه ألا ترى

انكم لن تسلموا من الناس عند نسبة النذر للاولاد بقراءة كتاب الله تعالى ووفا لو
اي شيء فتنفعه من اذ نذر لهم في الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا تتعجبوا من هذا الكلام الذي ذكرت لكم فان له في السنة مستندا يمكن ان يستروح
اليه وهو ان امرأة جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قفوله من
بعض غزواته فقالت له اني كنت نذرت ان ردك الله سالما ان اضرب على
راسك بالدف فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اوفي بنذرك او
كلاما هذا معناه والحديث اظن ان ذكر من خرجه من ائمة الحديث وهو
عندهم ثابت مشهور ولا شك ان الضرب بالدف من انواع اللهو والنبي
صلى الله عليه وسلم امرها بالوفاء بنذرها به لما كان بسبب ذلك
فرحها بسلامته التي يجب علينا الفرح بها ولم يجعل ذلك بمنزلة من نذر
مباحا او معصية في عدم لزوم الوفاء به وكذلك من اخرج لهذا مباحا عند
فرحه بشهر ولادته صلى الله عليه وسلم من غير النزاع ولا انذر ان شيء فيمنعه
منعه لولا التعقيبات المباركة التي الوفود معها واعتماده على من يحكم
الفرع في الدين وكون هذا الى من لم يكن في الصدر الاول وحيث ان يجد راسخ
في القلوب وشرائع الاسلام مطوية على تعظيمها والانقياد اليها
الاطلاع والجنوب لبشر بزايع له ولا مغيب وجهه حيث لم يبق من الايمان
الا الاسم وكاد شرائع الاسلام الا الرسم وقرب من ان يذهب من ايدي ماو في
الناس اسمه ورسمه ويسلب عنهم معرفته وعلمه فلم يبق اليوم بايدي الناس
من امر الدين الا انهم اذا سمعوا بذكر النبي صلى الله عليه وسلم تهتز به
لذلك افئدتهم وتنطلق بالصلاة عليه السنتهم فمنهم من يبدون له بالتعظيم
والتصديق ويشرفون به ويعتقدون تمجيده فالعاقل اليوم لا ينكر على الرقا
احدثوه مما يكون موافقا لاهوائهم من تعظيم من عظم الله حرمته باي
وجه يرونه تعظيما وانما ينكر ان فيما احدثوه من الاخلال باوامره والاستهانة في
بنواهيه وزواجره الذي يستخفون عليه هذا بالبها واذا جاز ان يحدث
للناس اقضية بقدر ما احدثوا من الفجور جاز ان يحدثوا على رسوم فراسته اولى

م انظر هنا فرد
تعلق بالنذر

لعله

على حفظ نفعها الدروس والدثور فإذا نزعت منهم ان شيء يشق فيبربهم وما
كان سبب جواز تحلية المصاحف بالذهب والفضة أن لئلا يغفلوا في إيثار الحامل
وتعليق ثوب الحرير والديباج على الكعبة الشريفة إنما استحسن لئلا
يذهب تعظيمهما وهيبتهما من قلوب المفسدين والأبرار حاجة للعمارة
والعمور الى تعليق الحجب والستور لولا هذا الغرض المذكور ولما
كتب صاحبة البيت الى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في شأن كسوته كتب
إليهم إني رأيت أن أجعل ذلك في الأكباد الجائعة أولى من البيت أو كما قال رضي
الله عنه بل المتقشفة في هذا الوقت لو لم يلبس الناموس ويتحلى
بالانقباض والعبوس ويلتزم هيئة مستحسنة في الملبوس لم يسمع
أحد منه فتوى ولا قبل له دعوى وان كان في علم مالك بن انس فضلا والعوام
لا يتأثرون إلا بالمحسوسات من المنظورات والمسموعات والملموسات
وأما الأمور الروحانية فهم بمعزل عنها ولما استولى الجهل والغفلة
على بني آدم بحيث جوزوا على العلماء ان يكونوا مثلهم ويعرفوا الية تعظيمهم
وخيفتهم أمروا ان يتخذوا هيئة زرقاء في أرديتهم لكي إذا نظروا إليها
تذكروا بها زرقة السماء فيتفكروا فيها فإذا نظروا الى السماء تذكروا
عظمة خالقها فمن لم يطمع في محاولة اصلاح العامة بغير هذا الصنيع فقد
طمع في غير مطمع والعزفي رحمه الله كانت له نية صالحة في ذلك الأمر
يؤجر له بها من فضل الله جزيل الأجر وهو وان كان لم يبلغ كلية غرضه في إبطال
أمر النيروز والمهرجان فهو قد حصل ما تيسر له من رواج أمر الإيمان
باعتبار ما ألف في العادة من الطغيان والعدوان لأن الناس يجمعون في
ذلك اليوم متجملين متحلين متشوفين إلى أن يقرع سمعهم قارع من ذكر
اسم نبيهم وحبيبهم فيلهجوا بذلك فرحا وسرورا ويتمنوا أبدا استبشارا
وحبورا ويتيمنون بذلك اليوم فيجعلونه ميعادا لمهمات اشغالهم
وحضانة أطفالهم وغير ذلك من أعمالهم وفي مثل هذا يضيع لهم معشر
ويليهم في فروجهم وقتالهم وغير فتستنبط والله أعلم أن يكون على هذا النية

مثل

خ يانسون

ش الروحانيات

مكبرا

فكفر الله عنه من سيئاته بفضل الاسم لا سيما اذا كان ذلك عن غير قصد منهم ولا عمد
وقد روي في الاسرائيليات ان رجلا عصى الله مائتي سنة يتمرد
ويفتخر عليه فلما مات اخذ بنو اسرائيل برجليه والقوه على مزبلة فاوحى
الله تعالى الى موسى عليه السلام ان غسله وكفنه وصل عليه في جميع
بني اسرائيل ففعل ما امر به فعجب بنو اسرائيل من ذلك واخبروه انه لم
يكن في بني اسرائيل اعصى على الله منه ولا اكثر معاصي فقال قد علمت ولكن
الله امرني بذلك فقالوا فاسأل لنا ربك فسأل موسى ربه فقال يا رب
قد علمت بما قالوا فاوحى الله اليه ان قد صدقوا انه قد عصاني مائتي
سنة الا انه يوما من الايام فتح التوراة فنظر الى اسم محمد مكتوبا فقبله
ووضعه على عينيه فشكرت له ذلك فغفرت له ذنوب مائتي سنة
وروي عن العباس رضي الله عنه ان ابا لهب لما مات واخبر الله عنه بما
اخبر حزن عليه واهمه امره فسأل الله تعالى حولا ان يريه اياه في المنام
قال فرايته يلتهب في الكفر فسالته عن حاله فقال صرت الى النار وفي
العذاب لا يخفف عني ولا يروح الا ليلة الاثنين في كل الليالي والايام فانه
يرفع عني العذاب فقلت وكيف ذلك قال ولد في تلك الليلة محمد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فجاءتني اميمة تبشرني بولادة آمنة اياه
ففرحت بولادته واعتقت وليدة لي فرحا به فكافاني الله بذلك ان
رفع عني العذاب في كل ليلة الاثنين لذلك فاذا ادركت رحمة الله
كافرا قطع عمره في عداوته واذايته بسبب فرحه بولادته فما ظنك
بمؤمن صرفه في محبته وبذله في دعوته جعلنا الله تعالى من مرافقيه
برحمته وما طلبته من الدعاء للمسلمين فيما اصيبوا به من
البلاء بان يفرج عنهم ما نزل بهم واشتد اليك اعراضهم عن ربهم فلا
ادري ما اقول لكن الخلق كلهم مشتركون في هذا البلاء فلا ينتفع من
احد منهم الرغبة والدعاء ولو انشرح الكلام له في ذلك لاعظم العزاء
مما دهينا به من فتور الدعاء وقد قال بعضهم انا من ان احرم الدعاء

اخوف منه من ان احرم الاجابة وممن لا استجابة له فنسع اما عاجلا واما
آجلا فنسأل الله تعالى اللطف في القضاء. وأما ما ذكرتم من
كلام سيدي عبد القادر في الذي يكثر في أخلاقه ما كثر لكم ولهم ومعنى قوله
الكبر الطبيعي أسهل من الكبر المكتسب لانه اقل ضررا واخف شرا من
الآخر لأن الكبر الطبيعي قد ينحو الى معنى التعزز المحمود الذي اشار اليه في
ابتداء الكلام لان صاحبه اذا عرف وجهته الى ذلك تمكن منه وقدر على تطلبه
فيكون كما وصف الله تعالى به الصحابة رضي الله عنهم في قوله تعالى اشداء
على الكفار رحماء بينهم وان لم يعرف وجهته الذي لم يؤثر فسادا كثيرا
بالنسبة الى ما يؤثره الآخر واقتصر الامر فيه على حد لا يتجاوزه ولا يتعدى
والكبر المكتسب ابلغ في الذم وابعد غورا في الشر لان صاحبه قبل تعاطيه
اسباب الكبر احقر شيء وارذله واقله فاذا وجد شيئا مما يتكبر به لم يقدر
احد ان يلحق الى رأسه لتثاقيل انفه في السماء واسته في الماء فلا تسأل
عن الفساد الذي يحدث بسبب تكبره وتجبره واعتبر ذلك بحال اخساء
الناس وارذالهم اذا اتولوا ولاية او تقلدوا احكاما من احكام من المتجبرين
والمتنصرين فانك تجد احوالهم في ولايتهم بخلاف احوال رؤساء الناس
من ذوي انساب السلاطين والكبراء من بيت قديم معا ولا يخشون من العار
والملامة لا يخافون من عار ولا نار وقد قالوا الشريف اذا تنسك تواضع
والدني اذا تنسك تكبر واعتبره ايضا بحال اغنياء الناس وفقرائهم
اذا استغنوا تجد بين الفريقين اختلاف الطباع فيهما وتباينا كثيرا وقد
قالوا اخذ الدنيا من يد من شبع ثم جاع ولا تأخذها من يد من جاع ثم شبع
وما اشرتم اليه من ارتفاع الخلاف في مسألة الغني الشاكر والفقير
الصابر وعدم تفضيل احدهما على الآخر بالنظر الى التوجيه الذي ذكرتم وتشبيهكم
بين الفقر والغنى بما ذكرتم معهما من المنع والعطاء والشدة والرخاء
في كون كل واحد منهما لا ينبغي ان يشتغل بهما كل من اقيم فيهما حكمة
منكم اصابتكم فيه غفلة لان الفقر والغنى الذي وقع الخلاف في افضلية

الفقير و الغني

احد منهما على الاخر امران يمكن الكتساب بهما وتظهر العبرة في اختيار واحد منهما على
حسب ما تقتضيه الشهرة والظن بقوة وكون العبرة عربية في بحر التوحيد
والجمع لا بد منه في هذا التكلم المذكور فيستغنيه بغناء الخلاف فيه فمع
هذا النظر بخلاف المنع والعطاء والسيولة والرخاء فلا العبد الا مدخل
له في شيء من ذلك ولا طريق له الى حجة ولا الى الكتساب به فهذا هو تشتت
عند الاحوال ولا يؤثر فيهما تفاوتا ولا تباينا فلا كلام ولا بحث القوم
كلهم ليس هذا الذي قلت لكم فحسن والا فلا داعي للجوار ولا اجابة اذا اشتد سوا
وما ذكرته من المنشور الشكر ورؤيا الرجلين الصالحين اللذين ذكرتهم فالله
تعالى يصدق ذلك وييسر اسبابه الظاهرة والباطنة لان التنقل
من حال الى حال مما تشتد به النفس وتغير بسببه الانشراح والانس
ولكن جبلتي تنبني على ذلك بتغييرات وتعلقات من وجه تعقل معتبرات
ومن وجه تعقل غير معتبرات وبالجملة فانا منكم فيه استولى على
الضعف في القلب والبدن والوقوف على ما تعلمه من الكلمات والفتن
والمغاصير التي يرون فيها الانسان في هذا الامر بغير مفهوم تنا لا يدري اين يتوجه
ولا ما ذا يفعل فلا راحة يجدها في الحال ولا راحة يقدرها في الانتقال.
فقلبه مقلق وشمله مصدع حتى يبلغ الكتاب اجله ويرى كل واحد
منا ما قدر له هذا حالي في الجملة واما التفصيل والتعريف فيه
تطويل واما فلا نقص كنت ذكرته في الكتاب الطويل الذي بعثت به
الشيخ فبيل هذا ودعوت له فيه بتمام الراحة والعود الى الوطن محفوفا
بالراحة والسلامة ودعوت فيه ايضا لمن قام بامره وعلى الله في شرفه
ويسره وذلك لما وجدت عليه من الشفقة على ما الاعلانه من الحرض في
بلاد الغربة وقلت لكن فيه لا اسلم له فيما احرزته به نفسه من الحبوس
الذي كل ذلك شفقة عليه وطلبا للمصلحة التي الا انه يقيني من حال له
شيء لم يعجبني وثقل علي مع ذلك لما تعلم من حالي فلما وقع منه
تشوف الى ان اسال عن حاله حسبما قلتم في كتابكم اغتنمت هذا وجرى

في غير عقل دخول العقل الاوربي البريتنية او البرنساوية فيما ما لا ينكر
لا انتساب له في هذا

م
على

م
منه

فيصلح للتنبيه له كلما ذكرتم في ما تقدم من كتابكم انه جاء الى سيدنا الكريم برسم
كذا او شيء فيفعل بكذا او كذا احسن يشتت حاله ويفقر واهله وولده
ويركب البحر ويقتحم الاخطار ولو قعد في مركبه وتشاغل بنفسه والنظر
الى ما تعلق به ويشفق عليهم بكسب يزيده وهمة يزيده ولم يتعرض للناس
ولم يتظاهر لهم بالكلب والحرص وهو يرفع نفسه من ذلك في بلاد امر به
غني عنهما وكفاية منهما ولا سيما في هذا الوقت المسكين الذي لا تقل الا خير
فيه عنه ولا ينقلب مما يأمله الا صفر اليدين لكان اجمل به وابلغ في
الوصول الى مطلبه فالقناعة مال لا ينفد وفي الحديث استغنوا
عن الناس ولو بشوص السواك وخرج مسلم من حديث عوف بن مالك
الاشجعي رضي الله عنه انه بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جماعة
وذكر حديثا طويلا واسر كلمة خفيفة ولا تسألوا الناس شيئا فلقد رايت
بعض اولئك النفر يسقط سوط احدهم فلا يسأل احدا يناوله اياه
وقد كان بعضهم يسأل منه ان يسأل فلا يسأل ويعطى فلا يقبل يروى
ان سالم بن عبد الله دخل البيت الحرام فلقي فيه هشام بن عبد الملك
فقال له هشام سل حاجتك فقال اني اكره ان اسأل في بيت الله غير الله
وفي كتاب ابي داود المسائل كدوح يكدح بها الرجل وجهه فمن شاء ابقى
على وجهه ومن شاء ترك الا ان يسأل الرجل ذا سلطان او في امر لا يجد منه
بدا ولقد صدق الذي يقول *

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله * عوضا ولو نال الغنى بسؤال

ورئي بعضهم في يوم قر وهو يرتعد من البرد فسئل عن ذلك فقال

فقطع الليالي مع الايام في خلق * والنوم تحت رواق الهم والقلق
اولى واجدر بي من ان يقال غدا * كيف التمست الغنى من كف مختلق
قالوا قنعت بذا قلت القنوع غنى * ليس الغنى كثرة الاموال والورق
رضيت بالله في عسري وفي يسري * فلست اسلك الا واضح الطرق

فهذا ما اردت ان انبهكم عليه وما ذكرته فان كنت في ذلك مصيبا

فالحمد لله وان كنت منكمشا فيه فانا استغفر الله ولولا ما الزمتني بذلك لما
حكيتموه التي عنه لم اذكر لكم من ذلك كله شيئا أيسر المقصود ووقت يمضي
ولعبة تنقضي ومن ورائهما البعث والحساب والثواب والعقاب والله
تعالى المسئول ان يصلح احوالنا وينور بصائرنا وان يلهمنا رشد انفسنا
بمنه وكرمه

اما بعد فقد بلغني كتابكم وتعرفت منه امورا لا بد
في الكلام عليها على حسب العادة منها انكم قلتم عما كان اصابكم
من الغيظ من قبل ذلك الكلام الذي صدر منكم بقولكم فذكرته لكم لتخبروني
بالسبب بعد كنت علمت ذلك ولم اتغافل عن التنصيص عليه الا اني
رايت ذلك الكلام الطويل الذي يقتضي تتبعه فاكتفيت بذلك وقولكم
ان اخبار كان على جهة انه لم ارض ذلك الكلام منكم ولم استحسنه
واعتقدت فيكم انكم قلتموه عن عمد فلم اتوهم انه وقع منكم شيء من
ذلك حتى تحتاجوا الى تبرئة انفسكم منه في كتابكم بقولكم حاشى
وكلا كيف ولو قلت لكم الملح بالخال لاعتقدت فيكم انكم تقولون هذا
من الاسم الخال فضلا عن ان تنسبوا الي ما ذكرتم من التضييع واني مقبل
على اللغاء واني مختال وقولكم وما نبصر الا لنتفرج فانا فقد خرجت
من ابن كثير ولا يخلصني ان تعرفوا القول لكم الا انه كمثلي من كلامكم اسفي
حرفت من ابن كثير حتى قلت يا ليتني لم يصدر شيء مما صدر ولم يمنعني
من ذلك ما وقع منكم وانما منعني منه ان التكلم على الاحاديث والاخبار
لا يؤمن فيه من الخطإ والعثار لا سيما من حيثية ذلك المقصد الذي
قصدناه لا بد القوم لانه يستدعي تطويلا زائدا على المقدار وتأويلا
لا يتجاسر على ذكر مثله اليوم الا من يتزيا بالاغمار ولك ان تضبط
هذا اللفظ بفتح الباء وكسر الذال ونعني به المجنون او الاحمق او بضم
الباء وفتح الذال ونعني به المرجوم للكبر لا بالحق وماذا عسى ان يجري
الفارس الفرس الجواد فكيف من هو مثلي راكب على ابن زياد فرايت

Digitized by Google

ان ضراب عن ذلك اولى نعم وهو من جهة راحة النفس من تعب الكتب
في الكزبرا خلفي وابو زياد كنية الحمار اقتضى سببا فتحها في المعنى
المستعار القافية والمضمار والمعنى الذي استعير له ذلك هو النكر والعكس
والتصرف بعثور العثير ممن في حق الحمق من سرقه راك وفي حق من يلي حمار تاوه
فاعلم ذلك واما قولكم في الاستخلال منهم بهذا لم يخلكم فيما بني
قبل كتبكم فكيف بغيره نعم منه انكم استعملتم امر الغيبة وزاد كسم
استعملها الا لحقه ما كتبت به اليكم لقولكم فكيف ينبغي في ان استعمل منهم
بغير بيانكم في ما تضمنه كلامه من الدعاء الى اليه وكذا وكذا وكذا ثم قلتم
فان فعلت شيئا من ذلك اتهمت ان يباشر بكتبي حقيقة فان كنتم
تعتقدون انكم برءاء من تباعة ما وقع منكم من الغيبة بخلاء منكم من فسادكم
اعتقادكم لذلك بعيد وافيدكم في ذلك اللبيب لا انه معتبر في بعلة
الدين منحرف عن السبيل المستبين وان كنتم تعتقدون انما في رقبتكم
كصياح الغلام وانكم تعرضتم بسببها للعقاب والملام وانما وقع منكم
التساهل فيها بالقياس الى ما وقع منكم من ابن عثمان على القدر والجزع
بما اخر اله عليكم الواحد المقتدر فقد تسلمون بهذا الاعتقاد وتستوجب
لكم تباعة فطلا منكم في المعاد لا يبشركم ان لا تعلقوا قلبكم بسلامة
ولا استيعاب ولا يكون لكم نفس تبذلون عنهما باسترجاع ما تعرضتم له
من العقاب ولهذا الشيء شركاء اخر وهو ان تعتقدوا في انفسكم كونكم على
مقرر الحال فيكون هذا الاعتقاد عليكم زيادة في الوبال والنكال ويخاف
عليكم من الدعوى التي هي اعظم البلوى فان شاهدتم سلامتكم من هذا
الاعتقاد الاخر وسكنتم الى ذلك الشهود الكاذب فقد نسيتم في الوجل
والكبر بعد ما اشرتم على التخلص من الهلاك المبين وان لم تسكنوا اليه
ولم تعولوا عليه بل كنتم بين الرجاء والخوف وشاهدتم الكلف في عين
العنف فقد سلمتم من حيث لا تشعرون وتخلصتم من تباعات ما انا تورون ما
تدرون وفوقه وشاهدتم الكلف في عين العنف هو بيت القصيد لانه اشار له

تبيينكم خ

Digitized by Google

الى الحال التي بعدها تكمل عبوديته العبد فان صاحب هذا الحال لا يسمع باذنه
ولا ينظر ببصره ولا يتكلم بلسانه ولا يبطش بيده ولا يمشي برجليه
بل ولا يعقل بقلبه فلما ان يحبس فهيدا في مارستان او يجلس على
منعطفات اهل العرفان وكلتا الحالتين لا تستوي فيهما الاكوان هيهات ولا
حتى تشبر لان صاحبهما منسلم من قرة العين ونحو هيبة في معنى قوله تعالى
في موسى عليه السلام وقتلت نفسا فنجيناك من الغم فلا رأينا المعيشة
الجمع حتى زال عنك ما داخله من الغم وهذا كله كلام سمح به الخاطر
الذي ليس بعاطر فخذوا انتم منه الفائدة ودعوا صاحبه لا يحظى منها بشروى
ولا عائدة نحن نعلمكم بالكلام والله يتولى السرائر ومازلتم تقولون
عن فلان وفلان وقد علمتم ان التقليد المسكين يقول صاحبه اني واعوذ اعمكم
من ذلك لان المقلد بمنزلة الاعمى الذي تجاذب عصاه اثنين وموضع كونه
اعمى البصر اعمى القلب لا يمكن ان حاله قبله يتبع وبه يقتدي والغالب في
هذه الازمنة الفاسدة ان لا تقع عصاه الا في يد اعمى مثله فلما ان يقعا
جميعا في وحل او بئر في يا ربي فتدخل اعاذنا الله تعالى من مثل هذه
الحالة واما الكتاب الذي اردتم ان تكتبوا له ثم اخذتم تتم عن ذلك
من شراده العقل لانه لا يفهم بل لا يدري الا هذرا ليس عنده خبر لانكم
تطلعون فيه وتضحكون وتقولون فيه ما تعتقدون وقد لا تصيبون وتغلطون
ولو كتبتم له بهذا النص لكان اقرب الى اصابة الغرض والتشفي مما
على قلبكم من جهته من المرض فتقولون من فلان الى فلان اما بعد فقد بلغني
انكم لم تقرءوا الكتاب الذي بعثت به فلان واقرءا ان اكتب فيه اليكم وقد عز
علي ما فعلتم من ذلك لاني اعتقد انه لا يكتب لاحد الا بنصيحة ينفعها
اليه وكم من كتاب كتب فيه الذي زال عني بسببه شبه واشكالات في عقائد
واعمال والكتاب الذي وجه الي وطلب مني ان اكتب اليكم بنسخة فيه وان
كان متضمنا لخشن الكلام ولاكنه لا يخلوا من فائدة ونصيحة لا ينبغي
ان يلغى ولا يهمل لقد عز علي ردكم له واكثر منه ولو رد ثم كتاب على

كلام يعتبر في تفسير قوله

مـ لع

مـ الشي

لكان افعل علي من ردكم للكتاب به لان له منزلة بقلبي لا يبلغها غيره فلذلك
تجاسرت على الكتب به اليكم ولو انكم كتبتم الي بمثله وامرتموني ان اوجهه
به اليه لبادرت الى ذالك ولو احتشمت منه فما الذي يمنعكم من قراءة كتاب
فلان مع انه لم يبلغني عنه الا محبة الخير لكم وتلك اذ ذكرتم وهلا نزلت
قراءته بمنزلة تاشمسمت لاني اعتقد انكم تزورون في بعض الاوقات التي تجلسوا
فيها ناسكم وتتفرغون من شغلكم او تسمعون فيه بذكر ما يجري بين القبائل
من المغارم والحروب وغير ذالك فلا اقل من ان يجعل قراءة كتابه بمنزلة
ذالك لغرضي ذالك علي كثيرا فان قلتم انه جاء عنكم بقية سيدنا
الحاج ابن عثمان رحمه الله تعالى وتبع به فان الله عليم لا يجهل ومن الذي
يخفى عليكم بقية سيدي الحاج حتى ينفق منه عليها وقد كتبتم من اجله قبل
وفات سيدي الحاج وبعده مع علمكم بانه لم ينبغ لكم بعده اتباع غيره بل
كان في الكثير احواله امة وحده ثم من لكم اليوم بمثل سيدي الحاج او من يتبعه
حذو النعل بالنعل في هذه الازمنة الفاسدة لو تشبثتم بالفتيلة لم
تجدوه فينبغي ان يعطى لكل زمان حقه ولا تحملوا الغنم حمل الجمل وان كان
لكم ان ذالك الكتاب انما بعثه عليه باعث الهوى فلذلك لم ينبغ لكم
ان تقرءوا كتابه فان الرجل اعرف فيه انصافا اذ يفعل ذالك معي في كتب
كثيرة يعلمني فيها بعلم او يامرني فيها بامر واجده يتحرى في ذالك غاية
التحري ويحتاط غاية الاحتياط ويقول لي هذا ما فهمت وان كرهت انت لنفسك
وانا فاهم في نفسي وتطلبني في فهمي او ما معنى هذا يفعل هذا معي في كثير من
المسائل وان شئت ان تطلع على ذالك فالمطالعة والانصاف في ابناء
اليوم محال الكمال وان الرجال المهذب ولو كلمت اليوم وجزاه الله الاعتزال
فهذا ما عرض لي اما قوله لكم تقرءوا ما جاء في فلان وانكر بشيء بذالك الكلام
ولكم الاجر في تصحيح ما كتبته لكم وتجاوزوا عما عليه والله تعالى يرزقكم على
ارشد الامور والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته فهذا كله مع
الاسف ان تكتبوا به اليه ان ذالك لا يكن ما صدر منه وقد عزم ان لم اباليه

تاشماشت

ثم الفضل

وان

ولم اعتبا به وتقول العامة كل شيء يعود الا الغزال المعقور وانما كان
يعز علي ما ذكرتم من حال فلان لاني كنت ربيت عندي كصبغة في الكتاب
الاول الذي كنت كتبته له اول مرة وعمرت عندي حانوتا حتى حملة ذلك
على ان وعدني بمن عمر رايته فتيتي وسالت عليه لحبتي وقد ان شاء
يخبركم به اخبرهن قلت امراة تشترى فلان انا يذكر له ذلك فيه دل على ان
نوال بمقاله او لا يذكر له ذلك فيه ويفهم ذلك بلسان حاله
ولسان الحال افصح من لسان المقال فمن كلمه ان يكمل اعتقادي فيه
وسقطت من عيني وان لم يكمل اعتقادي ولا استمكني ذلك من عينيه بل
كانت لي عندي حالة ليس بها باس فبقينا شيئا لا نسقط في راس الذي وكانا
تمسك باشياء الكلفة انا من يدي وتمسكت انا بشيء من الكلفة من
يده او لم يفتد اليه ولم يعتذر عليه وعلى كلا التقديرين فلا ينبغي ان يكمل
اعتقاده او لا يكمل الا بعد له انجاز موعد ولا ابلاغ مقصد ومن هو قليل
السعر ما عندي ما يعمل ومن كان منه مزاح معكم ومعه اذا قرا عليه
وتم ثم هو اعرف بالسيد والاتيان اليه حسبما اعرض عنه لما وقع عندكم من
التخليط وقاع بينكم من البليط حتى ان يكن اذى الرجل فيما لا يعنيه
بما حكيتموه عن فلان اذ نسب اليه امر لا يتحقق ولا يستشير ولا ينكر
على المزاح بمثل هذه الاشياء فان ذلك من عادتي التي نعود بها معكم وما
العادة صعب ومن اتبعها فيما يجوز ويستحسن ليس عليه عتب والا فهذه
الاحوال التي نقلت عنه وعن غيره او بمكرا تصدر من التقلب والتلون والتخليط
والسقوط من العين وعدم انجاز الموعد وتعويق المطالب لو لم تقع في الوجود
ولا كان لا وللايت القوم على التقليد جمود بل كان لهم في جهتي اعتقاد حسن
وحال فيستحسن فانه يكون احب الي مما قاله عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
لنافع مولاه لو حفظت عني كما تحفظ عكرمة عن ابن عباس لكان احب الي
من ان يكون لي ذو زمم زايف فقيل له افلا جعلته حبرا فقال مكروا كان في نفسي
ويكون ايضا احب الي مما قاله عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لرجل دخل

عليه وعنده بنون ثلاثة كأمثال الدنانير فجعل ينكتهم اليه فيقبل له عبد الله
فقال كأنك تغبطني بهم فقال له ومثلي يغبط الرجل الا بمثل هؤلاء فرفع
عبد الله رأسه الى سقف بيت له فيه فرخ عش فيه خطاف فقال الا اكون
نفضت يدي من تراب قبورهم احب الي من ان يقع بيض هذه الخطاف فينكسر
وبينما هو يتوقاه في صفة له ويتمتع بفلان وفلانة امرأته اذ رآه منصب
وجهاء وله منهما ولد كأحسن الولدان فغشيه على رأسه عصفور ثم ذرق
ذاء بطنه فنكته بيده فقال الا يموت آل عبد الله ثم اتبعهم احب الي
من ان يموت هذا العصفور فاذا كانت احوالهم المتوافقة ومقاماتهم المرضية
ومعاملاتهم الحسنة هي بتلك المثابة على من الرحمة الزائدة وتكسر السيف
وفوت الكلام فان ما خالف هذه الاحوال منهم يكون على من تلك النسبة
فلا جرم لا ايج لهم قولا ولا فعلا ولا اعتابهم جدا ولا الين مزحا وهزلا
وهذا كله تفهم دونه عليه ان اردت من سلامتي من التباعات والآفات والله
يقول الحق الرفاله وثمات والله تعالى ولي العفو والمعافاة وامـــا
ما ذكرتم انه نسبت الى زيد او عمرو من اعتقاد افضلية موسى عليه السلام
على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فهو من الامور الشنيعة والاحوال
الفظيعة التي تشمئز القلوب عن سماع ذكرها وتشرئب الى تغطية عوارها
وسترها ولعل قائلها بريء من ذلك لم يصدر منه ولا يصح نقل الثقات او غير
الثقات عنه لان هذا مذهب ركيك يشبه الكفر او قل هو هو او قل مقولة
شرية فان اعتقاد مثل هذا موجب لمعتقده وجود النقيصة لنبينا صلى الله
عليه وسلم في امر من كلاهما هو منزه عنه احدهما ان يقع منه نوع تقصير في قيامه
بتلبيس حالته والثاني ان لا ينصح للامة في دعوته في تبليغ رسالته واذا
ادى هذا المذهب الى وقوع هذين المحذورين فكيف يلتفت اليه مؤمن
موحد مصدق بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانه يكرر على امانته
وتصريفه بالتكلم ويكون حينئذ هذا القائل ما قيل سابقا وجزاء وعلى ما في
ثم انه اذا طولب على صحة مذهبه بدليل صحيح او سقيم لا يجده وغايته انه

وسامتكم

بحيث

يحتج على ذلك بآيات مختلفة تحتمل التغيير او عامة تقبل التخصيص لا يحصل
في النير منهما اليقين لا سيما على ان موسى عليه السلام شريف المنزلة رفيع
المرتبة بحيث لا يلتفت في ذلك كثير من الانبياء والرسل عليهم الصلاة
والسلام ولو لم يكن في ذلك الا تكرار ذكره في القرآن وسوق قصصه واخباره
في مواضع كثيرة منه وقد احب شيخنا الذي مر ذكره الآن فيما اشعرا بافضليته
على محمد صلى الله عليه وسلم حاشى وكلا وليت صاحب مقال المذهب ان صح
عنه توقف على التفضيل بحيث لا يرجح احدهما على الآخر في كثير ولا قليل
ومع ذلك لا يسلم من الوقوع في الضلال والتضليل لما فيه من اطفاء
نور الله وتمزيق جلابيبه وكفران نعمه وما اشبه مقال النازلة لو بحث
بمنزلة رجل فقير يتطلب رفع منصبه فيما سلف كان يفضل عليا على
ابي بكر رضي الله عنهما الاكبر كان لا يصرح بذلك بل كان يعرض به كثيرا فاذا سمع
او ذكر عنده خبر من اخبار علي رضي الله عنه يظهر عليه من الهزة والسرور
والاستبشار ما لا مزيد عليه واذا سمع او ذكر له خبر من اخبار ابي بكر
رضي الله عنه لم ير عليه شيء من ذلك ولكنت اشم عليه رائحة البدعة وشبه
مقال المسألة بالتي ذكر فاما شبه صور والا فبينهما بون بعيد في المعنى
وما احتقر ما ذهب به فلا رحيق ذكرت له تلك القصة فقال نسال الله العافية
قبل ان تكسر المرء في هذا السعي وجملته اقرب اليه من شر الهوى تغليه ونسال
الله العافية في الدين والدنيا وان ضل انه ولي حميد فان قلت فما
قد منه ذكر من اداء هذا المذهب الى المحذور من المذكور من اضر محتمل الا بار فيه
لذلك بعضكم تتبعون ذلك بما ناشئا فيه تخرج به من التغليب الذي هو
عندكم من ثلج الصدر بعيد لا سيما في مقال المسألة التي يعظم فيها الخطر
ويكثر الضرر وقد كنت اظن ان الامر في ذلك لا يبلغ الى الفساد في الاعتقاد
ولم يتعرض لمقال المذهب احد بالعيب اذ لولا اعتقاده وبر اسراك حموي بجاز الواد
فاقول على مسارحك بتوفيق الله ومعونته اما المحذور الاول
من الغيرة للامة والتلبيس للجهالة ثم بذلك اي الصادقة التي نذكرها

فقول لازم عن هذا المذهب كمن وهم لأن النبي صلى الله عليه وسلم من لدن
بعثه الى ان استأثر الله به لم يزل يسمع على لسانه من الاخبار وما انزل عليه
من كلام الجبار ما يؤذن ظاهره باختصاصه بالمرتبة العليا والافضلية
على جميع الانبياء الشيء الكثير الذي لا يأخذه حصر ولا تقدير ووجود هذا
مقطوع به فلو كان هذا المذهب صحيحا لكان فيما صدر عنه مما ذكرنا غشا
للامة وتلبيسا عليهم لانه يكون حينئذ ابكم خلاف ما اظهر وستر ما كان
يجب ان يظهر وهذا مما لا ينسبه احد من العقلاء الفضلاء فضلا عن خيرة
الانبياء ثم انه اذا اطلع مطلع يوما ما على افضلية موسى عليه السلام
عليه ربما نسبه الى الحسد له والمنافسة عليه فيكون حينئذ من مقتضى
شفقته على امته ان يمنعهم من موضع هذه الفتنة بان يظهر امر موسى
عليه السلام ويشيع بينهم افضليته عليه وهو صلى الله عليه وسلم لم
يفعل شيئا من ذلك ولو كان لنقل ولو نقل لبلغنا كما بلغنا حديث الرجلين
الانصاريين اللذين جعل النبي صلى الله عليه وسلم موضع الفتنة من قلوبهما
وقال انها انها صفية وهذا حديث مشهور وليس ما نحن بسبيله باقل موقعا
من هذا ولا ما يؤول اليه هذا من المحذور باشد مما يؤول اليه ذلك وغاية ما
وقع منه صلى الله عليه وسلم قوله في قصة اليهودي الذي قال بحضرة رجل
من الانصار والذي اصطفى موسى على البشر ثم لطمه الانصاري وقال تقول
هذا ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا ثم رفع ذلك اليه فقال
لا تفضلوا بين الانبياء او لا تخيروني على موسى وهذا لا يدل على ثبوت
الافضلية لموسى عليه السلام والله تعالى اعلم بالحكمة في نهيه عن ذلك
هذا كله ان صدر منه كلام يقتضي ظاهره وجود الافضلية له صلى الله
عليه وسلم ويكون باطنه بخلاف ذلك **واما** ما صدر عنه من كلام
تكون فيه نصوصية على الافضلية فينضاف الى هذا المحذور فيه نسبة
وقوع الخلف في القول اليه في اخباره بذلك اما لمصلحة او لغير مصلحة
فيؤدي ذلك الى ان لا يوثق بقوله ولا ما يأتي به عن ربه من امر او نهي او خبر

Digitized by Google

لتجويز وقوع ذلك فيه وهذا أمر عظيم وليس لقائل أن يقول الرسل
يخبر بأفضليته ومرتبته وثبوت مزيته ثم يستجيب له أحد إلى آخر
الدهر لأنا نقول بعد تسليم أنه يجوز وقوع مثل هذا منه لأجل هذا الغرض
مع أنه ليس كذلك وحاشاه من ذلك المقتضي للاستجابة له واتباعه
وعدم أن للنبوءة مع ظهور المعجزة على يديه فقط وأما الإخبار بالمزية
والأفضلية والأكمل نبيه فلا مدخل له في ذلك وليت شعري الأنبياء
المتقدمون عليهم الصلاة والسلام ما عدا موسى عليه السلام على
مذهب الخصم لما أخبروا أممهم بأن محمدا نبينا صلى الله عليه وسلم
وأفضليته عليهم هل أثر ذلك في صدق من لم يتبعهم من أممهم وعدم
اتباعهم ومعلوم أنه لم يؤثر ذلك في صدق إذ لو أثر في ذلك ما أخبروهم
به وأخبارهم بشأنه معلوم على القطع وأي فرق بين أخبار النبي
صلى الله عليه وسلم بأفضلية من يأتي بعده وأخباره بأفضلية من
تقدم قبله فلما لم يؤثر أخبار السابق في الزمان بأفضلية اللاحق فيه في عدم
اتباع ولا الاستجابة لم يؤثر أخبار اللاحق بأفضلية السابق في ذلك بل التأثير
في أخبار السابق بأفضلية اللاحق لو تصور لكان أشد لأن في حجة المدعو
أن يقول إنك أيها النبي ومن قبله أخبر ثبت أن نبيا أفضل منه يأتي بعده فدعني
أبقى على حالي فلعلي ألحقه وأتبعه ولا حاجة في أن أراك أتبعك مع أنه ثم من
هو أفضل منك وإذا أخبر اللاحق بأفضلية السابق أي شيء يقول المدعو
فيلحقه المثال الذي يتبعه شاء أم أبى إذ لا مطمع له في لقاء من تقدم وفاته
فثبت بما ذكرناه أنه لا يصح لقائل أن يقول هذا القول بل نزيد ونقول الذي
يناسب أخبار النبي بأفضليته الاتباع والاستجابة له لأن أهل الرياسة من
أممه لا ينسبونه إلى التكبر والترؤس عليهم فلا تسمح نفوسهم لما هم
فيه من التكبر وشموخ الأنف أن ينقادوا والذي يشاركهم في الرياسة والتكبر
وعدم أخبار النبي بأفضليته أو وجود أخباره بأفضلية غيره عليه هو الذي
يناسب اتباعه والاستجابة له لأنه لا ينسب في ذلك إلى التواضع والإنصاف

ومعرفة القدر لزوال الاقدار ابت تقرا امثال الرياسة من قريش انما كفر من كفر
منهم بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وحسدا له من حسد له منهم بمجرد سماعهم
لقوله انا رسول الله اليكم حتى قال ابو جهل تنازعنا نحن وبنو هاشم الشرف
اطعموا واطعمنا وكذا وكذا حتى كنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه
فمن اين لنا هذا وقالوا كيف يكون يتيم ابي طالب رسول الله لولا نزل
هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ثم رموه بالعيوب ونسبوا اليه
انواعا من النقائص والآفات فقالوا شاعر وساحر ومجنون ومفتر كذاب
ذالك نفس ما بصرتهم لا النور وحيه صلى الله عليه وقد كان يعترفهم قبل ان
يدعي مقام الدعوة ويقول مقالة المتعالية صدوقا مقدما امينا معظما
فما كان لو قال لهم انا سيد ولد آدم او انا خيرة الانبياء والرسل
او ما اشبه هذا فلو وجد الرسول صلى الله عليه وسلم الى دعوتهم سبيلا
من غير ان يقول لهم انا رسول الله اليكم ما قال ذالك ولا فاه به ولا كان لا سبيل
لعلى ذالك ولما قال له ذالك الغلام الذي قدم اليه العنب في الطبق انا من اهل
نينوى قال له صلى الله عليه وسلم قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال
له الغلام وما علمك بيونس بن متى فقال له صلى الله عليه وسلم هو اخي انا
نبي وهو نبي ولم يزد له على ذالك وهذا كان شانه في ابتداء الاسلام والله
اعلم اعني الاقتصار على الدعوة والاخبار بالرسالة فقط فلما تمكن
الاسلام واستحكم امره بين الناس وظهر دينه على جميع الاديان صدع بما
امر به من الاخبار بمنح الرحمن ومواهب المنان ولم يحفل في ذالك بمن
برز وبعد ولم يبال بمن قام وقعد واما بنعمة ربك فحدث. فهذا احد
الكلام على احد الوجهين المحذورين واما المحذور الآخر وهو كونه
صلى الله عليه وسلم لم يتمحض في دعوته وتبليغ رسالته فهو لازم من هذا
المذهب السخيف لان فيه حاله ومشافهته ومناصبته الحروب ومكابدته بالمكايد
وبذل جهده في المعاداة والمباعدة والمضادة والمعاندة اليهود لاسيما
الرؤساء منهم ككعب بن الاشرف وابن ابي الحقيق وحيي بن اخطب وغيرهم

Digitized by Google

ولو كان هذا المذهب صحيحا لم يبلغ بيسير ان من هذا المبلغ بل زيادة
اذ عقلوا له وءامنوا به واستجابوا لدعوته لان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يكره ان يشق عليهم ويزيل نفورهم وانقبضهم بما ذكره لهم من افضلية
موسى عليه السلام عليه لان ذلك يقع منهم موقعا عظيما وينسبونه
في ذلك الى [illegible] نصحا لما يسمعونه منه من اثر فرار وانهزام ومعلوم
من حال النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يتلطف في الدعوة ويستالف
القلوب النافرة بكل ما يمكنه مما له ان يفعله حتى لا يبالي في جنب ذلك
بفوات حظوظ كثيرة التي لا ينقصه تبليغها من مرتبته الا مقدار حبة خردل وبلغ
حرصه صلعم على هداهم مبلغ العلالة والسماحة بالتيسير قال الله عز وجل
لعلك باخع نفسك الا يكونوا مومنين فلا تذهب نفسك وقال عز من قائل
فلعلك باخع نفسك على اثارهم الاية الى غير ذلك من الايات وكان يبذل
لهم الاموال ويعاملهم بالحسنى من المقال والفعال فاذا كان حاله في
الاستيلاف ما ذكرناه كيف يكره ان يدخل على اهل دعوته بكلمة ما اخذ بمجامع
قلبه ويعلق بها من غير به ومعلوم ان شيئا من ذلك لم يقع له صلى الله عليه
وسلم بل تركهم يتلكئون ضرورتهم من الكفر والحسد وتتعقب قلوبهم من الاسف
والكمد ولم تدركه عليه الصلاة والسلام بسبب ذلك عليهم رحمة
ولا كشف عنهم بكلمة توافقهم وهم صنو بما عنده محنة بل واجههم بالقبيح
والتقبيح وقال لهم يا اخوة القردة والخنازير ثم بعد ذلك حكم فيهم
بالسيوف وجرعهم كئوس الحتوف وقد كان صلى الله عليه وسلم يحب
موافقة اهل الكتاب فيما لم ينزل عليه فيه وحي وليس ذلك الا لما ذكرناه
من الاستيلاف والمناظر ابدا اذا وافق خصمه على شيء من مذهبه وقد
قال به لم يتباعد عنه كل التباعد وامكنه ان يستميله بذلك الى ان يقول
بقوله ويتبعه في رايه ويشبه مسالة المناظر وان كان من حق الادب ان لا
تذكر في هذا الموضع بمجرد هذا الاعتذار انه مسيلمة الكذاب لم يمكنه ان يدعي
الاستقلال بالنبوة في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شرك نفسه

بعض

خ بالتقبيح

خ

معه واحتج لدعواه بكلمة قالها النبي صلى الله عليه وسلم في جميعه اذ كان
قد وقف عليه في جملة من وقف عليه من قومه وانما قصد بذلك ان يستخرج الذي
ضلاله من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم واتبع دينه والنبي صلى الله عليه
وسلم لم يفعل شيئا من ذلك بل لم يزل صلى الله عليه وسلم مادحا
بخصوصيته ومخبرا بفضيلته بما شاء من شاء واين من اين هكذا ويقول انا
سيد ولد آدم وانا سيد الناس يوم آدم ومن دونه تحت لوائي ولو كان موسى
وعيسى حيين ما وسعهما الا اتباعي ورحم الله اخي فلانا ورحم الله اخي
فلانا ورحم الله اخي فلانا واعطيت خمسا او ستا او سبعا وكم من هذا
وكم ولو لم يرد عنه في ذلك الا حديث الشفاعة الطويل لكان في ذلك
ما يشفي الغليل فلا جرم تلجلجت باخبار بذلك صدور المومنين ووافق
على الشهادة له بذلك بصائر العارفين لانهم لما خصوا به من الشهود
والاطلاع على اسرار الوجود علموا ان محمدا صلى الله عليه وسلم هو لباب
اللباب وان نسبته من الله تعالى اقرب الانساب فسلكوا بذلك الصراط
المستقيم ولم يحتاجوا الى تطلب حديث صحيح ولا سقيم كما احتاج اليه
القوم حسبما اخبرتم به

وليس يصح في الاذهان شيء * اذا احتاج النهار الى دليل

فهذا ما اردت ان اذكره لكم في شأن علم من تمذهب بهذا المذهب الذي
ولعل صاحبنا من ذلك بريء وانما طولت الكلام في هذه المسألة وان كان
من حقها ان يسلك فيها مسلك المتاركة في الامور المشكلة وان يقنع
كل من هو ازاء ذلك من مذهبه من عقوبته واذ يجعل ما هو اللائق به لا يرتفع
معي عادة في كثير من الكتب اتقنت في العبارات الكثيرة وان ذكر الكلام
الطويل في الحاجة القصيرة فاقبلوا في ذلك العذر واسألوا الله تعالى
لي العفو والغفر **واما** الوسوسة التي ذكرتم انها تصيبكم في جانب
الربوبية فلا ادري من اين تجيئكم الوسوسة في ذلك لان الوسوسة
انما تعتري اصحاب الرسوخ الذين لهم بين انفسهم عقول وفهوم ولا جرم

الكلام على الوسواس

يجدون

يجرون الوسوسة المتنوعة والهجنسة لانهم لا يفارقون الترسم والتشبيه والتمثيل
واما اصحاب الحقايق واهل السلوك الحقيقي فلا يصيبهم شيء من ذلك لانهم
في نظرهم اشباح خاوية لا ينفعهم ولا يضرهم بما يعنيهم منه من الامر ولا يسرون
ان ما ازداد منهم ويهم اثر تنزل الامر وليس ذلك الا ان العقول لهم في والعجز سالم
الصحيح فلا يلحقهم حزن ولا وسواس ولا يصيبهم شك ولا التباس وما
ذكرتم في مسئلة ان ولده وانكم تشكون منهم في كونهم لم يشوفوا لكم
شيئا وانكم لا تطلبون منهم وانا في ظني ان لم يزايلكم لاجل ذلك
فذلك دليل منكم على ضعف كثير واستيلاء خور وجبن ثم ظهر لي منكم في
كلامكم انواع من الجهالات لم تبالوا بكم منها كونكم جعلتم عليه ان لا تطلبوا
منهم شيئا وليس من الجهل بقليل بما لكم على ما انتم عليه من الضعف
وقولكم من اجل ارجع الطلب لتشكروا فيهم اي جهالة ايضا فان ظنهم
لا يشكر بالطلب وانما يشكر بالنعمة بالله عز وجل وسواء طلبت او لم
تطلب وقولكم ومن انتم للاطلب فانه فيه رزق لا بد ان يصل الى جهالة
ايضا مثل الاولى وقولكم يتغلب من الحالة تعلق لا تمدني ظني انها فيه
جهالة ايضا لان غلبة من الحالة لا تكون الا بوارد قوي يستوفي العبد
والوارد لا يكون له ظني انا ولعلكم تعنون بتلك الغلبة انه يحكم لكم
ذلك فتعملون عليه وتتكلفونه ولذلك لا يشكر بعد ان ظني انا لانه
ليس لكم بحال وكذلك شكواكم انكم تشكون اليه جهالة ايضا الا اذا
كانت على كلام المشارين فيتعين ان يحملكم على ذلك باعث قلبي من اوله
منزل العلوم وتراد منها على الخاطر فيعيد القلب سرورا ويكسوه نورا فلا
يكون حينئذ فيه مساغ للشكوى لانه يشاهد انما من ما يصيبه من النعمة
والكلمة وقولكم فان الحالة التي اودى الطلب منهم والاجتهاد فيه مع
السكوت عن التشكي او السكوت مع التشكي جهالة ايضا وان اشكال
في مثل ما انتم تسئلون عن الاولوية فيه في حالتين الحالة التي ولا خير في كل واحدة منهما
والوجه ان تطلب اتباعا للسنة وبرا زائدا من الرحمن في ترك الطلب

وتشكيت من الشكوى اما لانها لا تفيد واما لانها تشغلكم لا قرار في
الجيب وفقنا الله وإياكم وقد يحصل نفع الشكوى في بعض الاوقات المجاهدة حتى
اسكن من التشكي فليس هذا من مواضع المجاهدة في شيء والمجاهدة
انما تكون محمودة اذا اثارت النفس بشهواتها وعاداتها وابتغاء بعد فيما العبد
بما يجب عليه من احكام الشريعة والحقيقة فان رمت في جميع ذلك ما لا
تملك تشغيرا او رمت في ابعاد الذي ذكرتم فانت حيلة وفقنا الله وإياكم ويتبين
لي في خاطري صحيح انه نصيح فان كان تبين لكم فيحتمل من الوجوه التي اشرت
لكم اليها بقدر ما يهتم الى الصواب والا فلا ادري ذلك وفقنا الله وإياكم فاحمد
واستخيروا واخرج نفسك جملة ايضا ولا يكن لاحد مذهب عامة الناس
وقد اشرت لكم الى ذلك في مواضع من كتب وفقنا الله وإياكم مع انه اقوال جميع
هذه الجمل التي اشار بها لو كان معنا قبلا لكنت كذا وكذا من اعظم
الجمل التي ارايت لو عاد قبل ذلك ما الذي كنت تصنع بما كنت صانعا
اذ ذاك فاصنعه الان واهل الله لو كان عندك حاضرا وقابلته وقابلك
لم تكمع عنه ان يذكر لك شيئا وعسى ما يرسمه لك في الكتاب ولا اكثر
تحقيقا وتدقيقا منه ولكن ان تقول الحضور معه زاهد لا يتصور وجدانه
في حال المغيب وهذا ذلك من شان المحب مع الحبيب **ولما اتيت** ما
تقدم ورد علي كتاب منكم تخبروننا فيه بامور منها قصة ذلك الرجل
ويبغض لغيبه زيدا وعمرا وما الذي قاله له وقد وجدت في خاطري عليه كمن
بما نسب اليه الا ما ذكرتم عنه في هذا الكتاب من قوله ان الانبياء كلهم
ما يفضل بعضهم على بعض فان هذا اختلاف قد جهم عنه وهو ايضا فلان لا
ينبغي ان يلتفت اليه كيف والافضلية بينهم ثابتة بنص القرءان
وقوله لا انا ومنزلي واحد قد يكون ذلك الكلام صحيحا ولكنه لا يقتضي
نفي الافضلية وقوله لا يكن لا ينبغي له ان يقول الا انه افضل من الذي قبله
ليحصل المشيخة تعظيمه والذي يتبعونه كلام لا يشاء وسماعه وقد تقدمت
الاشارة الى وجه فساد ذلك ولا باس اذا وقعت المباحثة معه في هذا ان تلطفوا

تنويع

وذكر عادة

تنبيه

في الاطلاع على كلامه في ذلك اقامه من حقيقة بلال او غيره لان ما الذي يجب به
والاطلاع على الامور فيه راحة وهما تعرضت منه فما ذكرتم من سؤاله عن
تفسير الشيء في امتي اخفى من دبيب النمل وتفسيره هو بقول من حكاه عنه
الشرك فيمن انتم في وقلتم هذا تفسير لا يفهمه فان كان اشار به الى الحديث
المذكور وان تفسير الاشتغال به والتعليل له شرك اخفى من دبيب النمل
لثبوت الافضلية لغيره فهو تفسير منكر والا فلا ادري ما هو وانما المفهوم
في تفسيره كون الشرك في امتي اخفى من دبيب النمل انما هو من حيث غلو فقرائهم
ووجود انوارهم بخلاف غيرهم من الامم فان الشرك فيهم جلي او خفي الا انه
ليس باخفى من دبيب النمل ويكون ذلك الكلام مسوقا في معرض المدح لهذه
الامة لا لما يحتج به اكثر الناس ويسوقونه في معرض الذم وانما وجه هذا
النوع من الشرك فيهم وهم على هذه الحال لان انوار اوليائهم ينتهي الى صرف التوحيد
فليلزم ذلك هو الذي يوجب انتفاء وجود الشرك الجلي والخفي وما هو اخفى
من الخفي وهو من العقبات السنية التي لا ينبغي ان يسقط من فقر مقام عن رتبة
الخصوصية هذا هو الذي ينبغي ان يفهم في معنى الحديث وقد نبه بعض علماء
الصوفية على ان الحديث مسوق في معرض المدح ولاكن لم يحرر هذا التحرير الذي
قلناه **واما** ما سألتم عنه من كلام ابي يزيد وذكرتم عن بعض الرجلين
انهما سمعاه في الحلية فان ذلك الكلام لم اره في النسخة التي بيدي من
الحلية وينبغي ان ينقله عنه فيما لا انه اشتهر الا بذكر من كلامه الا انه
ليس ببعيد عن الفهم اذ قال في معناه هذا وهذا الكلام الذي حكيتم عنه لا ينبغي
ان يفهم على ظاهره بل لا بد من تأويل يليق به بان يقال انه عجب لمن عرفه كيف يرى
عبادته له لان المعرفة تبطل رؤيته ودعواه انيته واظنهما رأيا ذلك
الكلام او سمعاه في المجموع الذي الف من كلام ابي يزيد رضي الله عنه **واما**
ما سألتم عنه من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للصحابي عرفت
فالزم فمعناه والله اعلم وصلت الى عين اليقين الذي تنبني عليه اعمال
المتقين فالزم تلك الاعمال ودم عليها واعمل لها دأب عنه ولا انقطاع

الرقاد وراء ذلك حتى يكون الله تعالى هو الذي يتولى ذلك لك كما تولى لك ما
قبله وحينئذ يكمل لك مقام العبودية وتصل الى مقام الحرية
وقد بلغني منكم اربعة كتب الاول منها علاقة ما فيه مكرر
وقد تفرغ منا الكلام التكلم على ما احتيج الى التكلم عليه من فصوله الا انكم
لما اخذتم في تقرير بعض المسائل التي تكررت في غيره استغربت من سياقها فيها
امورا لم استغربها من الكلام المتقدم لكم منها الوصية التي وقع بها
ذلك الانتقاد ولذلك عند استيراد مرضه وتلك الوصية والنصيحة لم يجي
بها تاريخ بل هي من اعاجيب الزمان ونوادر الايام ومنها ما ذكرته فلان
من انه علق بقلبه شيء من تذبذب ذلك الرجل الذي كتبه بعد فلان وقع ومنها
جوابه له لما سأله مقارنة اشياء استحسنه اذ قال له كلام فلان يعلى
ابن عطاء وهذا مما لعله يوجب في حصول الفرح اذ استحسن كلامي وكذلك
ما ذكرتموه من جواب فلان لذلك الرجل لما سأله هل حصل عندكم او نسخ كتبتم
شيء من كتب القوم فقال له لا غير ان فلانا وضع كذا وكذا فينبغي لنا ان نقف
ان نفرح به لانه قد زكيناه في كتب القوم واستغنائه من جملتها ومنها
ما ترددتم فيه من معنى عرفت فالزم اذ قلتم ما عرفت ولا تبع او الزمه فقط
ولا ترجع من الفقير الى غيره هذا مضمون كلامكم وهذه الوجوه كلها ضعيفة
وما ذكرته لكم في جوابها قد يكون اضعف منها اذ انكم فيه محقون بضعف ولا يكن
بسادات الزمان وخلفاء الحكام من السلكان قواه وعضده لما شاء الله تعالى
وحكم ومنها ان فلانا لم يزل في شدة مرضه مشغولا بالذكر وانه لم يتهيأ له
عادته من قيام الليل مع تغير ما نالها عن ذلك وقد زاد في كلامكم هذا فيه
مباركة وتعريف منه ومن امور اخر اطلعت عليها من غير كتابكم ان يغنيه
وبين الله تعالى جانبا مرضيا محفوظا فالله تعالى يزيده من فضله وقد
بلغني اخوكم سلامه فعسى تبلغوه سلامي ومنها جوابكم على قولي
لذا انما وايا لكم يلدنا مما لكنا من القابرين اذ قلتم فيه اما انتم فبلغتموها
والحمد لله قد اتيكم من عشر كتبكم في وزوريتكم في بعيد الكمال

وعند المريض من كل عجيب كليلة . وكذلك قولكم في جواب قولي لا
جزى لنا وقع مني ومنكم اعتمادا على منزلة الاسباب افلا انتم بمنزلة من يحبس
نفسه في بيت المريض ولو انكشف الغطاء لا ادري ما الذي يكون عنده ايها الا تستشنعكم
مني ان انادي بالسيادة بخلاف ما جرت به العادة ولولا خشيتي مما
خاف به عمر رضي الله عنه على الذي سأله ان يأذن له ان يدعو بعد صلاة الصبح
فقال له اني اخاف ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا او كلاما معناه لبينت لك ذلك
ولا يدخل الجهل على غفلة وسل الصاحب الفقير عما اجتناه فلا حول ولا قوة
الا بالله وبمنزلة الخشية التي ذكرنا بعض مشروعية لا حقيقة لها وما كنت
لاكشف لكم ذلك واما الكتاب الثاني فحواه ان ما فعله الذي اخوكم وقد
تعرفت منه امورا بمقتضاه وصول ذلك الكتاب الطويل اليكم وقد كنت متشوقا
الى ذلك لانه كنت في بعث الرجال بعثه المولى الى رجل حين له رجل امر ان يوصله
ذلك الرجل الى شخص يرفعه ذلك الشخص اليكم في علمكم انه اذا كثرت
الوسائط في الاسناد فان ذلك يكون مكنة للقدح في صحة الحديث للمحدثين
وان المحدثين يحرصون على تقليل الوسائط ما امكنهم ومعنى كلامكم الذي
كتبت له وبلغ مني التعجب منه كل مبلغ وضحكت لما قرأته ضحكا لم املك
نفسي فيه ومعوسبوا الكن لقولكم ان يسر عليكم بالجلوس على منصات اهل
العرفان وقلت في نفسي لاي شيء اختار قبلا منزلة الحالة على الحالة الاخرى
مع تساويهما في المعنى المقصود الذي ذكرته له قبل ان ادريهما احببت نفسي
عنكم وخفت اذا عينت جوابا لا يكون مطابقا لما عندكم ثم قلت واي شيء
يكون في الوجود اذا عينت ما ليس بمقصود ولست باول من اخطأ ولا من غلط
وللامر كان ما اراد ذلكم في تعليمين ثم معهود ستعلم الكلم اشتغلتم الحصول في
المارستان وفرقتم بينه وبين الدخول الى البستان وقلتم اذا كان الامر
بالنسبة الى قدرة الله تعالى سواء فالاولى ان نطلب الحالة التي
فيها الراحة واللذة والمنفعة دون الاخرى ونعني بقولي والمنفعة ان
تنتفعون غيركم بالارشاد والهداية لانكم تتمكنون من ذلك في منزلة الحال

كان

قول الشيخ ... حتى تبلغ الثريا

الله تعالى

فيه

اغلظ

ايضا

له

فإن كان هذا تقصيركم فقد غفلتم أمرا أولا فلأجل سؤالكم مقام الأكابر
وهذا فيه ما فيه وثانيا أن هذا الذكر الذي ذكرتم إنما هو في عالم الحجاب
الذي يليق بنا فيه فلو قد ارتفع الحجاب لبطل هذا الذكر ولكنت تقول إذا أي
أي شيء عملت بنفسي فطلبت مريدا ورغبت إليه أن ينقلني من سفري إلى
حضرتي وهذه الحالة التي كنت عليها والحالة التي استحسنتها الآن سيان فيها
ذاقت في إرادة واختيار فلا زلنا نزال نعني إذا أنك رأيت قصرة في حضرتين
منقطعتين فلما كان أولى في الأول أشار إلى أحوال مترتبة من غير أن يكون للاختيار
مدخل في ذلك بل هذا كان أولى في أن الأسئلة أن يختار في شيئا الآن فهو مفروغ
منه فإن أردت اختيارا لحاصل قبل سؤالك الخيرة فالآن حينئذ قد أعطيت
الأدب حقه في عدم سؤال تحصيل ما هو حاصل وهذا الكلام كله وإن
كبرت حقيقته ليس له حاصل أيضا إلا أن معانيه كلها إنما تظهر في عالم الحجاب
ولأجل ضرورة التعبير حملت عليه لأن من هو في محل الشهود لا يتراءى له شيء
من التوهمات التي توجب له سيئات هذه الكلمات التي لا يعتقد حقيقتها
من له أدنى نصيب في العرفان والله المستعان ومعنى هذا الكلام
كله موافق لمعنى ذلك الكلام الذي تقدم في مقام حيرة كثرة الزيارة والعفو
ولكن اختلفت العبارات فيهما فإن شئت أن تسوق ذلك إلى معنى
أو تحمل هذا على معنى ذلك أو تدعهما جميعا في أماكنهما والبستانان
اللذان يقع التفرج والتنزه فيهما لا يقتضي حصول هذه المنفعة فيهما
كونهما متباعدين كما أن ذلك حاصل فيهما إذا تجاورا وتقاربا وأنا
في هذا الكلام كما قيل حمد الله وأثنى على نفسه وإن كان تقصيركم خلاف
ذلك فلا علم لي به وقد تقدم في كتابكم أنكم قرأتم على فلان ما كنت
أشرت عليكم أن تقرأوه عليه ولم تخبروني بما فهمتموه عنه حينئذ ولم
تشيروا إليه بكلمة ولم يكن ذلك بعادة لكم وذلك كان المقصود وما
مثلي في ذلك إلا مثل من أدلى دلوه في بئر ليخرج به ماء فيرى هل هو عذب
فيشرب به أو أجاج فيجتنبه وهو عطشان فبينما هو في هذا بدا له إخراجه

الله تعالى يختار له أمره

يعو

Digitized by Google

بعد ان عرف من الماء فلا يحتاج اليه وقد ياخذ الدلو بيده اذا انقطع
وسعتكم في البير يحتاج له حتى لتذهب قبل ان تعب واخر في استخراجه
او تكلف دلوا آخر يقوم مقامه وقد ينقطع عنقه من العكس فيثقل عليه
النزو ولا كن العجلة في الكتب مع شغل الخاطر تحملكم على مثل هذه الاشياء
لا سيما ان كانت الكتب لضوء السراج وقولكم وقد تبينت لي
هذه الجملات التي غمرت قلبي ان لا فلت حتى من اقتبس منكم ومن
علومكم فلا يزول عني ما بي من الوسواس ويفرقني من وجه ويبعدني من الناس
وان شيء يميل لكم الناس فيشتكي حتى يحب البعض منهم ولولا ما قصدتم من
مراعات التعظيم الذي في قولكم الوسواس والناس لكان الحق ان يكون ان تقولوا
التعبير بدلا من قولكم الناس لان الفساد كله انما يجيء من قبل هذه النفس
الامارة بالسوء وقولكم في مسئلة المزيد والجواب الذي جاء وتمر في
به قد كنت جاوتها به بنصه مع تاويلات آخر كلها راجعة الى المعنى
وقد منعني من ذكرها الا خشية كذا وكذا فلا تفعلوا ذلك معي ابدا بل اذكروا
في كل ما يعن لكم فلا يخفى صوابه من خطئه وان كان خطأ بينت خطأه وان
كان صوابا زادكم تنبيها ولا يمنعني كلامكم فيها من التكلم عليها والكلمة
تجر الكلام وسلوك هذا المسلك يتضمن تكثير الفوائد من غير شعور
منكم بذلك فانتم قد رتم الى استجلاب الفوائد من غير وقولكم وانما
منعني من ذكره ان مثلي لا ينبغي ان يمس كلام العارفين خشية حلول
المقت من رب العالمين فانا مع راس الحمار الذي يتجاسر على ذلك من غير
الكتاب فيحل به العقوبة التي تؤدي الى البعد والمقت وسمعنا بذلك اذ كنت
نصغي الى كلامه فتستحسنه وقد علمت ذلك حتى ان حيث لا تعلم
واما المسئلة التي وقع فيها النزاع بينكم وبين قرنكم فقولوا وانكم
قلتم لا شيء اشرف من مقام العبودية وقال هو انه مقام اخر اعلى منه
وقلتم انتم الحرية والعبودية مقام واحد وكل واحد منهما راجع الى الاخر
وقال هو انهما ليسا شيئا واحدا وقلتم انتم التسمية باسم عبد الله وقال هو

وفيها

التسمية باسم رسول او نبي انتهى وكلامنا هنا فيما يكمن في ذلك والذي
يكمن فيه انهما شيئان وان مقام الحرية اعلى وان كانت اشارات القوم
تدل على ان مرجعهما الى شيء واحد لان مقام العبودية لا يخلو من معرفة ما
ولو لم يكن في ذلك الا فائدة المقامات والاطلاع والكرامات ادنى
فائدة ولا يخرج ذلك عن مقام العبودية واما الحرية فيتفرع ذلك
فيها فلا يسمى حرا الا المتمحض في التجريد المتحقق في الجمع والتوحيد
الغريب الهمة فيما بين العبيد فلا مقام له ولا حال ولا محبة ولا اعتلال
ولا حل ولا ارتحال فمن امعن النظر في مقام الحرية اذ لم تبق عليه منه
بقية ولم يشتغل بشيء من الاثار الكونية الظلمانية ولا النورانية
ولا شك على من يقول التمحض في العبودية هو حقيقة الحرية ولعلها
العبودة التي يشير اليها القوم وانها ارفع من مقام العبودية كما قال ابن
الفارض رحمه الله

وكل مقام عن سلوك قطعته ... عبودية حققتها بعبودة

وامتاز فيما بين تسمية النبي صلى الله عليه وسلم باسم عبد انتهى وقوله
هو تسميته باسم نبي ورسول انتهى واستدل الشيخ انتهى على فضيلة هذا فلئن
واستدل هو على فضيلة كما قال وذلك كله والله اعلم فهو في النظر
والحق عندي في ذلك ان نرجع الى تسمية الله عز وجل له فنعتقد ان كل
ما سماه به من اسم او اسم كان في غاية الشرف والجلال الذي لا ينبغي ان يفضل
بعض الاسماء على بعض لان الموطن الذي ناسب ان يسميه باسم مخصوص
غير الموطن الذي ناسب ان يسميه فيه باسم اخر فكل اسم يقع في موطن
من المواطن لا شيء اشرف منه والمواطن التي تناسبها الاسماء والاسماء
التي تقتضيها المواطن ليس لنا علم بجملتها ولا تفصيلها وعلم ذلك
الى الله سبحانه فاذا اسمعنا قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده وقوله
الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب وقوله وانه لما قام عبد الله وقوله وما انزلنا
على عبدنا وما اشبه ذلك علمنا ان موطنا من المواطن اقتضى التسمية

نزلنا خ

فيه

بهذا الاسم لا يناسب ان يسمى منه نبيه، ولا رسول وكذلك اذا سمعنا قوله
تعالى يا ايها الرسول ويا ايها النبي، ويا ايها المزمل ويا ايها المدثر ويس على
قول والنجم على قول والفجر على قوله وما اشبه هذا علمنا منه ان هذه كلها من
المراتب اقتضت التسمية بهذه الاسماء اللائق ان يسمى فيها بغيرها والعبرة
بتسمية الله تعالى لا بتسمية غيره فاذا سمى الله تعالى من اختصه بخصوصية
باسم اي اسم كان فهو اشرف اسمائه فلا ينبغي على هذا ان يقال ان تسمية الله
تعالى نبيه يونس عليه السلام بنبي ورسول اشرف من تسميته اياه بذي النون
وصاحب الحوت ولا وصفه اياه بالفلاح والاجتباء، ووصف ءادم عليه
السلام بالاصطفاء والاجتباء والهداية باعلى رتبة من وصفه ءادم عليه
بصيغة العصيان ووصفه يونس عليه السلام بصفة الاباق وعلى ما نطق به
القرءان وقس هذا الاسم والوصف فيما اثبتناه لهما من الشرف والجلالة في
جميع ما يصدر عنهم من اقوال وافعال وحركات وسكنات لان الخصوصية تأبى
ان يكون صاحبها في مرتبة منحطة فارباب الخصوصيات كلهم في غاية الكمال
ونهاية العلو في المقامات وان احوال الانبياء احوال واذا كانوا احياء
كانوا مرضيين عنده واذا رضيهم اخذهم عنهم وسلبهم منهم فكانوا
اذ اذاك متصرفين في قبضة الله تعالى بتولي الله تعالى لهم ذلك فكانت احوالهم
كلها في غاية الكمال لا يجاز فيها الوقوع شيء من الخلل والنقصان وكل ما
يظهر منهم من خلل او نقصان فانما يكون بمنزلة الخيلان في وجوه الحسان
لا تزداد معها الا كمالا وجمالا لمن يظهر لنا ذلك واقل الكمال الذي ننسبه
اليهم من هذا القبيل الذي انه كمال في نظرنا لا في نفس الامر وحاله كما هي اجل
واعلى من ذلك فينبغي لنا ان ننزههم عن تنزيهنا كما نفعل ذلك في جانب
الربوبية لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وقد اذنت لي
في هذا الفصل فابره على جميع ما الكتب فسيدي القاضي ابو الفضل وهو
وان كان خاليا من الدليل والحجة فقد سلكنا من التعقيب فيه اوضح المحجة
وبالله التوفيق لا رب غيره ولعلك تتلمح من وساوس هذا الكلام من مذهب

قوله

ذاتيا الرجل في نفي الافضلية بين الانبياء عليهم السلام ولعمري انه لتحكم
غريب ان لم يناد في القران بتفضيله وتخصيصه على بالغائهم وان ثبت
فيه نص بعد عقل قاصر فنقول انما وقعت الافضلية بينهم بحكم الله
تعالى بالفضلية بعضهم على بعض لامر اجل علة موجبة لذلك وجرت في
الفاضل ويفرق من المفضول وللسيد ان يفضل بعض عبيده على بعض وان كان
كل واحد منهم كاملا في نفسه بالغا من ذلك الغاية التي تليق به من غير
ان يحمله على ذلك وصف يكون فيهم وذلك مما يجب له بحق سيادته والتمثيل
بالسيد امر تقريبي اذ لا يخلو من البواعث والاغراض والله تعالى منزه عن
جميع ذلك ثم ان الله تعالى اعلم بما يقتضيه معز الحكم فيه بالافضلية
فهذا المعنى الذي يكمن لي في سبب وجود الافضلية بين الانبياء عليهم السلام
ولا يتصور عندي انكار لذلك واما ان يعتقد في سبب وجود الافضلية
اتصاف الفاضل بصفات ممن تفقدت في المفضول او ان صفات الفاضل
نافعة وصفات ات فضل كاملة ممن عندي تكلف وتعسف ولا يسلم من
الوقوع في سوء الادب وما زلت فكم اشتغل فيه تراكما عليه الجماء الغفير
من العلماء والمحققين حيث يقولون ان فلانا من الانبياء حاله كذا وحال
نبينا كذا وشتان ما بين الحالين او يقولون ان كان اختص بكذا فعند نبينا
ما هو افضل من ذلك كما قالوا في انفجار الماء من الحجر لموسى عليه السلام
وانفجار الماء من بين اصابع نبينا صلى الله عليه وسلم ولم يفرقوا بينهما
بسوى ان الحجر قالوا فيه انفجار الماء والاصابع لم يولف منها ذلك
حتى ان بعض اهل العلم الذي يلي عصرنا نظم قصيدة طويلة عظيمة استنبط
فيها من احوال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومعجزاته ما وازن به جميع
معجزات الانبياء عليهم السلام وشبه احوالهم ومسالكهم في ذلك فذكرنا له
ثم من لفتنا انه من زين نبينا محمد عليه السلام وغيره من الانبياء عليهم السلام
وقد احسن في ذلك واساء احسن من حيث ذلك ابي ستنبا له واساء
لما ابيهم فيه من انفجر ان نفيناه فانا نوا ذلك مما تقتضيه افضلية

اعظم
ومحمود

نبينا

نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فلست اعلم ومن اين لكم ذلك وان تقتضيه
افضليته لا نعرف من تلقاء انفسنا جملتها ولا تفاصيلها وانما نعرف ذلك
من قبله لان الامور اجمالية لا يعلم حقها بفهمها الا من قبل الله وامورا
تفصيلية ربما نعلمها كقوله اعطيت كذا واعطيت كذا وفضلت بكذا
وفضلت بكذا وما معنا ما نعتمد فاذا اعتقدنا افضليته باخباره ايانا
بذلك ووقفنا على ما اخبرنا به من بعض الفضائل مما يقتضيه حكم الله تعالى
له بالافضلية وقد قلنا باننا لا نطلع على كنه ما يقتضيه ذلك الحكم منه
ثم اقتصرنا على ذلك ولم نتجاوزه الى ان نتعرض الى التماس ما يوجب وجود
الافضلية من قبل انفسنا الى ما اعطينا من الآيات وما اطلع عليه من محاسن الصفات
وما اتصف به من محاسن الخلال وما قصر عنها غيره من الانبياء من بعض مقتضيات
الاشياء كنا في ذلك مصيبين سالمين من سوء الادب مع خواصه واحبابه
والادبار من سوء الادب والوقوع في التسبب للازراء لمن الزوم وما ثم وربما الاجبي
عنه كما فعله ائمتنا رضي الله عنهم والاقوال التي في ذلك بمنزلة من
مقدم فهما او تاليها او تاليا فهما او مقدما فيها والكتب بمنزلة من قدمهما
جميعا لان الافضل لا يجب ان يفضل بشيء لم يجعله مولاه سببا في وجود
افضليته ولا يجب ايضا ان يعلم الفاضل عن من فضله كما قال لا تفضلوا بين
الانبياء ولا تخيروني على موسى ولا يقولن احدكم انا خير من يونس بن متى
والمفضول ايضا لا يجب ان يجعل المفضولية علة لم يجعلها مولاه ومن فضل
ما اتصف به الافضل ولا يجب ايضا ان يفرق بينه وبين الافضل وهم جميعا
رسل الله عز وجل وعدم محبة كل واحد منهم هذا كله انما هو تحفظ الله لهم
من سوء الادب معهم الذي هو سوء الادب مع الله وهذا منكشف فهذا الكلام جر
اليه ما كنا بصدده من بيان ان الاسماء التي سمى الله تعالى بها نبيه محمدا صلى
الله عليه وسلم او احدا من انبيائه ورسله لا يبقى في بعضها انه اشرف من
بعض من حيث تسمية الله تعالى بذلك واما من حيث تسمية غيره كما اذا اسمى
بذلك الشيخ المختص نفسه فلا ينبغي ان يسمي نفسه الا باسم العبد

ذلك

ولا يختار الا ذلك كما قال له صلى الله عليه وسلم خيّرت بين ان اكون نبيا ملكا
او نبيا عبدا فاخترت ان اكون نبيا عبدا ولو وجد صلى الله عليه وسلم اسما
يتضمن من التذلل والخضوع اشد مما يتضمنه اسم العبد لتسمى به واختاره
ويكون اسم العبد من هذه الحيثية اشرف اسمائه كما قال الشاعر

لا تدعني الا بيا عبدها * فانه اشرف اسمائي

او اشرف اسمائي عندي لا عندها اذ هي عندها لا تخير له فيه والعبرة بما
عندها لا بما عنده وقد اساء من سوى في ذلك البيت واجحف بوزنه
ولفظه وتكرر بسبب ذلك الخلل الذي ذكرناه وذلك انه انشده على
هذا النحو * لا تدعني الا بيا عبدها * فانه اشرف اسمائي عندها *
وهو الذي يدل انه اشرف اسمائه عندها ولعلها لا تسميه بذلك وانما تسميه
عمرو مثلا وزيدا وما اشبهه هذا مما تسمى به كل مخدوع مغرور ولا باس اذا
كان هذا الكلام كله فيما سبق لذلك الكلام الذي نحن فيه في بيان عظمة ذلك
الرجل الذي نصّ لقوله فيه مع الكلام الاول فان كان في معتقدك ذلك موافقا
مذهبي اعني ان يعتقد وجود الكمال في كل واحد من الانبياء عليهم السلام مع
اعترافه بالافضلية بحكم الله عز وجل فهو صاحبي وتغتفر كون اقلك منه ومنهم
او اكثر فان كنا بعيدين في ذلك الله تعالى على ذلك وان كنا اقربين فنسال الله
تعالى ان يقربنا الى ارض المسالك وان لم يوافق من جهة مذهبي فليس لي بصاحب
على الحقيقة لكونه اناويه وقيمنا لبعض الكمال بعبه والله تعالى الموفق ولا رب
غيره ولا مغشي عنه للقول في قال في معنى قوله صلى الله عليه وسلم
انا سيد ولد آدم ولا فخر لا فخر لي بالسيادة وانما الفخر لي بالعبودية لان
الفخر امر مذموم مطلقا وهو الذي نفاه صلى الله عليه ونزه نفسه عنه فقال
ولا فخر لانه لما قال انا سيد ولد آدم خاف ان يستشعر بعض من يسمع ذلك
ان انه افتخر بذلك فجمع صلى الله عليه وسلم موضع الاتهمة من قلوب
السامعين فقال ولا فخر اي انما اعلمتكم بسيادتي لتعلموا بذلك منزلتي ومكانتي
ولتقوموا بواجب حرمتي وتعملوا بامري في التحرز بنعمتي واستمطار امري والتماس بي

ولم نعقد بذلك ما اعتقده قوله في أصحاب النعوت المتكبرة والمتجبرة من
أن من ساد منكم لا بد أن يعد تجبره وتكبره من باب فخره وبني معنى بذلك من لم يسد
ولا أجله إلا أنفة أشراف قريش من أتباعه وأن يسايروه وحسبوا أنه يتعاظم
عليهم بادعائه الرسالة والنبوة كما قلناه في الكتاب الذي تقدم وأذن
هذا المعنى الذي ذكرته الغباوة والجهالة التي أصابت وفد بني تميم فإنهم
لما وفدوا على النبي صلى الله عليه وسلم قالوا جئنا لنفاخرك فلما تكلم
خطيبهم وشاعرهم بما تكلما به من ذكر مفاخرهم التي سمعتم من مآثر
وقام خطيب النبي صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس بن شماس وشاعره
حسان بن ثابت وقالا ما قالا أعجزوا وحسبوا المناقب والمآثر فكيف تكون
ولم يدعوا على نبيهم بما تعدى كثيرا من المفاخرة سوى التسبب في إثارة
مفاخرهم وإبداء مفاخرهم حتى قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ما
كان أغناكم عن هذا أو كما قال صلى الله عليه وسلم لا أذكر الآن لفظ الحديث
وقوله أنا الفخر لي بالعبودية كلام لا أفهمه لأن العبودية نسبتها إلى الله
وإلى غيره نسبة واحدة فلا دليل لما أعتقد بذلك العبودية التي هي
حاله ومقامه فلعله أنما يصح الفخر بها إلا من حيث كونها منة من الله
تعالى عليه فلا يصح الفخر بها من هذا الوجه فلم لا يصح افتخاره بالسيادة
ومن أنها منة من الله تعالى عليه فالكلام أنه نفي التفاخر الذي هو
المطلق ولم يخص ذلك بسيادة ولا غيرها كما قال أنا سيد ولد آدم ولا فخر
وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وأنا أول من تنشق عنه الأرض
ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر وأنا أول من يحرك حلق الجنة
فيدخلها معي فقراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر
فتبين لك من هذا كله أن إطلاق الأولوية والأشرفية في بعض الأشياء
دون بعض من غير نظر إلى ما ذكرناه من تسميته الله تعالى وتسمية غيره قصور
في النظر وأن من وراء مقام العبودية مقاما أعلى منه وأما ما فيه ثم
من ذلك التبسيم فقد رأيته ورأيته وجمعت من قوله ذلك الكلام أنه

تفسير

كلام رجل متأخر له شيء من هذا الكلام يوهم تعارضا في كتاب الله عز وجل على
حسب ما يظهر له وإذا نظر في ذلك ازداد غبطة فعلم أنه لم يؤت بها إلا من
من سلوك هذا الكلام من الأوسط بين الأمراض المستحكمة الباطنية ومن تعريفهم
المشوبة الظاهرية فإنه قسم قوله تعالى وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية
وقوله تعالى وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وذكر في ذلك أن المراد بالقرية
جنة المعارف بفهم هذا من فوق كلامه ونص على أن الأرض المقدسة هي
المعنية في الكتاب وأن التغاير المذكور من هذا الاتساع في التأويل وهذا كله
توغل في الباطن الذي لم يرتضه وجعل معتمده دون الظاهر أمورا بالغيب
اليسير ثم نحى في تفسير قوله تعالى زين للذين كفروا الحياة الدنيا والآية
التي بعدها منحى الظاهر وهو أيضا لم يرتضه وجعل معتمده دون الباطن
أمورا بالغير اليسير لأن كون الكفار متزينين منعمين لأجسامهم فيها وأن
المؤمنين منهم الذين من شأنهم أن يكونوا في الدنيا زاهدين وفي الآخرة راغبين
وبوعد الله تعالى واثقين أمر معلوم مع أن كلامه في ذلك التقسيم ناقص
لأنه قسم الذين كفروا بالمكثرين المنعمين لأجسامهم وقسم الذين آمنوا
بالمصرفين لهجة الرزق وهذه جزئية واحدة من جزئيات اتصف الكافرون
والمؤمنون ثم قسم قوله تعالى والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة بالتقوى
للدنيا ثم ذكر الآية الأخرى وهي قوله تعالى إن الذين أجرموا كانوا من
الذين آمنوا يضحكون وقال فيها خبر أنهم بالإكثار من متاع الدنيا وزينتها
ولم يفسر الإيمان فيها ولكن لما فسر الإيمان في الآية الأولى بالإيمان لهجة
الرزق علمنا منه أن تفسيرها عنده كذلك فخصصها أيضا كما خصص الأولى
ثم ذكر قوله تعالى وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين
آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا وفهم من سياقه هذه الآية
أنه أخذ منها التفسير المتقدم الذي تضمن التخصيص المذكور لأنهم افتخروا
عليهم بمتاع الدنيا وهذا كله إجحاف بالآيات وبخس لحقوقها لأن الآيات
التي تحتمل وجوها كثيرة لا ينبغي أن يقتصر في تفسيرها على بعضها بل تتبع

ويعمم

بها

تلو

تلك المعاني وبين تناول الآية لجميعها وبقي حكم الآية على عمومه فتكثر
بذلك الفوائد والآيات التي لا تحتمل الا معنى واحدا يقتصر فيها على ذلك
الا ان يستقيم تأويلها وردها لمقتضى الآيات التي تتضمن المعاني الكثيرة
فهذا هو وجه التفسير والتأويل ثم انه اخذ في الاشارة الى ما فهم من
تفسيره ان يتبين ما ذكره من قوله صلى الله عليه وسلم يسبق فقراء امتي
الجنة وقد يكون هذا الماخذ صحيحا ثم انه اتى بامر تشتغل جدا
يكاد لثقله يتميز والاعذار التي فيه رسم وبتكسر القلم الذي به كتب وهو
وهو ذكر عبد الرحمن بن عوف رضوان الله تعالى عليه في هذا المعرض الذي
هو تقرير كون الحياة الدنيا مزينة للكفار ثم بشر الكفار بالمكثرين من
الدنيا ثم ذكر المهاجرين وسرد ذلك ثم ذكر الكفر بين منزلة ثالثة والمراد
بهم بمنزلة ذلك ثم ذكر ان اغنياء من هذه الامة وسلفهم مساق الذم
وانهم يسبقون الى الجنة بخمسمائة عام ثم ادرج عبد الرحمن بن عوف
في جملتهم وهذا غير ما افتح فما يكون ولا يزيل هذا القبح منه قوله بانه
هو وعمر ودعوة لنوايب المسلمين يعني ماله لانه في ذلك بمنزلة
من جرح انسانا جرحا بالغا ثم اخذ خرقة فالصقها عليه فلا تنفي
كرامته بجنايته ومنفعته بمضرته فلو اجرى الآيات على كلامها
وابقاها على عمومها او اطلاقها ولم يخصص شيئا منهما ولم يقيده ولم
يأوله لكان ابلغ له فيما قصد وانسب لما اعتمد ولو اشترى احد
الى ان يتعرض لان ينزل هذه الآيات على خلاف ما ذكره من المهاجرين مستمع
منهما معاني اخر يكون فيها تمام ما ذكره من مقتضى التفسير الذي اثره
مع كونه مما قال له في الكلام المساغ له ذلك لانه يقع عليه من الدنيا
التي زينت للكفار العظمة والكبرياء والترفع والاستعلاء وهذا
هو اعظم لذات الدنيا واعظمها التي لا تدخل التنعم اجسادهم فيها
الا بالعرض ثم يتكلم وبسبب ذلك الى ان ياخذ منه الاشارة الى ما يليق به
من عوام المسلمين وخواصهم من هذا النوع من الدنيا ويتدرج من كثيفه

الى الكفاية ومن كثيره الى قليله حتى يعلم من ذلك ان قد فاته التكثير الذي
من جملته الى رؤية التقصير واستمسك بامر فلا يتصور ان يتفاخر بشيء
من ذلك بشيء دونه الا من رحم الله تعالى وقد اعظم من فتنة الدنيا لمن
زينت له فتكثر بسبب ذلك الفوائد التي لم يعثر مثلها في تفسير
يتضمن ذكر الامور البينة المعلومة التي يعرف منه الفاضل المكاتب
مما يفعله الا من هذا الصاحب فيه فسر اعني ذلك المشرب المذكور
قوله تعالى زين للذين كفروا الحياة الدنيا ان الرياسة فيها وحب
الجاه والمنزلة فيه انهم يتوصلون الى ذلك بما امكنهم حتى يشركوا في جنب
ذلك نعمات ابدانهم بجملتها كما يفعله القسيسون والرهبان
في هذه الازمنة فانه ذكر عنهم انهم لا يتزوجون النساء ويتركون كثيرا
من شهوات الدنيا ليتوصلوا بذلك الى نيل الرياسة على اتباعهم فينقادون
لهم ويتبعونهم ويتخذونهم اربابا من دون الله ومثله من دنياهم التي زينت
لهم فاذا اراد امر ليس عليهم يفتيهم من اهل ملتهم سخروا بهم واستهزؤوا بهم
ولا شك انهم من اهل الايمان لاعتقادهم سخريه واستهزاء لانهم يشاهدون منهم
غير امتثال بين للاوامر والنواهي فاذا انزل الاية على هؤلاء الكبار
المخصوصين يقعوا على قدر مذهب ارباب الاعتبار وباخذ بعضكم وامر من معنى
فاذا كان ناد الناس من المسلمين قليل علمهم بفروع التفسير ومكابر الشبهات
اذا علم واحد منهم مسئلة او صلى ركعة او ترك لقمة او حبة واستشعر
بعلمه ذلك حضور مكانه ووجاهته عند الناس فغ ولا يخرجوا عن ذلك من
العجز والجهالة في الدار الاخرة ولا في نفسه حكمته وشرفه انه للاتصاف
بصفات الكمال عنده وهذه من دنياه التي زينت له فاذا راوا احدا من
عامة الناس يشتغل بطلب الدنيا بكل الاعرفا تشاغل عن يبه من التعبد
او التزهد او التعلم سخروا به واستهزؤوا مع ان هذا العامي يؤمن بالله
عز وجل وهذه في ايمانه خوفه على نفسه واحتقاره لها ورؤيته انه
مقصر وتعيره لذلك ومن ان هذا العالم او العابد او ان امير فقد فاز بفضلها

وان

م الرجل

وان شر المتغلب خير من عدله ان ظن من مثله اذ من مثل هذا الغافر وغلوه انه اذا
كان يوم القيامة يكون ذلك المتقي او الزاهد المعرض للتعزز والعزوف عن العز وحب
نفسه وبين يدي التكبر وسواء من العز بوفاية فروية للتكبر بسببها اليه فمن
يغره ولا من يغره بذلك هذا الغافر او الفاجر او الزاهد اذا انكشف له حجاب جهله
وبان له سوء عاقبة جهله والله يرزق من يشاء بغير حساب اي يرزق الرزق
الحقيقي وهو الرزق الذي يعطيه من يشاء اي من يريد من غير ان يكون لذلك موجب من
علم او عمل اذا نوقش فيه صاحبه وحوسب عليه صار هباء منثورا فلا يحاسب
هذا المرزوق ولا يكالبه لما احسن حاله بايمانه وبيقينه وكذلك يسلك هذا
المسلك في تفسير الآيات ان شاء فيقول فقوله تعالى ان الذين اجرموا اي اتوا بالجرم
العظيم وهو التعرض لمنازعة الربوبية بالتحكم على الناس والتحكم عليهم
بما اتصف به من علم او عمل او زهد كانوا من الذين آمنوا بالله تعالى ايمانا ساذجا
من غير تكلف دليل ولا كيفية خال عن التشبيه والتمثيل وهذا هو حال عامة الناس
اذ الزهاد منهم متشاغلين بطلب المعاش من وجهه يمشون الى المساجد والجماعة
الى الجمعة ليصونوا بذلك وجوههم عن المسألة ويستروا بها السرائر
المعضلة يضحكون منهم ويستهزءون بهم مع انهم متصفون بصفة كمال الايمان
فيهما اعتبارا كما تقدم في الآية ان شاء ثم ينتهج هذا المنهج في تمام تفسيرها
ثم يقول فقوله تعالى واذا تتلى عليهم اي على هؤلاء الذين يتكبرون
بعلومهم واعمالهم آياتنا بينات في حال كونها بينات لا يخفى ما فيها من المواعظ
والزواجر عن تلك الخوال الرديئة التي اتصفوا بها حيل بينهم وبين فهمها
ولم يعلق بقلوبهم شيء منها سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض
بغير الحق فيدخل لهم من ذلك ويخرج من ذلك وينقولون على حالهم التسمي من التنابز
والتفاخر ويقولون للذين آمنوا كذا وكذا وكم اهلكنا قبلهم من قرن كانوا على
منهاجهم وسلكوا على ادراجهم هم احسن اثاثا ورئيا اي لكن علوما واعمالا
لكافة قبلنا منهم بالعدل وهم منعناهم المزوا الفضل جعلنا ذلك كله هباء ولم
يستثنوا من تمزق سعيهم للاشقياء ومعناه ثم صيرناهم عبرة للمعتبرين ومثلا

وحوسب

م هم

للآخرين لهما وعلمنا بالتلبيس وبالخداع وبرهيهم ثم بعض هذا التلبيس كما قيل في قوله
تعالى وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة وبأخذ الإشارة منهم وبني لهما على
القوم الذين ذكرهم بهذا الأسلوب من الكلام على هذه الآيات التي تولى هذا الرجل
تفسيرها وحملها على غير متنها ولا لفظها وهو الإستكثار من المال للتمتع والتنعم
ولذا أيضا أن يتكلم على تلك الآيات كما هو على من هذا كله على طريقة أرباب
الإشارة فيقول قوله تعالى زين للذين كفروا الحياة الدنيا أي الذين كفروا
بنعمة الله تعالى عليهم بالإيمان الذي مقتضاه أن كل شيء هالك إلا وجهه وأن كل
ما خلا الله باطل الحياة الدنيا أي الكنوز والحسابات التي يتنعمون بتذكارها
ويستطيبون بأنوارها ومقرونوا همهم أن منهم بعللا وجعلا ومنزلة دنياهم
التي زينت لهم ويسخرون من الذين آمنوا أي آمنوا بتكملات كل ما يتوهمونه
تحقيقا لمقتضى إيمانهم والذين اتقوا هذه الأماني فوقهم يوم القيامة
حين ينكشف الغطاء ويبدو الخفاء ويظهر لهم الراجح في صفقته والخاسر
فيها أمثهم هم الذين أشركوا أو من استهزءوا به وسخروا منه وهم الذين وحدوا
الله والله يرزق من يشاء بغير حساب أي العلوم والفهوم التي لا يحصرها
حساب ثم يجيء الآية الأخرى في التكلم عليها على هذا الأسلوب فيقول
قوله تعالى إن الذين أجرموا أي فعلوا الجرم العظيم وهو دعواهم أن لهم حولا
أو قوة كانوا من الذين آمنوا أي آمنوا بالله واعتقدوا وحدانيته ولم يشركوا
به في فعل ولا حال يضحكون لأن أحوالهم مباينة لأحوالهم التي أن تفوهها
لأنفسهم من التمسك بالخيال والتشبث بالمحال لظنهم أنهم لقلتهم مجانين
وإذا انقلبوا إلى أهليهم انقلبوا فكهين أي إذا رجعوا إلى أعمالهم التي أنسوا
بها والأحوال التي استعملوها سروا بذلك وفرحوا واغتبطوا إذ يرون
بأيديهم من الدراهم والدنانير ما ليس عند غيرهم من أهل الإفلاس والفقر
عندهم ثم يقول في الآية الأخرى وإذا تتلى عليهم أي على هؤلاء الذين وصفناهم
آياتنا بينات أي بينات للأرباب البصائر خفيات عنهم وعن هؤلاء الكافرين
الذين تمسكوا بالقشر ولم يعثروا على اللب وكفروا بنعم الله فقالوا [illegible]

ذالك

جملهم

Digitized by Google

بجعلهم يعطون الأمور للذين اتقوا الله لأجل الذين آمنوا الا انهم يزيدونهم بغير النقص
اذ العبد يعطي خيرا مما فاته واحسن نديا بحرام منهم ولا شك ان العوام كلهم توابعهم
وتسليم لهم ما ادعوه من الخيرية والأحسنية فيما ذكروا الا من شاء منهم وان
الذين تباهوا عليهم ان لا تقليدهم ابدا ولا تكلمهم سمعا ولا يعتبر ان قبحهم
كثير من اولادهم اذا وجدوا فكيف لا يدافعونهم وهم يدافعونهم وكم اهلكنا قبلهم
من قرن ممن كان اشد منهم احوالا وازكى اعمالا فاخذناهم بعينهم واقتطعناهم
عن رؤية اعمالهم ومشاهدة احوالهم وتركناهم اشباحا خاوية ورسوما
خالية وذلك مما تقتضيه عزتنا ولا تعجز همة قدرتنا لمن الملك اليوم
لله الواحد القهار فمن ياخذ الاشارة الى هذا المعنى مما قيل في قوله تعالى
يا اهل يثرب لا مقام لكم فهذا الكتاب كله مما يمكن ان يتمسك به كلام ذلك الرجل
فيعلم من ذلك انه لم يات بزيادة تجعل في الشبكة او يستر عليهما اليسير
واحد فلينظر ويعجب الله كيف يستدل من هؤلاء ان يحصر الحروف لزنديق
عين واسكنه سور كتابه وصحيح ما جاء عن نبيه صلى الله عليه وسلم واين
يمر في الصحيح حديث يدخل الجنة حبوا او حديث ويل لمن قرا هذه الاية ثم
مسح بها سبلته وقد استمسكتموه من كلامه في التقليد ليس بحسن ولا
يحقق لان كل ما احتج به على ابطال التقليد ضعيف ثم انه جعل التقليد
يسوغ في بعض الاحوال والتقليد مذموم على كل حال ولولا انكم تكلفتم الكلام
الذي لا يفيد لذكرنا لكم على كلامه ما هو اوسع من هذا ولكنا نقتصر على هذا
القدر ونحن نستغفر الله تعالى من جميع هذا الاكثر ومع هذا كله يجب ان ارى
كلامه في تفسير الايات على ابن خالد كان وقد يخرج في اثناء ذلك فوائد
من حيث لا شعور له بها الان ولا ادري كيف يتأتى الوصول اليه وقد
اردت ان اذكر لكم نبذة كخمسة في التقليد تكون تتمة لهذا الكتاب واسوقها
مسائل سؤالا وجوابا لتتم لك الفائدة في المسئلة التي استمسكتموها من كلام
ذلك المصنف فنقول ونعوذ بالله من الفضول ان قلت ان اهل
ذمت التقليد في كل حال وكنت اعرف منكم الحكم بالضلال على كل من التمس

المنصف

يا منا من زوال رياستهم لآمنا به واتبعناه ولما علم النبي صلى الله عليه وسلم
مدح الخيرية في بعض الآباء المتقدمين من حيث أن يكون الخير في أبنائهم فقال في الحديث
المشهور عنه بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئا وكذلك
كان حتى بلغ من إيمان بعض الأبناء به أن قال لو أراد ذلك يعني النبي صلى الله عليه
وسلم أن نكتاك بنفسي على الأرض ولحملناك على أعناقنا أو دمغناك هذا ولأجل هذا
الذي ذكرناه كان اتباع الأنبياء ضعفة الناس لا أشرافهم كما قاله هرقل لما سأل
أبا سفيان عمن يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن التكبر والتعاظم مفقود
منهم فاستطاع لهم من اتباعهم ما لم يستطع لغيرهم وبعض الأشقياء لما شاهدوا
من طلبة أمر الرسل عليهم السلام وعلو كلمتهم ما شاهدوا وعجزوا أن يكونوا في
دعواهم صادقين قالوا إنهم بعض الحيل الأول الحرارة لم تفارق قلوبهم وافتروا
عليهم من الآيات ما عساه نكمهم به وآية واحدة تكفي وتشفي لو سلم عنهم
التوفيق ومن كان ذا عداوة شديدة منهم ابتداء أن التقليد كما وقع لكبار قريش
في سؤالهم اليهود عن أمر محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا إنهم أهل كتاب عندهم
ما ليس عندنا فقالوا نسأل لهم عنه فلما سألوهم وأجابوهم بما أجابوهم به
من اختبارهم له بتلك المسائل التي الله أن خذلانهم والتشويش عليهم وإبقاء
الشبهة والريبة عندهم بما جرى بينهم والقصة بذلك معلوم ومنكر أسنده
الله تعالى في من لم يقبل الحق أو قبله حين يلوح له برهانه فهذا كله من شؤم
التقليد الذي أدى إليه التنافس والكبرياء ومتابعة الهوى وسقط هؤلاء
وأراذل لهم تبع لهم في ما يأتون ويذرون وإن كانوا لا يتعاظمون ولا يستكبرون
ويجري هذا كله في عوام المسلمين مع علمائهم حذو النعل بالنعل فهم وإن كانوا
مؤمنين بالأنبياء الماضين ومتبعين للعلماء المتقدمين إلا أن التكبر والتعاظم
مانع لهم من متابعة المعاصرين والانقياد إلى المعاصرين ولو كانوا من العلماء
الراسخين ولا سيما من كان منهم غنيا عزيزا والآخر ضعيف بغير سكين فإذا مات
وانقرض عصره وعصر لا أو حدثت له وجاهة ومكانة عند من يمتثل أمره أو كانت
له في الناس نفس وإباء وشموخ أنف وكبرياء يحتشمونه فيعرفون له المقدار ويعظمون

من نسا حيران يخرج الله من أصلابهم من
يعبد الله ولا يشرك به شيئا

إنما كان أتباع الأنبياء ضعفاء الناس
لا أشرافهم

له بكمال الاستبصار ويحسبه عندهم علماء في رأسه نار فيعتمدون عليه في النصح
والإرشاد ويرجعون إليه في الحكم على من شاءوا بالهداية والإضلال ولا يعرفون
أن بعض هذه الأوصاف التي قد قيل بها منها التي توجب تأخيره عند الله تعالى
ورده إلى أسفل سافلين وبقاءه في لعنة اللاعنين وهذا كله من ركاكة العقول
وسخافتها وعمى البصائر وإن هؤلاء قصد التقليد الذين هم من الهداية والرشد
بعيد أن يتحلوا بالعجائب بحلية الأبرار ويكفرون لجهلة الناس باتباعهم في
هذا مذهبهم يفوزون بالجنة ويزحزحون عن النار إلا أن العامة لما يرون من لباسهم
لتلك الملابس الفاخرة يعتقدون أن لهم الزلفة والقربة في الدار الآخرة وأن
أنهم أهل النفوس في سلك هو أهل معتقد وأن تكريمهم مما من فائدة اقتداهم معتقد
وأن من خالف ذلك يعتقد فهو في ضلال وقد يكون عند الله تعالى من الصفوة الأبدال
فاختل بسبب ذلك أمر الدين وانسل الناس منه انسلال الشعرة من العجين
لأن ذلك بسر ... العبودية قد لا به ووقع في الاستخفاف بجهة أولياء الله ومن
كان في ابتداء نظره ضالا كيف يكون في انتهائه فلا جرم لما جعلوا هؤلاء أهلا
يثنون عليهم الابتداع والافتراء كان المتبوع منهم كل من يستحسنون حاله ولا
خبرة في ما يستحسنونه لعدم إدراكهم فاتبعوا من لم يأذن الله في اتباعه من
الرؤساء وأصحاب الأهواء فضلوا باتباعهم عن كل من العبودية لربهم كما ضلوا
هم فإذا كان يوم القيامة قد قال المقلدون لأتباعهم إنا كنا لكم تبعا فهل
أنتم مغنون عنا نصيبا من النار تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وقالوا لهم ما
قاله متبوعهم الأعظم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي ويقولون
لهم لو هدانا الله لهديناكم فحاصل هؤلاء التقليد الذي افتتن الجهال أن يكون مرموقا
مرموقا لأنه مارق عن العبودية مغمور في وحل الشريعة المحمدية فالضلال كله
منهم في التقليد لأن المتبوع فيه غشيان والهداية منحصرة في الاستبصار إذ لا من
وجود التوفيق إنما يكون انتصار فقد علمت بهذا أن المتبوع الذي يقتدى به من شيعة
لا بد أن يكون على أحوال المهتدين وأن شيء أحوال المهتدين أن لا يكون له نصيبهم
عندهم مقدار ولا قيمة لما استولى على أسرارهم من التجليات العظيمة فهذا الإيمان

من التقليد ... على العجائب عليه ...

التقليد الذي افتتن الجهال أن يكون ...

خ
المهتدين

الذين يصدون عن الله ويفرون منهم عن الذين يصدون عن عباد الله ولا يحصى من هذا التخليط
إذ لا يتأتى ولا يرسم التخليط الذي ذكرناه أولا لأن العلامة على صدق حاله ومقاله
لا يصح والحجة لمثلها بعينه وإن خفيت عن أكثر العميان والحمقى وتعرفت
فيه أن قد فيه ذلك من كبر وحب جاه ورياسة ليس بأهل أن يقرب ولا يرتقي
ولا يقر له أحد لمثلها بعينه عينها لأنه من أولياء الشيطان الذي رأس الضلال
ويشبه أن كل كفر وضلال ومن أنواع التخليط الذميم إذ لا حجة لصاحبه
تشفيه ومعرفته معرفة الأحوال في من توجد فيه لا تتفق على أحد لعادة تدل أن ذا رأي
فإن شاهد منه ما يوجب الاتباع فليتبعه وليمتثل أمره في كل ما يأمره به مما
يقتضي ترخصا أو تشديدا لأنه ثقة وقد قالوا العلم الرخصة من ثقة وأما
التشديد فكل أحد يحسنه وتكون معرفة المشاهد له حجة تقضي بأنه في اتباعه
أتاه وانقياده له غير مغلول وإن لم يشاهد منه ما يوجب الاتباع فليتركه وليطلب
غيره حتى يقع عليه ويكون حاله حينئذ التوقف والاحتياط فلا يقدم على
فعل ولا يعقد بقلبه على شيء حتى يتمنى ذلك له من جهة الهداة المرشدين
الذين ذكرنا أحوالهم وصفاتهم وبالجملة فالتخليط كله مذموم ولا حاجة
بأحد إليه ومعرض بصاحبه غاية الضرر وإنما يطلب الأعمى من هو أعمى مثله
فلو بقي على عماه من غير أن يتعلق بأعمى مثله لكان خيرا له على أن هذا نوع
ابتلاء يمكر الله به يخرج به عن حال العماية ويكون له ذريعة إلى الهداية فإذا
تقرر هذا علمت منه أنك في ما قلته واعتذرت به من أنك لا تهتدي إلى السني
وتعويلك علي منشور لأني لست على حال من يقتدى به ثم أقول
ما قاله ذلك الرجل الذي دعي إلى تولي القضاء وأظنه أبا حنيفة رحمه الله حين
عرض عليه ذلك لا أصلح للقضاء فروجع في ذلك فقال إن كنت صادقا فقد
قلت لا أصلح وإن كنت كاذبا فالكاذب لا يصلح للقضاء وأما قولك فلم
أقدر ثني عليهما فإني لم أزل أحمل عليهما لا في كل وقت اختبر أن الرجل من جهة كل
ما أقوله لك ومن أنواع الإيلان في الغيب وأما أن أظهر لساني أن أكف بثلاثة
مع كونك مخيبا في معرفتهما وترمقهما بعين الأعرض له وجهها وأما قولك

عماه

فالكذاب

اتعبت نفسك في كثرة فكرك والتعب خلقنا وانما الكثير تعبنا ان يأخذ الانسان
فكرنا بيده ويحركه على شيء كالغرس بما يسنح في خاطره او الكمز بالرحى
والجزرة بالمسحى فالحمد لله الذي قلل علينا التعب والنصب ومن عنا من
الامور الشاقة على الجسم وما يؤدي الى الفلاح والعطب. فهذا ما اردنا ان
نذكره لكم من حال التفليس مما يصلح ان يكون تماما لما تكلم به ذلك الرجل في شأنه
حسبما فعلناه في الايام التي بسرها والله الموفق لا رب غيره ونعلمكم
بان فلانا كان اخي في خلة كثيرا لما انتسب مع اولاد القوم بالجمعية الفلانية
ثم بلغني عنه بعد ذلك انه جاء الى الجمعية الفلانية على حال سيئة فلما
بلغني ذلك ادركتني شفقة عليه وقلت انه لا بد ان اكتب له كتابا اتكلم فيه
معه بما يلهم الله تعالى من الكلام لعل الله تعالى ينفعه بذلك فها هو كتبت
معه لعل الله تعالى يراجع به وربما كان لكم تشوف الى ما تضمنه ذلك
الكتاب فها انا اذكره لكم بنصه الحمد لله من فلان الى فلان وقد بلغني
حالك وما انت فيه من الضيقة والمسكنة والمكربات المتلونات وما
اعتمدته من الارتباط بالكلمة والتورط في الفتن المظلمة كل ذلك بعد
ان بذلت جهدك واستفرغت جميع ما عندك في طلب الدنيا ومتابعة
الشهوة والهوى فلم تنل طائلا مما املت بل اغتبطت تغبطا وافتتنت
وسمعت حنتك بدنيتك التي رفعتك من يديك ونبذتك خلف ظهرها ان صرت
للاجساد الناس من الفسقة والكلمة واتباعهم مواليا وفرانيا تلتمس
بذلك لقمة من طعامهم ويحكمون فيك من سحتهم وحرامهم بل
لا نقل لنا منهم الا بشيء النجس ومجاورة الحمير في الزوايا بعد من النكاح
في بلاد البرابر وتشتت الحال وبيرا والاهل والدار الذي ترك الوطن وحلا عما
وراء ذلك مما هو اشد منه فانظر الى هذه الاشياء رأيك المبارك
الذي تستعمل فيه باشارة من هو اعرف بك واشفق عليك من نفسك واشد
كراهية وبغضا لما يعيبك ويسوءك منك بل اضررت على ذلك اشد الاضرار
واغتبطت بحالك التي اضرت بك غاية الاضرار ورأيت عيانا سوء عاقبة

ثم تستعمل

واغتبطت

ذلك فلم تجد نفسك بالانتفاع واشفقت على المعاطب والمهالك كما بان عليك
اثر توبتك ولا اقلاع مع قيام الحجة عليك بما رزقك من العقل والفهم وما
علمته من العلم فما قرا منك الا من شنيع وقال فظيع ممن يهتم به من له
ادنى مسكة من عقول ولا يقع فيه ان كل غير جهول فاقوم من رقدتك
وانتعش من حيرتك وارجع الى الصلح فانك متمكن منه بما لطف الله
تعالى بك من تعويق المطالب وتعسير المآرب وتنغيص الحال
وتكدير البال اذ لو كنت ظافرا بمقصد المطلوب وواصلا الى كل مراد
ومحبوب لكان ذلك من الله تعالى لك دليلا على تحقيق بعدك وتزايده ووقوعك
في مهواة لا يكون لك منها خلاص كما قال ابو اسحاق الالبيري رحمه الله
تعالى في وصيته لابنه في قصيدته التائية

فان ملت عنه نشبت فيه وقل لك بالملام اذا نشبت

ولا شك ان الحالة التي انت عليها منة من الله تعالى لديك او لطفها
بفضله اليك كما اراد والله اعلم من الابقاء عليك فاغتنم هذه
الفرصة التي امكنتك اغتنامها وخلص نفسك من الورطة التي ان دامت
افنتك فيها واعمل على حسب هذه النصيحة التي القاها اليك من ابداه
اشتكاك او بثه وشاركك في منفعتك ومضرتك وتذكر لك عليه حق
رعاية لك بما انطبق عليه في هذا المكتوب ويود لو كان الامر بيده ان يوصل
اليك كل محبوب ومرغوب ولا يخفى بما تعرف به في فتنتك من سوء نيتك وسوء
الناس فان الرب الذي ترجع الى بابه وتتعلق بجنابه يعطيك من حيث لا
تشعر ولا تحتسب ولا تقدر ويتولى الله تعالى تنزل منه كل خير واحسان
ويجود له من فضلك وقوتك فقد قال الله تعالى على الغير كان فاذا لم تفعل ما
ذكرناه لك وبقيت على ما انت وجماعتك ونعالك خفت عليك ان تقع في
نشب لا تطاق وكربة يعجز عن حملها المطاق وقد انذر فقد اعذر وقد
بلغ فما قصر والله تعالى يقلب قلبك ويفرج كربك وكربتك ويصرف عنك
نزغات الشيطان ويحملك في كنفه وحفظه حتى لا يكون له عليك سلطان

بمنه وكرمه وبعد فقد بلغني كتابكم وقد
أحسنتم في نقل كلام ذينك الرجلين الفاضلين في الفقر والغنى والعبودية
والحرية لتتعرف بذلك ما لنا وما علينا بعد الاطلاع على نصوص
القوم فتحرر علينا في هذا الموضع من وجوه كثيرة وقد كتبت بشيء فلما
اكتب بما يظهر لي من غير أن أستعين على ذلك بكلام أحد في الغالب فقد
أثبت المفصل في ذلك بما مثلي أحد في الوجود وإن أخطأته فليس بملوم
بادي المجهود وقولكم وقد ذكرت لكم كلام الرجلين إلا أن تعرفوا
ما عندكم فيه وأن تزيد عنهم فيه إلخ للإدراك ما الذي أقول لكم لأني إذا سلكت
سبيل التقليد احتقرت همتي جميع ما قالاه فيكمل علي جميع ما فهمته وقلت
لك حالي في الحالة كلام كتبت لك ورسمته وهذا هو الصحيح الذي ينبغي أن يرجع
إليه لا التحكم لأنواع فنونه علينا وإن سلكت في ذلك مسلك النظر فحصله
مع علو شأنهما كان ذلك مني سوء أدب بل تجيبهم عنه وفي ذلك ما فيه
ولو كانا من غير أهل هذا الكلام لكان الأمر على أخف قال وإن يسلم لهما ما
قالاه وأن يعتذر عن كلامي وكلامهما لم يتواردا على محل واحد تنزلا ولا وإن
قال الحرية التي ذكرها ابن عطاء وإنما تشتمل مشهود الأغيار كيف
يتلاقى ذلك مع ما ذكرت في معنى الحرية والأغيار على ذلك التفسير لا وجود
لها حتى تكون مشاهدة وما ذكرته في معنى الحرية هو الذي تشير إليه نصوص
القوم الذين يرجع إليهم ابن عطاء وغيره وانظر باب الحرية في الرسالة لغير
تجد مصداق ما قلناه وقد عرفت ما عرفت بأن ذكر معنى الحرية الذي
ذكرت فيه من معناها ومن ثمرتها فما يمكن أن تنازع فيه ثمرته لذلك
ووقع ذلك مني قبل انفصال الكتاب عني بيوم بعد أن كان بقي في يده
طويلة أن تقف فيها وجود الحامل كما ذكرت لكم بحضرة الله تعالى وقلت
كان ذلك الناظر بحكمة لم أشعر بها وأبقيت عوضا من ذلك ما لا يمكن أن ينازع
فيه وقد وافقت في ذلك ما ذكره الغربي القاري عن بعض الشاذلية في
الكلام الذي حكيتموه عنه ما دام بين العبد وبين الله تعالى بغير يسمى عبدا وإذا تحققت

لعله

كتب

الغريبة يتمشى حزرا وفضوله في الرد عليه لم يجمعه كما لم يجمع ايضا قوله ووجد
العرفان والترجيح ان الحق اذا اطلع رجلا عوضا انى اخر كلامه ولم يدخل على
ذالك في شطوح فضلا عن ان يكون له غنى ثبوت او رسوخ ولعلهما قصرا في
كل منهما الى تعمية معزل الكشف او عن الناس لانها قد تنتهي بهم واذ لا حاجة بهم
اليها في سلوك الكشف ولو انه استتر عليه استلا بهم وقد يكون في كلامهما رموز واشارات
يقصدها اربابها وتكليف الناس على قدر عقولهم داب المعلمين انهم شرديين
فاذا احتاج مريد فليعقله مثلا لم يعرف ما وراءه ولا قدر امره فتكلم بكلام
ربما يتعلق بوجه مراقبه وان وجد في حاله سلامة ربما يعتقد ذالك في امثاله
نفسه او نزاهة ومعكرا يفعل اصحاب الكيمياء فانهم لا يعبرون بكلامهم عن
يعتقدون الا بعد الامور وراء اصحاب الرموز فاذا اسكتوا تلك الرموز كشهرة الكنوز
الكنوز فاذا سمع العوام كلامهم واخذوا من كثرة ما يرون انه مقصود منهم
وقراءهم ثم اخذوا يحللون ويركبون على الصور التي يعتقدون وبحسب ما اليه
يذهبون لم يصادفوا المقصود ولا المراد وقد ينفق فتلاعبهم في الرماد فاذا
انقطع من عمرهم زمن طويل وضاع في تحصيل ما قلبهم سحرهم وعنادهم
احالوا ذالك على جهل الراسم لتلك الكلمات ونبزوه ما من ايديهم كما نبز
الفراك ولاكنه يسلم منهم باعتقادهم فيه الجهل بتلك الصنعة وانه
لو كشف لهم عن حقيقة الامر واطلعهم على مكنون السر ثم عملوا على حسبه
فاما بوا حقيقة فذهبه لم يسلم منهم من الوقوع في مهالك لا تحصى ولا ينجيه
منهم ان اغفلهم الا ان يخلي كسالة في ايديهم ويخرج عنهم جملة مفردا ولي ما يتناول
عليهما وعلى امثالهما من المتغيرين العارفين والسنة تعلمهم عمليتها بالعهم
عنهم والاصغاء اليهم والاخذ منهم ويتوقفنا المعرفة افرادا اولياء في
المغربين ومن رفقنا من عنايته وخصوصيته ما نكون به مستبشر في المجيبين بمنه
وكرمه والله فان لم تتناول لهما معذارا وما استبعد فانه لا امالة ان يكون في كلام
بعض كلامهما قصور لا يمكن ان يعذر من احد بما سمع شيئا من معزل الكشف
فضلا عن امثالهما من المتغيرين واذا اخسست تامل ذالك الذي قدرته من

كلامهم

كلامهما رأيت حقيقة ما قلناه ولولا العجلة لبينت لك ذلك

وأما الملامتية الذين أشار إليهم الغريب فهم الصوفية
وذلك اللفظ من ألفاظ العجم وهو يستعمله في كتبه نسبهم إلى الملامة
كما أن الملامتية كطائفة تنسبوا إلى الملامة وإنما قيل لهم ملامتية لأنهم
سلكوا مع الملامة التي ألقتها الطائفة الأخرى وإنما قلت الطائفة لأنهم
ألفوا اللوم والتعيير أبدا في كل حال ومن أجله ميزهم عن غيرهم وقد اختلفوا في
تفضيل إحدى الطائفتين على الأخرى فمذهب الحاتمي والذي يظهر من مذهب
هؤلاء من قبل تفضيل الملامتية على الصوفية حتى إن الحاتمي ذكر أن
حالهم هو حال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وحال الصوفية هو حال
موسى عليه السلام والكتاب نقل ذلك عن الشيخ أبي عبد الرحمن السلمي
في الجزء الذي وضعه في أحوال الملامتية ومن شيوخهم حمدون القصار وأبو
حفص الحداد وعبد الله بن منازل وقد عد الحاتمي منهم أبا يزيد البسطامي
وسهل بن عبد الله من المتقدمين والشيخ أبا مدين والشيخ عبد القادر من
المتأخرين رضي الله عنهم وغيرهم ممن لا أستحضر ذكرهم الآن ومذهب السهروردي
تفضيل الصوفية على الملامتية وحجته على مذهبه أظهر من حجة الآخرين والله
تعالى أعلم ولست أدري هل اطلع على كلامي في الحرية والعبودية هذا الرجل الذي تنازعتم
معه ويتصدر لمطالعته ما الذي قال فيه وعجبت لكم كونكم تركتم الكلام في
تلك النصوص وما أردتم أن تجمعوا معها من كلام القوم وتضموه إليها وما
مثلكم في ذلك إلا مثل من اطلع على نصوص كثيرة نص عليها اللخمي وابن
يونس وابن رشد وغيرهم ثم تركها وأخذ يعتني بعرض ما يتمثل الطالب من أمثال
عصره مع أنه لم يطلع على شيء من تلك النصوص فضلا عن أن يعرف لها معنى
أو تأويلا فهذا هو التغليط المحض وفوق ذلكم ولما قرأت السؤال
الذي أوردتم قولا على لساني من حيث من وجه لأجل كذا أو لأجل كذا فصحيح أن ذلك
يقع منكم وتلك الاعتقادات منكم من حسن الظن بي كما ذكرت لكم قبل هذا
وفوق ذلكم ولما تحققت ثبات تلك الصفة فيكم قلت لقد حصلت في

مذهب الحاتمي تفضيل الملامتية على الصوفية والذي يظهر من مذهب

مذهب السهروردي تفضيل الصوفية على الملامتية

وذكرت انه يجب علي ان لا اعصيه ولا اخالفه في شيء وذكرت حصلتم فيهما وانا
احب ان تعصيني وتخالفني في بعض الامور بل في اكثرها فان رجوعكم لكم في ورقة
بسبب ذلك فانا اول من يسبقكم اليها ويقع فيها فاذا وقعنا فيها جميعا فلا
وجه لما ذكرتم من الانكماد والانغمار لان حزن الجماعة فرح والكلام مع ان
هذا التقرير باطل فلا تكونوا من ذلك في امان ولا تخافوا منه خوف
الصادقين ولا خوف المنافقين وقولكم فيها دنيت بلسان حالي وقالي
يا ارحم الراحمين افتكشفني عن النكث في احوالي وافعالي فهمت منه حسبما
كنت فهمتك في تلك المسئلة التي كنت ذكرت لكم انكم قلتموها ووددت لو
كنت سمعتها منكم حين قلتموها بلسانكم المقالي وقد ابى الغلام ان يزول عنكم
وليت شعري اين سمعت بهذا الدعاء عن احد من محققي السلف وهل يتصور
الوصول الى تلك الحال بكلفة او سبب ولعلك لما دعيت بهذا الدعاء
كنت على تلك الحال لا كل على الوجه التام المرضي عند الله تعالى لا عندكم ولذا لم يحصل
لكم ذلك الكمد والانغمار ويكون في ذلك بمنزلة الرجل الذي كان راكبا وهو
يناديه ويقول من اهداني لحماري او ركبني على هذا الذي ذكرت مع هذا الكلام الذي
ذيلته به تلك المسئلة التي اسبقت اليها والمسئلة التي قبلها فلا فائدة
في تكرير الكلام عليهما مرة ثالثة مع ان المعنى في الجميع واحد وكل من يتبع
ان الجامع وقولكم وهذا الامر هنا يكثر علي بعض الاوقات ثم امر به
عني في بعض الحالات واقول كذا فاعلم ان الوقت الذي تكرر عليك اصعب من
الوقت الذي يمر فيه الكدر عنك ولو بقيت بكدرك لكان احسن لك ثم انك التمست
ذلك المرء بمعنى ذلك الكلام المختلف الذي قلتم الله عز وجل الذي اشهدكم في
خصوصيته وكشف لي حقيقته موقف على بساط بعيد وسلوكه لم يفته
وان خصوصيته له او حقيقته عني ولعلك لو اتبعتني وسلكت لم يبق لك ان المسلك
والشفاء بك اولى واحرى ولم تبدل اذ المحبة مع امري وبك حالهم له من الجولان
وارح سرك من الهموم والاحزان وقلبك من التطلع ليكون وكان وانصب
هذا الكلام كله قبالة عينيك كما تنصب المصباح والسراج وكن ممن السراج

علما

كما انك بعين السراج ولا ادري كيف يومر بتحصيل الحاصل من غير اي يشك في
التعيين عند هذا المنهاج فان لم تكن كذلك لم يفارقك الاعوجاج ولا عجبت
بك ان فواج فان كلفت بخلطة اموري المعين والصاحب وان رفقت متعلقا
كنت كمن يتعلق بخيوط العناكب وكانك بعد هذا لا تملك من امرك تتكلم ببرهة
اخرى اشر لغوا واكثر هجرا ولا كبر تراه قبالة الوسواس الخناس حتى يتلقفكم
بكلام ليس فيه باس عقلاء، فهذا حالك في الوجراء لا شيخك بزعمه لم يتلقفكم به
حتى الان والتلميذ لا يتجاوز بحال الرحال شيخه حتى يموت ذلك الشيخ واما
ما دام في قيد الحياة فلا يزال يقع معه ويقوم ويفرق ويقوم وليس على حالة
واحدة مرضية يثبت ويدوم الا اذا ادركتهما عناية الحي القيوم فيخرجهما
اذ ذاك من كل معلوم ومرسوم ويخرب اوكار ارادتهما وامانيهما من النجوم
الى التخوم ويصيح في ارجاء تلك المنازل الخالية البيغاء والبوم فاذا اقفر
المكان بتلك المثارب ونادى راعيهما الخربات ابن ما علقت الاجنحة لحبائب
لم يجب نداءها الا صداها فحينئذ يتحققون انهما فرد مفقود في الزمانين وورث
الله الارض ومن عليهما وهو خير الوارثين والحمد لله رب العالمين الذي حبب الينا الايمان
والاسلام وكره الينا الفسوق والعصيان وعبادة الاصنام حمدا لا يحصى
ولا ينتهي الى اخر ولا يستقصى فهذا هو السبيل الذي سلكه المتادب المتدرب
فان خطر لك ان هذا امر نجده يسير قليل فاقول لك قليل الذي لا يقال له قليل
ثم ان كان ذلك قليلا فانت اقل من كل قليل فهذا فنزع من الهذيان المعهود
مني والله تعالى يرحمني ويعفو عني واما الذي تشير اليه فانه اقول
من انه يعلم لفلان فقط علم او فهم او تحصيل وهو لم يجالس المشايخ ولم يمارس
الكلية ولولا فلان الذي هو عندنا مثل الاعوجاج يقع كبيحة ولا ادري كيف
هو عندي اخي من اين يذكر شيء من ذلك فالمتكبر متكبر هو ولو تكون بالحكمة
وقد نقلت لكم في بعض الكتب التي طالعت من الالفاظ العامية الحمد لله على
قلة الحسب وذلك في نازلة وقعت في بعض الازمنة كلف فيها السلطان اهل
الجاه والحسب بعض التكاليف الشاقة فقال حينئذ بعض الاذكياء والصوفية

ذلك الكلام والألفاظ العامية كثير إما استوفيناه في كتبي وأصل هذا الكلام العجيب
الغريب لأن الأمثال العامية تشير إلى معان حقيقية لا يمكن أن يستبعد مثلها إلا
من الكلمات الحكمية ثم هي من أعلق بالقلوب والنفوس من كل ما يفهم من الكلام
أودع الدفاتر والكراريس فلذلك اغتنمناها فاعلم هذا **أما بعد**
فقد بلغني كتابكم المشتمل على الأخبار بجزئيات كثيرة يمكن أن يشتكى
إلى الله بكلام عليها وقد جئتم في ذلك على الغرض والحمد لله فمنها ما قاله لكم
فلان أو بلغكم عنه من تقبيح تقليدكم في ذلك وهو الحق الذي ينبغي أن يعتقد ولا
يعتقد ولا أكثر ما اشتغلتم به على حسب ذلك صحيح مستقيم موافق ولما كنت
قررته لكم في تلك المسألة لموافق ذلك ما في تفسير الأمر لا أكثر الكلام من أنه لا يوافق
ومنها ما تراجعتم فيه الكلام أنتم وفلان وذلك من غلبة أنكم الذين لا
تكادون تنفكون منه ولكنه غلبة واقع في محله إذ نتيجة ذلك وثمرته الاقتداء
فيه بل فيه كل المنفعة والفائدة ولا أقوال الفائدة فيه راجعة إلى أحد عنه
من غير أن يكون في فيها نصيب بل إنه أخذ منها الحظ الأوفر والنصيب الأكبر أما
أولا فلما عندك في مذاكرة الكلام ومراده من الراحة والانشراح ولذلك أجد
لكتابكم الذي يرد علي ويكون فيه كلام كثير وتخبرون فيه بوقائع تقع عندكم
انشراحا زائدا لذلك ويكون في اقتضاء الكلام مني كغيري فلازم على أنكم لا
تنتبهون لتلك المسائل التي يحتاج فيها إلى تدبيركم فيقع فيها من الكلام ما
تستحسنه وما يكون فيه نوع غرابة بحيث يقول السامع لأي شيء هذا وفي مراده
الكلام في هذا الجنس يكون الملك أو المعلى فأركان الملك فعندكم داخلة ونعمة
متصلة وأركان المعلى جميلة وحية ولكنها رضية من قبل أنه يتسبب فيها
عند من له أمر وسلطان الاغتنام من متكلميه هذا الزمان الذين إذا استمع الجفاء
بذكرهم يستحون بأن يبيتوا على وضوئهم ثم كأنهم إذ يكون لقلبهم نوع انشراح
بما حضر من الناطق بالصواب حين قال الحمد لله الذي يفعل كذا وكذا ولا أقول
أن الفقيرين يتشابهان من كل وجه ولكن بينهما مشابهة خفية يعرفها أهل
الحق ولو شئت أن أقول هذا من الباب لجاز لغلبته والله تعالى ولي التوفيق والعصمة

Digitized by Google

برمته ولا يمكن للمتكلم في كتبكم الا بما يقتضي التكلم على امور بينة لا كثير غرابة
فيها عند اهل المعرفة بل هي عندهم من الواضحات الجلية للكرم لكن الله
تعالى في يختبر الله للعبد وهو كاره واما الثانية فلما لي في مجاراة بعض الكلام قدم ادية
من الفوائد التي مرجعها الى معرفة الحق من الباطل والصواب من الخطا والحسن من
القبيح لاني في كل ما اتكلم به لا التزم له صحة ولا اعتقد فيه اصابة وانما اتكلم
فيه بمنزلة من ينقل عن امور غائبة لمن يحبس شيئا في يده ويقول لجماعة من الناس
ان شيئا في يدي فيه تعبير فما في يده تتفاوت فيه افهامهم فاذا قال واحد في يدك كذا وكذا
وفهم ذلك من امارات وقرائن للحق له لم يقطع بصحة ذلك اذ لعل الامارات
والقرائن التي يفهم منها غير ما خالف ما فهمه هو اظهر وابين ولا يمكنها الوقوف عليه
فيرجع حينئذ عن قوله الى قول صاحبه كوقعنا او كم هنا اقل الكثرة من صاحب
النفس المرتبة المنصفة واما الكلام في غير صاحب التعبير التي تخالف ذلك
ولا يسعه خلاف الرجوع المذكور لان كل من لا يرجع الى الحق اذا جهده ليس من العقلاء
في شيء بل هو من عبيد الاغبياء واحمق الحمقاء هذا مع انه يجوز ان يكون ما تضمنه يد
الغائب شيئا اخر ولاكنه لم يكلف احدا اصابة ما في نفس الامر بل ذلك فتح من الله
تعالى لارباب الكشف والشهود وانما كلف ان يفهم ما دلت عليه صحيح النظر
لا يكلف الله نفسا الا وسعها فاذا تقرر هذا كان من الواجب على كل عاقل لم
يبلغ الى منازل الكمل استغراق لا يشتغل بنفسه وان يكون له تعطش تام الى زيادة
فكر ان يكون فيه تكميل ما بذل من كلام من هو اكبر منه او اصغر فلقد يتم ويرتقي
فوق العلماء او العلامة فان وقع ذلك الذي طلبتم منه وما ابعد ان يقع بما اوحتا
بذلك واشد اعتناء كتابه لانه قد رجع بسبب ذلك عن خطا انا عليه فستمر
وقفتم فانه اعتقد صحة قوله عز وجل وفوق كل ذي علم عليم لا سيما وانا في هذا
الموضع لم هو في البادية اذا اردت مراجعة مسئلة في كتاب او طلب حديث نبوي
او اثر من اثار السلف الصالح عسر ذلك علي او تعذر وقل رجال من الاولياء
بهذا كله فاذا وقع منهما التنبيه لي بشيء من هذا الجنس الذي هو قليل في يد
كان ذلك اعظم غنيمة عندي والله تعالى الموفق لقبول الحق والسلوك لمسالك

شى

Digitized by Google

الحزن لا ريب غيره ولا لذاذة له اصلا وعيش من يقع في الوجود امثال غريبة
فمستبدل زواله الزمان لكن ذات الغرايب والعجايب اكثر مما اذا كثروا عند المسكنة والزلة
الانانية ان تتم سوء سلطة اذا زوال المسكنة والزلة فلما يتضمنه وقوع ذلك
من تبريح العزلة في قلوب الناس ولا ان الذين يتسموا بالكياسة لانهم يعدون على اليهم
اهل المغرب ويفتنهم ويستهم الذين يرجعون البيد في الحواضر العفرى وفي ساير كلام
اهل الخلق واذا اليهم واعزهم واخصهم يستعيدونه فلابد له بحيث ربما يكون في يده
كتاب من كتب الفقهاء يتكلم فيه مسألة عظيمة من كتاب ان يمدلون النذور او مسايل
ارخاء الستور ويكون استعماله فيها اخر الخلفاء اولاد عمر وجمع للنكت فيها
من في زمانه من العلماء فيتصفحه من يده ويأخذ تلك المجلدات التي لم يفصل بينها
واضعها وجه الدهر تعلق ولا ابوابه ولو شاء ان يعلق على ذلك في الكعبة او بين
الركن والمقام بتقريبه ووصوله الى ذلك الموضع الشريف لفعل وحينئذ ينعزل فلان
عند الناس المذكورين من المكانة والوجاهة التي كانت في قلوبهم مع ان علة التي
يقربها من جلية الامر واكثب من ذلك الواضع الفضولي ولو شاء ان يعلق ايضا
على مثله في الموضع المذكور لفعل ويكفي في حصول منزلة العزلة والمرتبة في ان يعملوا لكن
فلا جعل ذلك الكلام اهلا ان يتكلم فيه ويعم له اجزاء اصلحا من وفيه كيف كان
ذلك النكر والمنكر واما انه من سوء سلطة فهو منا تمثيل وكناية فان سوء
سلطة اذا تم في الوقتين المعلومين في السنة لا تكاد ان تسمع فيها باذن من كثرة الصياح
والضجيج ولا يكاد يعقل فيما خلا من الزمان واما اليوم فهو ممن له اخر اسواق
الغبار الضعيفة التي تكون في البوادي ولا شك انه اذا وقع ذلك تتضرر لا محالة
المسايل المشكلة والنوازل المعضلة وتجلب من حيث لا يكون ولا يتوهم فاذا تقرر
لنا ذلك احتجنا لا محالة للكلام الكثير الذي يكون امتلاء ذلك البحر من الكلام
الذي وجهتم به منه استعمل قلمي من شبهة ما انه لم يمنعني من ذلك مانع واذا كنت
اذا كتبتم لي بالفعل القليل اجلب عليكم اساطير الاولين وانكلم فيه بالغيب والتخمين
فما كنتم بمثل هذا ولاكني اجرني قاليا بهذا اقادوا عن انباء من تكلم المعارك واما الوصف
مثاله فقليلا ما يكون في الحد كما قال المتنبي *

الصاغر

ل

وإذا أقام الجنان زمنا بـأرض لا تطلب الصغر وحزن والنـزال
وحينئذ تتمنون غيبتي عنكم كما تتمنون الآن حضوري معكم ثم إنه ينبغي أن ذلك
أن يمتنع من البلاد ويشتغل في بلاكنه وقوده ولا كنه لينشر بوملاح فيخرج حينئذ عن جسده
ويزيل السماسمية عن رأسه وتخرج منه تلك الأخلاط المباركة إذ لا تدرك لهم في منزلة
الحال على الشغاف والمشاركة للأسماء إن كان ذلك علمه وعزا أو عضده ونصه أحد
بشأن زوزا وأما الآن إذا أسمع فلا أدري ذلك وتعقلوا مثل ذلك فلا تسمع عما يقع عندكم
من كلام وصلاح من غير هذا الآن مما يكون فيه من فساد أو صلاح فيكون ذلك
شبيها بانعقاد سوء سبيل المذكور للذكر في سائر الأوقات والدهور وأما قلته
وقال بعد أن يقع للأرض قويمه فتظهر شيئا من الحق يقع في الوجود مع أنه منذ أزمنة
كثيرة لا معلوم ومفقود ثم هو متظهر أيضا وقوع شيء من هذه الأمور الغريبة التي
ذكر فلها مثل العز والعلم أو غير ذلك ومعنى وإن كانت من الأمور الباطلة التي لا يقع
وقوع أمثالها في العادة ولكنها بعيد وقوعها في أنفسها ولعل في ذلك خبرا وأما
ما قيل كمولد من تاريخ الكتب بعد اختتم فيه لأني كنت مشتغلا إليه ذلك الوقت
وقوله فيه ذكر فيه أشياء منكرة مستشنعة في العقائد أما النكهة واستشنعت
على مذهب أهل الكفر والهرمسين الذين لينشئوا الحجة على هؤلاء القوم وأما
الكلام الذي ذكر أنه حفظه عنه فأرخه عنه بذلك النص من غير أن يكون فيه تحريف أو
تغيير أو تبديل بسبب سوء السمع منه أو قصر الفهم عليه فلا الأقرب فيه أن يعتقد
أن ذلك من إلقاء الشيطان على لسانه في أثناء كلامه ووضعه من غير قصد منه لزلة
لتتشوش به قلوب الناس ويرتفع به الفتنة للمستمعين ويفعل الله ما يشاء
ويحكم ما يريد ووقوع مثل هذا لا ينبغي أن ينكر وقوعه بسبب سوء السمع نعني به
سماع العوام فيه لأنهم أكثر من يصحب الأولياء ويغلب على الغريب من جهال السنتهم
وهم لا يعقلون ولا يدرون ما يسمعون وإذا سمعوا شيئا على وجه لم يعرفوا كيف ينقلون
ومثل هؤلاء لا يقبل منهم ولا يوخذ عنهم ووقوعه أو قصر الفهم عليه فنعني به
من عنده حظ من فهم ومعرفة يمكن له يتلقى به الكلام على وجهه ولكن لما أخذ قدرا كافيا
من الفهم والعرفان وتطلب الزلات والعثرات لا ينقل ما سمعه على وجهه بل يغير

فيه ويبدأ أو يزيد وينقص وأن يجري في الكلام نوع تلطيف وإدماج سبكه على وجه يتم
به غرضه من الانتقاد والطعن فيتكلم في التهمة البتة من قبيل هذا فوجب أن لا يقبل
من مثله فإذا أمكن وقوع أحد هذين الوجهين أعني أن يكون الكلام محرفا عن وجهه
ومن قبل الأمرين المذكورين أو يكون ذلك الغلط على لسانه من غير أن يقصد له أو يعقد
عليه أو كان الغالب وقوعه لأن التحريف في الكلام كثير والطعن على الأولياء غير
قليل ووقوع واحد من اثنين أقرب من وقوع واحد معين لم يجز أن ينسب ذلك الكلام
الشنيع إليه أنه قاله بنصه ويقصد إليه حتى تقع له فيه مراجعة ويكون له
عليه اعتماد وثبوت ولم ينقل ذلك الحافظ الخطيب شيئا من هذا فيتبرع
الناس له ويجزأ ندم ذو سماع هذا الكلام منه أو من غيره نافلا عنه من غير
تثبت في ذلك لأوجبه له وامتناعه هو من التكلم على الناس بغير ذلك حسن
جميل لأنهم هم الذين نفروا عنه وقد قبل جرت الناس فأحرى قوله بإبطال عقدهم
وإرادة إزالة تلك الظلامة عن الناس فهو من أعظم النعم عليهم نعم وعلى غيرهم
ولولا وقوع ذلك الكلام المرفوع منه في ذلك لسرى ذلك في البلاد ولتضرر
به العباد فالله تعالى يجازي الآخذين في ذلك أفضل الجزاء ويبلغهم غاية ما
أملوه من جزيل العطاء ولعمري وأركان فساد وظلم هو موجود الآن وصار
كالسنة المستعملة بدون التكلم عليه وتغيير رسومه عند ابتداء فابتداء أن يحرف
لم يكن الآن في الوجود شيء منه ولكانت الدنيا مطهرة منه لأن القلوب من أرباب
الأمر قابلة للعقل الحسن مهما دعيت إليه من الكف وجدوا قربه للأسماع أن قبحه
بحد ذاته الرائج وحسن ليته كما وقع في هذه النازلة ولكن من سلف مضى
فلينبه كذلك واستثنى عمله كما ذكره امرؤ وأقر عليه واستمر بسبب ذلك
الفساد ولم يرجع زواله ولا بطلانه إلى يوم التناد لأن استمرار الغلط ذاك
عن العمل بالشيء يوجب ثبوته ورسوخه فالله تعالى ينصف الناس منهم وقول
فلان لفلان هذا يجب عليكم أن تنصروا الناس فيما هم فيه فكيف يستنكفون كلام
يحتاج إلى نكير لأن قوله هذا يجب عليكم صحيح ولكن لما ذكرناه اللازم من المبادرة
إلى إزالة الفساد في أول حدوثه قبل أن يستحكم لأن لما ذكره هو من قوله أنكر الناس

فشكت

فيما هم فيه وكيف يستغفرون لانه يعمهم منه ان كان وقع من الظالم منهم مناف للاستسقاء
واجابة الدعاء وقد جرى مثل هذا في مقام الناس يجري الدم في الجسد وليسرة الى
فيما يظهر لي بحسب ما اراه في زماننا في الاستسقاء انما هو المنكرات التي يفعلها
عوام الناس وانهم عنه ولا احتياج الى ذكرها لكثرتها فيكون ما اصيبوا به من
القحط عقوبة لهم او تاديبا على ما صنعوا من ذلك فيحتاجون عند اخذهم
في الاستسقاء الى التوبة واب فلا بد مما افترقوا من ذلك لعلهم يرحمون
ولذلك اكثر ما يكون في الاستسقاء الاستغفار وقد استسقى عمر بن
الخطاب رضي الله عنه ولم يزد على الاستغفار واما قولكم ان الظلم يعني
من منكم اي الخاصة وارباب الامر وهي من جملة العقوبات او التاديبات للرعية
والعامة بمثابة القحط الى ان ابتلوا به فان قلنا بان بينهما وبين الاستسقاء
حتى يتفرغ بين بين الاستسقاء بل العلة مما تقويه وتؤكده لانهم اذا فقدوا
الاستسقاء لم يكن ما لهم الا تسليطهم من هو لاعم الدلالة من الذنوب التي اوجبت
لهم العقوبة بعدم نزول القطر وكذلك الدلالة من الذنوب التي اوجبت لهم
العقوبة بظلم اولي الامر فيستغفرون على ما اكتسبوا تكرار لما توالى عليهم
من المصائب والعقوبات بارتكاب الاوزار فيكون ذلك اسرع للاجابة
وابلغ في اجابتهم قال الله عز وجل امن يجيب المضطر اذا دعاه واما عقوبات
الظلمة على منكم انهم لم ما ابتلوا بشيء من مثل هذا ولكن عقوبتهم انما هي بالاملاء والاكلا
والاستدراج واسباغ النعم والتمكين من ظلم الناس حتى اذا استوفوا اجرامهم
ما قدر لهم من ذلك ان يستوفوه وحان حين ان يحيق بهم من عقوبة الله ما كان
نسيه اخذه الله بغتة من حيث لا يحتسب ولا يفر وجعله اية وعبرة
لمن يتقي ومن يتاخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل
يملي للظالم فاذا اخذه لم يفلته ثم قرأ وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى ومعنى
كلامه ان اخذه اليم شديد ويجتث الظلم كيف شاء له ما قاله عن حال
وفور جهله ونفوذ منعه وقوة بطشه وجلاوة بشيء انا مما لا قد خلاله في
ذلك من قوله مثل الشخص ينقل عنه كذا وقد حاوله فلا في محاولة ذلك

يلزم النية

نكون

الأمر حسن كله لتيسر الخير فيه ما يقول والله تعالى يتلقى له ذلك بالقبول ويعقبه
بسببه غاية ان فازوا بالسؤال بمنه وفضله وفي قوله وما يعطى من غير الجهاد انما
يكون بطيبة نفس من هو يعطى له فصحيح ولاكن كيف يعطى ان ز بطيبة النفس
ورضى المعطى له وقد استولى البخل والشح على النفوس وكان الفقير الآن في يدرس
يجيئك شأنه في هذا الوقت فإن عندك من فيه الى الخلق لا فيه وقد عوين
في هذا الوقت مضرا وما قلناه بالضعفاء والمساكين الذين يموتون بالجوع
والبرد واكثرهم اطفال صغار لم يبلغوا ان الحلم ولم يخط عليهم قلم واضعاف
ألفناهم المنفكم لا يشاميزونهم على هذه الحال ولا تدر كتهم عليهم شفقة
الديانة ولا تسمح لهم نفوسهم الشحيحة بمواساة ولا احسان هذا في ما
يتوصل الى الفقراء بعد تعب المال واما الجهاد الذي يحتاج فيه الى مباشرة امره
بالتعبير مع المال فكيف يتصور ان تسمح بذلك نفوس الناس اليوم فيحكم
حال الامر الان لا محالة ان يأخذوا ذلك من الناس على ما احبوا او كرهوا ولا شك
ان هذا اخذ باطل وما ينبني عليه ايضا باطل مع انهم اعني اهل هذا اعتادوا
غاية التوسع والترفه في الدنيا وبلوغ نهاية ذلك وكمال فيهما ولا اقول الامراء
بل اتباع اتباعهم ومن دونهم يصلون الى ذلك انما هم يصلون اليه بكدهم
وكسبهم او بغير اقطاعهم لولا ما يأخذونه من الناس بالظلم والقهر او تكلفونهم
ان يكونوا من الترك للدنيا والتقشف فيما فعل عمر بن عبد العزيز فيهما فيهما
فيمكنهم الان اخذ شيء كيف هذا الان من مستقيما ومن جهة الدين المحمدي
سليما لا يقدرون ذلك ابدا ولا يمكن ان يقدروه في مجرى العادة الا بما اقوله لكن
وذلك اذا استغاثت اخوان العلماء الوقت بزوال الغربة والعسر فلو مهم
فاذا زالت الغربة والعسر وشاهدوا ما الخلق فيه من مطالب الدين والدنيا
اشفقوا عليهم شفقة الايمان وحرصوا على تضييعهم بما تعرضوا له في الاجل
من المعاقبة في النيران وفي العاجل من استحالة الكلمة وامل الغزو ان مع
انهم قادرون على ذلك من اقرب وجه واسهله وايسره ومن ان يمهدوا الى ارباب
الامر فيقولون لهم اي شيء حاجتكم فيقولون لهم الكفالة ولا يسعهم ان يقولوا الا بعد

ولا يجرون خلافه البتة حاجتنا ان يستقيم امر سلطنتنا ونحصل على جميع فوائدها
ويحصل مع ذالك حال رعيتنا الى صلاحهم وفلاحهم فيقولون لهم ومعنا ايضا مر
الى تدبير وجئنا لندلكم عليه ومن فوائده لرضى الله تعالى فوق ذلك ان سلامة العواقب
وبلوغ الامال والمآرب مع حصول لكم على جميع اغراضكم فيقولون لهم لا محالة
نعم دلونا عليه وقد ابديتم معنا وقد ضمنتم لنا حصول ذلك مع ادراك المقاصد
مع السلامة من المظالم والمفاسد فيقولون لهم اما ما ذكرتم من استقامة
سلطنتكم وتحصيل فوائدها فلكم طريق اخر موصل لكم الى غاية املكم من ذالك بحيث
تغنيكم من اموال كثيرة جمعتموها من تعديكم بالظلم والغصب فقد مكنكم الله
تعالى من اخذها عجزا او جوز لكم ذالك بل اوجبه عليكم من غير ان تخافوا بسبب
ذالك ضررا ولا تتوقعوا غائلة وتلك الاموال يعلمون اين هي ومن هم قادرون
على ان يعينوا من هي بيده ويبينوا كيف يتوصل الى اخذها منهم ولكن يمنعهم
من ذالك ستر بار الفقراء بعضهم ولكن الحق احق ان يتبع ومعنا الكلام عرضنا معنا
ولنبين من هذا الذي اخرنا في تقريره هنا ثم يقولون لهم واما ما ذكرتم من صلاح
رعيتكم الذي استقامة امركم منوط به بعد فلان تصيروا الى كل من شئتم يمنحكم بدين
وعلم وفضل فتجعلوا منه حكماء ووراء كبير وقد كبير ومتسبب ومتمم فيه
في الحكم والامر والنهي فانكم اذا فعلتم ذالك انقاد الناس لهم ومالوا اليهم
بكليتهم فيتعلم اهل الجهل منهم ما جهلوا ويتذكر اهل الغفلة منهم ما غفلوا عنه
فعقلوا فيسيرون في بواطنهم مما جاءت به الرسل شيء من النور وكان للشريعة
المحمدية في هذه الازمنة الردية بعض ظهور فيقدرون بذالك على بذل اموالهم
وانفسهم في مرضات الله تعالى ومجاهدة اعداء الله ومواساة الضعفاء من
عباد الله فيتولد فيما بينهم بذالك ان ينموا اموالهم وصلاح احوالهم وحصول
البركة في جميع متنها ولا تبعهم كما قال الله عز وجل ولو ان اهل القرى امنوا
واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض وقال عز من قائل ولو انهم
اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم
وقال تعالى وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه

ان غير ذلك من الآيات التي فيها امثال منزلة المواعظ للعباد فهذا الذي ذكرناه سبحانه
على ان مدار التقوى والطاعة والاستقامة وصلاح الدنيا انما هو بصلاح الدين
وصلاح الدين انما يكون بصلاح الامراء وصلاح الامراء انما يكون بصلاح العلماء وصلاح
العلماء انما يكون بان ينزع الله تعالى من قلوبهم الغفلة والعماية فاذا انزع ذلك
عنهم شاهدوا ازمنتهم وما اختل فيها وما انتقص منها وعرفوا مبلغه ومقداره
فاشتغلوا باهم الامور وما يؤدي اخذهم فيه الى صلاح الخاصة والجمهور وذلك
ان ياخذوا مع من استخلفوا عليهم في معاملات وعلوم تكون سببا في تصحيح ايمانهم
وتقوية ايقانهم وصلاح اديانهم اما المعاملات فان يشتغلوا بواجباتهم بالعمل
بالعدل والانصاف الذي استقاد ومثل من تغليب شهواتهم ورياضتهم لهم من الشفقة
عليهم والرحمة لهم والبر بهم وادخال المسرات عليهم وايصال المنافع
اليهم واستدفاع المضار عنهم وبالجملة يعاملونهم حسبما عاملهم
من قبلهم خلفاء منهم من الانبياء والمرسلين وغيرهم ذلك من قصة الامام ابي
الى فلان في المسجد وابن عمر ابا ابن فلان له لا احسنت ولا اجملت وغير ذلك مما لا
يحصى كثرة واما العلوم فان يشتغلوا معهم بعلوم تؤدي الى ان يكونوا على
معرفة احوال السنية والشيم المرضية التي هي من اخلاق النبوة ويعلمونهم
كيف يتعبدون لربهم وكيف ينقادون بين يديه في حركاتهم وسكناتهم واقوالهم
وافعالهم ونياتهم ومقاصدهم فيعلمونهم كيف يعظمونه ويجلونه تعظيم
مثلهم واجلاله اذ ليس في كونهم ولا وسعهم ان يقدروا الله حق قدره ويذكرونهم
آلاء الله ونعمه فيحببونه بذلك اليهم ويبينون لهم كيف يتوصلون الى الغبطة
بلقاء الله تعالى بعد الموت فيزهدون لذلك في الدنيا ويتجافون عنها ويتخلون
قبل رفضها وكم اعز من هذا وكم وجميع ذلك موجود في كلام الله تعالى وكلام رسوله
صلى الله عليه وسلم وكلام الاولياء والعلماء فليجعلوا النظر في ذلك معهم
[illegible] ويستخرجوا لهم جميع ذلك من منطوقاتها ومفهوماتها واشاراتها
وتلويحاتها قبلهم في هذا المجال رغب بحيث لو امكن احدهم عنهم نوع يتشاغل فيه
بذلك لم يبلغ عشر معشار ما يشتغلون بذلك من كل فعل [illegible] بصدد له اراه

كما ذكرنا بالامس

ولا يبلغ

Digitized by Google

ولا يأخذون بعضهم في الدين من مسائله مما لا يتم التي مرجعها إلى استيفاء حظوظهم
دنياوية توجب سماحتهم بها لخصومهم عند الحاكم والقاضي والسلطان رجاء
الجزيل والذكر الجميل حتى يحكموا بما ذكرناه من إصلاح عقائدهم وتحسين
أحوالهم لأن ذلك معوان على أساس الدين الذي ينبغي عليه ما خلقوا لأجله
ويعلموا أنهم في هذه الأزمنة الغبسة لم يعقلوا شيئا من ذلك بل تركتهم الأئمة
تعلى علوم وسمعهم وأعمى أبصار قلوبهم فلم يهتدوا إلى العلم الحقيقي الذي به
يعبد الله تعالى ويدان لربوبيته بل عمدوا إلى مسائل ليتوسلوا بها على العامة
العمياء وقالوا لهم النكر فيها هو العلم الذي تواطأ عليه العلماء فاستبدلوا
بكلام الله تعالى وكلام رسوله كلام المناسين الذين هم منسوبون مثلهم أو أقل أكثر
منهم وتم فواقية كما نصها أرباب العقول والألباب في الكتاب والسنة من
البحث والنظر والتدقيق والتحقيق حتى يستخرج أحدهم من أسرار المدونة
وتجمعوا ما تنافر الأقوال المتعددة ما لا يؤدي بزمعها ولا بيان ويستنبط
منها من أن حكام ما لم ينزل الله بها من سلطان ولا ينبغي اعتقادها والعمل
بها من مثل ما لا ينبغي إلا الرجال ولو اشتغل أقل من ذلك في القرآن والحديث لكانت
أنفاسه كلها حسنات ولحظاته كلها قربات ولكان في ذلك من المصالح التي
مرجعها إلى إقامة الدين والنصيحة لله تعالى ولكتابه ولرسوله وللخاصة والعامة
من المسلمين ما لا يحصى ولا يحصر ولكن *

رحل

يا صاحبي يا صاحبي * لمن الفلاح بساب

وقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه الفقيه كل الفقيه
الذي لا يقنط الناس من رحمة الله ولا يؤمنهم من عذاب الله ولا يرخص لهم في معاصي
الله ولا يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره وقد أوجب اكتسابهم على ما أكبوا عليه
من ذلك الضلال المبين في مثل هذا الوقت المساكين إلا أنهم وجدوا من اللذات
الجبيرة في مزاولة أمور الدنيا ووجدوا فيه ما لم يجدوه في الخدمة بالفأس وما أشبهها
من الحرف الشاقة بأضعاف مضاعفة فشروا الراحة الطلبة أشبه شيء
بالعذراء المخدرة لا في الجهر ولا استحياء بل في الشرف ونعومة أعضاء ووفور

خ الشرف

جمع بين الضعفاء والفقراء الخلاف والجنين ومن تشفعا عنه وبني اثر على من الاتباع
والسنين ومن في الكتاب مما لم يتعقب فيها لحبس ولم يعرجوا فيها لحبس ولم
يزل في طلبها وكسبها ما كان فيه بغيته وكل فيه مقنعه من القوانين
الفقهية ومسائل المدونة والعتبية والموازية بل شدوا اعينهم وتركوها
مغلقة مكفكفة واخذوا الاموال من غير قبالاتها بشرع ولا ورع من ائمة الكلمة
والفتوى فاذا جاءهم المسكين محتاجا الى فتواهم في نازلته قعدوا فيها
النكير ونفروا فيها بوجوه العبس والبكم واكثروا فيها من العبوس والتبكم
ليلا يجيء ويرهم في الضيق وليقال ان عندهم فلان ما افهمه وما افقهه وما ادق
نظره وما اكثر تحقيقه فتنتشر له المحاسن التي فتحها وتنقص له منصوبة
الشبكة التي لففها واحكمها فلا جرم لما جعلوا علمهم وسيلة الى طلب
الدنيا كيف ما كانت واستغرقوا في ذلك ووجدوا في انفسهم تمام القابلية
عليه سلبهم الله تعالى حلاوة الايمان واوقعهم في حبائل الشيطان
وانصبغوا من الصفات الذميمة بما لا ياخذه عد ولا احصار فترى المتفقهة
اليوم احرص الناس على الدنيا واتبعهم للهوى واغرهم من الله تعالى حيلا
واصغرهم وجها واكثرهم نجها واوقحهم واغلظهم واجفاهم وانقلهم
بروحا واقلهم بشاشة ثم انتقلت هذه الصفات الردية عنهم وسرت سميتها
منهم الى اتباعهم واشياعهم والمقتدين بهم فعظم الداء وعدم الدواء وحل
الشقاء والبلاء فعم البلوى الواضح ونسي ما كان عليه السلف الصالح
وزاد الامر اذ هذه الاخوان من العلماء مع ملازمتهم لابوابهم وفطانتهم
لكلابهم يستفتكوا من اعتنائهم ولم يجعلوا بهم لانهم راوهم شاركوهم فيما
هم بصدده من الفساد وعما وتوهم على مكائد العباد فان فلاح بمن جنى مع
هذا للاداء او صلاح فكلما جرى من الفساد في الدنيا والدين من لدن استئثار الله
تعالى من الانبياء والمرسلين والخلفاء الراشدين الى ملح هذا معزو في فضائحهم
منسوب بوجوه ممن يليهم ففساد الناس بفساد الملوك وفساد الملوك
بفساد العلماء وفساد العلماء بحبهم للدنيا بما استولى عليهم من العزة والعمى

فاتقوا الله أنى تؤفكون وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون
وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون وقد
خرجنا عن المقصود وطال بنا الكلام وذهب كل مذهب لا كنى فيه لكشف
المعضل ونبهت على داء معضل قد استشرى ضرره في الوجود وصار أقفل الحجى
بسببه أفئدة الهنود وسقته على أسلوب غريب ومنزع عجيب يعترف بجودته
كل منصف لبيب. فمن ترجم هذه النبذة بالموعظة المعربة في مسائل معجبة
تضمنت أبداه بعض فضائح المغتربين من الطلبة ليتجنبها كل من فهم الحق وطلبه
فهو مصيب في ترجمته متعرض بسبب ذلك لأن يتغمده الله تعالى في رحمته
لا سيما إن جعلتها في الدواوين وأخذتها بالرواية عنه المسلمون والمقصود الذي
بعد ذا عنه أن يكتب إلى نفس بأخذ المال الذي نصرف إلى الجهاد لا سبيل
له إلا إفادة خطيب من خطباء العامة يعتبر الناس بالالتجاء لله تعالى في التعليم والوعظ
فحينئذ يصلح من الراعي والرعية الأحوال ويقاتل عن دين الله تعالى بالنفوس
والأموال ومن لم يقدر على هذا فليتكلم فيه ولو بعبارته وربما كان ذلك أبلغ
ممن باشر ذلك بيده وعبارته فلو اتفق أن يكون مثلا خطيبا بجامع القرويين
عمره الله تعالى بذكره ثم يخطب بالخطب التي ذكرناها أو ما يشبهه فيعملها
بحيث يزيد فيها أو ينقص منها ما رأى من المصالح في الراعي والرعية فما تخرج له
ثيابه من الفرح وتعود حينئذ بنشاطه وحماسته فيا لله ذلك الرجل الذي ضلت
رواحله بما عليها ثم وجد ذلك بعد شرود هاجمة البيد وتكون فيه مسامعة
فعززوا وترى الناس حينئذ كيف يسمحون بأموالهم في مرضاة الله عز وجل
وحينئذ يرجع إلى الدين الحنيفي بعض الشباب ويظهر في هذا الوقت المستكبر ما
لم يكن لنا في حساب ومثل هذا لشيء عجاب وإنما قلت خطيبا بجامع القرويين
لأن عاصمة أعراب البلاد الغربية وأسكنة بعض هذا ومنها يسري الصلاح والفساد
إلى سواهما ولا تكن الزهاد يجد بمثل هذه الحالة حتى أن وجود له من خير الحال ولهذا
ثم إن من لا نتكلم بمثل هذا ولا كنى فيه كما قال الشاعر
فمتى أرى كرما تكرمكم المتنبي * والأفقر عيشنا بهذا زمنا زغرا

الراعي

خ الصلاح الراعي

وقد اردت ان اذكر لكم هاهنا نص كتاب كتبته الى فلان كما كتبت لكم نص
كتاب فلان الذي اروم ذلك فما يعجبكم ان هذا الكتاب لم اوجه به اليه بعد لانه لم
يتفق حامل ولا ذكر الا ذكرا حتى اذكر لكم شيئا من بعض كتابه الذي بنيت عليه ما اقوله
قال في كتابه وانا والله متعلق القلب بما يرد علي من بركتكم الشيء لم تزل من قلبي
ومني من اعظم نعم الله تعالى علي ومتغير الحال لا يكلف جميع حالي ثم توسل
بالاولياء القوم الذين كنت سميتهم لكم ثم قال وادعو لكم باسم ان كتابي هذا هو
ثالث كتبي اليكم ولم ار من قبلكم جوابا وقد طال العهد لذلك وانتم تعلمون
شوقي وعشيري الى ما يرد علي من جنابكم وشدة احتياجي لذلك ثم قال

اما كتابك ان اتاني زاهرا * يحيا له نفسي ويعود في الدنيا سوا
ان تقطعوا جميلكم عن هائم * خشي النوى والى جنابكم اوى
يا ليت شعري بعد بعدي منكم * هل تسمحوا ان يلم بي ان ادنوا

والسلام وقلت انا بعد الحمد لله وحده من فلان الى فلان اخذ الله بيده
سلام عليكم وعلى من ذكرت انه سلم علي من اولاد الفقراء وقد بلغنا كتابكم
صحبة فلان وقد تعرفت منه حالك ولم يرد علي منك غير هذا الكتاب لا ثاني ولا
ثالث كما ذكرت وذلك من لطف الله بي لانه كان يعسر علي ان اجيبك وانا لا ادري
اجابتك لاني رايتك في كل ما فعلته مشركا رفيقي قد خنت الله ورسوله والشريعة
والطريقة وكان الواجب عليك لما افاقك مقام الفقر وسببا لك من اسباب ينتساب
الى الدين والتقوى ما لم يتهيا بعضه لغيرك حتى جرى منك استحسان حال اولياء
الله تعالى حتى ان اتبعك تلك الافاقة وتتحقق بمعناها عن كل ما عسى ان يقدح فيها
من محبة الدنيا وايثار مقتضى النفس عن حقوق المولى وانت لم تفعل شيئا من ذلك
بل سلكت مسلك المحادات بالكلية ولم تبق للصلح بقية ثم لم تقتصر على ذلك
حتى رفعت كلا من فوق ما لاح لك من دنيا الا ان تخيم النفس كثير من الجهلاء
فضلا عن العقلاء ثم مع هذا كله خنتني وبعثت ببطالة بل ببعرة اذ ربما يكون
للبطالة منفعة ومعتبرة مع اني كنت معك وكنت معي على ما تعلم ولا احتاج ان اعيد
بتفصيله وكنت ان اعيد لك ما هذا وبالجملة وافرح لفرحك واغتم لحزنك وترحك

في دينك

واشاروه

واسايره في شرابه وضرابه واسامحه في شربه وزحامه ولم يكن عنده احد
من اغربه يعرفه ولما مشيت الى البلدة الفلانية مع اني كنت اكره ان امشي
معه لكن في ذلك من المعاصي التي وجدت بغرته الا كنت ميلا انه تلازم حال
الفقر والمسكنة وتشعر بخيرك في مصالح من توجهت اليه بالموعظة الحسنة
والنصيحة المستحسنة وتدله على انتفاع سبيل الخير والتجنب على الشر بكل
ما يمكنك بلسان حالك ومقالك للاخراج كنت ادعيت تنصح وتنفع من المعرفة
والصحبة في مواطن كثيرة فلا تغترف لك جميع ذلك للغرابة ان هذا النفع للاسلام
والمسلمين من كل ما عسى ان تفعله من اعمال الدين فلما حصلت معك لك بذل
الذنب ونزع عنك فلا يستر الحيا ومن من ادخل من الناس على الدنيا من غير مبالاة
وان ازيد فلما جئت الى البلدة الفلانية ورايتك لم اشك ولم ارتب في ان الله
تعالى قد مسخ قلبك وسلب عقلك ولبك ولم ار فيك قابلية لشيء من الخير في
ورد ولا صدر بما رايته من حالك وشمايلك وما كنت استبعد ان يا حد اعمال
السلطان الذين لا يخفى عنهم في الاسلام ولا ايمان فلما رايتك على مثل
الحال السيئة علمت ان الذخيرة النفيسة التي كانت في يدك سقطت في البحر
والدرة الخطيرة التي كنت ضنينا بها تحت كعبها في الطين وزادني ذلك
مرارة وبشاعة شماتة الاعداء التي من اعظم المصائب وان زاد ولم
اكن اجد عنها سلوانا والدعوة الى ربك الذي وعلمه للذين هو به عاقل والا قوله فيهم
القبايل وان فارقتنا سبعة بين ينبع الصابون ومثل الجبال وركض ابن ادريس
والزوايل في ابن ذكية وعلى فروز الجبال كل ذلك في الفساد في كثير
العباد لان حالك ابن ون التي انتقلت عنها كانت في طاعة الله تعالى وابتغاء
مرضاته وحالك الان من التي انتقلت اليها كانت في سخط الله تعالى ومرضات
عدو الله ابليس ولعل ما اصيب بذلك الرجل الذي صحبته من العبيد البربرية كان
بمن كتب حتى مر عنه من العسف على الرعية والظلم لهم فانسال الله تعالى
ان يوفقه للتوبة منه وان فلاح عنه وان يعوضه ذلك صبرا جميلا وان
ينهج له الى الشفقة والرافة برعيته سبيلا بما ابدل ما كانت عليه همته

المسكينة اذا ذاقت عليه امطلكت الحرفي والنسل فبينما انا اومل منه ارتحل فيها بعد

اليه اذا ابت من مراسلة الناس عليه ولما غلب علي اليأس منه وكان يعنيني

كالمستحيل زوال الضلال عنه حسبت انه لم تكن في الوجود واحتسبت وهيبة

بفيرانه عند الله تعالى كما تحتسب كل مفقود وكنت في حفظه بمنزلة من كان له اخ او عم

اصيب بسهم او غرق في لجة يم فيعزى بفقد ذلك لا اسال عنه ولا اشعر انني

كلام يرد علي منه لاني نزلته بمنزلة المفقود ثم ذكرت له تلك الرؤيا بنصها

او بغير نصها ثم قلت بان مقتضى الرؤيا ثبوت بينها على الجملة وقوع خلل

وفساد في حالك ودينك والله تعالى اعلم **الأمر مع هذا لله** المشيئة الازلية

لا اخصمها والقدرة الالاهية لا اعجزها فاذا اراد الله تعالى ان يخالف

الكنون في توبته واوبته فليس ذلك عليه بعزيز والمستحيل لا يقبل التكوين

بل الله تعالى يقول للشيء كن فيكون في اسرع من لحظات العيون مع انه تعالى

ارحم الراحمين واكرم الاكرمين يغفر ذنوب المذنبين ويتقبل انابة المنيبين سبحانه

جل وعلا ثم ان وقع ذلك فما اشد فرحنا به واعظم سرورنا بسببه لانه

اذا لم تتجدد لنا اوقات السعود وتعود اعياد ابي قبل ان لم تكن تكن

ان يعود وتتمكن من سماع النعمة التي كمال عمرنا بها حيث يكون البدء والعود

وقد حملني حامل على ان قلت في معارضة ابيات ابياتا على وزنها فيما الى لا

احسن نظم الشعر حسبما تعلم مني وانت اذا قرأت مع الابيات وجرت اثر

لها

الضعف باديا عليها ومن مقالها ولي *

اما ابا لك تائبا متنصلا * تحبيات نفسي وفوق في الدنيا سوا

بن زبيب منه بفعلتك عن وله عند ربها * ينزوا اعقوق يدعوا الكاعنة من غوى

كمال وعلك اذ نكثت وقبله * كنت الحريص على ابقاء العصا

فلتكف عار ومغرمة ركل ثمن * فحز المكاب ومن جها التداني عوا

فاذا استعنت على السبيل فانه * اسمى لذا كنها من العزب الروى

فيتم في المطلوب ومعنى بنيله * من نعمة تسعى كما يسعى الروا

تمت الكلام وحيث جرى جداول * في روضة غناء كتبت الهوى

مصيبة

لنه

الاتعجب

Digitized by Google

في تعجيز لمقالة قد قلتها * بالجد والحق حاشا لي ان امزحوا
والحين ان يمضي اذ ركنته * وكذا يكون لمن نوى ما قد نوى

الا ان ما ذكرناه من تزيينها وافنيتها لم يكمل له شيء من اللذات والعلامات حتى
الآن والله المستعان للاني لم تعرف نفسها بذلك الا بعد ان تنغص علينا حال
الدنيا ولم نر فيها ما نقربه عيننا وتبقى فلو قدرنا انك وجدت فيها جميع
آمالك ودام ذلك على غاية الكمال والتمام لم ينفع شيء من ذلك فيها اكثر وان
كنت في دعواك منزلة من العالمين فاخرج الى الله تعالى خروج الخائفين وكبس
نفسك على الانكسار والذل والافتقار الى الله تعالى في مرضات رب العالمين ولعل بذلك
يتكفر لك جميع ما اسلفته في المدة التي خلعت فيها عن راسك لجام التقوى
في اتباع الهوى ومحبة الدنيا فكما انعمت نفسك في اللذة حظها الحلوى والسلوى
فاذقها في مرضات ربك مرارة الدواء والبلوى لعلك بذلك تخرج كفافا لا لك
ولا عليك وان لم تفعل ذلك فدعواك محبة كاذبة والدنيا عنك ذاهبة وايام
لك طالبة ولا تكن ممن ليس فيه من العاقبة فما اخسر صفقة من باع دار آخرته بدنياه
واخسر منه صفقة من باع آخرته بدنيا سواه واخسر منهما صفقة واكثر غبنا
واسود شغلا واشد بعدا من حرم حظه من مولاه

على نفسه فليبك من ضاع عمره * وليس له فيها نصيب ولا سهم

واما انا فلا اقدر لك الا بالدعاء لا كان اعتنى عليه بعد والرجعى
وحين يحط الرحال على التمام ويكون في صحيفة حسناتك فاتكالي في ذا الدين
المشفق وابن لام بلا ترى من بيت الا ذكرت على اكرام وانعام بغير انعام
واما غير ذلك فلا سبيل لنا اليه ولا معول لنا عليه لان الدنيا كلها كلام في
كلام لا يسمع فيها الا خير كلام ولا يبلغ فيها مقصد ولا مرام لا سيما فيمن كان
عندنا ولاه الفوز من الجنة دار والخلد وجزاء ما اقول لك والسلام

وبعد فقد بلغنا منكم الكتابان اثنان اما الكتاب الاول
فقد رسم فيه ورود لمن وجنسه واقبح كل واحد منهما من ذي احكم انك تعرفون منه
جزء يكاد يعني واحدة وانا كالصلاع على الامور في فيه راحة والثاني وهو

اعظمها كونكم لم يمنعكم من ذلك ولم تتركوا تسألوا عن استماع الكلام في امور كثيرة مما
الناس فيه من الخوض والهم وشدة الامر بعد الوقت مما يذكر في القيامة وتشاغل
كل احد بنفسه وغمه وغيره وكل منهم في نفسه وكل واحد منهم يقول بلسان حاله نفسي
نفسي وقد استغنيت من ذلك احد امرين اما كونكم موجودين الآن من جهة المراتب
المحسوسة وليس ذلك ان يكون عندكم زرع يكفيكم من غير ان تحتاجوا الى احد وغذا
الوجه مرجوح عندي لما ذكرته من الدنو الذي لزمت في منكم من غير ان يكون عندكم زواد
بقلة تكون لكم سعة في معيشة مع كونكم على منزلة الحال الضيق فلم يبق الا ان تكونوا
موجودين من جهة القوة التي ربما تحصلت لكم من نشأ على بالكم بمعارف حقيقية
توجب من السكون والطمأنينة اي من زاد الافتقار فلا يوجد مثله ولا اقل منه في
هذا ولذا العلوم الكاملة التي اغفلها الناس بل لا يزداد الاخذ فيهما في قلبه الا
كلالا على كلال وفي جسده الا شدة مكابدة واقتحام فان كنتم على منزلة الحال
فانتم في نعمة يعجز لسانكم عن شكرها وعن اعطاء حقها والكاملين الآن كذلك
عباد زودوا بالحمد لله فيها كل شيء الا انا لو فرضنا خلافه لم يتصور منكم نظر خاطر
ولا فراغ قلب لايراد ذلك الكلام الذي جمعت من فوته مع همتكم الذي الحرف
النتاج ولو فرضنا ان يكون لكم ما قد ازور مثلا لما معنى الحالون من اكثر الناس في
هذا الوقت الصعب فانهم نسوا ما ينفعهم مما يكابدوه دنياهم ونشأ عقلوا بهموم
انفسهم عن من اعمالهم عن غيرهم ولولا انهم يشتغلون فيما يتوقعون من نوازل
الشدائد وترادف الفقر والحزن لما بزوا من احوال المعدمين والمفلسين الذين لا
يجدون ما يسدون به الرمق ويتسارع اليهم الهلاك والفناء او احوال اهل
العافية الذين يموتون بالطاعون الذي يتم كبعضهم واحدا واحدا وجماعة جماعة
لما تواقبل ان يموتوا والله اعلم ولكن الله تعالى لطف لبعضهم ببعض والله
لطيف بعباده فهذا معنى الوجه الثاني من الوجهين اللذين فيهما مما ابقته من ذلك
لما ذكرته لكم وثم وجه ثالث لا احب ان اذكره ليلا انتسب معكم بسبب ذكره
لكم ولا بد من وقوع شيء من الكلام منه على بعض فصول كتابكم المذكور على حسب
العادة ثم على بعض فصول الكتاب الآخر ان شاء الله تعالى اقول اما اشتداد تموج

الذي يشبه موجودا من

ردا

وكيف

لكم

مراودة

جمع

فيه من الاطلاع ان احببتم على كلامي وخصوصا ذلك الكتاب الكبير فقد وكلت الامر
في ذلك اليكم وقد فتحته عليكم فافعلوا في ذلك ما احببتم ولاكن الكلام انكم انتم
تفسرون ذلك وتكررون صفوه حتى لا تحصل فائدة وربما تكون فيه مضرة زائدة
وذلك وشبهه من حكم على ان يقال لكم اذا اقبلتم على احد لتسلموه وتسعدونه وعموم
ما لكم من ان تثنوا على ذلك الكلام الثناء الكبير بتزيد الظريف والغرو وهذا
واشباهه من الزينة العصبية التي تثمر الغش وتهيج الحر ويكون عنا فتنة
ذلك الغم والحزن فيقع الفساد من حيث رجاء الصلاح ويعضل الداء ولا يكون
له دواء فيه تاثير ولا انجاح ولاكن التدريج الحسن في هذا الامر ان احببتم ذلك
ان لا تعرضوا على احد ممن ليس بينكم وبينه مودة ومحبة شيئا من كلامي حتى
يقع منه سؤال عن ذلك فحينئذ تعرضونه عليه بكيفية بينة وسكون وتكون
انتم بكيفية الحالة بحيث لا يفهم منه صاحبه شيئا من ان تحرصوا ان يكون منه بسببه
عدم انصاف ولا حرج عليكم ان تقولوا له ابتداء من غير ان يكون منه سؤال لكم
اذا وقع بينكم وبينه محادثة ومجالسة ووقع بينكم كلام في مسألة تكلمت
فيها انا وقلنا انا تكلمت على هذه المسألة ولا نزيد له على هذا شيئا فان شاء الكشف ان
يكلفه بعد فليتبعوا منه ذلك ومكن على ذلك جهدكم ولتكثفوا القول به وقد
يستحسن منكم بالنسبة الى بعض ان تحملوا شيئا من التحلي والتشويق ومثل
العشر كلمة الا في مثل هذا فقد يكون من العدل فيه التحلي اليسير ولا يكون فيه
من الكلام قليل ولا كثير وان احببتم ان ينقاد لكم بذلك كل طبع فاضل وتستميلوا
به كل قلب قابل فلتتوخوا ايراده عليه في المحافل ففي هذه الحال يكون
السامع له اهلا لان يتفهمه ويتقبله وان افتخر منه تحملا لا يستعمله وانما
ان بغيتم الامر جزافا فقد ما تجدون من اكثر الناس انصافا ولا قبولا ولا اعترافا
فبهذا التدريج يرجى حصول الفائدة لكم ولغيركم ممن تطلعونه على كلامي ممن
ليس بينكم وبينه صداقة ومودة فان كان فيه قبول لذلك انتفع به وان كان
منه اعتراض عليه كان ذلك امرا غير اخر على وجه من غير ان يكون فيه ان تكلف
هدر او مجاوزة حد واما من بينكم وبينه صداقة ومودة فانتم معه في راحة

من هذه التكليفات التي أخرج إليها تباين الغرائز وتخالف الطباع فعلى أن من
شيم الأحرار عدم تطلب العثار والإغضاء عن الزلات والتماس الأعذار
فإن قيض لنا حريص يكون منا وفيه تجعلنا بمنزلة الخاصية واعتنى بآلة
التعليم والمزية من غير أن يكون نخشى شيئا منه وإن بادر إلى الاعتراض أعني المنافسة
كان هو الأعتبار فيه مختصا به لا يجاوزه إلى غيره لا يمكن أن يقابل فيه العيب الذي
عثر في رسم الكلام الذي هو معرض للاعتراض فيشتغل بلا فيتسامح كما كان ووقع فيه
على ذلك الاعتراض جواب صحيح مقنع كنا بذلك أفضل منه وكذلك إن لم
يقادح اعتراضه محلا فسلمنا له وصفحنا عن زلته كان لنا بذلك الفضل عليه
أيضا **والحاصل** أنه إن لم أكن خيرا من المعترض لم أكن شرا منه وإنما أكون شرا
منه لو تكلفت في إيراد اعتراضه وإيراد مورده ابن سنن سداد وطلب الخير أيدانى
منهج السداد ثم يكون في بعض منهم توجيه الاعتراض على شيء من العناد وعدم الانقياد
ومثل هذه الحالة المذمومة والحمد لله لم يبتلني الله تعالى بها فيما مضى وأرجو
أن لا يبتليني بها فيما بقي فإذا علمتم هذا كله كانت كرامتكم لوجود اعتراض
معترض على كلامي لا وجه لها لأن المعترض الذي يقادح باعتراضه الغرض المطلوب
مقبول عند أرباب العقول وأما غيره فلا يزيد باعتراضه إلا أنه سفه نفسه وجهلها
فاعلموا هذا كله واعملوا عليه وكتبنا التكلم والحمد لله ليس فيها ما يستنكره
أحد له عقل ولب فإن اتفق أن يكون فيها كلمة من الكلام التي يعجز عنها
أفهام العوام فموجود مثلها أو ما هو أشد منها عند أئمتنا الأعلام —
فليرفع المعترض رأسا مع الرؤوس وليضرب على الجميع بالدبوس فأما أن يكون
فيها شيء يقتضي التعنيف بستره وكتمانه فحاشى وكلا

والستر دون الفاحشات وما * يلقاه دون الخير من ستر

وأما ما تكلمتم به على المسألة التي وقع المزاح فيها معكم فيها فكلام صحيح
موافق للحق والحكاية التي قابلتم بها ما حكيته أنا عن مسيلمة هي في ذكرها
الغرض **وأما** جواب فلان عن الكلام الذي تضمن الكتاب الذي كتبت به إليكم فهو الذي
يقتضي منه الحال أن يجيب به الآن ما وقع فيه نفسه في قوله وأنا أعرف نفسي

لله

انه غلبت عليهما الحيرتان واستغرقهما الشكران وكذا وكذا الى تمام ذلك المعنى
فقربوا ان يشعر بالمشاركة في واعترف فيه بانه لا اهلية فيه لذلك فكانه
امر له بان ما وقعت به نبعد من تلك العقبات الذميمة انا متعجب بمثلهما
وباعثهما بمقامي ولا ينبغي مثل ذلك فان انت قد قصرت في هذا الاخبار عن نفسي ولم
يقدر لذلك تماما عرفت عليه مراد الانجاع الوقت فكان بتعال ولتصحب صحبة
المجاذيب بعضهم لبعض فان المجذوب انما يالف المجذوب لما له في ذلك من الراحة
لانه بذلك ينقطع عن شأن هذا في دنياه كسب العيش فهذا العيش نائم الجهال
لانهم يقطعهم من رؤية بعضهم لبعض سلوان عظيم يمنعهم من التطلع والتشوف
الى الكون على ما هم عليه اهل الاجتماع الذين لا تكتسبهم بحبوحة في الكلام جمع
يقربون من الكمال ولا تزيد في ثقتهم في بلوغهم والكملاء ايضا يقربون منهم لانهم
يخافون من عدوانهم ويجعل الله بعد ذلك معهم ما يشاء فاما ان يتغيبهم عن
حالهم او يفسح جميعهم او يفسح بعضهم دون بعض بمقتضى الكرم
والبقوة في حق من انعم الله تعالى عليه بالصحة ان لا يجالس بطاحبه ولا ينقطع
عنه ولا يتحمل عليه بشيء مما يملكه ان يكون فيه افادة قلبه وجسمه ان كثيرا وفي ذكار قوم
معه في الحال لا يتساتر عليه بذلك ويقسم بينه وبينه البلوكة المذلة

ان الكرام اذا ما اسهلوا ذكروا * من كان يالفهم في المنزل الخشن

فيقضى التمثيل الذي وقع منا في هذا الفصل وهذا الفصل يتبين كيف تكون
معاملة بعضنا البعض في ابتداء الامر وانتهائه ولا سبيل لنا في تحصيل ابواب الصحبة
في تلك الحالة سواء واما ان قدرت تصرفنا في ما اخترت به عن نفسي عن التلميذ والصحبة
بعد استرحت منك واسترحت مني فالطلب انك كسبنا برايهم والطلبة انا كسبنا برايي
والله تعالى هو الهادي للجميع لا رب غيره واما ان تصرفني في ذلك الخبر
بالمباينة انني لا تجتمعوا بما تنبغي وبينها خاصة لا الكسب القليل لانهم بنفسه
بان يراوغ غيرهم من علة موقعها اشركتنا ولكن من رام صاحبه اذا كان ناقص
العقل معكوس الفكرة وعند ذلك لا يكون له فيه غناء ولا تعقبه معالجة

بجميع

له سبقاء كما هو حالي مع فلان فإن قلت فيه مثل ابن عمر حاج حسن يعني مغزى الحالة السيئة
ولم يوجب في ما اقتضته من الجهالة والغباوة فإن فيهما التغريرا ولا كما كان امية فلا جرم
لم يحكم فيه بكمال يكون فيه سبقاء المغرور وتيسير إبان سور علي أنك
لو سألتني عن هذا الذي قلته لك من أنه لم يحكم فيه بكمال للأخ الحاج الحلافي فإن
أخي الحاج الحلافي فقل له يا فلان لم تفرغنا بحالك بل أنت في أمرك في عذاب
تبعث بكتاب وراء كتاب وتجيئك جوابا يعقب جواب حتى أتعبت نفسك
وشغلها وحصل بسرك ويدك من الكواغد ما كان إن ولي أن يكتب فيه أجزاء من
القرآن أو جملة من الأحاديث الصحيحة والحسان فإن كنت يا فلان لم تقصد
بذلك استجلاب الفوائد التي لا اعلمه فيها لها الحكمة من ربك من تيسير أسبابها
لك فإنك تبعث إذن في ذلك لك ومزادك وقلت ما قاله أيوب عليه الصلاة
والسلام حين كان يغتسل عريانا فخر عليه رجل جراد من ذهب فجعل
يحثي في ثوبه منه فلما قال له ربه ألم أكن أغنيتك عن هذا فقال له بلى ولكن
لا غنى لي عن بركتك فإنك كأنك بنعمة ربك التي أنعم بها عليك على يد ابن عباد
لأنك استحقرت ما بيدك وأنت تأبى إلا الإزدياد للأكثر على غير الوجه المحمود الذي
ذكرت لك فهذا كله مما تقوله للأخ يحيى لعله بذلك ينتعش ويحيى فحيته
الغابرة من حيث لا يكفر لأنه لم أخاطبه بذلك إلا على لسانك يا أخي يا أبا القاسم
وإن كان هذا كله مذكورا في كتابه الذي لا ينتهي عنه من بيده ويرعيه لنفسه إلا كلام
ولعلك تزيده على ذلك من رأسك وتلقاء نفسك ومن فتنته هيأت مناقات زائعة
معه وأنت أو غيرك كما هو ما يوافق ما ذكرناه وبكتابه والحكمة ضالة المومن
لا يتعين لها موضع يحرمها فيه فهذا ما أردت أن أتكلم به على فضل من فصول
كلامك وجوابك للأخ في ذلك ومن جمل الذي يتضمن تنبيهك وتنبيه غيرك
على ما شاء الله تعالى من الأمور ومن تعلق عليهم بذات الصدور وبقية كلامك الذي
أمللته عليه وسألته أن يكتب به التي كما قررته للذي علمت منه فقصرك
حين ذكرت المتبوع الذي صحبته ثم أعرضت عنه وغير ذلك من الأحوال والأمر في
ذلك قريب والله تعالى ينفعك بما نويت ويبلغك ما أملت ورجوت بمنه وكرمه

أيضا في المطلوب منه يا فلان أن تعذروا هذا كله على فلان أو بفلان أو بقوله هو ولتبلغوا عني
السلام وهذا الذي ذكرته مطلقا إذا تأملتموه من أبدع الكلام وإن كان يشبه ما تقوله
العامة من أني أذنك يا حجا الذي قلت لك وطلبت منكم أن تقولوا له فالطلبة منه
أن يقوله لكم ولا يكون الفعل العسل ولا تسلوا اشكروا قول الله عز وجل وأما ما فهمتموه
في الكلام الذي نسب إلى الشيخ أبي طالب ثم اعترض عليه بسوء غاية الشغوف لأن
ذلك المعنى الذي قررته من صحة نسبة الضرر إلى الله تعالى كما يصح نسبة النفع إليه
بمعنى أنه هو الضار النافع أمر معلوم لا ينبغي أن يورد في تعزيز ذلك اللفظ الشنيع
الذي قلتم إنه قاله وأي أدب مع أن الأدب يعني فهم له موقع عظيم كيف وهو قرأتموه على
صيغة أفعل الذي مقتضاه في الغالب أن فيسلم وذلك الأمر من الرب تعالى ومن غيره
فيكون معنى الكلام أن الخلق مضرورون من وجهين من قبل الخالق ومن قبل غيره لأن
ضررهم من قبل الخالق أشد وهذا شنيع وبشيع قبحا وللدين والأدب من كل وجه لأن
قصدا هذه الضرر منسوبا فعله إلى الله عز وجل يبطل شهوده لها بالكلية من غيره
فكيف أن يجعل له منه حصة ولغيره منه حصة ومثل هذا الكلام الركيك بتقرير
أن لا يعبر ولا يفهم منه إلا المعنى الذي ذكرتم لا يجوز أن ينسب إلى رجل حوت الفصاحة
والبلاغة وحسن الأدب في العبارة منه فضلا عن الدين ومن مارس كتابه المعلوم عرف
ذلك فهما مع أن ذلك المعنى المستفاد معلوم عند الحاضر والباد فلا أولى
من هذا كله والله أعلم على تقرير صحة ذلك الكلام عن الشيخ رحمه الله وأنه لم
يبدل ولم يغير أن يتجوز في لفظه أخر ويحمل على أن يكون المعنى لا شيء أفنى أو
أعطى للمخلوق من الخالق للعارف تعالى عند ظهور أمره وتجليه لا يثبت معه
شيء بل يمحق كذا ويضمحل ويتلاشى وفيه تركيكه واضمحلاله وتلاشيه يحصل
له من الدنو والقرب ما هو غاية المطلوب ونهاية الأمل والمرغوب بالمخلوق
وإن عمل في الوصول إلى منزلة الحالة فما عسى أن يعمل لم يصل في ذلك فما يصير الخالق
إذا ظهر له ذلك من جلاله وعظمته فيجوز أن يعبر عن منزلة الحالة بالضرر وإن كانت
فيها غاية النفع على الحقيقة كما قيل مراتب دانيه أضر بنيله ويكون
ذكر الشيخ رحمه الله لهذا الكلام في حال غلب عليه لم يتمالك فيه ولم يقدر

على قبح لسانه ونقصه فإن يتكلم بكلام متشبشع في كل ما يريد او يعبر بعضهم
عن مثل هذا بالتشطيح وذلك امر مألوف وحال معروف من اهل هذا الطريق بل هو
الغالب على من هو منهم بحال السكر فإن كان وقع منه انه وترك حضور مجلسه
بسبب غلبة الحال والكلال اللسان بما يخالف عند منهم الحال بلغوه وغلوا ذا الى
مع غيرهم ولغرابة فوق وأجلوا حيث لم يقاطلوه ويقتلوه فهذا اولى ما يتاول به
ذا الى الكلام على تقدير صحته عن ذلك الامام والله تعالى اعلم العلام وأما
ما ذكرتم انه فعله فلان من وعظه للناس وتلطفه بهم وتوبيخهم وخروجه الى
الاستسقاء ومراقبته على ذا الى لما نزل الامر الخروج حتى رحموا بالمطر
الى قلتم انه عليهم في المحلى فهو شيء حسن ولقد زاد في كلامكم هذا
فيه غبطة فالله تعالى يجزيه خيرا وما اقرب الى الحق واشبهه لو كان الامر
بالعكس ولا يرد هذا بعض البعض مما اقتضاه عند البطان من ارباب الامر الذين
اوجبه قوامته من وكل الله امر صلاح عباده اليه بحيث صار ذلك كموقف في
عنقه حسبما ذكرته لكم قبل هذا على ان الله تعالى لم يبح لهم ذلك بل ينبغي لهم
تبرمهم في حالهم على الحقيقة فهذا غير بل عاجلهم بالرزايا الكبار والرزايا
الزلزلة والصغار حتى حيث منهم اسرى لعواقبهم وفشت فيهم لدنياهم وحيث الاشارة
الى هذا المعنى هنا قاله ذلك الرجل الصالح للرجل الذي شكا اليه اخاه الاشعري
ان الله تعالى على اخيه قدم على معاوية فاعطاه مالا وولده ولدا ذكرا وكذا
هذا معناه فإن قال واحد منهم مثلا خلال لا اله الا الله فاسود من السودان
وعمران السلطان يدفعهم الخزي والهوان ما ينبغي به تعبيرها قبل
الابدان والكلاب واللعان وكعذاب الامر اشد وابقى وأما ما حكيتموه عن
ابن ابنا وقلتم ان كلامه لم يشكل عليكم معناه الوفد الذين البعثة هذا لهم
اشكل عليكم بعضه فإن قولكم لو كان لبعثه حتى يتمكن في المذكور او حتى يتمكن
في الذاكر لكان البعثة صوابا يدل على ان معناه لم يشعروا به ولم يعثروا عليه
ولا ادري كيف تستقيم هاتان العبارتان اللتان ذكرتموها بحيث يكون فيهما
نوع مطابقة للمعنى المقصود والغير المستتر في قولكم يتمكن في المذكور لا ادري على ماذا

م نزل

حيث



يعود فان عاد الى العبد الزاكي او القلب الزاكي لم ينتفع مع ذلك الذكر فيه التي
بعد له ويكون ذلك مؤديا الى معنى مستحيل على الرب جل وعلا عن ان يقدر مقدار له
قضاء محدود كقوله تعالى وتشمل الفهية وعند ذلك لا يكون له معنى معتبر
وقـولكم حتى يتمكن الزاكي هو اللائق من عبارتكم الاولى لاكن لا معنى لها
بالنسبة الى ما فهمت من معنى التمكن ها هنا وان كنتم لا تعرفونه والتمكن المذكور
ها هنا معنى ماخوذ من تمكن الشيء في المكان وثبوته واستقراره فيه ولما كان
الحق تعالى منزها عن المكان والتمكن فيه احتاج الشيخ ابن البناء ان ينبه في ذلك
ويتحرز منه بقوله وليس ذلك بتمكن حلول واتحاد بل حكمة وقدرة من عزيز عليم
ثم نبه الى ذلك بما اتا شاهدا الى ان قال فيصير القلب بيت الحق ويمتلئ منه وهذا
هو معنى التمكن الذي ذكرناه ويوخذ هذا من قول الله عز وجل فيما يروى عنه لم
يسعني ارضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المومن اللين الوادع او كما قال
عز وجل وقد تعرفت منا الاشارة الى قريب من هذا المعنى بعبارات مختصرة
لطيفة في كتاب مفيد الجدوى عظيم العلم كتبت به اليكم قبل هذا ولا ادري اوصلكم
ام لا وانما هذا كله من قولكم حتى يتمكن في المذكور او حتى يتمكن الزاكي فيه فهما من
باب المجرور وبابه المفتوح على ان كلامكم ينتهي الى الجامع الا ان تلك الحركات
متعلقات في العقول والفهم والاستغراقية واللغات بل الوجود كله نفحة
واحدة لها حقيقة واحدة وسر واحد وقد تفرقه وجملة من جملة فهو شيء
يا اخي يفهم : وقد اراد ركني بعض تعجب من اختباركم عن اولايك الناس انهم
يقرؤون ذلك التسبيه وينكبون على القراءة عليه لا بعضهم وهو فلان
ممن كنت اعرف منه بعض نفور عن كلامه حين كان يسمعه اذ كان ياتيني الى تلك
الطريقة ثم تبدل ذلك الحال فصار يبادر الى استماعه والتشاغل به مع ما
ذكرتم من احواله عند سماعه وكذلك الاخر الذي ذكرتم مع انه اعلم ان ذلك
المجموع الذي سميتموه شرحا اليسر فيه كثير غرابة بحيث تقع من سامعه تلك
الاحوال الغالبة عليهم فانه قريب الالمام فيه غاية التقريب وسقته قريبا
من مسائل غيرها من المصنفات المالوفة في شيء ذاخر ومع انه عند اخذ فيه معانيه

أو م

اخرى وادركتني جبانة لانه احتاج الى التكرار التام في كل مسألة منه وليس
فيه مسألة ولا مسألتان ولا عشرة ولا مائة فاذا تكلمت في مسألة منه بكلام قريب
يظهر من سوقه انه قد استوفيت المعنى الذي يقتضيه كلام المصنف فيما رأيت
انه في ذلك جزء من الفرح المعلوم وقلت بلسان حالي سبحان من يسر وعلم ثم
رأيت بذلك خلق كثير وتشاغلت بغيرها على هذا النحو فجاء ذلك المجموع
بسبب ذلك الوهم الذي ادركني في الاكثر مسائله محرورة منقحة بحيث يمكن لو
اعيد التكرر فيه مرارا ان يزاد عليه اضعافه وان تبدل فيه عبارات بعبارات
اكثر منها تخفيفا وتحريرا ولاجل وقعت الزيادات مني فيه في مواضع ضرورية
واعتبر ذلك بمسائل العلم اي مقدار كانت ثم اي مقدار رجعت والله تعالى
يضع فيها البركة فانه وقع مني بعد ذلك كلام كثير في ذلك المعنى بحيث لو
اضيف بعضه الى بعض لخرج منه كراسة ولكن لعل في الواقع من ذلك جزءا وهذه
الكتب التي اكتب لكم بها قد تكون ذلك المجموع لانه ضمنتها نكتا عجيبة وحقائق
غريبة لم يقع مني الالمام بشيء منها في ذلك المجموع وما ذلك الا من قبل ان نظري
المقتصر في كل واحد منها والموجب للاقتصار انه يعتمد نكتة فيه لا يكون في شعوري ما يكون
في كتاب يكون بعدها فيجيء كاملا او شبه الكامل ولا يكون مختصرا ولا محذوفا فاذا اشتغلت
بالكتاب الآخر عملت فيه ما عملت في الاول فيحصل بسبب ذلك المراد على التمام
وذلك المجموع بخلاف هذا كله كنت اذا اشتغلت منه بمسألة كما ابتدي المسألة
التي بعدها والتي بعدها لما تكرر في همتي الذي في التخلص منها والتفرغ عنها قبل علم
ما ذا ولسوف كان في قلب ويكتبه وتأمل القلة الكتب التي اكتب لكم بها العرق ان
اكثر الالفاظ المذكورة فيها مقصود ذكرها معبر لمعان لا يعبر عنها غيرها فتحرز
بها عن اشياء لا ينبغي اهمالها ولا يستشعر اشتهارها ولكن لما قلت فلان رحمه
الله عليه لم يبق في شعري احد حتى فلان وفلان رسالته التي فكتب بها معي زمانه
اذا اورد عليه مني كتاب يكون فيه كلام عجاب يقرؤه من فوق فوق ثم يطويه ويجعله
في الشكارة او في الصندوق ثم يشتغل مع الاولاد فيما هو بسبيله مع من
اما اول النهار فبالتصحيح والاصلاح واما آخره فبالعيال والصبيان

هذا

قطع

تامة

فإذا انفرغ منهم جماعة من اشغال مهمة وامتهلا من اللقمة فلا يتفرغ لمعاودة النكث
والتمرن بالفكر والعبث إلا في يوم الجمعة والخميس للإكرام خلافا لما زال إبليس
فإن يشعر أحد بأنه جاءه المنهي كتاب سن عليه بيد الخبيث ولم يرد أسير ولا مسكين
فذا معنى الكلام من أوله والله تعالى ولي العفو والغفر وفي قولكم في الكتاب
الذي كتبته إلى فلان وما بينتم فيه لا يقدر أحد منكم أن يقوم إلا بينة لا الاثني والأدنى
ابن عطاء والغني منهما إلى آخر ما حكيتموه عن شيخ أبي الحسن أنه قال في شيخ أبي العباس
جميع ذلك تعالى منكم واعلمتم أن الغني الذي له في قلبي عظمة زائدة وأما استيذانكم
في قراءة هذه الكتاب على أولئك الثلاثة نفر وتعيينكم إياهم وتفهيمه لهم
فقراءته لكم واستحسنت منكم ما فصلتم قوله من ذلك وآمر منكم أن لا تشتغلوا
معهم ولا مع غيرهم بشيء من ذلك المعنى حتى يتيسر عليهم من كمال معرفتها لا بكمال التو
بتمامه انطلق منهم في وقته بسبب ما ربما يصيبهم من فتوره في عبادة أو تقصير في
طاعة بسبب ما تضمنه من الكلام الذي ربما يوجب لأرباب النقص القاصر أن يرضوا
بأخلاق الذميمة مقتدين بذلك لنفوسهم الخبيثة لأن معرفة الحق بصفة مخصوصة
لمخصوصين أتروه وهم مع الحال الزكاء والمروءة والحياء والفتوة مع أن أولاءهم
الذين يصلون إلى الله تعالى بذلك في وقت أسرع وأما غيرهم فلا يليق به إلا
الفضل والمقرع كما قيل الحر بالحر والعصا للعبد ومعرفة ذلك يمنع منهم
بأخلاق الدنيا وإيثار السرين وأما أن يقع لهم تغليط أو تمييز ونصلا أعمى
تخصيص تام فلا وينبغي أن تعلم أن معنى المعنى الذي تضمنه ذلك الكتاب ونعيمه والذي
إنما أحوم عليه في نكت كلامي كالمعالم إن أخذ فيه ولا بشكل الكلام فيه البتة
وأما تشتغلوا مع الناس بأمور أخر أو فعل لا يليق بهم وأنا لجالس على ذلك
المعنى حتى أخرجته للوجود لاكن بعد أن بذلت في غيره المجهود فلما رأيت ذلك فما
بشر ثم ربما أن يخلو من أن يمض مهما أجلت فكري في أمر الدين وما يمكن أن يأخذ به
أحد من معاملات يصل بها إلى رب العالمين لم أجد سوى ذلك المنزع لأن كل فائدة
دينية ودنياوية في ضمنه موجودة وكل رعونة وجهالة ودعوى منه مفقودة
والدعوى هي التي تكون سببا لعمال وتوقع فيه أبي علال حتى لا تزن عند الله
تعالى ذرة من مثقال وسبيله بيان معنى الدعوى أي شيء هو ويعني أن المتحقق

Digitized by Google

في تلك الحالة التي آثرنا فيها على ما سواها فيعيش كئيب العيش في دنياه الآسف عليه
لفوات غرضه والاشتغال من فوات مقدار الروعة من اجلها وعقباه الاسف عليه لتكثير
ولا تكثير ولا تستغني بما سبقه ولا امساك لنه عن نفسه ولا تفهيمه **واما المراد**
المستوعب المتمكن الى منه آخر من الشيب وأروق الشعر فيجوزه بفضل الله تعالى
في اسرع من لمح البصر ولكونه ممن سبقت له من الله الحسنى وحصل من ولاية الله له
في المنزل الاسنى لا يحزنه الفزع الاكبر وهو من الذين يقال لهم اذا دخلوا الجنة او اشربوا
على حوضي بشيئ مثل جزيتم الصبر اليوم مثل كذا مثل كذا ارجعوا فلا زورا لكن مقالة الاشياء كلها كذا
فيتنعمون في وجوه مثالا الذين تعرضوا لهم الملائكة ان ذلك ويقولون لهم قد اجارنا
الله تعالى بفضله من جميع تلك المشقات وانتم مقوال فاطلبوا غيرنا من ارباب الاشغال
والاعمال الثقال فلا سبيل لكم الينا بحال والمفلس من تلك الحالة الحسنة هو
الذي جرى عليه سوء القضاء ودرك الشقاء فيبقى فكابد امر نفسه بشأن من
الدرجات الرفيعة في دنياه التي حاز بها سواه فيتأسف ويتحسر منها على فوات
وشامير المقامات العالية التي يتوهمها مقامات فيتقطع عليها ان يميل
اليها فاذا رام الوصول الى شيء من ذلك بنفسه وبدنه وجهده لم يقدر عليه مع
الوبال الواصل بسبب دخول الذنب فلا يزال من امره في عذاب اليم وتعب مستمر
ومقيم ويكون حاله شبيها بحال اصحاب النار كما وصفهم الله تعالى في قوله
كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها وهذه من المعيشة الضنك
التي ابتلى الله بها من اعرض عن ذكره واستهان بامره وذهل عن آلائه وبره
ولم يعلم ان ما ناله من حظه يغرو فيه امله ويتلاشى في شكره ومن اهمال حقه
وقدر له عمله قال الله عز وجل ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره
يوم القيامة اعمى ثم قال تعالى وكذلك نجزي من اسرف ولم يومن بآيات ربه
ولعذاب الآخرة اشد وابقى **واما** ما سألتم عنه من بيان علامات وجود
الدعوى في العبد فاعلم ان من عرف معنى الدعوى اي شيء هو لم يشكل عليه
شيء من علاماتها والدعوى عبارة عن رؤية النفس وترفيع قدرها وتعظيم
امرها فالعبد اذا ادعى نفسه تمام ادراك او وجود قوة رؤية توجب له ادنى
شكورا او ركون الى ما يلوح له من علم نافع او عمل صالح فهو مدع لانه اذا احس منها كمال

وقوله مثل

تعلى



نفسه من حيث قيام ذلك العلم او العمل به ويلازم ذلك ان يطلب علو ذلك حكما
من الحظوظ الدنيوية او الاخروية فان كان ما اتصف به من علم او عمل شيئا كثيرا او امرا
فرح بذلك لما له فيه من الحظ الكامل الذي رجاه واملّه وان كان ذلك شيئا قليلا او
عدمه البتة حزن لذلك لما فقده من الحظ ولولا مشاهدة نفسه لم يتصور منه رؤية
كمال اذ زال او فوته يفرح بوجود اثارهما ويحزن لفقده لذلك فاكثر الخلق من هو
سواء كانوا علماء مبرزين او جهلاء مقلدين او صلحاء او فاسقين الا العالم والصالح يريان
بايديهما من الذخائر النفيسة وما يحصل لهما بسببها من ملكة عظيمة فيفرحان
بذلك والجاهل والفاسق يريان انهما فرقا تفوتهما تلك الذخائر النفيسة التي في
فوتهما ان تكون بايديهما لتحصل لهما بذلك المملكة التي حصلت للاخرين فيحزنان
لذلك ومن كان كله فيمن كان عنده علم او عمل او كان فيه قابلية ذلك او مقابليته
لا كنه تشاغل عنه وزادا ان لا شده منه واما غيرهم من الجهلاء والعامة ومن
المنهمكين في الدنيا المستغرقين فيها فلا كلام عليهم ٢ لانهم مرة ذكرناهم اولا فقد
يعرفهم في الدعوى ورؤية النفس موفية تامة ولذلك تجد كثيرا من الظلمة والفسقة
والمستكثرين من متاع الدنيا واوساخها يتواضعون ويتذللون للاخرين ويرون
انهم خير منهم بذلك يمتعه بل لا يرون نفسهم ومنهم نسبة البتة ويفرون تواضعهم
وتذللهم ورؤيتهم الخيرية لهم بمثلهم ينكبون ان خرون ويتعززون ويتكبرون واليهم
بغير ان حتقار ولا يرون فيهم اهلية لرحمة الرحيم الغفار فما اولى احد
الفريقين بان يخسر الدنيا والاخرة جميعا وما احرى الفريق الاخر ان يربحهما
جميعا ويكون ذلك فضلا من كريم رحيم وعدلا من حكيم عليم واعتبر ذلك
بقصة الخليع والعابد ولا يحصل للعبد البراءة من الدعوى الا بوجود الصدق
الذي يفنا بها وذلك اذا حصل له حظ من المعرفة بالله تعالى لان من مقتضيات
معرفة المعرفة ان يمحو كل ما عدا امثالها اذ كل شيء ما خلا الله باطل ومعنى
يحصل للعبد التجرد من التلام والتحرر من كل ما كان منسوبا اليه فبذلك
ويحيي بجميع ما كان ينشا منه من شين حالاته ومحاسن افعاله وصفاته بورا
وهباء منثورا بحيث لا يرى لنفسه نفسا بوجود ذلك وعدمه من حيث رؤيته لنفسه
في الفعل وطلب الحظ ويتحقق بمعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه

عز وجل فليغب في كليته فإن لم يقدر فبنيته فاستشعروا أمركم فليغب في كليته جارح
إن قدر عليه فاستحضروا الحكم فليغب في كليته عارا إن لم يستطع فاستكشف
الكسل فإن معنى الكلمات صحيحة فيدخل الجهل بوروا المحجوبون المكسوة
في الكنائس مع الظالمين والجاحدين والفاجرين إذا لم يشاهدوا معنى آية البدء ولا الكثافة
ولا الكساء له فإذا شاهد القلب معنى آية البدء والكثافة والكساء له خرج منهم
فالعبد إنما هو مشاهد من البدء تعلق من معنى الأشياء ولا عبرة بها من حيث
تلبسهما ببعض فإنهما من معنى الحقيقة للتسمية ولا تغني من جوع بمنزلة الخبز
الذي هو من طعام أهل الجنة يضارع الطعام الحقيقي إذ يشبهه في الصورة وليس
بطعام على الحقيقة وكم من شخص كثير الترفيه والتحقيق يقصر بنعود
عقله كما تقول العامة في الجملة عن الباسليق وهو بغفلته عن مقاديره
من أكبر الضالين وكم من شخص قد تنعم من أكل الحلوى والمن والسلوى
وهو بغفلته عن حكمه في عداد الجاحدين وكم من شخص يلبس ثياب الحرير
والصوف والكتان لفكر المنزوي وهو بغفلته عن كاسيه من العارين فلا
عبرة بكون هذه الأشياء وإنما العبرة بالسر المكنون الذي به صار الضال مهديا والجاهل
عالما والمحجوب حاضرا والجائع مطعما والمكسو عاريا والعاري مكسوا وليس
ذلك إلا بظهور أمر الحق وارتفاع غطائه أو استتاره وخفائه فإذا تحقق
ذلك التجلي والظهور استوى على الأشياء الفناء والدثور وانقشعت الظلمات
بإشراق النور فهنالك يفرق بين الغني والفقير ويحق الحق المبين وعند ذلك تتكمل
دعوى المدعين كما يعلم العامة بظهور ذلك في يوم الدين حين يكون الملك
لله رب العالمين وليت شعري أي وقت كان الملك لسواه حتى يقع
التغيير في قوله الملك يومئذ لله وقوله والأمر يومئذ لله لولا الرعاع والعريض
من القلوب المريضة وإذا وقع استتار وخفاء ظهر وجود الأشياء وانتسخ
بالظلمة الضياء وغمت الأبواب أي الأنباء فهنالك تنتعش النفوس وتتجرد
أوقات النكوس والنحوس وترى أفواج العدو كيف تتلاطم وكلمات الدعوى
كيف تتراكم فيعيش تشغله منه الفرق وتغرق في بحار الدعوى وتهوى في
الغاوية مع من هوى فمن وجد ينقاد والبدانة رفضا وترى جمعهم ذاته كيف يأكل

الى

جملة

بعض

بعضها ببعض ونعوذ بالله من هذه الحالة فهذا ما ظهر لي في بيان الدعوى
التي هي من أعظم البلوى **فإن أردتم** أن نذكر لكم شيئا من علاماتها ووجودها
في العبد **فاعلموا** أن من أظهر علاماتها أن يكون عنده شيء من التدبير والاختيار
ورؤية حول نفسه وقوتها في إيراده وإصداره والمباهاة والتفاخر والتظاهر
والتكاثر والجدال والمراء ورؤية الخلق بعين الازدراء والفخر والحسد والرياء
والعجب والبخل والشح وخوف الفقر وكراهية الموت وأن يحزن على ما فاته من نيله
ويفرح بما أتاه من مقتضيات هواه ومن أخفاها أن يحسن الناموس ويتغير
بذكر منقوص ويمدح نفسه بذمها بالمقال ويرفعها بجلوسه في صف النعال
وأن يظهر زهده باختفائه وتواضعه بما يشعر كماله من تكبره واعتلائه
وأخفى من هذا كله حتى لا يكاد يعرف في القربات والأعمال الصالحات أن يفرح بما
عمله من الحسنات ويحزن على ما اقترفه من السيئات لا لله بل لأجل ما يفوته
من جزيل الثواب ويصيبه من أليم العذاب في أخراه فهذا ما ظهر لي في بيان حقيقة
الدعوى وذكر بعض علاماتها الجلية والخفية وأخفى من الخفية ذكرت ذلك
لكم ولم يسأل عنه من غيركم ولما أحببتم أن تطلعوا عليه سواء سألكم أو لم
يسألكم بقدر الكلفة التي في ذلك لكم فأضيفوه إلى ذلك الكتاب واجعلوهما
كفصلين واحد أو بابين والله تعالى يوفقنا للصواب إنه الكريم الوهاب الرحيم
التواب **وأما الكتاب الثاني** فتعرفون فيه بعثوركم على الحق
لا في ما ذكرت أنا لكم ولا في ما ذكرتم أنتم لي ولا في قولكم فتم الجمعة أن هذا
وأمثاله مما تحترزون منه بعد قولكم أصابني بعض كرب فالحمد لله الذي عرفكم
الحق ونسأله أن يرشدنا وإياكم إلى استعماله ويرزقنا وإياكم الكمال فيه بعد
بمنه **وأما ما ذكرتم** من أنكم أخذتم في درس ذلك الكتاب لتحفظه
وتجعله نصب عينيك فنعم ما تفعل وقد اختبرنا بعض فوائد ذلك المعنى الذي
قصدنا التنبيه عليه في ذلك الكتاب فبلى ولو أضيف إلى ذلك نبذ متيسرة
مكتوبة في أثناء الرسائل التي أبعث بها إليكم فليست بدون ذلك لكان منكم
حسنا **وقولكم** وها أنا أدرسه وأحفظه وأجعله نصب عيني لو علمتم
ذلك بإن شاء الله وسكتم عن قولكم بعده تعريف العجل والاتكال إلى النفس

لكان ذلك حسنا فان فيه رائحة من الدعوى ومن انتم حتى يقع منكم الالتجاء والافتقار
ولو تحققتم ذلك بقولكم ان شاء الله ايضا لم يكن فيه دعوى وما ذكرتموه من
تقديم ذلك على ما ذكرتم صحيح لا بد منه في كل ما انت له طالب فمن تحقق بذلك فقد
ظفر بجميع المطالب ووصل الى غاية المآرب فانتم فقط فاطلب وقولكم في
المسألة التي اعتذرتم عنها فلما تحققتموه عن ذلك وافقنا لكم ان رجعوا ان شئتم بفضل
الله ومنته في غاية الملاحة اعني قولكم ارجعوا ... ولو وزن قولكم ارجعوا بالذهب
والياقوت لوزنهما لما فيه من التبري من الدعوى التي تقدم الكلام عليهما وايضا كم
الاراء تشاهدوا معنى التبري فتنفعوا في اعمالكم بما قد تبرأتم منه وكن على حذر من ذلك.
وقولكم وعسى تبينوا الي ما عند ذلك الشيخ من التعاطي فليس يسهل علينا
التكلم عليه بل لا يحسن منا ذلك لا من جهة ان ذلك الشيخ يكون معه اذا سمع به
لانه عندي اجل من ان يتأثر بذلك او يكون معه شيء بل من جهة انه لا فائدة لكم في التكلم
على ذلك وقد يكون في ذكره ثم رفع فيه الاضطراب عن ذلك اولى وقولكم واما
تفسيركم لتلك الآيات فليس بتفسير وانما هو تلفيق فيه وقع بين تلك الآيات التي
اشكل الجمع بينهما وقولكم من بديع الكلام ومستحسنه صحيح ذلك من فضل
الله ومنته وقد كنت لما ورد علي ذلك السؤال منكم لم ادر ما اقول فيه ثم ان الله
تعالى الهمني لمعنى ذلك الكلام وانا لم اكن كتابكم بعد واما ترتيب الفاتحة فقد فتشت
في ذلك بعد كتبي ذلك المعنى اكثر من ساعة زمانية واما ما ذكرتم من انذار
فقراء الناس وتنبيههم على حال الوقت وما يفعله من خلع ثيابه وبغيهم ما يفعل
والله تعالى يجزيه بخير وقد تقدم منا ذكر الاولوية فيما قلت منالكم ولا كان الدنيا
مبنية على الانعكاس والاعوجاج ولولا انعكاسها واعوجاجها لم يغفل ذا لب
لانسان انتظار الى ان الفاضي من سبب تشبيكه عما هم به من العمل لما نزيد اليه فلا بد من
العمل بالحو الواجب ان لا يستعمل خلاف في نظر الذي ومنشئه في تشبيكه ان قد
لا تقوم له قائمة من الشبهات والخيال الان فليت ذا الرجل الذي همه بذلك اصابه
عمى او عور او وقع في بئر او تعثر في حجر حتى يتشاغل بنفسه عن التشغيب فيما يعود
بالضرر على المسلمين في دينهم ودنياهم ولولا انعكاسها ايضا واعوجاجها
جبرهم الله تعالى ان ذلك العمل المبرور وضرهم عند قومهم مع تلك الخيال الان

ان

انتهى اقامة ذلك الرجل امامهم كان الشيوخ كانوا ينادون بالكتب بذلك الى السلطان
فلينتهِ بينهم ولا يبقه شهر ولا شهران ولعل منفعة ذلك تعم جميع البلدان ويكون
ببركة عملهم بذلك واذنه فيه مما يكابده من مكابدة مخزونه الزمن بعدوه مقابح امثال
وهذا المعنى من جملة ما يكون فيما يكتب له من التنبيه والبيان ليكون ذا الحجة بل
لقلب السلطان ان اقتضاه هذا الحين الذي هو عنده ذلك الانسان ولولا انعكاسهما
وامور حاجهما ايضا حين لم يقع شيء من ذلك كان يبادر الى ذلك الجماعة الذين
انتقضوا للقيام بهذا الامر فيعقلون ما يفعله القاضي ابو بكر بن العربي رحمه الله
في وقته فانه ضم الى نفسه من امثل الفقهاء والضيعة ما رءاه في فسحة من
من المسلمين ولا اكراه في الله ان ما ترون *

بربدامم ان يعرني منـــلا * وما ابن الله الاماير بـــر

وقد رأيت في مواضع من كتبكم شيئا اردت تنبيهكم عليه وهو انكم تقولون
فيما حكى الله تعالى عن فلان كذا وحكى عن فلان كذا وقد يقع مثل هذا في كلام الائمة
وهذا عندي ليس بصواب من القول لان كلام الله تعالى صفة من صفاته وصفاته
تعالى قديمة فاذا اسمعنا الله تعالى يقول كلاما عن موسى عليه السلام مثلا
او عن من عاصره او فارقه من الامم لا يقال حكى عنهم كذا لان الحكاية تؤذن بتاخر ما
عن المحكي وانما يقال في مثل هذا اخبر الله تعالى او انبأ الله او كلاما فمعناه
هذا مما لا يلتبس من مقتضاه ثم تدبروا ولا تاسفوا وقد بلغني كتابكم
امس تاريخه وانتم تذكرون فيه امورا منها انه كان الفتك ... وتشرون بما يرد
عليكم من جهتي واعتذرتم في ذلك توهما ان بعدنا ان بسبب ذلك فاذكر تقول
من قصة فلان وعدد ثمة ذلك منكم سوء ادب معي ولم تعد في شيء من ذلك
الغرض وما انقطاع الكتب مني لكم الا لعدم الحامل واما اعتذاركم ان ما
وقع منكم مما ذكر تقول من قصة الرجل سوء ادب معي فليس عندكم معذور ان ما يقع
من احد من الناس في جهتي من وقعة فلانة بقول او فعل يكفر فيه سوء ادب الا ان
سوء ادب من غيركم فعلا عنكم فلا يؤثر ذلك عني انقباضا عنكما انما اعتبر في
جهته ولا انقبض عليه الا ان يتعلق به حق لله تعالى او مصلحة للعاد منه
ذلك فلا انقبض عليه ومن اتقانا بالعزة ذلك نستا مثلا ونشاء بحا لحمية النفس

المسكينة للاطلاع على امثال ذلك وان لا يخلو عليهما عند مثل القصة التي
ذكرتموها والله تعالى ولي التجاوز برحمته عن امثالها في اختبرتكم بعد ليلا يكون
في قلبكم شيء مما يكربكم بتكلمكم اذا او تكلم غيركم بالغيب والتمييز بالنسبة
الى ما يرجع الى شرع سواء واليكم النكتة فيما وراء ذلك وفوقكم حتى توهمت
انكم وجدتم عليه بعض الوجد فما اسرع ما انسيتم ما اطلعتم عليه من قولي
لو رايت رجلا في غاية الصلاح ودائما في غاية الفساد الى اخر المعنى الذي
ذكرته وانما يجد عليه في ذلك من مر قلبه اعني نفسه من الافات والعيوب ولم
يتفطن لمثل الذي نبه عليه الشيخ ابو الحسن الحرالي رحمة الله تعالى عليه في
المسالة التي سالتم عنها وسا تكلم عليها اذا وصلت الفصل الذي اتتبع
مسائل كتابكم اولا فاولا واما الكراسة التي وجهتم بها فقد ختمتها
بالمطالعة ساعة وقع عليها الضوء السراج ولم يزد واضعها على ان ذكر
جملة من احاديث نبوية يفهم منها الانسان لا على من هي في جزئية واحدة
من هذا الملات كذا مرة ويفهم ايضا من سمعها وكتبها واشهدها بين الناس ودعاؤ
اياهم الى اتباع من هي فيه اذ يريهم بذلك استناده الى الاحاديث الصحيحة
التي لا مطعن فيها وغاية ما عمل ان جمع احاديث مفترقة متفقة المعاني ومختلفها
بحسب الاحوال وجعلها في موضع واحد ولم ينص على ما اراده منها فالتكلم
عليها بحسب ما يفهم من قصده بذلك خطأ من العمل وانما يتكلم من يتكلم
عليها من غير نظر الى ذلك على وجه التفسير لها من حيث هي من غير نظر الى
تعلقها [illegible] حوادث الازمان ومثل ذلك لا ينفع في مقصدنا فلو
صرح بمقصده اذا وقع فاشار لاستغنام الكلام عليها من حيث التعلق المذكور
وحيث لم يفعل شيئا من ذلك فالسكوت اولى واعلم ان ذلك المجموع قد يضل
به كثير من الناس ممن فيه سوء فهمهم وعدم علمهم ومن اتى للترائي واهل البدع
ومن اشبههم من غيرهم ممن ان يكون لهم حظ من علم او فهم يحملون به الاحاديث
محاملها ويعرفون مفاصلها ومحاملها حتى تكون احوالهم على السداد وينتهجوا
في عقائدهم واعمالهم سبل الرشاد ومن كان منهم انه عالم محقق فهو جاهل
مغرور ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ولقد نصح لرسول الله

تقع

ذالك ينفع

صلى الله عليه وسلم وحديثه من قال من العلماء ما معناه لو كان لي حكم لعاقبت بكل
من يذكر من العوام حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم محتجا به ومستدلا كذا
وكذا ثم ذكر من العوام من لا يشوله علما وفتيا اعتبارا ولا يخوضون له تيارا
وقال سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى الحديث مضلة إلا للفقهاء يعني
لسوء فهم من عدا الفقهاء ولذلك استثناهم وأما اعتقاد أن الحديث من حيث
هو ضلال أو أن المشتغلين به ضلال فمن اعتقاد الجهلاء الجهال وما سمعوا به في ذلك
المجموع من حقيقة العالمين وسراج المتقين صحيح وصلاحهم وتقواهم يمنعهم من
أن يحكموا بفهمهم القاصر على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يأخذوا
معانيه من العلماء الذين هم ورثة الأنبياء فهم الذين يعلمون مواقعها
ويفقهون معانيها ومواضعها كما قال من قال وهو الإمام ابن وهب لولا مالك والليث لضللت
وفي الحديث المشهور يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين
وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين أو كما قال وأما المناظرة التي
جرت بينكم وبين زيد وعمرو وغيرهما فالمناظرة مستحبة أو كالمستحبة إلا أنكم أخللتم
فيها من وجه واحد وهو وقوعها منكم لأن المناظرة إنما تستحب مع من يرتجى
معه حصول فائدة المناظرة وهو أن تحرر الجواب للتبيين وأولئك القوم جرى
عليهم القدر بجمودهم على التقليد حتى لا مساغ فيهم لكلام أحد غير من قلدوه
واستحسنوا رأيه الأثر وأبى قوله لكم لا أقبل منكم شيئا ولا مقدار تبينه فأي
فائدة للمناظرة مع مثل هذا وإنكار ما علمته ما شيئا على الخبر كما لنا للحق
مجتهدا في أعمال البر فلا يستغيث الآخر في المناظرة مع من شأنه التقليد إن
تمنو بين رأسه وهم قال نومه ونعاسه وزاد في قبحها منكم كونها كانت في
المسجد حتى ارتفعت الأصوات فيه بما لا يخفى منفعته والعبد متوجه إلى الله ولعله لا نال
الذي أفادكم من ذلك المذكور وخلف عليكم في القيام منه لما ذكرتم كان أنفع لكم من
الرجل الذي أفادكم حين احلكت بكم العامة المتعصبة فأصروا إلى أذايتكم وإنما
تستقيم المناظرة مع من هذا شأنه على سبيل التفرج معهم في موضع يليق به ذلك
من غير المسجد من غير أن يعتقد المناظر لهم أنه يرد منهم أن يرجعوا أو بعضهم عن باطل
لأن ما فاتك بالفساد بالفساد مرجو الصلاح وأمسوا لا سيما أنه في هذا

خ فناشئا

بذلك

الا الذي لا يستغرق في ذلك ولا يبلغ به الى حد يكون استغراقه في ذلك وابلاغه
بينهم وسر به راسه ودملاعه ومن اعجب العجايب ان ان المستكبر الذي دعاني الى الخروج
من بلد يعتاد فيه وقوع امثال هذه الامور ومعي وان كانت حلالها وحبالها
فان لي في رؤيتها وسماعها ووقوعها من وحشة منها واعتبارها وقربها من وحشة
تغنيني به من حيث استناده ذلك الى مشيئة الله تعالى وقدرته لا من حيث تضمنت
وقوع شيء من هذه الفتنة ومعصيته فلبثت الحمار الذي كان حملني وساقني عكسه في
بعض الفجاج حتى لا يمكنني الا الرجوع على الادراج بشرها ان يرمى بهذا الا مولاه
المالك او يعطا فيه ما اصابه من ذلك ولم افهم في بلد اسمعه شيء بالبادية
ذات الذياب العاوية والسباع العادية ولولا تعلمكم في بالاخبار ربما
يقع عندكم من امثال هذه الاحوال لكان يصيبني من الفتنة ما يخرج عنه الوسع
والاحتمال ولا كن لعل في الوانع من ذلك كله خيرا **واما الكتاب الذي**
ذكرتم ان فلانا بعثه او يبعثه الذي لا بين له فيه اسئلة فلم يقع بيم الي
الان منه شيء ولو وقع ما امكنني اجيبه حتى لا يكون له مقرر في اصابة احد
من ادبر القريب وخطا الاخرين بعيبين فمن اشتغل بذلك فاذا انه المعنوه الذي منه
يكون كلامي لا محالة في ذلك عاريا من الفايدة وربما كان فيه مفسدة زايدة
ويحمل القول فيهم ان جماعتهم لا بد من استعمال عقايدهم واعمالهم على شيء من
البدع بين قليل وكثير فان قيل مني هذا الكلام والا فلا عتاب عليهم ولا ملام
واما قولكم اريد منكم ان تنكروا كيف يكون سر هذا السر الذي انفتح
بين هؤلاء الناس وكيف يستقيم من احد ان يسر ما فتح الله تعالى في زمن يليق
به ذلك بل افهموا اي سر انفتح لولا الوهم الذي غلب عليكم حتى استعظمتم
ما ليس بعظيم **وقولكم** وانا ما كلمتك الا ما افرح به نفسي تعتورني من
الكلام في ذلك مما خفتم ما يشير عليكم فلا شيء افرح لنا من الاياس من
رجوعهم عن حالهم التي هم عليها الا ان شاء الله تعالى ذلك بامر من عنده
وقولكم انه جعلوا عندنا انا نقع في فلان وعداوة منكم ممزوجة بشيء من
التصنع والرياء والله تعالى يغفر لكم لا كن الكلام يقع العلانية لا الولا افقهم ولا اسلم
منهم في نسائلهم الكل حتى يكون ذلك مقيدا بالشرع وكل ما صدر مني من كلام مشكوك

عندكم وعند غيركم دليل على ما اقوله من ذلك فليتطلب مضانّ ذلك من احبّه
ممن يعلم منهم نسبة بهواه وقد ابعدته عنّي واستنزلت الذي قلّدت عليه بحقيقة
ولا وكيل وافوّض في ذلك الى الله عز وجل وان اتعرض له بامر ولا نهي ولا امجره ولا
ابغضه لما انا فيه وبه في نفسي من التسليم وفيه ابرءوا الله تعالى يتجاوز عنّي
بفضله والمراد منكم ان تغيروا هذا كله على فلان وفلان حتى يعلموا انه تكلمت في القبيح
فيهما او فيمن كان على مذهبهما وكذا الذي تسألكم تبعثون بنسخة منه الى فلان
مع من تثقون به انه يوصلها اليه وغرضي من ذلك ان يفرغ اسماعهم كلامي فيهم
فعلهم ليس لي غرض سوى ذلك والله تعالى واسع المغفرة فابن المعزولة ليس مستبعد
في حقه ان يلحقوا نسبة بالمحسن فيتساوى في نيل رحمته وجنته الكلاب مع المجتهد
والعاصي المذنب والعواقب مجهولة مبهمة واسرار القلوب لا يعلمها الا نبي
اعلمه او ولي الهمه **والحق** عندي ان من جاد اليوم عن ذكره في نسبة الحلاج
ابن عائشة رحمه الله تعالى عليه في معاملاته الظاهرة والباطنة مع الحق
تعالى ومع الخلق فهو سقيم ابن خوان فاسد الاعمال لان معاملاته كلها كانت
جارية على ما اقتضاه ظاهر الشرع من غير ان اخل ولا امر بجميع ما تضمنته
احاديث تلك الاسماء كان عاملا به مع مراعاة آداب مشروعة مأخوذة
من تلك الاحاديث الابيا ولولا ان الغرض المقصود بهذا الكلام كله ليسراه
التفرع معكم وادخال المسألة عليكم لاني افصح بها من اية احد ولا ارشاد اهل
هذا الوقت لم يسامح على ذلك لذكرت من اخوان شيرة الحلاج التي تأيدت بالآداب
وتقيدت بالسنة والكتاب ما اعلمه وهذا كله مما تفرد وتعلق في ذكرت لكم
وتكتبون به ان اخبتّه **واما** ما طلبتم منه من شرح ادعية موافقة لسور القرآن
حسبما فعله الشيخ ابو طالب المكي رضي الله عنه فقد اغنانا عن ذلك وكفانا المؤونة
فيه من ائمتنا الصوفية رضي الله عنهم محمد بن علي الترمذي الحكيم في كتابه نوادر الاصول
عند ذكره لحديث تضمن ذلك ولا ادري اي حديث هو ولا نتذكر في كتابه الذي كنت اعتزله
عند ابن فلان والكنه ذكر فيه ادعية جميع سور القرآن المتفق عليها والمختلف
فيها والذي عندي انه في السفر الثاني من الكتاب المذكور وما نوله الغير لا سيما مثل ذا الحا
الآلام لا ينبغي في ان نتشاغل بمثل ما عمله فان في ذلك من سوء الادب ما لا يخفى

مع احوالكم في كل وقت مختص في كل حال والله تعالى يصلح احوالنا بمنه واما ما ذكرتم عن
الشيخ ابي الحسن الحرالي رحمه الله تعالى فيه فهو كلام صحيح مليح ولا منافاة بين نفي
العبد بغير التوحيد الى المخلوق وتمهيد العذر لهم فيما يقع منهم من سوء وخير وبين امرهم
بالمعروف ونهيهم عن المنكر حتى لا يمكن اجتماعهما لان الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر انما يتعلق بما يكون في المستقبل واما ما مضى فلا تعلق له به فيقول الامر
والناهي افعل ولا تفعل ولا يقول له لم فعلت الا لقصد تعليم او تفهيم بكيفية ازالته
فيما يستقبل واما ما فات فقد فات فحج آدم موسى فبين الموحد وعذره يتعلق بما
مضى وبين الامر والناهي متعلق بما ياتي فلا منافاة بينهما لاختلاف الجهتين وايضا
المنكر بغير التوحيد والعذر حقيقة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر شريعة ولا
مخالفة بين الشريعة والحقيقة ولا ادري كيف خفي عليكم هذا مع وضوحه واما
ما ذكرتموه عن بعض شيوخ المشارقة من كلامه في العبارات الرائقة والمعاني المحسنة
الفائقة فهو اشارة الى نفس حال من انقياد القوم لا يليق ذكره ولا رسمه في هذا
الوقت خشية وقوع الفتنة فانتفعوا منه بما ذكرتم انكم محتاجون اليه من فهوم وذوق الكلم
ما يخرج عن الوسع والطوق واما الكتاب الثاني فاكثر ما فيه مكرر في
الكتاب الاول الا انه يظهر منه انكم طلبتم منا استنساخ نسخة من التنبيه ومقابلتها
لانكم اردتم درسها في اللوح والان ازداد انكم مشتغلون عن ذلك بما عندكم من
النسختين اللتين اخذ جمعها عندكم فان اردتم التصحيح لاحراسها فابعثوا لنا التي
وان اردتم ابعث لكم النسخة التي عندي لتتولوا انتم ذلك او تقابلونها من النسخة
التي يرد بها عليكم فلان لانه قابلنا معه مقابلة لا باس بها واما انفاق دراهم
على بعض الامعتنى له فلا اذن له وجها على اني من ازينتي حكمة ما منا ثم مضر
منتصر للشيخ معدوم واما كونكم اردتم قراءته باللوح فلا اعقلية فيه لان ذلك
لانه وضع حامل نائم لم يؤيده توقيف ولم يساعده تحقيق فتتعبون انفسكم بلا
فائدة فيه والزيادة في الشيء كالنقصان منه والذي يقرأ في اللوح كلام محقق عارف
يمكن ان يستنبط من منطوقه ومفهومه ورموزه واشاراته معارف وعلوم لا تنحصر
بل تعظم وتحقق وينبني عليهما من معاملة العبد مع الله ما يؤديه الى الاعمال والعلو
بالرضوان وقد كان سيدنا ابو القاسم الجنيد رضي الله عنه يقول فيما كان يسمع

فيه مع اخوانه من اهل الحق فقه من العلوم والفهوم التي لا يقدر احد اليوم ان يبرز مثله فهما
او يقوم كما حق تلك الاشارات ويكشف تلك العبارات في هذا الذي يقول من يتكلم مثلي
بكلام خلف صدر عن قلب جلف فلا حول ولا قوة الا بالله وانا لله وانا اليه راجعون
نفعنا الله من الكون في زمان يعد فيه ما ارسمه واقوله به من الكلام المعتبر حتى يكتب
وينقل او يتصفح فيه بفكر القلب واصغاء السمع وروية البصر وانه لعلم سوء
على ذهاب الاخيار وفقد العلماء والعارفين من هذه الديار والاقطار كما قال الشاعر

لعمرك ما نسب المعلى * الى كرم وفي الدنيا كريم
ولكن البلاد اذا اقشعرت * وصوح نبتها رعي الهشيم

ثم انه لا حاجة بكم الى الدرس لان تكرار النظر فيه على الدوام وتعاقب الليالي والايام
مما يوجب لكم الحفظ ويحصل لكم من ذلك اكمل الحظ والله تعالى يرشدكم الى الخير ويقربكم
اليه بمنه وقولكم وان كان وجدت لكم نية فيما طلبته لكم في التاليف الذي كنت
ذكرت لكم لان الامر شاع وبلغ الى حد العداوة فالجواب عنه تفهمونه مما تقدم
لنا في هذا الكتاب وان لم اصغ من ذلك واحفظ وقولكم ينبغي ان يبين ما هو
الحق والصواب ليسلكه من اراد الله تعالى ان يهديه الى الصراط المستقيم فان كان
الحق لم يتبين الى الان فالله تعالى لا يبينه ولا يزيده الا اشكالا وهذا دعاء الاخير
فالحق تبين ولكن اهواء النفوس التي محبته وتمكنت عليه فان كانت لكم قدرة على
ان التعامي من صدور اكثر الناس فافعلوا ذلك ولكن لا قدرة لكم عليهما ولا سبيل لكم
اليهما وهو شيء استاثر الحق تعالى به لم يطلع الى ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل قال
الله تعالى لاكرم الخلق عليه واعظمهم منزلة لديه انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي
من يشاء وهو اعلم بالمهتدين جعلنا الله تعالى منهم بفضله

وبعد فقد بلغني منكم كتابان اثنان واعلمتمونا في احدهما انه ادركم
خوف شديد وانقباض بسبب ما تكلمتم به من الكلام الذي كان سببا التكلم على احوال
اولائك القوم وانكم انبسطتم في مع قدحا لهم وقلت لعل ما تعتقد عنهم غير صحيح
فيكون ذلك كله في صحيفتي واعلم يا اخي انكم اذا خفتم من مثل هذا مع
من جهة احتمال خلافه مع انه لم يقع منا في جهتهم الا ما في بالكتابة فقطعتهم
وقد ابرزتم سواء كان ما ذكرته عنهم صحيحا او مكذوبا فيه فما لكم يكون خوفكم

فيه همزا

مكي

لو وقع منها ما كلفتم من التكلم على تلك الاحاديث بحسب ما فيهم من صورة الحال في جمعها
ونشرها وما فيهم من اراد نفيه بذلك للاشياء ان يعرفكم اذ ذاك يكون كثيرا وتخلصكم منه
بتيسير الله سبحانه وقد قال ذلك البدر والنور المغربي التيمي في بعض المطول حين اموا نعوا انه ان
يضربوا بها مسلامة في شيء مما كانت تستغرقه قبل ان دخلتم ان تتخلصوا من ذلك وتخلصوا
من مصيبتكم حتى تصير كما كانت بيضاء نقية واستعملوا من اولائك الفقراء من ختم منهم
ومن غاب وكذبوا انفسكم وقد كان قال ذلك الكلام للبيعة من الكبور حين عتبت عليه
فاجناه عليها اخطات للاعـــود ولا شك انك تجد عندك من اداه من التخليل
في سيما ان قصرتم في ذلك بتمشكرونا لا فتسلم بذلك من تبعاتهم وتخلص من
مطالبتهم والنصيحة من شانها ان تتلقى بالقبول ودع الملقي لذلك يكون صادقا
صادقا او كاذبا فيما يقول لان من كان له حبيب يبتغي اليه الوسيلة والقربة
بما يليق بجانبه من المعاملات انتج تدنيه منه وتقربه اليه ويعلم انه يستفيد من
عينه اي خلال بعلاقة كبير مما يجب بجماله وكماله مع انه قاصر في نظره عن ادراك بعض
ما فيه عنده فيعلم او يستحكم عليه جهوعنه امر بسبب قصوره ان يقع في امر يستفكه
من غير حسبه فيعرفه منه ما اقلقه من حركته ونفسه فلا جرم يكون له اعين نظار وان اداه
سماعه الكلام بمكان بصدر منه تنبيه على ذلك كما فيها ما كان وانما حكمة من الله العلوي
وحزمها من غير فيه اصابت امراة واخطأ رجل ومثل معنى النظر كان ارباب البطالة يستغيرون
معرفة عيوبهم على السنة اعدائهم حسب انك والمتكلم على ذلك من الاعداء الكذابين الذين
من حولهم نعم عندها العرب كلا مكما التسمعه الايادا ان يكون لحكمة من السامعين المنفذ من لشرح
فابين ذلك اليه تعهد بذلك ما فيه عنده حسبه وما يستحكم عليه ومقل نفس سماع ذلك
والانقياد اليه في مقتضى المحبة والمعرفة لا موجب للكمال الحلال انما لا يقدر على الوصول اليه
بهما ولو العمل على ما لاح له من جهات الرجال مع عدم سماعه لذلك وانقياده اولا كثر احيوا بعادة
فان قلت كيف لا انقبض وانا وقد عصيت ربي وانا حسب عدو له ابليس بما وقع منى من عسى في
القراءة وانقطاع البركة فلا تعدم بذلك الاعتبار يكون من واقعة وامور مستشنعة لصاحبها
ايمانك في ولا التعسير ولا تنفعنا بتصحيح الادب يمكن انه يكون له فيه عن عرض ثبات في ذلك بحسن ان
دينه وعن مشاعرة ربه فلا قول القدر بعد عليك بذلك وجرى القلم به فلو زمت قربه عنه
بحيلة السماوات كي تقدر على ذرة منه ولا بد من وقوعه منها ومربانه على يديك يشمت ام ابيك

لهم

ابدا

فيتركه

بعد

باراني

اوفعا

Digitized by Google

أو ما سمعت ما قاله الشيخ الحراني في تطلب العذر للاهل المعاصي والكلفة على ما بسطه
بعض شيوخك من علماء أن تمهيد العذر لهم من الرضى بقضاء الله تعالى والتسليم لأحكامه ولا يغني
ذلك شيئا إذا استعمله فيما مضى من حاله أتلو به على أمر قد فرط عليه فيما له أخلق
وأن يذم ويشعر التقصير والغبن في هذا على التمهيد إنه من جهة طلب الشرع لعدم تمهيد العذر
للتقصير بخلاف الغير وأنت لم تقصر بذلك اتباع الشرع إذ لو اتبعته في ذلك لم يمهد منك
ما يخالفه فيما هو أشد عليك من هذا إذ قدر كان هو دونك عليك فاجعله أكبر وإذا أعذرتهما
فيما مضى واستغفار ذلك فيه لم يتوجه عليك طلب الا فيما تستقبله فتب إلى الله تعالى
من ذلك الفعل ولا تعد وأما أنا فقد وقع فيه ما وقع ويقع منه أمثاله وأمثال أمثاله
ولا أكاتب في ذلك ولا أملي واحدا يطلع على ذلك الحر والبر والانس والجن حتى يسمح فيه الله
تعالى عن ذلك بما شاء من قدرة وكل من يقع في بيته يقع وكل من يتكلم معه يتكلم فلم
أقصر بذلك تسخطا عن ولا تعنتا ولا السخرية ولا الاستهزاء به وإنما يتصور ذلك
ممن أخذ كتابه باليمين وكان يقوم نفسه ويجعلها على تقصير كنف وأنا لا أعذر في نفسي
إلا انتقاما من شيء ما أخلق وإنما ازداد من مراسلة وفوائد يرد ويرى فليتفقوا ذلك من شيء
يكن نحفو وإنما قصدت التفرج متعلقا بالحديث ليقع بذلك في وانهم بعض الانس وبعض الجنة
بغير ذلك فما يشاء فالعقرب عقربه والأعز أمره والملك ملكه والفعل فعله فهذا ما يتعلق
بهذا الفصل من أجل الكتابة والآداب المحصلون بما أردتم من الجواب عن ذلك على قراءة العيد
إن يرجع فيه علمكم ويفضلكم عن ذلك بحقيقته لأسيما أن لم تعاود والنكير فهو المرتبس
ونشأ ملتوا فيه كلام فيه وكلمتين ويكون ذلك كما ذكر فهو في كل خميس اثنين فهذا هو الذي
ينبغي أن يقرأ في اللوح ويحفظ ويشار عليه بذلك الغير والابليه وأما ما ذكرتموه من العرس
والوليمة فإن ما صنعتما غير خارج عن الاستقامة في تخصيصه بعض الناس بالتمييز والكرم
دون بعض لأن ذلك من إنزال الناس منازلهم التي يستحقونها عند أنفسهم وفي دنياهم كقصة
عائشة رضي الله عنها مع الغني الذي فرقت بين تقريبه الطعام والمسكين الذي دلوته كسرة
الخبز ولا شك أن أهل الخير وأصحاب العمائم لا يستحقون فلانا وفلانا ولا من كان معهم
لأن أولئك أمر بتمييز الوالي الطعام بين أيديهم في كل يوم يتلاعبون بها في ديارهم وقد أزلهم
وبين خدمهم وحشمهم ويريقون ما فضل منها في المجاري والقنوات فهم أن لم يتحصوا بشيء
يعلو وجودهم في أيديهم سواء من ذلك ولم يقع منهم ما يقوم اليتيم موضعا والجماعة المباركة

التي ذكرتها على خلاف ذلك لأنهم قد يجوعون ولا يشبعون ويظمأون ولا يبلغون وإنما
كان قلما يلتجئون إلى الدار والمحل وقلما يشعرون للأمثلة في تخييرها الكل وقلما يتعيشون بما يرضى من
دنياه بالتيسير وقلما يزيلون إلا في النعيم ولا في العسير ولقد كان منهم من يسير ذلك الرسم وفيهم من
خواص الأصحاب والذين يتنزلون منزلة الباب ولعله في ذلك حينا وما يعني من الغرض الذي حضروا
معهم منه من هذا النمط المستكيني بالكوبيرات المعفار في حقهم بمنزلة كيمياء العادة
وما اشتملت عليه من إرادة بذل الطعام بمنزلة الزجاج المستمنة التي قد رتبت للأولياء
الكبراء والسادات فلم يخرج بذلك عن القانون الحكمي والنمط المعهودي فاستبعاد من اشتغل
به من أجل أنه لم يحط بعلمها ولم يسمع عنهم من الحكماء في أغنيائهم عليه مرضاة وقسمة
على قلة بالبصير وإجلائه بين أيدي الأولياء الحاضرين المريدين حق العين الذي ينبغي أن يشمر
والأمر الذي يجب في مجرى العادة إلا أن يغلو به ولا ينسى وأما ما كتبا به لكم الأخ فليبق
فيه ما يقتضي كلامه فلا إلا أنكم فعلتم فيها أنكم لا تدرون حسبا تشتاقون به وتبتشون
شكوا الأمر إليه وأنكم أنستم بالناس إلى أنتم فيهم من الأوكاس إلى آخر المعنى الذي ذكرتم فالله
تعالى يغنيكم عنهم ويهب فيمنكم عنهم ويجعل في باطنكم من النور الذي يعمر ويغمر ما يتجلى
لكم به في كل غيم وكون مظهر ومقدر ومنشأ أو مصور حتى تكون في هذا العالم كأننا قد بدأنا
لا يخرج به عن دار الأسرار ولا تتوقع من قبيله نفعا ولا ضرا وتستعين الأزمان أزليها وينزع عنها
بالقول والصرف متقلبها ومضطربها وما ذلك على الله بعزيز وفقكم الله وعسى أن يكون
لكم فائدة يكون العمل لكم بما يقتضي فتنقطع الفائدة فإن كل ما أتكلم به إليكم فوائد ولا كنه
لما أسمع منكم من الكيفية والأحوال إلا أن كل ما ألقيه إليكم من ذلك كأنما القيد لكم في بين
أن تحملون به عنه معا ولعلكم أن يكون ما تحمد حالا لكم عمل بعيد بل حال نبيه وإلا فكم من
كتاب وصل إليكم وفائدة أوردت عليكم ثم لم يشف ذلك لكم علة ولا نفع لكم غلة
بل شأنكم أن تقولوا أما بعد فيا أصنع ما أصنع فأدمني يا شيخي يا شيخي أو لم تكلفوا
بتعجيز ذلك مقالا تقولونه حالا ولا يبد كان الأصل معقولا كيف لا يكون ما ينبني عليه
معقولا ومنقولا أتدرون ما الأصل الذي ذكرت والذي أشرت إنما كلامي وأقوالي وأحوالي وأفعالي
ومقالي وعملي وحالي فالله تعالى يتداركنا برحمته ويتعاملنا باللطف وبمنته ويراعي ثنا
ويقيل عثرتنا ويرحم غربتنا ومسكنتنا ويجعل في الجزاء كل ما أدركته علينا شفقة
الأبناء من المومنين وفاز عند سماع دعائنا وأمين وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين



وعلى آله الكبير الكامل من ربّ وصل للعبد كتابكم وتعرفت منه ما
ذكرتموه من حالكم في ضيق المعيشة وعدم شكوى التعبير إلى سبب الفسحة وذلك يا أخي
هو حال الكثير الخلق اليوم فلا تكاد تجد أحدا إلا يشكو البدن وهو يشكو البلد مثل ما
نشكوا إليه أو أكثر كما قال الشاعر * لم أجد غيري فيه قلب جريح *

كلما رمت أن أشكو علتي * لأرى غيري ذو قلب قريح
كلهم يشكو الذي أشكو به * يا الغريب ما عليها مستريح

وسبب وجود هذه الحالة لهم أنهم ضيعوا حرمتهم وشكوا أهم ما القول من الأنس بالعالم المحسوس
والتمتع به وقضاء الوطر منه فلما تغير الحال عليهم في جميع هذه الأمور وقع منهم ما له
وقام تغير النفوس بصعب عليها أمر فقدها فلا يكاد من هذه الحالة منهم عن جميل الترفع
للتعبير وعتاب لما على ما يصدر منهما من الجزع والتي هي أب حسبما وقع منكم كان في الحد في
حقهم عقوبة حلت بهم من الملك الجبار وإن قلت إن الله ما ذكرتناه كان في حقهم تأديبا أدبهم به
حكيم مختار فاعلم أن فقر النعمة عليهم بهذا وأنكر إلى ما قبلت عليه حمده مع تعليمه في السراء
والبلايا والمصائب والرزايا كتمييز البحر والسعيد من عكسه بغيرة وقسم حالة أخرى
لوا تتلوا إليكم نسلنا هذا الكلام السابقين الذين لا يشق لهم غبار ولا يقوم حول مقامهم الخوف
ولا الأبرار ومن أنهم فريق يعودون ويضحكون بدون الكبرياء ويعجبون ولا يعاتبون لأنهم يشهدون أنفسهم
أسرى في قبضة الحق لا يشعرون لهم بشيء وهم ما ينسبه الوهم إلى الخلق مع سلامتهم هم
هكذا لبد الشرع بها ولا وهم الذين تكون حسناتهم عندهم سيئات لهم يعلمون فيهم أسير
أنفسهم فيستغفرون الله تعالى ويتوبون إليه منها لأن ذلك يشخص شيئا من المنسوب
لأنفسهم عندهم وذلك من أعظم الذنوب المتبعدة من حضرة المحبوب كما قال الشاعر

إذا قلت ما أذنبت قالت مجيبة * وجودك ذنب لا يقاس به ذنب

ولا تكثر في هذه الحالة التي تنال أن حيلة ولا اكتساب أو يتوصل إليها بسبب من الأسباب
إذ لو تصور ذلك لكنتم أحق الناس بها لو صدقا وتحصلوا إليها الكلمة لما انتسبتم
معي وانتسبت معكم شممتم من حقيقتي رائحة شيء لا تشبه رائحة ولا ياسمين ولا فول
فيشك ولا عنبر إلا بما شعرت بهذا منكم توهمت أن حاسة شمكم فيها استغراق الإدراك
حقيقة هذه الرائحة فبحق أن تتسبب في توصيلها إليكم بأمورين يسهل عليكم فيها أسير
وامتثال على ذلك بحيل ولا يحيل بنحو شاكر فلا جرم لما وقع فيه ومنكم اعتماده على

يشكو الذي أشكو به ما علينا مستريح

ذلك

تفلح

منزلة الاسباب وضرب بيننا وبين ادراك حقيقة الحقائق الذي هذا كله مما يتعذر عنه
ونعبر في وجهه بحجاب صرت في ذلك كما قال امرؤ القيس *

الما على الربع القديم بعسعسا * كاني انادي او اكلم اخرسا

ومن اهمال العادة قريبة للانهزار وزمن الفرج ولاكن البينة من قدر الدين وشيوخ هذه
الازمنة لا يحصل التلاميذ بهم منهم ولا لهم من تلاميذهم فراغ عيش بل نحمد الله تعالى على
قلة الحسب ولنستغفر الله في ذلك خير امر حيث لا نحتسب وما اعتذرتم به
بمعلوم فلا ريب مواعيتها امر متوجه عليه كما ان عين امر الذي كنتم ذكرتموه في الكتاب الاول
لا يتوجه عليه وقد كنت بينت كيفية عدم توجهه في الكتاب الذي بعثته مع فلان وكان
واما بيان توجه هذا الثاني امر عليه فهو ان الوقت على ما تعلمونه من الشدة وغلاء
السعر وكثرة الفتن وغلبة الحرام فالانسان اليوم اذا طلب ما يتقوت به يلقى
شدة وعنتا وضلالا عن اكتساب ما وراء ذلك من الفضول والاشتغال بالتفقه الذي انبنى في
تلك الحادثة ما اكمل بحيث يتصور ان يصنع به في اوقات الرخاء والسعة مادبة
وولائم فانقا ومثله في هذا الوقت لا يخلوا من اسراف وقد قال الاخير في الشرح جاء
قال وقد قالوا انك سرف في الخير واعتل لذلك بما ذكره من انه فحصل بذلك جبر قلب فلان
وفلانة وسلم بعادته في ذلك كله الغرض وكان الاولى به في فحصل جبر قلوب اولاد
القوم مع موافقة رضى الله تعالى وعدم المخالفة اذ الحيل اللاتي التي اعتادها الناس الان
بهذا في ذلك الحال ينقسمه ثلاثة اقسام قسم يقيم به السمعة في وليمة العرس
ثم يدعوا اليها من يعد وجود تلك الاطعمة المختلفة والتمكن من اكلها غنيمة ويجعل
ذلك اليوم الذي ياكلها فيه عيدا فينفع في محله وتعود بركة ذلك على العروس والعروسة
وذا ابه بماوا امهما ثمانا ومن قام في ذلك الامر وقعد واعتنى واخذ وقسم يتكلف به
للفلانة بهذا التزاوج لازم الحذق والعلاقة من غير التزام فيجعله لها في تجهيز
وكم رقة لقربه عينهما وعبرا لينهما وامثال ذلك وقسم يتكلف به للفلان فيشتريه
له ويجعله راس مال يجاول له في تجارة او زراعة فيحصل له من ذلك فوائد يتمتع بها
مع اهله وينقطع بها عن السؤال على حال وامور عليه من الضعفاء والعذر وان فرضنا
انه عنده ما يغنيه عن ذلك كله فيكون هذا زيادة خير الى خير ثم ان الزفاف لا يوفي منه
الانفلات والتعب فيصرف الك الولد عند الحاجة والفاقة ما يرد اليه ثم يدله ويقيم به

لكم

فيلا

دراهم

التزام

1501
Digitized by Google

أو ذلك لأن ولده حين عدم القوة على الصناعة أن لم يكن له أحد أن يتجاوز أو زراعة لم
تتشوف نفسه إلى أن تكون له أمرأة مكلفة بتلك الأمور من جهتها وتحصل له فوائد حاله
من ناحيتها ومن أجل ذلك قد يسر أو يضجر ويكون ممن يؤثر الأمر على غيره الذي يسعى للعشق أمرأة
مطاعة ستارة إن شاء الله أشارة إليه فيتعلق بها غاية التعلق بالعشق ويتعرض لأنواع العشق والمحن
لما كان قال فيما قاله الله عز وجل بعد النبأ والبشرى وفي قوله بعد النبأ والتي تعبر به عن
مكابدة الأمور الصعبة ولم يكابر من هو معقوبة في ذلك بكلا مرة والله تعالى أعلم وإنما
كابر ذلك في باطنه عندما تعارضت له دلة الزينة واستبهت حتى أنقذه الله بكلام
تكلم به بعض تلامذته ومن قال بعد ذلك من يتكلم في خلق كثيرة واعتمد العمل بما
قيل له بسيرة وحيرة فما كتبناه إذا اجتمعت مكابدة الظاهر والباطن معا كله إذا
قصد أي حين أول ليت القوم بأمر ما لو للجملة من له أدنى تمييز في نظر لم يحاول عنه لم
الحيرة والوهم وأما الوقت الذي جنى قلوبهم بأن من الحقيقة لا يعرفون إلا الاعتبار لم
والفرح به إذا عملوا والحزن والكآبة من أجله إذا أهملوا عند تغيبه عن أعينهم بالموت
فإنه يجد إلى ما قرع سمعه وجرى على لسانه ويتعظ بالآيات والتصريح به فلينظر من
قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا الآية وقوله عز من
قائل إنما أموالكم وأولادكم فتنة الآية وقوله تعالى إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم
الآية فيحمل الجميع في الدين ويوفيه حقه وينصح لله ولرسوله ولما يستر على أله ويرجع ذلك
إلى ما يقرر لهم ما تقرر عنده من جهة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للآخرة الآخرة
ويعلمهم أن أهم أمر الذي ينبغي أن يعتني ويسعى لها ويقدم لها وأن الدار الدنيا خيال زائل
وسراب ذاهب وأن العاقل الكيس من جعل جميع ما أنعم الله به عليه من اتساع المال والصحة
حائجا طاعة الله تعالى وما يقرب منه لا في طلب الشهوات واتباع العادات ويقصر إلى
من أصيب منهم بشيء من مصائب الدنيا وبلاياها كما جرى لأولاده وقطعة كبده فيقرر
عنده أن بلايا الدنيا من التي يغتنمها أولياء الله تعالى إذ لا يغفر لها شيء من العبادات
في التوصل بها إلى الأجور والثواب وأن الحق تعالى لا يختص بذلك إلا من أحبه واصطفاه
ورضي عنه واجتباه وأن من ابتلي فيها بغير تصبر لا أجر له في الآخرة إلا أنكم إلى
وجه الله الكريم ويعفو أمثال هذه الحكايات عندهم كأنهم يرونها فيتسلون بذلك
عما تعلقت به همتهم وأوقعها منهم من متاع الدنيا وزخرفها التي لا نسبة لها إلا اللعب

الخيال ويكون ذلك في صحيفته مدخرا له عند الله تعالى اجره وثوابه مع سلامته من مناقشة
السؤال واستيفائه ان تحمل تعليمه بين يدي ذي العزة والجلال ويكون هذا انفع له في عاجله
وآجله من كل طاعة وقربة يعملها لمولاه عز وجل هذا كله بكمال الاعتناء به من جبر
القلوب وتسويته كما يقال انفقه ما له وما اعنيك الا رحلة بتري ومرجع امرك اليه فان
اغتر ايضا بان فلانا وفلانا يفعل مثل فعله وكانا من الصلاح والعلم في رتبة عالية
فلا يسلم له ذلك ايضا لان مثله في حرزه ونبله ونفوذ ادراكه لا يليق به التقليد
للغير ومثل هذا لا تقليد فيه كيف والمقصود منه في المسألة من المسائل العلمية لا يعتبر فيها
ولا يعتبر فيها حتى ينتهي المتكلم الى غاية ما لا يمكنه لحيرة ذهنه وسرعة ادراكه يفرغ منها
في اقرب زمان ولو صح له الاكتفاء بالتقليد في هذه النازلة مع وضوح ما ذكرناه من المعاني
التي لا تواتر ومن عقب التقليد بل تروع في مدركه وتعقب في وجهه لكان الاولى ان يكتفي بالتقليد
لمشايخ الصوفية رضي الله تعالى عنهم فيقتدي بهم ويواخيهم ويقربهم وينبني على
كلامهم ويكتفيه ما يعطاه من احوالهم وينابذ اضدادهم واعداءهم مع ما يفعله كثير منهم من
السماع والشطح وليس الخبر كالعيان ومعلوم والله اعلم كونه اخليه الله لم يصرف
الى ذلك كليته بحيث اذا لزم معاناته لكان له في ذلك اعظم شغل عن يعكع فليل ما
تفرغ منهم له انهم انبسط من كل نفيس بنحو ما فكيع به ما قضى منه من التشاغل بمسائل
لنبسط لاهل هذا الوقت كيف حاجة اليها لانهم ان ما يجمع ايمانهم بالله واليوم الاخر
احوج فيهم الى ما يفعلهم من الى التشاغل به وان خزنه من فضول الدنيا واتباع الهوى
يشتغلون في دم البراغيث وهم قد اراقوا دم الحسين ثم انهم اذا املكتهم شهوة الى شيء
سروا اعينهم وعملوا وما علمهم وما ذنبهم من طلب التاويل البعيد وتعلقوا بخيوط
العنكبوت وتراهم اذا اكل البول انفسهم بانفتاح سبيل ما علموا من فقه الشرع راغبين
عن ذلك روغان الثعالب ولم تكلفوا … فيما ذا عومعا ما البنه من الواجب فلم يزيدوا
على انفسهم مع عنائهم وتعبهم الا تكثير الحجة والانحراف عن جادة المحجة لاكن سيقول
العترة اذا انزلتها وبحار معا اذا تموجت واضطربت لا تدع لذي عقل عقلا بل تذر قومنعه
من صدور بينه معواه عقلا ويرجع جميع عملهم بانباعهم للاهواء بهم جهلا للعاصم اليوم
من امر الله الا من رحم فصح بهذا ان اعتراض من اعترض على فلان في هذا لوجهه ان ذكرته في كتابكم
الاخير متوجه لا محيص عنه بخلاف الاعتراض الاخر وفلان في ازالته ما علموا تعليمه وتهوين

الامر عليه الكلام انه لم يصادف الغرض ولم ينح نحو النصح المستحسن والمعترض هذا
كله من اوله الى آخره كلام على مقتضى ما كتبتم من الكلام من اوله فاما هو بكثير منه والله تعالى اعلم
بالنيات والمقاصد فان قيل هذا كله تشاغل بما لا يعني وتعريض او تصريح بالغيبة
في اشخاص معينين لم تصلوا اليك بغيب ولم يذنبوا لك ذنبا في شيء من ذلك ولا غيب فلنسلم
لهذا المعترض ما ذكره ولنوافقه على ما جمعه وقرره ونحن نستغفر الله تعالى من جميع
ذلك بملء الاستغفار مع الاصرار توبة الكذابين لانا نتشاغل بالجواب عن هذا الاعتراض
بوجه اقناعي قد يقع وقد لا يقع والوجه الاقناعي ان نشاكل في ذلك مسئلة التقليد
الذي هو من تلك المدة بعيد فاقول قد رأينا طلبة هذه الاعصار الذين يتكلمون بالعلوم
الكلامية يقعون فيها ويدرسونها اذا مرت المسئلة خلافية فروعية او اصولية وتعرضوا
الى ترجيح بعض اقوال من تكلم فيها ممن تقدمهم على بعض يقولون قول فلان راجح وقول فلان
صحيح وقول فلان ضعيف وقول فلان فيه سير وقد وهم فلان وقد اخطأ فلان وقول فلان تردد وتعد الاصول
وقول فلان لم يسر له كما بان لا مختصر ولا مستنو العبارة فالوا قول فلان فيه نكت وقول
فلان خفي لا يفهم وقول فلان لا امام به ولا اجتماع وقول فلان اخطأ فيه الكاتب الذي سمعه
الى غير هذا من العبارات التي تقتضيها التصحيح او الابطال مع ان اولائك القوم
قد ماتوا وانقرضوا منذ اعصار يشهر فيها ان يكون ما نقل عنهم من اقوالهم في المسئلة
المعروفة مكذوبا عليهم او موهوما في نسبة ذلك اليهم ولعلهم لو عاشوا لسمع
نذرها الذي كانوا يقولون وقد تكون هذه المسئلة من المسائل التي لا حاجة اليها ولا
يتوجه للاعتراض طلب من الشرع باعتقادها ولا العمل بها ولا احسب احدا في هذه النازلة
كذلك ولا مانع لك من هذا الاستبعاد لانا لم نزد فيما ذكرناه على ان صححنا قولا ذهب
اليه بعض اهل العصر ورجحناه على مذهب آخر في مسئلة قد انقطعت فيها حجج كما يجب
لهم في بعض مسائلهم مع ما انضاف الى ذلك من امور اندرجت في اثناء هذا الفصل
يعترف بصحتها من له ادنى تمييز ومعقول وانا فيما الذي تتبعه ايها المعترض قد نحوت
نحوهم وقفوت قفوهم وانتهجت من كثير تقليدهم سننه وجعلتهم لي اسوة ولانها
ليست بحسنة فان كانوا مصيبين فقد سلكت كما سلكوا وان كانوا مخطئين فلا جدال
راسي مع روسهم وامضي على الجميع بالجميع فان قلت كيف ذهبت في جوابك هذه
التقليد الذي قلت انه من تلك المدة بعيد وعدلت عن التحقيق الذي يفضي الى سواء الطريق

ونقول

كموك

كمويلة

Digitized by Google

وانت قادر على ذلك ومتمكن منه لو اردته فاقول التغليب كما قلنا في جواب ايها
السائل الذي ان يغلب على الظن انك من المستثنا تسبب به الكلام بين الخصوم من قبله والنزاع
الخصم ما يقول به في الرد عليه وجه من وجوه التكفير فان قلت ما ذكرته صحيح انا
من اهله واستغفر الله تعالى من مثله والذي بقي لي في الاستغفار الذي استغفرته
اذ كان مثل الذي انا اتيت منه ان تبين في ما بقي علي بيانه من ثبوت اهلية من ذكرته للتغليب
بوجه اقتداء به فاقول على بيان ذلك اذا كنت منصفا معترفا بحالك ولا كنا ابينه
لك بشيء يشبه ذو عقل فطن لا يشتري به ولا يبدي فاعلم ان الرياسة بها
قوام العالم اذ لولا وجود الرياسة في بعض اشخاص الادميين لعمل كل احد ما اراد ولحصل
من اجل ذلك في العالم غاية الفساد ولهذا كان بالمملكة تكامله وبالسلطنة قوامه
ومعنا ولاة الذين اعتمدناهم في التغليب قد حازوا من الرياسة الحظ الاوفر والنصيب الاكبر
بحيث ان رياسة الامراء والولاة كانت مضمحلة في جنب رياستهم اعني في الزمن الذي كان
فيه بعض الصلاح والفلاح واما اليوم فاقل مرتبة وشرطي يريد اكثرهم يقتل ويفعل
على جليته الكامل ولا يخاف من ان تخسف به الارض ولا ان تنزل عليه صاعقة من السماء
في اسرع من الغمض فلما كانوا من الرياسة في العالم بمنزلة المشابه كان من المتعين
في كثير المصلحة ان تسلم لهم رياستهم وتوفر عليهم حرمتهم ويجتنب كل ما يقدح فيها
ويغض منها ولهذا يجب على من قطع ذنب بغلة القاضي ارش الجناية بالشرع فالذي
في قطع ذنب غيرها وان كانت اجود منها واكثر قيمة فلا جرم لما شعروا بهذا وراوا
ما اختصوا به من الغناء الاكبر في هذا العالم السفلي وان الناس بالنسبة اليهم كالغنم
والبقر بالنسبة الى رعاتها واتوا الى ذلك فمنهم مشغولون ومتوقفون بما رغبوا بسبب ذلك
في وسائل هذا الامر من تعلم العلم وتقلد القضاء والحكم وجدوا واجتهدوا وانفقوا في ذلك
كله وقعدوا وانقبوا فكانت سلالتهم الازمنة معناهم الذين في نيابتهم عنهم في القيام
بما ليس الا يحسنونه ولا تستقيم لهم سلطنة ولا مملكة الا به من النشاغل بتعليم
الناس كثيرا من العلم وقطع النزاع بينهم بالقضاء فاشرع فيه من الحكم وما ذكرناه في
جميعه واجبها دينهم كان ايضا في الزمن الذي كان فيه بعض الصلاح واما اليوم فانت تعلم
ما الذي يريد ان اقول فيه ثم هو بالنسبة الى ما بعده كالزمن الاول بالنسبة الى هذا الزمان
والله تعالى المستعان فكان امرهم بما ذكرناه الى ان حصل لهم نصيب من السلطنة لما

Digitized by Google

ضعف أمرهما ولم يكن لهما من الاستقلال ما يتمحض به حكمهما وفهمهما وكلهم أو غالبهم يعتقد
فيما هو آخذ فيه أنه بذلك متوسل لديه تعالى وعامل بكلفته ومسارع في قربانه ومعيقات
معيقات تلك الأقانيم حقيقتها عندهم ما هم فيه من الرياسة والنفاسة لا يكاد يسأله
العضو منهم معشوق بطبيعته وحاملي النفاسة الأمر سبب له بالتوفيق والهداية القرب
ويتغفلون الدنيا فمنهم من تعبد ولا تعم فلما كانت لهم هذه المنزلة في هذه الدار الدنية
المستهزئة وكانوا أصحاب الكياسة والعمائم وأرباب الدواوين الفاخرة والسيوف
الصوارم خوف على كل من عداهم من أهل الزلة والمسكنة أن يكون بينهم خفية أو أن ينتشر
عنهم ما كان فيه وقد يبلى بعض أدنياهم ونقع فيهم وليس عليه منهم جناح وليتبعهم في
هوائهم وأهواء جاههم لعله يعيش فيهم عيشا هنيئا وقد يكون عندهم من بعض الحكمة
وما لم يعقل ذلك فلا تسأل عما يتعرض له من الضرر الذي يجب عليه منه الحذر وقد يخاف عليه
منهم بعضهم فيما ينتقد وخلاف ذلك أن يبتلوا منه ما نشط على الكتابة وقد قال سفيان الثوري
رضي الله عنه في مثلهم لو خالفت أحدهم في رمانة فقلت حلوة أو حامضة لخشيت أن
يهريق دمي أو ما تعناه من أجل هذا كله ما جرى لنا في كتابته من ثبوت أغلبية
من ذكرناه للتغليب على وجه افتتاحي من يصير وقد لا يصير وهذا كله من الحكم التي جرت
العادات فيه محكم بتركها وعدم التحاشي فيها لما تعرضتم في كتابكم إلى ذكر ما انبنت عليه
ذهبت فيها مذهب المزاح والمكايدة وفهمت بها نوعا من التفريج والمداعبة لعلك
بها تخبر يا سيدي بتعيش بذلك نفسا وتتخذ في كلمات كذوب من أجل وقبسا
حتى يرجع فيما رحالك إلى البلاد أجيلا وينقطع كمعهد من فتات العرج فلا تكون له داريا
ولا راجيا فهذا هو المقصود بالذات وإن كان ثم مقصود آخر فلا يمكنه الآن بيانه وإن
ولكل مقام مقال ولكل عمل رجال ولله در ابن الفارض حيث يقول

فلا تك باللاهي عن اللهو جملة ... فهزل الملاهي جد نفس مجدة
وإياك والإعراض عن كل صورة ... مموهة أو حالة مستحيلة

وإن رجعنا إلى الحقيقة رأيت هذا كله علما ينبغي أن يقرأ وينسخ ليثبت معناه في الصدور
ويرسخ لأنك قلما تجد أحدا يسلك هذه المسالك في المكاتبة والترسيل أو يسلم من
وقوع خلل أو ولو في تفصيل أو تطويل وكتبنا هذا الذي وتوفيقه ثم تخاصم ولا ترفعهم فلا
تغل وتكول فلا تغار لنا فإنها إن فهمت بهمت وإن طولت تولت وإن لوحت أوهمت وإن صرحت

أفحمت وإن عكست أسمعت وإن ضربت أوجعت وإن جرت أقنعت وإن عزلت أمتعت وقد
قالوا عقول الناس في أطراف أقلامهم بها يستدل على مقاديرهم وأقدارهم وتراجمهم
وأوصافهم بفرق الفهم والكلام في ثيابهم ويدرك اختلاف كيفياتهم فمنهم من كلامه
قفر موحش مقفر مقعر ومنهم من كلامه منهل عذب سلسبيل تستكيفه الأذن وتنفه
وتستحليه فتترشفه وربما تستشعره وتنشده تستجيده ولا يعرف فيه معرة الضلال
فإن كل فرد في تعبيره عن مراده والله تعالى يحملنا وإياكم بفضله وقد بلغني
كتابكم وذكرتم فيه أشياء أقتصر منها الآن التكلم عليها بحسب العادة فيما
سألتم عنه من الوجه الثالث إني قلت لكم فيه لا أحب أن أذكره لئلا أنتسب معكم
بسبب ذكره وقد كنت أردت أن لا أذكره ولا أكتبه إذ رأيت منه الكلم عنه وتشوفكم
إليه ورجوعكم علي أن لا تحولكم شيء ورأيت أن التعجيل إذ أشرت إليه بقولكم أن كنتم
تخافون علينا تغير حال فلا أقول لكم اذكروا شيئا من ذلك مما ترجع أمره إلى التي
من غير أن يعود عليكم بضرر وجب علي أن أذكره لكم ولا أكتمه منكم فالوجه الثالث
أن كتابكم إذا ورد علي مستوعبا بحيث تكون فيه أجزاء أو كثيرة يحبسني ذلك لأني
أحب الكلام عليه لا الجمود فصار تستغرقوا بذلك ولا أكتفي أعجز به وقتا ربما يمضي
علي من الاشتغال ويقول الناس الجلوس بلا شغل بحيوة مع أني لم يحصل في الوقت توفيق
إلى عمل صالح وللسعي رابح فلا تحسبوا أن عليكم في الكتب التي تكم منة لأني من الغالب لم أقصد
الأحكم وراحة نفسي وترجية وقتي بالترهات والمرسلات كما يفعله المتبرعون
من أهل الدنيا إذا اشتغلوا بلهو أو لعب بنرد أو شطرنج أو غيره مما يلهي فلذا أكثر الفقراء
والفقهاء إذا اشتغل كل واحد منهم بما سمعه المعلومة لهم وإن كان كل واحد منهم يعتقد فيما
هو آخذ فيه أنه مواظب بمحبة الله تعالى ورضاه وهذا هو الغرور بعينه وبينهم أعني أنهم لم
يخلوا في فعلهم ذلك من تلبيس وغرور ولكني خلوت من ذلك وهذا من نعم الله تعالى
علي العظيمة بشأني إذا ورد علي كتاب منكم وقرأته وتأملته إن لم يكن مشغولا بما
يرجع إلى مجادلة ولم يحتاج إليه من أمر الغذاء وغيره مما يناسبه أن أبادر إلى الجواب
عليه بما يفتح الله عز وجل فإن تيسر أولا فما احتاج إلى تبييضه ثم أكتبه ثانيا فهو وقت
انطلاق البدن في الفكرة التي أبعث بها لا أشتغل بشيء سوى ذلك وربما تبقى تلك
الفكرة فيه أياما كثيرة أن تقف لها حاملا فالإفادة المعاقلا وهذا هو الغالب

تستشعره

مجارفا

Digitized by Google

وقد ييسر الله تعالى في الحال فيقع كتبهما وحملهما في زمن قريب وان كان ربما شغل من جنس ما
ذكرته آخر ذلك الجواب حتى اتفرغ من ذلك الشغل فهذا هو الوجه الثالث الذي قلت
لكم انه اذا ذكرته لكم انتسب فعلمه والذي يزعجني منه وقفت الآن فيه كما شاء الله وحكم
لانكم اذا تحققتم ذلك وعلمتم ان لي في ذلك نوع استراحة وغرضنا مفهوم الآن عسى ا
فمسألة مشكلة ولا نازلة معضلة الا وسأل لتحوجني عنهما فاذا وردت علي اقتضى الحال
التكلم عليهما وقد يكون لي في ذلك ضرر من حيث اشعر ومن حيث لا اشعر فانا ان رزقني الله
تعالى علي في اكثر المسائل التي عما فتح الله تعالى من الكلام عليهما بسبب تغافلكم عنهما
وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها وعسى ان نذكر هو اشياء الآن في سليت نفسي في هذا الامر
الواقع بما تعلمون من ضعف بدني وانه اتكلف النكت بيدي والكتب غاية التكلف فربما ترككم
شفقة علي بسبب ذلك يتم ينون جمعهما عن كثير من المسائل التي يحتاج فيها الى كلام
والله تعالى ولي الانعام ومما ذكرتم من احوال الفقراء المانع ذلك لكم من قراءة
كلامي عليهم فهذا امر معلوم بان فساد الحال واعتقاد الباطل والمحال هو المألوف
في هذا الزمان والله المستعان ولعل من جميع كلامي فيهم وفيمن اذا سأل النحوي عن حقيقته
وحاصله وما الذي انشاء به اليه وقلتم له فسيروا في ذلك لم تدروا ما يقول فاذا تكلم لم
يصادف الغرض وكان كلامه في جهة وكلامي في جهة ولاكن مع هذا كله في ذلك خير كثير
منهم لانهم لم يميلوا شيئا من هذا الامر ولم يعقلوا فيهم بكلمهم بل سلكوا فسلك
الغفلة في البحث والتفتيش عن شيء واحد من الاشياء وابن انت من هذا الموضع الذي ليس
فيه الا الخلاء والبلاء كما كنت ذكرت لكم قبل هذا على انه ينبغي لي ولك ان نستغفر الله
تعالى من هذا كله ولا يقع منا لهم انكار حال ولا عيب في مقال ونسلك في ذلك نحو ما
يسلكه اصحاب التهمة لنفوسهم من الرجوع عليهما بالذم والعتب واللوم كما قاله ابو
سليمان الداراني رضي الله عنه لما قال له احمد بن ابي الحواري فلانا وفلانا لا يقعان على
قلبي فقال له ابو سليمان ولا على قلبي ولكن لعلنا انما اوتينا من قبلي وقبلك فليس فينا
خير وليس نحب الصالحين ولقد ضحكت ضحكا لم املكه حين قرأت قولكم فلولا ما اخافه
من الملامة وعدم الاستمتاع به لقلت اذ كان هذا حال فلان مع من يوافقه ويكاتبه
في الكلام وكيف يكون حاله مع من يقول له اخكما فلان اولي يعثر على حقيقته ولم يعلمه
الله كم يفد اوقات اشبه هذا الاشياء في انه تثور عليه المرة السوداء ويعني بوسبه

(في الهامش: قلبي وقلبك خ)

المنا المخوف فيها ويكون اسلم احوالها ان يحرم الفائدة التي فحمدا ان يهمل بها ذاك المعترض
لانه ينكر اليه بعين الازدراء والمقت ولعل الحكمة اجراء ما الله تعالى على لسانه في ذلك
الوقت وبما وقع على ما ذكرتم لي من حال فلان لم اسمع لك ايضا ان قلت بارك الله فيه
مرتين او ثلاثا في مرات متفرقة وعادة في ذلك الدعاء قريبة لو انها كانت في حال
مستقيم لفتحت له من السماوات الابواب فلم يكن بينه وبين الاستجابة حجاب ولا كرف
يستجيب الله تعالى الدعاء من الشخص المطيع اذا قارنه معان اخر كما ورد في دعوة المظلوم
والمسافر ونحوهما ولعل هذا الدعاء في ينتفع بشيء من ذلك بل ان احواله لا تقتضي ان شاء
تعالى اجابة ذلك الدعاء عليه بل ينعكس اثر من ذلك على الداعي كيف وقد ورد
فمعلوم اجابة دعاء الشخص لاحدهما الاخر وقول الملك له ولك بمثله وقول
الله له بارك الله فيك ابدا ولست افهم من هذا النيصان الداعي للغير بما طلبه له ولا بد
اذا كان فضله في دعائه له مجرد انه يحصل له في نفسه مقتضى ذلك الوصف العادي
لانه انما هو من حكمه وحصول المنفعة له وجعل دعائه لغيره واسطة في ذلك ومثل
هذا ينبغي ان يتكلم في سلك من يستجاب له دعاؤه للاحالة ولينه سلم في ذا الدين
المكالبة والمنافسة عند احتياله بمنزلة الحيلة المباركة بل الابراء ينضم الى ذلك
لكلابه اخر تؤخذ من معنى الاخوة التي اشار اليها في الحديث المذكور فيه قول الملك
ولك بمثله ومن العبودية التي نبه عليها في قول الله تعالى يا عبدي بك ابدا ومن جملة
ذلك والله تعالى اعلم ان يلوح للداعي شيء من حكمة تحمله تلك الحكمة على محبة
الخير التام لكل من ادركته من الله تعالى عناية وحفت به رعاية فيكون في دعائه له
عاملا بمقتضى ما فهمه عن الله تعالى من محبته له واختياره اياه ولا تنكر انها ذكرت
من المخفف به ولاكني شممت منه رائحة لمكر يتعلق بمثلها الطفيلي ويسوغ له
من التشبيه والتوسيم ما لا يسوغ لغيره ولا تنكر ايضا ان كل احد يسمح له في التطفل
بل ان يسمح فيه الا لمن فيه رشاقة وخفة نفرة بحيث انه اذا اوغل واندرج على قوم
في موكبهم او حفلهم ومجلس انسهم ولذتهم ان يتكدروا به بال ولا يتغير بسببه حال —
ولذلك اذا تعرض احد لان يكدر له من ذلك الموكب او المجلس لم يقدر عليه ولم يجد
سبيلا اليه فان ناكره غلبته بالحجة وسد عليه المحجة واما الوقحاء سر على ذلك
والدعاة من ليس فيه منزلة الصفة لم يسلم له ذلك واول ما يحصل عند تعاطيه لذلك

لنشانه

تعلي

Digitized by Google

من ان ذلك يستغرق في وجهه وينتج تحليله كلا بذلك الموضع فان عمارتهما الذهني تعارضه
لم ترجعه يتمكن خطوة او خطوتين حتى تزول فيه وتقربوه ولعل كل سيئة يمكن
ان يغفرها الكريم ولا كل حسنة يقال لصاحبها ادخل الجنة بسلام لان العدل والحكمة
يأبيان من ذلك والكرم والفضل لا يقتضيان ذلك قال الله عز وجل ويؤت كل
ذي فضل فضله فترتب الفضل على العمل وكل من عمل له الا له عمله ولا خير له خيره وقولكم
فلما ورد علينا كتابكم انقطع رجائي مما كنت اؤمل وتحققت الرؤيا فاقول ان
ينقطع رجاؤه من الروح بل وفي جسده ولا بتحقق الرؤيا من التوهمات والتخيلات ذاته
في خلده فالواجب ان يكون العبد ابن وقته لا يشتغل بما يكون وما كان ولعل فرج ربه
يأتيه في اقرب زمان من حيث لا يحتسب ولا يقدر فعلى هذا سار الموفقون وعليه درج
الصادقون خلق الانسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون وقولكم نحن اذ شرعت في
نسخة الكتب وجعلتها كالحبيسة حسن فلا تعلم ذلك الغرض الذي قصدتم ولا بأس اذا
كان ذلك قصدكم ان تضيفوا اليها الكتب الثلاثة التي توقفتم في نسختها وذلك ليحصل
فيها من يد نظر ولعل الذي يقع فيها تبديل او تغيير او زيادة او نقصان يتضمن جميع ذلك
وجها من الصواب لم يكن لنا عند رسمها في حساب وقولكم ومن الكلام من نظر لنفسه
ويحتسب لما ان لا يكون فيه ملاحظة فلا حول ولا قوة الا بالله بعد ان ذكرتم ما الكلام وتلونكم
بين الحزن والفرح وانقباض خاطركم من فساد معرفة الاولاد الفقراء الذين يشوقون جوعا وكونكم
لا تستعملون بمنفعة ان زلة واحدة لو اجتمعت الانس والجن على ان يفهموا منكم كلمة من هذا
الكلام ما قدروا على ذلك ولعل قد رتب ان تدخل فيه في المحمل والذكر فلا اخو يبقى ان يفهموا
تلك المسألة على غير وجهها ولم يحيطوا علما بكنهها الا بالكم فلتم فمثل هذا على سبيل
الانكار لا يحسن عندهم الذين يتكلمون معهم بالمنادب والمزاجر ويقولون هذا هو
الواجب علينا والمطلوب منا وان شئت تنكرون من هذا كيف والكل مطابقات القرآن
والسنة واقوال السلف انما جاءت على هذا النحو وقولكم في اثنائه بل في امور
يرجع حاصلها الى اثبات التفسير او كذا او كذا مما يتوهم منه ان المنادب والزواجر
وقول القائل هذا هو الواجب علينا والمطلوب منا سواء مع ذلك وراجع اليه وهيهات
هيهات بين المواعظ والزواجر لانواع من الآي محو التفسير واشغالكم بذر هذا وتحقير
امرها ولاشك ان مدارك الناس مختلفة وكسبا بعضهم مفترقة وادراكاتهم متفاوتة فمنهم

والزواجر

من فهم حقيقة الامر بادنى اشارة ورمز وعمل عليه ولم يحتج الى تكرار المواعظ والزواجر
ومقاولة الى افل فما يكون ومنهم من لم يفهم ذلك من استعمال كثير واحتاج من اجل ذلك
الى ما ذكرناه ومقاولة مع الاكثرون ممن لم يكن حاله مثل حال صهيب وان الناس يكون
حالة مثل حال صهيب لو فتشته بالقبيلة لم تجد منهم واحدا وفي كلكم فقول
فعلة الحق الواجب علينا والمطلوب منا كلام مستقيم ليس فيه ونحن فما ذكرتم من
اثبات التبعيد وترجيح قدرهما وتعظيم امرهما ارتباك والامناسبة بل هو بعيد منه
اشد البعد جدا فقلت لعل رده شيء في هذا الامر اشكال لا بعد ان كنت انت مهمته
فانه لا اعلم للمواعظ والزواجر معنى الا ان يمتثل ذلك العبد فينجو من النار ويستحق
دخول الجنة دار القرار وكذلك من قول العبد هذا هو الواجب علينا والمطلوب منا
لا معنى له الا انه اذا فعل ما طلب منه وما وجب عليه نجى من النار واستحق الجنة
وان اثبات للتعبير وترجيح لقدرهما وتعظيم لامرهما اشد من هذا فان كان هذا جميعه
يلزم وروده في القرآن والسنة ما تقدم له وان كان معنى الا كان جميع ما تقاوله وتومئ
اليه وتبديه وتعبر فيه فتنتهما بسنده مستنكرا اعتقاده واعتماده فاقول
ما ورد في الكتاب والسنة من تكرار ذكر الجنة والنار والتبشير والانذار لا يدل ذلك
على انه كل المقصود واين يوجد في الكتاب والسنة من لم يعمل على الرجاء والخوف بل
يعمل على خلاف ذلك فليس بعيب وما تضمنه ذكر ذلك وتكراره من اثبات النفس
واستمساك قلب حظوظهما والاعراض عنها الاجل لا يدل ذلك على انه ليس بعيب ولا كن
السر في ذلك ما تضمنه مثال اذكره فتامله واكتف به ارشدك فافهم فمثال
التبشير وصاحبهما التي تمسك بها وتشترك العنين عليهما مع جهله بالشر الحائل والسم
القاتل الذي فوق اليه ما ذكرناه من التمسك وسترا اليد مثل الصبي الصغير اذا تعرف بالجبنة
صورتها وشكلها وسوادها وعطرها ثم يراه لا ياخذها فاعرضها بالجبهة او لو في تلك الحال
ونبكى له انه استحسنها وعلم انه لا تدع شهوته الى كرهها وينفعها وانه ان
ملأ به وتبعه على السم الذي فيهما بتلك خاد ان لم يعرفه وانتهت لما جبل عليه من
الغباوة والجهل بالامور فلا يخلو بعده الصبي بتلك نونانا ويشر بر عليها بتلك سعد
وتغفله فلا يحوله حيلة في اشنه الا منها من يده وسما عنده بكرهها الا ان يريد شيئا
هو امكر ليستحسنه ولا يكون له في استحسانه وطمعه في تبديله كثير قدرة ويعرفه

بما امكنه من العبارة او الاشـــارة لان هذا الذي اراد ابداءه والكلمة فيه غير لفظية
ذلك الشيء والمليح الذي اخذه بيده فيحصل له منه موافقة على هذا القدر فاذا اخفوا ذلك
الصبي زمنا ذلك من يده لما اراد ما هو افلح منه وذلك هو مراد الاب فلما حصلت في
الارض بادر اليها الاب فبشر جميعها برجليه وازال تعلق قلب ولده بها بل اخذ بهما
وهو واطئها فيها في الطين والتراب لاكن تفرغ قلب الولد متعلقا بما الكلمة فيه ابوه
عوضا عما تركه من اجله فبينما هو في اثناء ذلك اذ كبر وحصل له نوع تمييز وادرك الحقير
بذلك المنهي الذي استفهمه عليهما ما كان اخذه بيده واستحسنه وعرف ان ابا له حكمة
حين تلطف له في استدراجه الى ان يسمح بكره ورضيه فتعظم منه منة يد لها من منة
وعرفانه لمن دعاه تعظيما له وان لم يكن منه الكلام منعم عليه غاية الانعام فكيف وقد
انعم عليه بان ذلك ما تحصل له به الغبطة التامة واللذة المستحسنة فبينما هو
في اثناء هذا عاملا بالعلية ومغتبطا بالهية اذ ظهر له باشارات خفية من والده ان هذا
الذي هو مستلذ به فيه رائحة من السمية العقربية الذي كان ابوه تلطف به في انتزاع ما اشتمل
على تلك السمية من يده وعرف ان ما كان الكلمة فيه فيه مما تركه ذالك الشيء والذي لم يكن
للاب فيه غرض الا صونه عن المهالك الذي كان يعرض له بسبب تمسكه بما استحسنه من
تلقاء نفسه وبموافقة نظره على الجملة فلما راى ان هذا المعنى حاصل فيما اخذه الان
وتعلق به قلبه رمى بكل شيء من يده ولاذ بعفو والده فتعلق به وبالازمة وعوضا من ذلك
اليه واتبع اشارته في كل ورد وصدر ولا يسعه خلاف ذلك ولا يمكنه سواه فهكذا والله
لعلم حال العبد مع سيده لان العبد في ابتداء امره موصوف بالجهل وقلة العقل فتمسك
بالنظر الى ما يسر بعالم الحس بمنزلة ذلك الصبي الصغير بذلك جهة السنة والموشلة الذي لم
يكن هكذا فتلطف الحق تعالى له في استدراجه عن ذلك بما وعد له به من الثواب الجزيل الذي هو من
جنس ما الفه من شهواته وحظوظه فيسمح بالنظر في جنب ذلك وصار ذلك بمنزلة في
مثل اجارة ومعاوضة فمنهم من وقف هنا واقتصر نظره على ذلك الوعد ولم يتجاوز الى
سواه وهذا هو حال الاكثرين ولا ينبغي للاحرار فيستحقون فان ما عندهم من الايمان والثقة
بالوعد لا يقوم له شيء ومنهم من لم يقف هنا ولم يقتصر نظره عليه فلاح لهما
لاح له لائح من الحقيقة ظهر له ان ذلك كله من جنس واحد لما كان متعلقا به ومستحسنا
له من حيث هو هو فرمى بذلك كله من يده وغض بصره عنه وقال اعوذ بك يا رب من كل شيء

م كل

ربع

م هذا

استحسنه وأريد له من قبل نفسه فإنه شاهدت باستحسانه آثار وما يكون تعرضك له بأسرار العذاب
وأليم العقاب فليكن مستمرا في جنب ما تعرضت له بسبب ذلك الاستحسان والإيثار
من سوء الأدب بتزيينه وفي حضرتك مع ما الزينة لكونه حظا من الحظوظ والمعرفة باستحسان
ما استحسنه وإيثار ما آثره فلما استولى على قلبه أمر الحق تعالى وكان أحق به من نفسه ومن
كل شيء صار الحق تعالى هو المتولي له وهو يتولى الصالحين فصارت حينئذ كلها حميدة
وأحواله كلها مستنيرة وأعماله كلها مستنيرة ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله
ذو الفضل العظيم وإذا جمعت هذا في جانب الوعد بالثواب جمعت مثله في جانب الوعيد
بالعقاب فإن الناس مختلفون في هذا الأمر فمنهم من ينقاد بالرجاء ولا ينقاد بالخوف
ومنهم من ينقاد بالخوف ولا ينقاد بالرجاء واجعل وزان المخوف في حق الصبيان يريد الأب
سبعا عاديا أو شيئا مهلكا يقول له أمره ويقول له بعبارة أو إشارة إن لم تلق تلك العقرب
من يدك لسعتك فعليك بأن تقر وهذا فلنرجع الآن إلى كلامكم الذي قلتم وهذا
كله من نكره لنفسه ومحبته لما أن لا يكون فيه خلاف هما فلا حول ولا قوة إلا بالله ونتكلم
مثل فيه ذكر الأول والكلام أنه لا يخلو من دخول الانقباض على أهلكم من شأن معرفة الاشتغال
الذين يتوجهون لهم أولا بأهل الشفقة وذلك مطلوب في الشرع أن يكون الإنسان عليهم فإن
لم تعملوا على مقتضاه ولم تتوجهوا إليه ذلك فكان الانقباض الذي ذكرتم بسبب ذلك فهو
انقباض محمود في الشرع لأنك تركت ما أمرت به أو ندبت إليه من مواساة المساكين بما
فضل عن حاجتك إن كان معك فضل ولا يلزم من هذا أن لا تكون فيه إلا ناكرا لنفسك
ومحبا لما تريد أن يكون فيه خلاف ما هو الآن فيمكن أن يكون ذلك منه لمجرد رضى الله عز وجل
لما ذكرت وأنت متمكن منه وإن كان ذلك لمجرد نكرك لنفسك ومحبتك لما تريد أن يكون
فيه خلاف ما هو فذلك مذموم فإن كان قولك فلا حول ولا قوة إلا بالله تأسفا على
حالتك السيئة بأنها غير موافقة لرضى الله تعالى ومحبته فيكون ما اقتضاه قولك
لا حول ولا قوة إلا بالله صحيحا مستقيما وتكون الحوقلة واقعة في محلها وإن
كان قولك ذلك تأسفا على ما فاتك من هذا الحظ الرفيع فأنت في ذلك غالط
أشد الغلط وتكون حوقلتك حينئذ في غير محلها وتحتاج حوقلتك إلى حوقلة أخرى
والأخرى إلى أخرى ويتسلسل الأمر إلى غير نهاية لأن هذه المراتب كلها مشتركة في
الاعتلال والدخل لأنك قصدت بذلك ما قررت منه من نكرك لنفسك ومحبتك لما

Digitized by Google

ثم لا يكون فيه خلافهما ويكفي في ذلك تحقيقك لهذه الحالة واختيارك لها لما جاءت لك
إرادة واختيار ولو في رفض الإرادة والاختيار فحالك معلول وعملك مدخول وإن كنت في
أسر نفسك فكيف وأنى لك أن تعمل على خلاف هوى نفسك وتبرأ أن تعمل على خلافك من
رؤية خلافك من حيث نسبة ذلك إليك بل لو بقيت على الحالة الأولى لكان ذلك
أسلم لك من الوقوع في حكم الدعوى التي هي أعظم البلوى فإن قلت هذا العجب من
العجب كيف تجعلون السلامة من الدعوى في البقاء على الحالة الأولى ولم تجعلوها في
الحالة الأخرى مع أنكم قلتم غير ما تكلمتم في معنى الدعوى وذكرتم علامات وجودها
في الغير أن من جملة علاماتها أن يفرح بما يعمله من الطاعات لرجاء الجنة ويحزن
لما يرتكبه من السيئات مخافة من النار ومثل هذا الـ تناقض لا يستقيم فأقول
ليس في ذلك تناقض والكلام مستقيم في كلا الموضعين لأنك إذا عرفت أن منشأ
وجود الدعوى في الغير رؤية النفس وترفيع قدرها وتعظيم أمرها أمكنك أن
تعرف كيفية هذا الأمر فإنه على ما ذكرت لك واحكم على كل من تجد فيه رائحة من
ذلك بوجود الدعوى فالغير إذا عمل لرجاء الجنة وخوف النار مجردا من غير
أن ينضم ذلك على أساس فمستقيم فرع لأنه ناظر عن نفسه وحريص على
إيصال المنافع الأخروية إليها من غير من إعاقة أدب ولا عمل بما يجب لله من
الأدب والعمل بما يجب أن يكون عمله لوجه الله تعالى واتباع مرضاته وفعل ويكون
طلبه لما عمل ذلك أنه لما عمل أنه إذن له فيه مولاه حتى لو لم يأذن له في ذلك لم
يعرج عليه ولو لم يكن فيه حظ أو يكون طلبه لذلك أيضا من أجل الدعوى التي
ذكرناها فلا يجب للأمر واحد يكون فيه الدعوى والبراءة من الدعوى لأن التصدي
لمثل مقامات الأولياء والحرص على التوصل إليها من الرغبة والرهبة ومن عرض حتى
يكون أهلية ذلك فلا يسعه حينئذ إلا أن ينتظم في سلك العوام ويطلب ما
يطلبون ويرهب مما عنه يهربون ولا يكون حينئذ عنده شيء من الدعوى لما تمسك به
من الأدب مع ربه بالعبودية الوثقى وتمسك بالوجهين وما أشبههما ما يحمل جميع
ما لا يحصى كثرة مما ورد عن الصحابة والتابعين والسلف الصالحين مما يقتضي كلامهم
أنهم لم يصلوا ولم يصوموا ولم يحجوا ولم يغزوا ولم يعملوا عملا من أعمال البر ويجتنبوا
شيئا من الشر إلا لرجاء الجنة وخوف النار وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم

خ النيل

م عبيد

حق لهما ان تذوبا ولا ينبغي للاخوان ان يعتقدوا هذا الكلام فيهم لان في ذلك حكمهم والغض
عنهم كيف وهم افضل الناس واعلمهم بالله واقومهم بالعبودية واوفاهم بحقوق الربوبية
وان لم يكونوا افضل منا لكن سبيل الحق هي التي نسلكه غيرهم فقد بان لك من هذا الكلام
الحالة التي يكون العبد فيها العبد مدعيا والحالة التي يكون فيها بريئا من الدعوى فالحالة
التي يكون فيها مدعيا اذا جعل نفسه عنصرا وهو من على ابطال المنافع التي هي غير ان يكون
له شعور بما يقتضيه الحق تعالى منه من القيام بحق عبوديته سواء كان هذا الشخص
سالكا سبيل العامة او الخاصة اذ انه عند سلوكه مسلك الخاصة اكثر دعوى لانه
لم يرى لنفسه الا المقام الرفيع وهو بعيد من علمه ويجتهد في طلبه والحالة التي يكون
فيها بريئا من الدعوى ان يتصف بالعبودية لله تعالى وحده ان ذا ساعة ولا يرى
في نفسه اهلية لمقام ولا حال وهو في الحقيقة قد حصل كل المقامات والاحوال
ثم يلزم الكون في درجة العوام من طلبه لزوايد الانعام وعوايد الاكرام من غير ان
يجعل لذلك سببا من عمل يتعبد به لربه هذا هو الولي الاكبر وان كنت الراجم الذي تبرأ
من الدعوى وحصل في محل المشاهدة والتجرد من غير ان يكون له رقيب نفسه شعور بهذا الحال
ولا اطلاع عليه اذ لو شعرت بذلك واطلعت عليه لسودت سعادتي واوجبت لي ذلك
ويتعدى وحصل في التحلي الدعوى التي هي اشر البلوى فما قد علمت ما قلته من كثير
من كلامي في الحال التي يكون العبد فيه مدعيا او الحال التي يكون فيه مدعيا وزال عني ما
كنت توهمته من وجود التناقض في كلامي ولا كرهت بل تحقق بما الكون فيه بريئا من
الدعوى كيف وانا في كل حال لا اشعر الا بعجزي وتقصيري فتحزني ابدا اغتباطي بالدنيا
واستحليها واذا نلت شيئا منها فرحت بذلك اشد الفرح وان فاتني منها شيء ولو
لقمة او حبة وان لم يكن في اخذ ذلك كبير احتياج تقوم على القيامة وتخرج مني الاخلاق
المبارزة فاذا كان هذا حالي فيما شانه ان يعنيني ويغنيني مع تفاهته وحقارته فكيف
تكون حالتي في الدرجات والمقامات التي تحصل لي بها اللذات الابدية والفكاهة
السرمدية اذا فاتني ذلك وعجبت فيه الصالحون والعابدون والزاهدون ومع نفاستها
وعظيم قدرها ورفيع خطرها فلولا ان نفسي وافقة امامي كالسور لم تكن هذه حالتي
فكيف يمكنني ان اكون بريئا من الدعوى مع هذا اخذ من الموقف ورد مشرف فاقول
لك يا اخي كلنا في الدعوى سواء فتعالى فلنطلب الانابة واء ولا كرخل هذا كله

م الذي جعله صاحب محبته

وعجبتني

واجبني

وأجبني عن شيء أسألك عنه أليس قد يحصل في رأسك وفي أمونيك ما أشرت به إليه
من أمر الدعوى وإمالة المرضية فيهما والحالة الأولى وكذلك فسيلانك محصورة
بكيفية أن تعارض بها كثيرا ممن ذهب ودرج فإن قلت في الآن سكت عنه ولم أعاوده لك كلا
ولم أداولك سفاهة ولا ليلة فهي شيء من ذلك وإن قلت في بلدي أقوالك وجدته من
ذلك مجانا فإن نحو كثيرا ممن يحفظ شأنه وجرأته مع بلوغ الغاية في الجد والاجتهاد
ومواصلة الوظائف والأوراد والتردد في الخلوات والقفار وإدمان التهجد والعبادة
وصحبة الصالحين والأخيار وأنت تضحك منهم وتستهزئ بهم وتعتقد جهلا أنهم
وتعبا وتهم من أين لك هذا وبأي استحقاق نلته وبأي وسيلة توسلت حتى أعطيته
وأنت قد نشأت أيمن مع الجهال وقطعت عمرك في مصادمة الأشرار وهذا كله الصبيان
جميعه من المعايب ومعايشة من لا خواص في الدنيا من مثلها والأولى الذي لم يزل الله
تعالى بأيديهم نعمة ولم يشكر النعم لك برحمة قد سلبهم دينهم في التبعات وجعلهم هما
وبكما في الكلمات من غير جناية سلفت ولا خطيئة اقترفت وأنت بعيوبك ومساويك
تتقلب في النعم الدينية والدنيوية كلها وتكتسب مبلغا من أمانيك وشهواتك فما
يمكن أن يكون غاية المتمني وقد قال بعضهم كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا
خطب يقول إن الله أنبسنا أخرج أحدكم من مخرج البول مرتين وإذا سلكت مسلكه في
ذلك والذي ينسبه فأنظر فيه وقد نسب الله تعالى الإنسان في مواضع كثيرة من كتابه
إلى معايب ومثالب تضمنتها نشأته وافتتحها بكونه من الجهل والضعف والظلم
والكفر ونحوها كل ذلك ليذكر الحالة التي تقتضي منه تذكارها فملازمة خشوع الأدب
بين يديه وفهم منته عليه وأن لا يبدو لنفسه استحقاقا لشيء مما لديه بل يبدو أن
قليل ما أعطاه أكثر من كل كثير بل لا يستحق له أي شيء يمكن أن يقبض به ما أعطاه له
فليعلم الوهم بأنه تزيين وعند ذلك يحصل له من الفرح بربه ما يقتضي منه كل
فعل حسن وحال مستحسن اقتضاء سالما متعلقه من أن يكون بريا من الحظ الباعث
في نفي ذلك بل يشاهد حول نفسه ولا قوتها أبدا نفسه منه حيث وإنما يبدو ذلك
من قبل الله تعالى وقد ثم ينقلب نظره في نفسه فلا يبدو فيها إلا الجميل وكل ما كان يشاهد
قبل من أمر الخلل والنقصان يراه الآن في غاية الكمال لأنه في عين الجمع كما قال ابن عطاء
في مناجاته إلهي كيف لا تحسن أحوالي وبك قامت وإليك لست أعني بذلك أن تغيير

المعصية كما يقع والمخالفة تعود موافقة وانما نعني بذلك ان شهود الاشياء من
غير واحد لا يتشتت فيما نكلم ولا يتغير لان مرجع ذلك الى شهود الكمال المطلق
فاذا كنت فيه وبجميع ما قلناه لك فهما محققا وامتلأت بهذا المصباح
والنبراس ولا زلت تذكر ما انبعثت عليه همتنا من شهود الافلاس وفعلت ما يفعله
القلب اذا رأى الناس لم يبق عندك ذرة من دعوى تحول بك الى بلوى لانك حينئذ تتحقق
بعبودية المولى وليس التحقق بها مما يقتضي تكلفا وتعملا اذ لو اقتضى ذلك لكان
فيه اعظم الدعوى وكيف يمكن ان يكال الدعوى بالدعوى بل هو محض هبة من الجواد الكريم
اما ان تكون هذه الهبة مرتبة على هبة اخرى من عمل صالح يوفقه له وهذا هو حال
المريد او يهب له ذلك ابتداء من غير تقدم شيء وهذا هو حال المراد ولا يلزم من حصول
هذا المقام للعبد ان يشعر به بل قد يكون شعوره به مما يكون حجابا له ويكشف خفاءه ويكون
من جملة هواه فيه عن ذلك الشعور ان يجري على كمال معرفة من الرعونات والدعاوى وما يوجب
له نكرانه الفقه ان يستفهم كل ما يبدو من حال او مقام ثم يلقي في نفسه ان هذا النوع ليس
الحق وانما لا يمكن ان يكون ويكون مستندا في ذلك الى دلائل وامارات لا تنحصر كل هذا يخرج
عنه بالكلية ولا ينبغي لنفسه من نفسه بقية فان قلت هذا كله خرقا وهذيان
ومن اين لك ما ذكرته ان من نسبني الى مقام الولاية لا اقدر ان ارد عليه لاني في الرد
عليه لا اعمل الا على ما تقرر في نفسي ان عندي من الصفات المستقبحة والافعال المستكرهة
ما لا ينضبط لرقام مع ان ذلك يحتمل عندك ان يكون له محمل صحيح ويلزم عليه انتفاء
ان ظن من نفسي على اي حالة تكون ويلزم عليه انتفاء صحة دعوى مقام الولاية لكل احد
ولا يتحاشى من ذلك فاقول انا قولك هذا كله خرقا وهذيان فقد يكون هذا
منه صحيحا وقولك من اين لك هذا فاقول لك انه من الامور ولست التزم لك
ان كل ما ذكرته لك فهما محققا فرد ان لا يتبدل وانما ذكرت لك ما ظهر لي وليس ما ظهر لي
يكون حجة على غيري ولو قصدت ان يكون حجة على غيري لا انتسبت مع اهل الدعاوى لانه لا
تسمح نفوسهم بالانقياد الى كلام لا حجة عندهم عليه بل يقيم برهانه وحجته عند حاجته
ولا يبالي بمن يرد ذلك ومثل هذا الفعل منهم خسران قبيح لا اشتغل بذلك اصلا وقولك
ويلزم عليه ان من نسبني الى مقام الولاية لا اقدر ان ارد عليه الخ فاقول هذا الزم
التزمته ولا احتشم من ذلك من اجل الخمرة التي تعلو وانما لا اقدر ان ارد عليه لاني لا ادري

م
هذا ما يلزم على قوله

مثلا

خ عنه

خ لا تقبل قوله

ح الامير

على انك ولي لله تعالى او غير ولي ولست بمأمور ان تعرف حقيقة الامر في ذلك والعبد من حيث
هو عبد لا يلزمه ان يتعرف هل مولاه راض عليه او ساخط اذ لم يؤمر بذلك في ذلك وانما
يجب عليه ان ينزل نفسه فيما بين الرجاء والخوف وحينئذ يكون عند ربه ما كان زكيا للاتقى
ان ترد عليه في تغيير ان تقبل قوله و قولك ويلزم عليه ايضا ان رضي عن نفسه
على اي حالة كان فاقول ما الذي يتبين من ذلك الذي يلزمه لانك اذا كنت لا تشاهد
ان الله تعالى كنت محجوبا برضاك عن نفسك من هذه الحيثية امر مطلوب منك فاذا
عملت على خلاف ذلك مع انه لا يمكن والله اعلم فيما اوجب لك محاسبة ومكابدة
و قولك ويلزم عليه ايضا ان يصح دعوى مقام الولاية لكل احد ولا يتحاشى عن
ذلك فاقول ان يلزم منه ذلك وليس في كلامي ما يلزم منه صحة هذه الدعوى ممن
ادعاها وغايته ان يجوز وقوع ذلك وهذا التجويز ليس له فيه متعلق ولا ينبني عليه
حكم وهو من جملة احاديث النفس وامانيها ووساوسها فهذا نحو ما قلناه في
هذا الكلام وعلى رسول الله عليه الصلاة والسلام بهذا نوع من الكلام الحالي فيه فمن
جاء الله على لسان غيره معهود بغير ان كنت تركت الكلام على مثله والتوغل عليه في امثال
والكتب وفيت فيه بالغرض وقمت فيه بالواجب المفترض بحمد الله تعالى وحسن عونه
وما اعتمدك فلان حين قرأت عليه كلاما من كلام صاحب الرسالة حتى احتاج
بسببه الى ادعاء الجزم في البيت بشيء ولا يحتاج اليه اذ لم يقصد صاحب الرسالة
بذلك الا ان اسم العبد اشرف الاسماء والمسمى به حينئذ يكون من كان فيستفيد
الاستدلال على ذلك بتسمية الله تعالى رسوله باسم العبد ويستفيد الاستدلال على
ذلك بتسمية الشاعر نفسه باسم العبد وما احتج به من ان في اضافة نفسه اليها
سوء ادب ليس بشيء ولا ادري كيف صدر هذا منه مع ما هو عليه من كمال الادراك ونفوذ
الفهم ولا يكون العلاقة الرجلية تحصل وتغيب وكيف تكون اضافة الشاعر نفسه
اليها سوء ادب وحاله في التسمي بذلك لا يخلو امرا من امرين اما ان يتسمى بذلك
لانه فهم من محبوبته ان تسميته نفسه بهذا الاسم مرضي عندها فيكون في ذلك متبعا
لرضاها فلا يكون في هذا سوء ادب لانه لم يحدث شيئا مما لا ترضاه عليه محبوبته
ولكن على هذا الوجه يكون ادعاء ان ذلك اشرف اسمائه عندها صحيح ويشفع ما
كنت قلته في ذلك الكتاب من قولي ولعلها ان تسميه الاعز وهذا وما زعمها وما اشبه

هذا انما تسمى به كل مدع مغرور لان ذلك انما صدر منه عن اختيار منه وارادة منه الا ان هذا
الوجه مرجوح ومرجوحيته من انه توجب بلاء كلا هي ثابتة لا يعرف ولا يشغله
وانما قلت ان هذا الوجه مرجوح في صاحب هذه الحال التي فرضناها من كونه يطلع
على ما يرضي محبوبه وما يسخطه يكون فيه من العيش كيف العيش مع محبوبه فيستغرق
القلب فيه فلا يكون له مساغ للتكلم مع الغير فضلا عن الشكوى اليه به كما فعله
هذا الشاعر المبارك لان ذلك انما يكون من نهاية البلاء الذي حل به من جهة محبوبه
من الهجر والصد وما هو شبهه من الابعاد والكم والاذلال يقول يا عمرو ثاري عند
زهراء كان زهراء قاتلة له وهو يطلب من عمرو ان ياخذ بثاره منها وان هذا الذي ان
يتشمن بذلك من قبل نفسه ولا يفهم حالها في ذلك هل رضيت به او سخطته وهذا
هو الراجح بل المتعين لما ذكرت لك وليس في اضافة اسمه اليها باسم العبودية سوء
ادب بل هو حقيقة حسن الادب لانه انزل نفسه معها في المنزلة التي لا احط منها
بالنسبة اليها بحيث لا تكون له معها مشاركة في اسم ولا صفة فلو ذكر بدل العبد
الصاحب او الخليل او الجليس او المحادي او المحب لكان ذلك متضمنا لما ذكرنا من
سوء الادب وغاية الامر في تسميته باسم العبد انه عرض نفسه للمتكلمين والملام فيقول
له الكاذبون يا ايها المدعي لعبوديتها انت كذاب في دعواك لانك لم تقم بحقوق ذلك
ولم تراع ما يجب لها عليك هذا هو منتهى ما يمكنهم ان يطعنوا عليه به لا جرم يقول
لهم هو صدقتم يا اخواني فيما قلتم وعندي من انواع الكذب والبهتان في جهتها ما لا
تعلمون بحيث لو نسب ما ذكرتم اليه لتلاشى في جنبه واضمحل فليت شعري اي شيء
يقولون له بعد هذا يقولون له لا تسم نفسك عبدها فان قالوا ذلك فيقول لهم
اي شيء اسميها دلوني عليه فلا يجدونه البتة لان الارتباط حاصل والنسبة ثابتة
كما تقول العامة في مثل ذلك لا زوال من ذا الزوال فلا ينتقل عن ذلك الاسم الذي تسمى
به ان بالكبرياء والانفاد غيرها بدلا منها وحينئذ يكون قد حسن الادب معها كما زعمه
من هذه اضافة نفسه اليها باسم العبودية سوء ادب ولعل كعب بن مالك رضي الله
عنه وهو احد الثلاثة الذين خلفوا لم يلق في تلك المدة التي هجره فيها المسلمون
فلم يكلموه ولم يسلموا عليه ولم يزالوا من البلاء اعظم مما لقيه حين دفع اليه ذلك
النبطي الكتاب الذي كتبه اليه ملك غسان يقول له فيه بلغني ان صاحبك جفاك

بشيء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجعلك الله بذا رهقوا ولا مضيقة بالحقوق بنا
نواسيك فإنه كلفة في ذلك خفة حسب وسادة فيه أن يخرج من كنيف محبوبه وينتهي
الإيواء إليه ويتخذ غيره بدلا منه بكفى من هذا أن ما نومه صاحبنا من إضافة
الشاعر نفسه إليها باسم العبد سوء أدب مع حقيقة حسن الأدب فضلا عن أن يكون فيه
سوء أدب وقوله ومن هو حتى يخاف إليها هو شخص مسكين ذليل حقير قد قمرته بعزتها
واستولت عليه بقوتها ولم تدع له عرقا ينبض ولا عضوا يتحرك فأي شيء يفعل هذا
المسكين أيقدر على الخروج من قبضتها والإيواء إلى غير حضرتها لا والله لو قدر على
ذلك أتتوهم أن له قدرة أو أحد من شعوره بما لم تلتفت إليه بعود ولم تعده كشيء موجود
فضلا عن أن تطمعه فيما لديها من كرم وجود فالإضافة إليها حاصلة سواء قدر
ذلك أو لم يقدر فيفيدها يا أخي أي ما أخبرتني على أي حال يكون هذا الرجل فإنما يحسن
أن ذكر سوء ما ذكرت لك أنا ذلك يرحمك الله وأخبرني أيضا لم عددت نسبته إليها
سوء أدب ولم تعد شكواه بها وطلبه من صاحبه أن يأخذ ثأره منها سوء أدب بين
في ذلك يرحمك الله وما ادعاه من الحذف لا يستقيم لأنه لا يجوز حذف الحركات والحروف
وتغيير صيغ الكلام التي تتغير بسببها المعاني في نثر ولا نظم وهذه المسألة وقد فاه
فيها وفعل نسبه ما تقوله العامة الجنازة حصلت والميت فات وقد كان حكمي في
أن أوخر الكلام في هذه المسألة حتى أرى ما الذي يتجدد عند صاحبنا من نظم غير ما الذي
خيل هذا الكلام حتى أنظم فيه ولكن شغلوني الكلام في هذا حملتني على رسم كل ما تقدم فإن
تجدد له نظم آخر فسنتكلم عليه إن شاء الله تعالى بما يليق به في آذانه والله تعالى ولي
التوفيق ولولا ما استأتم في صيانة ذلك البيت أو قرة لم يقع فينا هذا الكلام كله
مع الكلام المتقدم في الكتاب الذي قبل هذا ولا أدري هل يتقطع ما هنا أو يضع الله تعالى
فيه البركة فلو كنتم تعلمون علم العروض وأحسنتم في سياقة ذلك البيت لم يقع منه
شيء من ذلك فإذا عرفت هذا لم يستغرب أن تنكر على من يقول العلم حجاب وإن كان المعنى
في هذا الكلام يخالف المعنى الذي سقته من أجله ولا أكثر منه الإشارة فقط ثم نرجع
من هذا إلى أمر آخر وهو أن تعرف أن الإنسان قد يحب شيئا وليس له قدرة ويكره شيئا
وفيه كل القدرة أرأيت لو أني تكلفت مؤونة السفر من هذا الموضع الذي قرب وقت
الانقطاع فيه من الوجع الذي كنت ذكرت لكم وسيئت لعندكم إلى فاس بلدة السادات والناس

إضافة

يأجري الله

فيه

حيث ينفرد كل واحد منكم بداره وأهله وماله وخاصته ويدعى منهما في تلك الطريقة
القليلة المقدار الضيقة الحال وكثرة المستعمرة في أعين الكفار التي ليس فيهما استجار
ولا انوار ولا ازهار كيف يقع في مثل هذا الكتاب العجاب المشتمل على لباب الألباب
الذي اذا اجتمعت ونظرت في اوراقه لم تعرف الا لكثرة الكلام الذي فيه اولا من اين اخذ ولا بأي هنا
من كلامه وما ذاك الا الغيبة عنك التي لا تجمعها انت ولا اجمعها انا ولو كنت بعندك لم تكن ان
تسمع مني كلمة من مثل هذا ولا ان اكتب لك مثل ما فيه فكثير من هذا الذي ولكن في غيبتي
عنك وغيبتك عني خير كثير اذ لم يجب ذلك لا انا ولا انت أما الخير الذي في ذلك مني
جهة الاخوان الذين بعدنا عنا ومن مفقود لا عندنا وأما الخير الذي لك في ذلك من جهة
ما يحصل لك من مثل هذا الكتاب الذي ربما يكون فيه مثاله ومثاله ثم ينضاف الى
هذا سلامة خاطرك من الهم الذي يصيبك من جهتي ومن اعون ذلك انك اذا دخلت علي
في تلك الطريقة ووجدتني مهموما مغموما ثم تقدر لي بحيلة ينتعش بها الروح ولا يتيسر
لك احد من معارفك واصحابك بمفاتيح من منع الاقفال جزاه الله خيرا واعظم له الاجر
ولا كل هذا كله كان فيما اليوم وأما اليوم فقد عم البلاء واشتد الغلاء وقل الرخاء واتسع
القضاء واشتد الزحام والتلاشي على الاشياء فخرج بذلك كل احد عن عقله وحسه
وصار بحيث لا يهمه الا امر نفسه نسأل الله العافية

فما الناس بالناس الذين عهدتهم * ولا الدار بالدار التي كنت اعرف
فصبرا اخي في النائبات فانما * اذا دهمت اوقاتها عنك تصرف
وثق يا اخي بحسن برئك في الذي * تؤمل من فضل به ينكشف
فان ولي العبد حسن يقينه * بمولى كريم وعده ليس يخلف

وهذا كله مزاح مليح ولي في ذكره مقصد غير صحيح والله تعالى ولي العفو والغفران
بمنه وفضله وبعد فقد كنا ذكرنا لكم في بعض كتبنا اليكم ذكر بعض
علامات وجود الدعوى في الفقير وان من جملتها كراهية الموت وهذا اليس على اطلاقه بل
لابد فيه من تقييد وتخصيص فاذا اخرج منه ما اخرج صار سائر محتملاته غير متساوية
بل متفاوتة الدرجات متباينة المراتب فلابد ان يقع منا لكم تنبيه على هذا كله لتتم
بذلك الفائدة التي تذاكرنا بحثنا فيها في هذا الوقت المستكبر الذي كسر فيه سوق
الدين وعمي فيه اكثر الناس اجمعين الا من رحم الله تعالى فنقول كراهية الموت لا تخلوا

من ثلاثة اوجه فقد يكره العبد الموت لبعضها او لجميعها الوجه الاول ان يكره العبد الموت
لما فيه من حرمان اللذات التي تذكر فيه والثاني ان يكرهه لما يفوته بسببه من هذه الشهوة
التي الفها واستريح بها والثالث ان يكرهه لما يفوته بسببه من الاعمال الصالحة التي يرجوا
عليها الاجر والثواب في الدار الآخرة اما الوجه الاول فالكراهية فيه كراهية طبيعية
لا يتصور ان ينفك عنها بشر ومثل هذا لا يدل على وجود الدعوى في العبد ولا يرى صاحبها
لا يخلوا من عبادة اذ لا بد له من ذلك سواء كان كارها او فرحا بلقاء الله او لا فامـي
السنين ولكن يتقي بها مقتا شيء وهذا كل ما ذكره الناس في الموت من البشائر العظيمة
المجاورة للبعد وخصوصا هذا المحاسبي في كتاب التوهم والاهوال والغزالي في كتاب ذكر
الموت من الاحياء ينبغي ان يتأمل ويتكلم فيه ولا اشك في حصول الآلام ولا في حصول ذلك
البعد الذي ذكروه لم يكن يظهر لي ان يعتمد منهم فالكثير من عليه اذ لم يذكروا في ذلك نصا مع ان
فيمثلها يعتمد عليه ولا رجع اليهم احد بعد الموت يخبرهم بحال الموت وما ذاك الا امران
حملا الفاسدين على هذا وحكاية مستندهم في ذلك حكايات لا اخر لها من الجهة وانيسة
ليست في الغاية من القوة فالتكلم فيما قالوه واعتقدوه واعتمدوه لاجل ان صاحبه
لا تسريبا في حاله وتكرره في باله فاذا لم يحصل ذلك في عنده سعد كل ما في
بدله وتحققت الكراهية التامة للموت لا سيما ان ساء رفقه او فارقه فيها عليه
عند استشعاره لذلك من زوال عقله قبل ان يموت وقد يقع في سوء الخاتمة فيختم له
بخاتمة السوء والعياذ بالله فالحزم عندي للعبد ان يعرض عن كل ما قالوه من ذلك المعنى
وليلتمس احسن ما يجد في وجهه من نص صحيح او سقيم او امارات او علامات فيستشعر بذلك
شيئا من الراحة وسكون النفس وتمكن الحلم ولا يضره ذلك شيئا فاذا اشرف على الموت
بقي على عقله وذهنه ولم يحصل له كل ذلك الكراهية فاذا وقعت المعاينة وقبض الروح
كان اذ ذاك الامر خارجا من يده فيلقى ما قدر عليه مما يوافق ما قالوه او يخالفه
والحاصل من هذا ان يحرص على ان لا يكون له هم من هذا من الكنه ولا يوقعه ذلك في مشقة
ولا يمر به فليعلم وانه لا تعجب من الشيخ الغزالي في كتاب ذكر الموت فانه الكتب في ذلك
كل اتي كتاب وابدا فيه واعاد اعني في ذكر حال الموت ومنتهى شدته وشاقه في
معرض يستعير منه الناكر فيه فايدة من ازدياد في طاعة او نزوع عن معصية حتى
ذكر في جملة ذلك حال النبي صلى الله عليه وسلم في النزع وكذلك احوال الخلفاء

Digitized by Google

الناس بدوا لكنه فان فيه فاقتنع فاذا كان هذا حالهم على ما هم فيه من الكرامة
والخصوصية فكيف يكون حالنا ولا ادري كيف يصح هذا اذ لا مدخل لشيء من ذلك فيما افتقر
من جهلاء الناس للجنة الا لو كانت كما عندهم تخفف عنهم تلك الالام وتخفض عليهم تلك
الشدائد العظام وذلك غير حاصل بدليل ما ذكروه مما لقي رسول الله صلى الله عليه
وسلم من شدة النزع مع ان احدا لا يمكن ان يفوقه في طاعة ولا تقوى بل لا يدانيه احد في
ذلك الا نعمة على نعمة وانما تنفع الفائدة من ذكر الموت لمن تذكره من حيث لا ينفعه التمني
واما ذكر حال الموت وشدته وكربه فلا مدخل له في ذلك البتة فيما يظهر لي بل العامة
ومعظم الناس الذين لا خبرة لهم من ذلك البتة حملوا على ان يشدد ولذلك تجد نفس احدهم
في معارك الحروب ومعاطب الخطر والغرب اقوى من نفس ذي لب بخلاف من عنده خبرة من ذلك
ولو استشعار له فانه يفزع من كلية فاذا نزل به ما لا طاقة له به فلا تسل عن حاله وهذا
كلام جر اليه ما كنا بصدده من التكلم في هذا الوجه وانا فيه كالسائل الحسير وان
كنت في جميع ما تكلمت فيه كذلك فالمراد منكم ان تعرضوه على كل من امكنكم ممن يشار
اليه بفهم او علم حتى تبين لكم واقل ما يوافق عليه او يخالف واخبروني بما يكون من ذلك واما
الوجه الثالث وان كانت الكرامية فيه كرامية كسمعية ايضا الا انها رعونة مذمومة
دالة على وجود الدعوى في العبد لان حبه البقاء في الدنيا على هذا الوجه انما هو لتحصل
له منقبة حسنة والتلذذ بها له ولديه مرة بعد مرة ولو الف سنة فتلك انما هو شأن
النفوس وكل شيء ينقضي ويمر لا فائدة فيه بل انما كان ذلك عندنا خيرا من وجوده لانه
اذ ذاك يقع له الانس بالدنيا والاستيناس بها فيحصل له ما ذكرناه من كراهية الموت
وبقدر توغله في ذلك تشتد كراهيته له فاذا نزل به الموت كان حاله اذ ذاك حال
من ينشر بالمناشير او يقرض بالمقاريض لا سيما ان كان له ما زعم يحزوا ازواج وصلاح
يستشعر ان يخلفه في ذلك اعداء او كاعداء له ثم انه في كل نفس يتنفس به في الدنيا
بصدد ان يتعدد عليه بعض ما الفه وانس به وعند تعدده ذلك يلقى من البلاء ما
قل منه وما كثر وقد كان في راحة من ذلك كما قال ابن عطاء الله ليقل ما تفرح به يقل ما
تحزن عليه وبقدر حبه للدنيا يتحقق في وجود الدعوى وهذه الدعوى وان كانت لا
اعتبار بها اذا تحقق صاحبها انه في حاله تلك على غير شيء وظهر هذا التمني منه
على ظاهر امله من استبقاء وحمل او اتقاء وعمل بشرط ان يكون هذا التمني والظهور منه

لعل الله تعالى لا يستجلب به حظا ولا يدري من نفسه يغلط والا فيكون قد وقع من الدعوات التي
ما هو اعظم منهما أمّا الوجه الثالث فالكلام فيه وان كانت بعض عامة الناس
من الغرباء جعلت علامة على الدعوات العريضة من العبيد وفي مثل هذا يقال حسنات الابرار
سيئات المقربين لانه لو بقي عمر نوح يدعو بجمعيته ويعمل من اعمال البر فوق كفايته
فان ذلك من هذا عرضه فيما يعمل به افضل من جميع ما يعمل وله الانسبة فيه وبيان ذلك
ولا يمكن يتصور في هذا الوجه ان يصدر وعنه ما ينبغي به وجود الدعوات وعنده حسبما تقرر
من التقسيم الذي قدمناه ذكر ان الذي الكلام فيه انه لا يتصور وغاية الامر ان يكون اخره
لذلك تعليلا بحيث لا انكار له فيه كما نبينه قلب ولا انشراح صدر وهذا لا ينقص في
براءته من الدعوات وأمّا ما ذكرتم من انكم حين قرأتم على فلان ذلك الكتاب الذي
فيه الكلام على التفضيل بين الانبياء عليهم الصلاة والسلام مرة ثانية بترتيب التعقيب
فيه فقال لكم كيف يقول فلان ولعلها لا تسميه بذلك وانما تسميه عمرو هنا ومنذ زمنها
وما اشبه هذا انما تسمى به كل فرع مغرور مع انها قد سمته عنترها في البيت الذي ذكرتموه
من العجب ما رأيته في كتابكم هذا وقد بلغ مني التعجب كل مبلغ وقلت كيف يشكل هذا الامر
الواضح على فلان انه من النبلاء العقلاء فلا رده ولا رد حتى تفكروا في ذلك وقفنا طويلا
ودخلوا في زوال الاشكال الذي عرض لكم بما اوله من كلام فلان كما هو واضح فبينما انا انتظر منكم
ان تتكلموا من تلك المسألة على ما ادرجت فيها من شيء تحار فيه الاذهان وتحكيم فيه العقول
اذا بكم قد حاد ذلك ووقفتم مع شيء بلغ الغاية في الظهور والبيان والله المستعان
وانما جاء لكم الاشكال في الكلام الذي ذكرته والله تعالى اعلم من قبل انكم توهمتم ان قوله في
البيت لا تدعيني الا بيا عنترها اخبار من الحبيب عن محبوبته انها انما تقول له يا عنتر تناديه
بذلك وتسميه به وقد سمته عنترها وكان ذلك من اشرف اسمائه عنترها وليس ذلك
بصحيح اذ لو كان صحيحا لم يقل لا تدعني وانما يقول لا تدعينني على هذه الصيغة بكون الاخبار
عن المؤنث كما تقول هند لا تغضبيني ودعد لا تحجريني قال الله تعالى فانظري ماذا تامرين وحينئذ
لا يتزن البيت المذكور بل لا يكون له معنى يتلج به الصدور ولو حققتم البيت الذي قبله
لطلعت لكم الشمس ولم يبق عليكم في الكلام اشكال ولا لبس وهو قوله

* يا عمرو قلبي بعنتر مشترك * يعرفه الحاضر والنادي * لا تدعني الا بيا عنترها

البيت فقوله لا تدعني الا بيا عنترها صيغة نهي يخاطب بها عمرا المذكور فهو يقول له

تدعيني ظ
تغضبيني ظ
تحجريني ظ

يا اخوي للتذرع الى الابتلاء عبر عنها بانه اشرف اسمائي عندي وما اوردنا الذي هو عندها فلا ادري ما ذكرتم في
تسميتها ابتلاء عبر عنها في ذلك الكلام حتى احتجتم الى ما يزول به عنكم الاشكال والابهام والاجمال
ووضوح هذا الامر وكتبت رقعة عند رسم هذا الكلام حتى لا ادري اصادفت فيه الغرض اولا اني لم
شيئا مما اعترف به على المعترف فيها العوى بذلك واخبرونا بما هنالك وما ذكرتموه في
الكلام صحيح المعنى من وجه لو احتيج اليه وانما قلت من وجه لانه ليس في كل حال من احوال
المحب يقع له الابتلاء والاختبار بل له مواطن كثيرة لا يستغني فيها ابتلاء ولا اختبار
فمنها هذا الموطن الذي منه حدثتكم من انها اسميته فيه عبدها وزادته بذلك وذلك الحضرة منها
والاختبار منها في غاية البعد بما اخبرت عنه بالعبودية حتى علمت منه تحققه في ذلك بالكلية
ومن مقتضى تحققه فيه ان لا يكون له حظ ولا هوى ولا ينبض عليه عرق من رعونة ولا دعوى ولو
شممت منه رائحة من هذا لم تسمه بذلك الاسم البتة بل لو كان شيئا مما رمته الاجابات كلها
لكان من حقها ان تنبه عليه ولا تدع شيئا من المقابح الا وتنسبه اليه ولا تراه من حسن نظرها
اذا اخبرتها الا ان تترفع من بينه ولا تظهر شيئا من محاسنها لديه لا من مقتضى الكبر المالوف
منها الا تجعل ذلك مع ترفيعه بقية من نظره لنفسه فكيف بمن تبوء فيه بقية من ذلك
فاذا رايتها لم تجعل معه شيئا من ذلك مع وجود تلك البقية علم من ذلك انها اكرمت
مقامه حاجبه وتغطيت عورته والعالم بهذا ايضا لا يعتقد ايضا فيما تعامله به من معاملة
حسنة ابتلاء ولا اختبارا بل ربما يكون بهذا الاعتقاد والرؤية منتهيا الادب منحطا الى
اسفل سافلين من اعلى الرتب واي قيمة له او مقدار حتى يقع منها له ابتلاء واختبار فكل
ما ذكرتموه وان لم يقدر احد من اهل هوى ان يتشوف الى ان يستنبطه او يخترعه فيما يكتب
اذ لو قدر على ذلك لكان اولى الناس به ذلك الرجلان اللذان رضيا له ولم يجد امكننا فيه
لا يخلو من قصور اذا احكيته بالمعنى الذي حصل في يدي وتعرفت به كتبي بالامكان وجهرته زايدا لا
يتعطى لنا فيه الا ان يكون بالنفود عارفا **وقد بلغنا منكم** بعض الاطلاع كلها
انناها بعد ان كنت متشوقا الى ان يرد على منكم ما يسرني فابتهج الله ذلك ولم تزد فيها الا
كربة وغمة من ثلاثة اوجه احدها وهو اعظمها انكم اردتم شيئا من الجنة بما انا متلبس فيه
واخرى من اجل معكم بجميل بعد هذا الكلام في ايامها والثاني كونكم كتمتم عني ما كانت تلقته
تلك الاشكال المسموعة بعد ان ذكرتم الذي فصلتموه بها ولو لم تذكروه لم اكن ابالي بذلك والثالث
وهو اخفها كونكم لم تتشوفوا الى الاخبار بالجزئيات التي تعلمون انه متشوق اليها جدا

خ بزيادة

هنا انتهى الاصل بياض في نسخة النسخة وتلف

م الشخص

الوجه

الوجوه الثلاثة شاءت منكم ولا فوق ذلك اليه ولو سكتت عما سمعناه لازدد عليهم والاقلاب شكوة
ما ورد على منكم مما اوجب اغتمامي لكان ذلك الذي في جوابه والاخذ عليه عتابا او اعتابا ولا يحسن
لا افعل ذلك بل اتكلم لكم على تلك الوجوه وغيرها بكلام ينفعكم ولا ادري هل يقع ذلك ام لا
فاقول اما الوجه الاول وهو كونكم لم تنشطوا الى الجنة مما ذكرت لكم بعد ما سمعت ذلك من مواضع
من كتابكم ومن جملتها سؤالكم عن المقدار الذي ذكرت انكم فاريتم ان تدخلوا فيه اي شيء هو ولو
كنتم احكمتم علما بالفاظ مخصوصة ومطولة تضمنتها الكتب اليكم لم يشكل عليكم ذلك الا اذا اي فرق
بين تلك العبارات وبين العبارات التي ربما اعبر بها في بيان ما طلبتم منا مشافهة وكما استحسنت
تلك عليكم تستحسن هذه بالوجه الذي استحسنت تلك واي فائدة لتكرار العبارات مع تيسير
جمعكم عليها وما مثال ذلك الا مثال من اراد ان يلصق لخبزه بجابيه بابين لا شك ان الشرك(؟)
ينبوا عنه ولا يقبله فان اتفق ان يلتصق به شيء فلا بد ان تكون فيه فائدة يستشعر بها منه
الجابيه وقد تفرع منها اختبار لكم بما فهمت عن ان لا اخذ معلم في شيء من ذلك المعنى
بغلطت في الاخيرة ذلك الكتاب الاول الذي تضمن الموضع الذي اشكل عليكم والغلط من جمع من
التلبيس ومن المواضع التي جمعت منها اوقاتكم مما ذكرت لكم قولكم ان الذي الغالب على اطابه
قشور واذا انكشفت الحقائق انقبضت لاجلها ونفرت من النور فاذا اعرضت عن ذلك فجاء ونكت
الى نعم المولى لم اقدر ان اعبر عما اجده من السرور فانا بين هاتين الحالتين ذهبي وتشعب
غلبة الحالة الاولى على حزين وهذه العبارات وان كانت صحيحة مفيدة لمعانيها عند
من شم شيئا من الحقيقة مردودة منكم ولو انكم تعكستم للدخل الذي فيها وفهمتموها لما
تحولتم تلك الاسطر التي اعتذرتم عن محوها لكان ذلك عليكم احق وبكم اليق ومما تضمنه -
كتابكم مما يكاد ان يخرج به قلب الانسان بغرارة كنت نهيتكم عن مثله فيما اخاف والاذن له
قولكم عشى تبيين لي هذه الكلمة واخبركم بما عندي لتنظروا فيه وارجع عن جميع القبائح واي شيء
يمنعكم ان تذكروا ما عندكم ليقع الكلام في ذلك ويتبين ان وقع في كل واحد ولا احتاج الى تكثير
الكلام وتطويله في امر وقع الغلط من كل كثير او المسئلة التي قلت لكم فيها اخاف ان تحملوها
على غير وجهها حتى ما تضمنه كتابكم فان الذي قلت انكم عرفتم شر قرائنه ودسيسه واما الوجه
الثاني وهو انكم كتمتم عني ما تضمنته تلك الاسطر فلا ادري ما الذي حملكم على ذلك ان قلت حملني
على ذلك ما عسى ان يكون فيها من التكلم في الغير بالقبيح فلا بأس بشيء ينبهكم على المقصود
بذلك الكلام ومعلوم انكم وقعتم بذلك فيما منه فررتم مع انكم ما اشرتم على ذلك الاجمة(؟)

وتبدو خاطرك لانه احمله على محامل كثيرة فوقع وقد لا تقع لاسيما وانا منسوب معه فيقع من شهود
الكل به في او دينه لا نتحير وان قلتم لا في اخلاق ان يبلغه ذلك عني فلا تفرطوا في قتله فانتم
لم تخلوا من سوء الظن به في ان اعرف غيركم عنكم بما تاخذون فيه فيه على وجه يلحقكم به ضرر
وان قلتم لا في بعض كتبه كمقربة انه فيه مبطل ولاي شيء لم تذكروا هذا حتى ينفي عني بري الساحة
مما نسبتموه اليه في ذلك الكلام المحبور وان قلتم خلاف ذلك فلا ادري ما هو ولعل فيه
تكون براءتكم من المطالبة وانا لا اعلم ثم اني فيما يعلمنه من حق الاخوة فيعنيك اذ لعله يكون
في ذلك الكلام المحبور ما لعله تكون في التكلم عليه فلا بد لانه لا اجل عليك بمثل هذا اذا
وجدت اليه مدخلا ولو على بعض ما ابيته فيه غير مرة فقد عرفت نفسك العاتبة بما يعلمنه
من ذلك فاذا قلت ترى المحو يقع التي في كتبه كثيرا فلاي شيء لم تنكر ذلك على نفسه
كما انكرته علي فاقول انا وان وقع فيه ذلك فلا يقع منه الا في موضع يقع فيه خلل
وفساد من جهة الترتيب وجعل الامور المتناسبة بعضها مع بعض فقد يكون الشيء لا يقتضي
التاخير فاقدمه او لا يقتضي التقديم فاؤخره وكذلك يقع منه في موضع يكون فيه خلل
وفساد من طريق العلم اعني ان لا يكون موافقا للحق فاخاف ان يقتدي ان انظر فيه في الدار الاخرة
من قبل تابع له او آخذ به فاذا وقع منه ذلك المحو استرحت من تباعة ذلك كما يعلمنه
في مواضع من التنبيه ولذلك اوثر ان كل كلام صدر مني يكون ممحوا لانه في جميعه لم اقصد به
الحقيقة الا انت ثم انا ارى كما يلطف الله تعالى تقلل كثيرا كثيرا فاذا كنت انت لم تنتفع بذلك
فكيف ارجو المنفعة به لغيرك واذا لم تحصل المنفعة كانت المفسدة قريبة لا ريب وليتها اذا كانت
السلامة لا منفعة ولا مضرة فكيف لا احب ان يكون ذلك كله ممحوا ولا ذكر هو عندنا عيب ومعنى
اذ انفذ به القضاء وسارت به الركبان واي شيء ينفع في الوجود ان اجعل فلانا بسبب ذلك في
النار ذات الوقود مع عاد وثمود لا لكن الخوف ان يجعل فلان معه فيها وعند ذلك هو
بين الحالتين اما ان يقول يا ليتني لم اره ولم اعرفه فلا واما ان يقول يجمعهما انه سواكم ولا شك ان الحالة
الاولى تخففت من النار امتعاء يزاد بها كرابة على كرابة وغمة على غمة مع فيها من مزاحمة الاحكام
والحالة الثانية يحكما جما مع ما فيهما من الاستصلاح وانما كان يتعلق الخلل العظيم في الوجود اذا
ثبت سر المعبود وغفل عن الرحمان الودود وسواد انضم الى ذلك عليان او لم ينضم فاخشى
لنفسي فانا اخشى شيئا لا مدخل لك في اختيارك ولا وسيلة لك اليه وقد دعت تحير وتتوسل
فانت بعيد ومتى استنكفت من بعيد هذا فانت لعين كبير ولا فرق في ذلك عندي وبين ذلك

Digitized by Google

الذي عجل له الفرح ليبلغ الاسباب او الذي صنع التابوت وجعل نفسه في جوفه واحتال به كيف
يرقى في الهواء ليرموا السماء بالنشاب الاول فرعون والثاني نمرود لكن غباوة هاذين كثرت
للخاصة والجمهور والغباوة التي انت عليها تخفى كونها على تلك الحال لا ينكشف لها الا الخواص
الذين شانهم اعتبار قواسم المجاري والمقدور فافهم هذا كله ان كنت فاهما ففيه تلخيص جميع ما اشكل
عليك مما كنت تخاصمت العلماء فيه وقد ساقه الله تعالى اليك على يدي اخشى سياقه لا بد
مع كون رفيقه بالشفافة فان استعملته فعلقه في وسط البيت وان استنفعته فلا
تقل ليت واحسبه كالميت وادفنه تحت تراب الخمول التلبيس واقرأ عليه الجميع
والبنيس ليكون ذلك كله سواء وينفع لنا ولكم التخلص من تباعة ذلك في المال والمعاد
والله تعالى ولي السداد والرشاد انه الكريم الجواد **واما المسئلتان** اللتان بينكم وبين فلان
فقد احزنني حالكم فيهما ورايت انكم اختصمتم فيهما من قبل انكم لم تعاملوا الزمان واهله بما
يليق بهم فالذي اراه انكم تجعلون حالكم بلا دفع منكم ما لم تكن لكم فيه حاجة من الكلام الخشن وان كان
ذلك الكلام محض الحق ولكن الحق في هذا الزمان قد مات ودفن وخرج على قبره فليت شعري ما الذي كان
يضركم لو تركتم الاعتراض الذي هو شانكم وخاطبتم فلانا بما يليق به وشكرتم حسن محاولته ولو ادى ذلك
منكم الى ان تعتذروا له وتحسنوا له فعله ويحقق ما قلتم له انا بالعبد وبالشرع مثل ان تقول له انا بالله
وبفلان او تعترف قولك بالعبد وتقتصر على فلان بعد ان تكون قد غيرت [illegible] مسالمة وقلبك مستقيما
مع ربك **فان قلت** اذا فعلت ما اشرت به علي اذللت الدين وغيرت في وجه التوحيد واليقين
فاقول وكانك لما فعلت فقد بعثت بذلك الحق ومنفعات [illegible] بل الحق اليوم لا يقوم
به الا من اماتت نفسه ولم يبال على اي حالة يكون واما من هو مثلك ومثلي فمنشوب في شهواته
وعاداته غريق في سبب حالاته فلا يسعه في التوصل الى حقه الذي يجب له بالشرع الا المداراة
التي تشبه المداهنة او المداهنة المحضة وهو ان لم يعذر بذلك لانه ارتكاب اخف
الضررين ووقوع في اهون الشرين كما قيل * حنانيك بعض الشر اهون من بعض *
فانك اليوم ان لم يحصل لك من حقك شيء تستريح به وتشكر الناس ويحصل لك بسببه منهم الاياس
لا يغيض به زهدك في ذلك وشيما هنت به الى صبر جميل ولا رضى بالقليل بل تسخطه وتتشوف
ويؤول ذلك بك الى الالتجاء لمن لا يحمد والسؤال والتملق لمن لا يؤمله الكرام فيحصل ازاتها
اخبر تنتج انه الحالة التي لي التفصيل برجل فلان او بقول فلان سالك لادنى الدنيا والنوع اللؤماء
انت ربه كما شاهدناه من ناس كثير ممن اختلفت احوالهم وتغيرت اقوالهم وانه لا شك ان اهل ولاء

لعظان

الذين يتخوفون للفتنة وارباب الامور يقضون لهم الحوائج ويتقربون لهم في المهمات على يديهم اذ اسلموا
من مظالم العباد وتباعاتهم وسلمت عقيدتهم من ان يحبشوهم لما هم عليه من الجور والظلم لانه لا
يستقيم لهم حال ولا يطيب لهم عيش الا بذلك وقد روي يأتي على الناس زمان لا يطيب فيه عيش
مومن الا باستناده الى منافق والظاهر ان هذا الزمان قد اتى منذ ازمنة كثيرة فما ظنك
بهذا الوقت المرذول الذي ابتلينا به وكيف لا يسعنا فيه امثال ذلك ولا انسان اليوم اذا
احتاج الى بغلة ولم يجد سبيلا اليها الا بكبر وفخر وتشدق وتجبر وهل هو يحتاج لبغلة من ذلك الا
مكتسب دينه بعضه ببعض مخافة ان يذهب بالكلية وقد رأيت في كتاب الحلية لابي نعيم
عن حذيفة بن اليمان ما يقرب من هذا او يشير اليه وكأن ذلك صدر منه في زمانه الظالم مع الفرق
الجليل وهو ما اشير الى النزال بن سبرة قال كنا مع حذيفة في البيت فقال له عثمان يا ابا
عبد الله ما هذا الذي بلغني عنك قال ما قلته فقال عثمان انت اصدقهم وابرهم فلما خرج قلنا
يا ابا عبد الله الم تقل ما قلته قال بلى ولكن اشتري ديني بعضه ببعض مخافة ان يذهب كله ه
وقد قال صلى الله عليه وسلم بدأ الدين غريبا وسيعود غريبا كما بدأ او كما قال صلى الله
عليه وسلم وغربة الدين انه بدأ اهله اذ ذاك لمن تخوف اذاية الكفرة ان كان فيه وكتمه
دينا ايمان ان يتكلم بكلمة فيها تكبر وغربة الدين الان عاد اليها فيه لمن تخوف مثل ذلك
ان لا يأمر ببعض المعروف ولا ينهى عن بعض المنكر كما رأيته لحذيفة رضي الله عنه ايضا في كتاب
الحلية المذكور ليأتين عليكم زمان خيركم فيه من لم يأمر بالمعروف وينه عن المنكر وانما يكون
خيرهم والله تعالى اعلم اذا بعثته على ذلك باعث الدين الذي يوجب له ما ذكرنا من ترجيح اخف
الضررين على الاخر واما ان يسترسل مع هواه ويتساهل في طاعته ونفاقه فلم يعنيه
حذيفة لانه يختار احد المقام الارفع ويرضى بالسيف والمقرع ويفعل كما فعله اولا الذين
كانوا يعذبون بانواع العذاب كبلال وعمار وخباب وغيرهم في ذلك الوقت وكما فعله ابن
مسعود وابو ذر وعثمان بن مظعون وغيرهم رضوان الله على جميعهم فنعم ولكن بعيد ان يستقيم
ذلك اليوم لانهم انما حملهم على ذلك الايمان الجديد الذي يزداد في كل ساعة وبقيت قوته ورسوخه
بمشاهدة انوار النبوءة وقوة ايمانهم حتى انه قدروا بها على مكابدة الشدائد ومفارقة الولد
والوالد ولم تعترهم في ذلك شبهة ولا ريبة واما الان حين بلي الدين وضعف الايمان واليقين
فالله تعالى يلطف بمن تعاطى هذا ولعله اذا حاسب نفسه لم يجدها صادقة في ذلك وكان ما
تعاطاه من ذلك مدخولا معلولا وقد خاف من مثل هذا ابو سليمان الداراني رضي الله عنه على حال

فوته وعلو مرتبته قال ابو سليمان سمعت ابا جعفر يبكي في خطبته فقال ولا شغلني الغضب
وحفزتني نية في ان افوه اليه ولا كلمه بما سمعت من كلامه وبما اعرف من علمه اذ انزل قال ثم تفكرت
في انه اذا اردت ان افوه الى الخليفة ولا عظته والناس جلوس يرمقونه بابصارهم فيجري على التذبير فيبادر
الي فيقتلني ولا فتيل على غير تعظيم قال فجلست فسكت ثم ان هذا الذي يتعاطى ذلك اذا انعكس
عليه الدخل الذي فيه وطلب لذلك دواء وطبيبا لا يجده عند احد ولا اقول اليوم بل هنا لنا ان يدخل
كل واحد منهم زاويته ويعرف زمانه وناسه ويعاملهم معاملة توجب له السلامة منهم
والا نعطل على خير عنهم لان الحال اليوم كما قالت المرأة في ابنها فلتنبث غزلها الحمقى مثله
واستغفر الله ولا قوة الا بالله واما اعتراضكم عليه وكان باشتغاله بقراءة كتاب مسلم
وشرحه فهو اعتراض غير صحيح لان الاشتغال بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بركة وعاقبته
محمودة فهذا الذي ينكرون عليه من ذلك وانما كنتم تنكرون عليه لو تشاغل بقراءة المدونة وما
اشبهها من الكتب الفروعية لانه ان تشاغل بقراءة ذلك في هذا الوقت المنحوس لم يسعه
بذلك ولا بد في تعذر ان ما يحتاج اليه من ذلك معلوم عند كل طالب وزيادة ذلك في اخذه فيما لا يحتاج
اليه ينقطع له وقت انفس من كل نفيس بخلاف الحديث فانه متكفل الهداية التي هو
محتاج اليها ومن غير حاصلة له لانه كلام من لا ينطق عن الهوى فبقدر ما يزداد العبد فيه
نظرا او اعتبارا يحصل له مواهب لا يرى لها حد ولا انحصار لكن ان حلواء الفتيق كلما زيد تحلا
مضغة زادت حلاوة وفي قولكم غير ان الرجل عنده تسليم وايمان بطريقتهم ففيه نظر
اما ان عنده تسليما فمسلم واما الايمان بطريقتهم فالغالب ان يمنع ذلك علما يظهر من الامير
لان لذلك علامات تبدو على ظاهر الانسان لم يظهر على ظاهره من ذلك شيء وفرق بعضهم بين
التسليم والايمان ان التسليم يتصور مع بقاء الاحتمال في صحة الطريقة لان المسلم انما
اوى الى كهف التسليم ليسلم من المحذور الذي يتعرض له بتقدير الصحة فهو يقول ان كانت طريقتهم
صحيحة فقد سلمت بتسليمي لهم وقنعت بالسلامة وان لم تكن طريقتهم صحيحة فلا يضره
تسليمي شيئا الا اني لم ادخل معهم ولم اكثر جمعهم واما الايمان فلا يتصور فيه بقاء احتمال
اصلا ولذلك لا يمكنه ان يقع منه الا ما يقتضيه ايمانه بهم من محبة الدخول فيها والملازمة
والاعراض بالكلية والنفور عن كل ما يخالفها وينافيها وتطلب السبيل اليها عن كل مرشد
ودليل اذ لم يجعل الله تعالى لرجل من قلبين في جوفه وانما قلنا ذلك لان الايمان داع وزاجر
داع الى ما يقتضيه وزاجر عن كل ما لا يقتضيه فان ادعى احد الايمان ولم يظهر له داع

ولم ينزجر عن ذواتهم جهلوا كما ذهب في غواله وقد عيّر الله تعالى اقواما ادّعوا الايمان ولم يعملوا
بمقتضاه في قوله تعالى قل بئسما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين وعلى هذا يبقى قول من قال
الايمان بكر يقينا هذا والآية لان من ادعى بكر يقينهم فقد دخل معهم لا محالة وبأي شيء يكون
داخلا معهم بان يكون يحبهم حريصا على العمل باعمالهم معتقدا الجميع مستغفرا لهم لا يرى
الافكار اذا والابرار الا ما انزوا وكلما قدح في ذهنه او نشأ في عقله او خاطره شيئا كانه خلاف
ذلك لم يكن داخلا معهم بل كان منهم ابعد من كل بعيد وبهذا تحقق الولاية لمن ادعى بكر يقينهم
واما المستسلم لهم والاخذ له في مقام الولاية لارادة بتسليمه لهم لم يراع الامر بعينه اعني
ان تحفظ السلامة من الخطر الذي يتعرض له الغافلون والمنكرون وهو كما تقول العامة
جالس على كرسيه تراهم فان جعل الشبلي والنوري والحلاج في جهنم مثلا فان لنعبده انظر من
أي شيء اعاديه الله تعالى ان لو كنت معهم وان اقيموا مقام الشفاعة في المذنبين وجئ
هو السبيل الى ذلك بما دان به من التسليم لهم وترك الاعتراض عليهم وصاحب الايمان لا
يتصور عنه ان يكونوا من اهل النار اذ لو تصور ذلك عنه لم يكن مؤمنا بكر يقينهم وهذا
كلام عرض لنا بكل من الغرض ولم نقصد فيه الاتيان بما لكم في التسوية بين التسليم والايمان
بكر يقينهم واما التشكيك عن فلان فلم اقصده ولا خوض في ذلك فليكن منه في سماح في ذلك
والله تعالى يهدينا واياكم الى ارشد المسالك وقولكم وقد امرتموني ان اعرضهما على كل من
امكنني ممن يشار اليه بفهم او علم ومن هذا معنى لا اعرفه اليوم ومن هو عند الناس يؤبه
بشيء ومن ذلك هو عندي على العكس مما هو عندكم ثم انكم عرضتم على قراءته على فلان وفلان وفلان
وفلان اخطأتم في ذلك اقبح الخطأ الا لم اقل لكم اعرضوه على من هو عندكم من اهل الفهم
والعلم وانما قلت لكم من يشار اليه بفهم او علم لان المسألة مسألة يشترك فيها جميع العقلاء اذا
كان عندهم تحقيق في النظر ومعرفة بالحديث والاثر مثل فلان وفلان وفلان وفلان ولاهل الكتب
مدخل فيها كفلان وغيره لانهم يعرفون الالام واللذات الكسبية اعني اسباب ذلك وبأي
شيء تقوى وبأي شيء تضعف ومسألتنا من ذلك وليست بمسألة ذوقية ولو كانت مسألة
ذوقية لم آمركم بعرضها على احد ممن اعرفه الان لان الرياسة التي اكتسبتها في راسي
بسبب مزاولة علوم هذه الطريقة لا تدعني وسؤال الناس عما فيها على سبيل الاسترشاد
وتطلب الصواب والسداد لانه اعتقادي في ذلك فالبشر عندي ممن اعرفه في هذا الوقت
يعرض هذه المسألة على اولئك القوم الذين ذكرت لا فائدة فيه اذ لا تدع [illegible]

والشعر

حشي

والخطأ اعظم

ولا عنا البتة هزءا ولا بد ولو اما قلنا له لكن ذالك الرجل حين قرئ عليه فوقه هو نفسه
مسكين ذليل حقير بعد قوله وقد هو حتى يخاف ايها حين فقال لكن ورايتها المسكنة وهو
سمى نفسه فلولا وجود الدعوى ما سمى نفسه حتى تكون هي التي تسميه فلم يات فيها
بشيء وان كان كلامه في ذالك غنيا وهو من احسن ما قاله في تلك المسألة من لدن شرع في
الكلام فيها الى الان وانما قلنا انه لم يات بشيء لانه حين لم يسم نفسه وبقي منتظرا لما
تسميه به محبوبته من تلك الصفة الدعوى لان القدرة له غاية القدر لانه اثبت لمحبوبته
لنفسه اهلية ان تسميه ومن اين له ذالك ولعله لا يكون عندها شيئا مذكورا فضلا عن ان
تسميه وهذا من الدعوى ومن جملة الدعاوى التي لا تليق بمقتضى الحال اذ تعتبر لما تضمنته من وجود
الانانية التي تناقض حقائق الوحدانية واما الدعوى التي تلزمه من تسمية نفسه فمستغرقة
جدا اللهم الا مزية ذالك كله لم تخرج عنه بل هو مقتصر عليه وسواء سمى نفسه عبدا او
مولى او مسكينا او سلطانا وكل ما كان على هذه الحالة لا عبرة به لانه من جملة حظوظ نفسه في نفسه
بمنزلة اكله وشربه وحركته وسكونه وجميع ذالك لغو ولعب لا تاثير له في الحقيقة وانما المعتبر
الحالة التي يكون عليها باعتبار الحقيقة ليس عند ربك ليل ولا نهار ♦ وقال القائل الذي سمع
من يقول اللهم ارنا الدنيا كما تراها فقال له لا تقل ذالك ولكن قل اللهم ارنا الدنيا كما
اريتها الصالحين فاجبتهم هذه كلمة فقد قطعت فيه الكلام اذ ليس من النمط الذي تستخرج فيه
التاويل والافكار فاقنع منه بهذا القدر من السكوت ولا يعترض على ما ذكرناه بمسالة الغلام الذي
سالته امه كلما سمت فقال ما سميتني فقد اثبت لنفسه اهلية ان تسميه مع ان هذا
عندهم من الكلام العالي لانه لما خاطبه مولاه وسماه اثبت له وجودا عرفه منه الغلام
اهلية ان يسميه مولاه ولم يكن ذالك من الدعوى في شيء وهذا اخر الكلام منه وقع في تلك
المسألة فلا تلتفت الى ساير الكلام الذي تكلمت به فيها ولعله ينقطع ما اعتنا بسبب غيبة
ذالك الرجل وبتغير رجوعه من السفر لا ادري ما الذي وقع له فيها فلنا الان ما اعتنا وان وقع
له شيء فحينئذ يمكن ان نتكلم عليه والله تعالى اعلم ♦ وبعد فقد كنت وجهت
اليكم قبل هذا كتابا ذكرت فيه امورا اخرى منها اذ قلت فيه من التكليف كذا ومن النعيم كذا
لاشياء لم يتوجه الانسان بالنظر فيها ولم تجد له من علم من ذالك المجرى عند احوال القيامة
والحشر والنشر والجنة والنار فهذا الامر في جزء وجزئياته كله الى كيفية يعتقد فيها
ويعتقد هو متعذر وتكليف كما قلنا في الصفات والاسماء فلا ينبغي لائمتنا رضي الله

عنهم ما قال الوخ في الميزان من انه قد وكتبنا في السنان وانه يوجد نص قطعي على ذلك وكذلك من
رام ان يلفق بين اشياء اعتقد انه ظهر فيها التناقض والتعارض اذ لا حاجة به الى شيء من
ذلك ويشبه هذا ما سمعته في هذا الجنس الخلاف الذي وقع بينهم في الحروف بعد جواز الوقف
او قبله وانهم صححوا انه بعد جواز الصراط حتى حمل ذلك بعض محققيهم على ان ينص على هذا
في عقيدة رسمها ووضعها وفي مثل هذا كله يقال سترد فتعلم وصحة العقيدة لا تتوقف على
تعيين شيء من ذلك بل المطلوب من العبد ان يحيل علم حقائق ذلك كله الى العلام الخبير
وان يعتقد في مثل هذه الاشياء كلها ان الامر الذي هو عليه عند الله في علم غيبه ومثال هذا المجرد
من آيات واحاديث متعارضة في الظاهر مما لا يتعلق بها عمل لا حاجة باحد ان يتطلب
الجمع بينهما او يتعمق فيها بنظر وعقله وكذلك الآيات والاحاديث المتشابهة التي لا يجوز
اعتقاد ظواهرها لا حاجة باحد ان يتكلف التعيين لها ولا وجها تحمل عليه بل يجب عليه
ان يسلك فيها ما سلكه السلف الصالح من امرارها كما جاءت قال مالك رحمه الله ادركنا
ادبر على الناس ان نقول ما لا يعلمون وكان القاسم بن محمد يقول يا اهل العراق انا والله ما
نعلم كل الذي تسألونا عنه ولأن يعيش احدكم جاهلا الا ان يعلم ما افترض الله عليه خير
له من ان يقول على الله ما لا يعلم ومن التكلف والتعمق ان يسأل العبد عن معاني الالفاظ
من القرآن لا يتعلق بها عمل ولقد سئل عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيما اظن عن قوله تعالى
وأبا فقال هذا من التكلف هذا مع انه لعله قد يكون سبق في معرفة تعديد النعم والمطالبة
بالاعتبار بما يعقل ومع هذا اعرض عمر رضي الله عنه عن تطلب ذلك واستعاذ من التكليف الذي
نهي عنه وقال ابن عباس رضي الله عنه مكثت سنة وانا اريد ان اسأل عمر بن الخطاب
رضي الله عنه عن آية فما استطيع ان اسأله هيبة له وفي رواية اخرى كنت اريد ان اسأل
عمر عن المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبثت سنة ما اجد له
موضعا وفي اخرى لم ازل حريصا ان اسأل عمر عن المرأتين من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
اللتين قال الله عز وجل ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما حتى حج عمر وحججت معه فلما
كنا ببعض الطريق عدل عمر وعدلت معه بالاداوة فتبرز ثم اتاني فسكبت على يديه فتوضأ
فقلت يا امير المومنين من المرأتان من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتان قال الله
ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما فقال عمر واعجبا لك يا ابن عباس قال الزهري
كره والله ما سأله عنه ولم يكتمه قال هي حفصة وعائشة ثم اخذ يسوق الحديث

جملة

ثم

أي

ثم يشكر ربهما والكناية [illegible] العضو العصو على بمقتضى هذا كله من العادة يحصل عنده الشكر على ما اعطى [illegible]

ولو

Digitized by Google

ولو كان سؤاله عن هذا مطلوبا منه لم يعب أن يسأله عنه ولم يؤخر سؤاله ذلك التأخير
ولم يكن عمر سأله عن ذلك حسبما ذكر هذا الراوي فلما رد ابن عباس هذا السؤال نوعا من
الفضول وتحامل عليه أيضا على أن لا يقوم علم مثل هذا كان يتحقق بعمر رضي الله عنه والأوقات
التي يكون فيها منتشرا كتب التفسير فيه فلابنه للجواب عن مثل هذا فيجعله من جملة الأمور
المباحة في ذلك الوقت من غير أن يعتقد أنه الأصل في ذلك كما اعتقد وقيل ذلك ولذلك أعني لما
مال عنه من الانشراح أخذ عمر رضي الله عنه في سرد القصة عليه على طولها والأولى لما
إلى آخرها والحديث معروف وقليله فيه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما كان أن كرهه للتكلف
والسؤال عما لا يعني وذلك لكراهية الله تعالى له وكراهة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ينهى عن قيل وقال وكثرة السؤال حتى بلغ من كراهية عمر لذلك أن أدب عليه صبيغا
أدبا أبلغ فقد روي أن صبيغا هذا كان يتهم برأي أهل الأهواء وكان يسأل عن أشياء من
كتاب الله عز وجل مثل والذاريات والمرسلات والنازعات وما أشبههن من القرآن وكان يأمر
الناس بالتفقه في ذلك وأنه قدم على عمرو بن العاص بمصر فسأله عن ذلك فقال له عمرو
إنما أدلك على من يفقهك في مسائلك هذه أنا أكتب لك إلى أمير المؤمنين فكتب له إلى عمر
وأرسل معه رسولا بالكتاب وكان صبيغ مع الرسول فدخل الرسول على عمر فلما قرأ الكتاب
أو قال أين هو فخرج الرسول فجاء به فقال ما الذي تسأل عنه فسأله عن والذاريات
والنازعات والمرسلات فضربه بجريد النخل حتى أدبر جسده ثم حبسه حتى إذا كاد أن
يبرأ أخرجه فضربه ثم سجنه ففعل به ذلك مرارا فقال له صبيغ عند ذلك
يا أمير المؤمنين إن كنت تريد قتلي فقتلا جميلا وإن كنت تريد دوائي فقد بلغني الدواء قال
فأطلقه عمر رضي الله عنه ونفاه إلى العراق وكتب إلى أبي موسى الأشعري أن لا يجالسه أحد
قال فكان صبيغ يدور في المسجد ويجلس فيه فلا يجلس إليه أحد قال ثم كتب أبو موسى
إلى عمر أنه قد حسنت توبته فأمر عمر فخلي بينه وبين الناس فهو الذي يظهر في أن هذا الأدب
من عمر رضي الله عنه لصبيغ ليس على سؤاله فقط دون استجلاب الفائدة كالسؤال الذي ذكرناه
عن ابن عباس رضي الله عنه وإنما أدبه لأنه اتهم عنده أنه يشكك الناس في ذلك ويشوش
أنه إما أن يكون حسب أن السؤال عن مثل ذلك من القرب والطاعات لله عز وجل أو أنه يرى
أنها نوع من فنون الرأي وكان يأمر الناس بالتفقه في ذلك وإما أن يكون في أسئلته
تلك متعنتا كالطالب للعثرات لغرفيقي الله تعالى عن كثير من الأسئلة وإن لم يكن فيها شيء من هذا

قال الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم الآية وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم إن أعظم المسلمين في المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم على المسلمين
فحرم عليهم من أجل مسألته وكان يقول ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه
ما استطعتم فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم وقال
نحوا من هذا الكلام حين سأله رجل عن الحج وقال له أكل عام يا رسول الله وعن أبي موسى
رضي الله عنه قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أشياء كرهها فلما أكثر عليه غضب ثم
قال للناس سلوني عما شئتم فقال رجل من أبي فقال أبوك حذافة فقال آخر من أبي يا رسول
الله فقال أبوك سالم مولى شيبة فلما رأى عمر ما في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم من
الغضب قال يا رسول الله إنا نتوب إلى الله فهذا كله مما ينبهك على خطر السؤال عما لا يعني
وأن ذلك من التكلف والتعمق قال أنس رضي الله عنه كنا عند عمر فسمعته يقول نهينا عن
التكلف وجزئية واحدة بنفسها تكلفها أهل الزمان معنى عنده من التكلف أين الاشتغال فيه ومن أن
المدرس إنما يجلس لإقراء الناس لا لأن له في الغالب من مطالعة الكتب قبل أن يجيء إلى مجلس
الإقراء ومعرفة معنى التكلف البين لأن الإقراء اليوم لا ينبغي أن يشتغل به إلا من يجب عليه
ويرى أنه معاقب على تركه وذلك الوجوب لا يترتب إلا على من عنده علم حاصل يطلب منه بثه
للغير وأما من ليس عنده علم حاصل فلا يطالب بذلك ولا يجب عليه لا يكلف الله نفسا إلا وسعها
وصاحب العلم الحاصل لا حاجة به إلى مراجعة الكتب لأنه إنما يرجع إليها وقت ما لعلها ينفلت
منها أشياء يحييها أو يستعيد ما أذهله الوهم في ذلك بنظر متسبب إلى أن يوجب على
نفسه ما لم يكن عليه واجبا من التعليم لمسائل لم تكن حاصلة عنده في الوقت قبل مطالعة
الكتب وقد كان السلف يهربون من أن يفتقر صوابك ويجب عليهم فإن قلت إنما يطالع الكتب
ليحصل له تحقيق في أمور عنده مشكلة فيزول بذلك عنه الإشكال ولا يستعيد مسائل
لم تكن مستفادة له فأقول ما أشكل عليه من المسائل لا تتوجه عليه المطالبة بتحقيقها
وبثها للغير من حيث إنه بث للغير وإنما تتوجه عليه المطالبة بتحقيقها واستفادة
مسائل أخرى من حيث احتياجه هو إليها في نفسه ابتداء أعني أنه يجب عليه أن يعلمها
ويعتقدها مما يجب علمه واعتقاده ثم بعد ذلك يطلب منه أن يعلمها لغيره مثل مسائل
الطهارة لا تفيد مراجعته للكتب بكونه ذلك لا يكون إلا عند تعاطيه للإقراء بل يطالع
الكتب ويراجعها عند ما ينقدح في خاطره ذلك الإشكال ومن يريد أن يستعيد مسائل لم تكن

تحل

عنده

عنها ويكون ذلك في اي وقت اتفق وكيفما اتفق بل المدرس في المغرب تكون الكتب عنده قبل تعاطيه
للاقراء منسية فاذا اخذ في الاقراء استحضرها واخرجها من الخزانة ونزلها من المربع وهذا دليل
على انه غير مخلص في عمله ذلك بل الرياء والتصنع والتزين بتحقيق المسائل ونقل كلام
التآليف متشبث بذلك وهذا اعظم التكلف والتعلق والاخذ فيما لا يعني وهو من افعال
ابليس ومطيع له ومتبع ما امر به في تعليم العلم ونشره ودليل ذلك كونه متعلقا بتحصيله
ذلك بعضا من حصول التشهي ووقته معلوم في ايام ذلك الفصل وتكريره بذلك لكل احد
من هنا من شركي وما اشبههما وتعرضه بذلك لكل غث وسمين فاذا شرع في الاقراء وفرغ
من البسملة والتصلية والدعاء الذي لا يرتفع عن ارض الا ومفارق جلسته على كرسي وقيل له
حينئذ مات ابوك او ابنك مثلا لم يوجب له ذلك قطعا لما هو فيه ولا كفا عنه ولو كان مخلصا
في ذلك وعاملا لله تعالى لم يكن ما اكد الا ينتفي تعليمه بفصل مخصوص ولا وقت مخصوص ولانتفى
ذلك ان لو اهله ويمنعه من غير اهله واذا عرض له في اثناء ذلك حق واجب قطع ما هو
فيه واشتغل بذلك الحق الواجب ثم انه في هذه الحالة التي ذكرنا من فصل لتحقيق المسائل
المشكلة واستعداده ما لم يكن يعقل حاصل المسهاة لم يخرج من عداد المتعلمين في اي شيء ويكون
وبين التعليم حتى يكلف الجالسين له من اداب معه ما يليق بالمتعلم مع المعلم حتى يرى
منهم مستحسنا ان تتشاور وسمع رجله او تخفض عنها بحسب فيه الكرسي وكوله
فان قلت كانك يا ايها المتكلم سلمت من هذه الحالات او من بعضها فيما تكتبه التي
من الكتب فلا تحتاج في ذلك الى مراجعة كتاب ولا الى تحسين عبارة وتحسينها وتزيينها
وانك بريء من الرياء والتصنع فيتصر احكام القراءة في غير اجيد ومرع الحلاج في عينه معترضا
فالجواب اني ما ادعي انه مخلص فيما افعله من ذلك ولا العقل الصحيح فيه لله تعالى وانما يقع
مني ما يقع من ذلك فصل الراحة قلبي وتشغيلا بالكلام معكم واجعلني في ذلك الحوص فيه
او متعلما بل الكل لا ميزان حكمة ولذلك تجده افرغ ذلك على كثير من مقام نفسي الدنياوية
والدينية اما الدنياوية فهذا لا يستنكر تقدمه عليهما الا انه دنياوي مثلهما او ابلغ
منهما وانما يستنكر تقديمه على الامور الدينية وذلك قد يقع مني كثيرا فقد يفضي الى كون
في صلاة بوقت مستغرق على ان الكتب لكم في يغلبه ذلك علي بحيث يسترسل خاطري في
الفكر فيه حتى يتوقف على اكثر الصلاة وانا لا اشعر بها ولا يوجد مني فيها حضور وقد يكون
في نيتي ان اقرا اجزاء من القرآن فاجعل بدله هذا الحزب وما اشبهه من الهذيان ثم لا يقع

منه حلف لنا بعوثيه من ذلك فيما بايديهم لا زهاد فعلى اي شيء هذا كله علامة على الاخلاص
او على الرياء الذي ليس في عنده ابعاد ولا اخلاص كلا والله لا يبيع الا الصحيح ولا يبوا مرضاة
الله تعالى بكل معنى مستنخب ولعلها صحيح ولا كل معرفة هذا والاقرار به واداء لا ينفع
في النجاة والفوز بالدرجات نعمة جزيلة لان اكثر الناس لا يعرفها **فان قلت** كيف
تكون نعمة مع كونها لا تنفع فيما ذكرت **فاقول** ان لم تنفع في الوصول الى كلية ذلك
لا تخلو من منفعة في حصول بعضه كمن لم يحصل في اشتغال سائلين من جهنم وقد نجا من
اعظم هولها او من وصل الى باب الجنة ولم يدخلها فقد حصل له مبدا الفوز وهو طمعه
في دخولها والله تعالى اعلم **وبعد** فبعد ذا وجهت اليكم الكتاب الذي فيه مسائل
نوجهه في ان الكتب لكم سؤالين وجوابهما فاسمعوهما وعوهما واطلبوهما حافظه
ذلك الكتاب ولا تغفلوهما وفهما **فان قلت** التغليب الذي حكمتم بانه لا تاثير له
ثابت عند الشيخ الذي ذكرتم انه يتصور منه ما ينتفي به وجود الدعوى لان المطلوب
منه من كونه لا يفعل ما يفعله الا امرا عائدا الى الله تعالى لا يستجلب به حظه ولا يرى
فعل ذلك من نفسه لم يحصل له الا بطريق التغليب وكيف يتصور مع التغليب في
الوجه الثاني ما استبعدتم من انه لا يتصور معه في الوجه الثالث **فاقول** ما ذكرته
صحيح ولكن الفرق بينهما ان التغليب هنالك في مطلب واحد وفي الوجه الثالث التغليب
فيه مطلبين اما المطلب الواحد الذي هنالك فقد قدمته واما المطلبان اللذان في الوجه
الثالث فاحدهما ابتغاء اولويته ما ذكرناه من تلك الدرجة على عبادة في الرابطة المتصلة
او لوية لا يتصور في هذا الموضع الا بجاه العبد النسبة والمشاركة في ذلك والثاني
ان يكون ذلك منه لا يصح ويطلب الا بفنائه عن نفسه وفنائه عن رؤيته فنائه وهو معنى ذلك
المطلب الواحد الذي قلنا فيه صاحب الوجه الثاني وصح به حاله ومعلوم ان التغليب في مطلب
واحد من غير وجدان ما يضاده ويعارضه اسهل من التغليب في مطلبين مع وجدان ما يضاده
ويعارضه وهو ما تقرر عند كل من في قلبه من صفة الحال التي حث عليهما نصوص الشريعة
وهو الحال الكاملة واي شيء ينقله عن ذلك الا الامر الالهي وقد قدرنا ما يليق بذلك فلنا انه
بعيد ان يتصور ما يدفع به صاحب الوجه الثالث وجود الدعوى عن نفسه ويتصور في
الوجه الثاني **فان قلت** يفهم من هذا كله ان وجود الدعوى في الوجه الثالث اعظم من
الدعوى في الوجه الثاني مع ان الوجه الثالث متضمن لما هو محمود في الشرع من محبة الخير والحرص

على الازدياد منه والوجه الثاني متضمن ما هو مذموم فيه من الحرص على الدنيا واتباع الشهوة
والهوى فيلزم على هذا ان يجعل صاحب الوجه الثاني اختيار الحالة التي هو عليها مع كونها مذمومة
في الشرع على حال صاحب الوجه الثالث مع كونها محمودة في الشرع ويقول اذا كانت الآفة اعظم
والخطر اشد فلا احمد ولا اختار ولا ابقى على الحال التي انا عليها وهذا فيه ما فيه فاقول
مقتضى النظر الحقيقي ان لا يصح له هذا الاختيار لان من المعلوم عند ارباب العقول السليمة ان
المقام العالي اشرف وهو الذي ينبغي ان يختار ويؤثر وان كان الخطر فيه اعظم واعتبر ذلك بما هو ان
اهل الرياسة والسلطنة يتعذر خلو ذلك من الآفات التي تضر بالدين فانه من فيه اهلية
للسلطنة لا يستحسن له عاقل ان يزهد في طلبها وان يترك محاولة التوصل اليها باي وجه امكنه
تعللا بالخطر والضرر الذي استهدف بهما بالنسبة الى من طلبها وبذل جهده فيها وتحمل ما يعرض
له فيهما من الخطر والضرر بل لا يعد ذلك منه الا سفها وبلها وجبانة نفس ودناءة همة
والعالي الهمة في ذلك هو الذي يقول ما قاله امرؤ القيس نحاول ملكا او نموت فنعذرا
فالعذر له في هذه الحالة انما اوجبته همته على مقتضى ما دعا اليه علو همته فكذلك
الحالات فيما نحن فيه بل فيما نحن فيه اولى واوجب لان ذلك انما يقع بين حالين بعضها احسن مما
اشرف من الآخر وما نحن فيه لا نسبة بينهما في شرف بل احدهما هو الذي ينبغي ان يشتغل
عنه بعمل كل وهو حال صاحب الوجه الثاني وفي الجملة معلوم ان من ترك الطاعات ونوافل
الخيرات لاجل ما يتوقعه فيها من الآفات فهو ناقص العقل فايل الراي محروم من الخير بل على
العقلاء ان يتشوفوا الى نيل المقامات العالية وان كانت متضمنة لاعظم الاخطار ولا يعذر
في التقاعد عن تحصيلها ما يتخوف فيه من الآفات والمخاطر وبهذا كان ما توهمه من ذلك له فيه حيلة
في حرفه عنه من جده وازالته والاطلاع عليه فيما انجز قدرته واجتنب السوء واعلم ان صاحب الوجه
الثالث يتصور منه وجود الدعوى وان كان اذ هو لما اخرج الطاعات وعاملها بالصالحات
والمال كان مثبرا بها ومسرورا بقدر انضمام الى جوار الحاصلة كثرته فيهما اذ لو كان صادقا فيهما
نقصهما من انه انما يكره الموت لما يفوته من الاعمال الصالحة المقربة له من الله تعالى للشارع
وبادر ولم يكن منه تسويف ولا تفريط. هذا ما اردنا ان نذكره لكم تتمة لما تقدم فبه يحصل
به تمام البيان لمعنى ذلك الكلام الذي وقع منا مطلقا غير مقيد ولا مبين فاعملوا عليه وان
شئتم فضعوه في آخر الكتاب الذي كنت بعثت به اليكم قبل هذا وقبل الذي بعثت اليكم قبله
لعجلتي حامله عن مزيد النظر فيه وما ترتب عليه من غير الابلاغ مما يعجبني وما لا يعجبني

م حال

م عن ذلك

ويكون فيه العبد من حيث هو عبد لا يلزمه أن يتعرف هل مولاه راض عنه أو ساخط عليه
وهذا لا يخلو من بشاعة في كلامهم ولكن على الحق الصريح الذي لا ينبغي أن يعتقد سواه أن العبد من
حيث هو عبد لا مدخل له في شيء مما يتعلق بنفسه أو بغيره إلا بامتثال أمره واجتناب نهيه
فقط فما خلق الله تعالى العقل في العقلاء إلا ليتوصل به إلى فهم معاني الجملة والتصرف فيها
بحسب ما يريده الله تعالى منه لا غير ويكون فيما يحضره ذلك أعني أن يتكلم أعني أن ينظر في شيء سوى ذلك
فما غير أن يكون له فيه فوق وخمس عزة على ما ذكرناه من الامتثال والاجتناب فهو متعزز ومتكلف
والله لا يحب المتعززين ولا المتكلفين وهذا من جملة ما تقتضيه الملة المحمدية من السماحة والسهولة
وفي قوله ﷺ إنا أمة أمية لا نحسب ولا نكتب إشارة إلى هذا ولا تكمن أن السماحة
والسهولة منحصرة في نحو قصر الصلاة في السفر والإفطار فيه والمسح على الخفين وأكل الميتة
للمضطر وتجرع جرعة الخمر إذا غص بلقمة وما أشبه هذا من أنواع الرخص بل تتناول مع ذلك
ترفيه العقول عن النظر في كل ما هو فضول من التمسك معرفة كونه مرضيا لمولاه أو مسخوطا له
فهو متعز وكذا التشغل بهو شقي أو سعيد أو كافر أو مؤمن أو طائع أو عاص أو ولي أو عدو ويلزم
من ذلك أن لا يصح له التشاغل بالتفكر فيما عمله من حسنات أو سيئات لغير زيادة التدارك
وإصلاح ما اختل منها وكذلك لا يصح له تذكار ما يوجب له خوفا أو رجاء أو حزنا أو فرحا
أو قبضا أو بسطا فإن هذا كله فضول فلا يصح إذا عني جميع ما قاله أئمته رضي الله عنهم
من أمثال هذه الأشياء مثل نهيهم في أن المقام العالي مثل فلان بدأ لا والحال العالي مثل فتح
له أو كذلك التفكر في السوابق والخواتم وما نفذ به القضاء وما جرى به القلم فلا يصح إذا
من الحقيقة المذكورة ما قاله سيدنا أبو بكر الواسطي رضي الله عنه لما سمع قول القائل
إن أعطيتني نجاة ما تعلقت بغيرها ولا ما قاله سيدي أبو القاسم الجنيد رضي الله عنه
حين سمع قول القائل منازل كنت تهواها وتألفها أيام كنت على الأيام منصورا
وأنت تعلم ما الذي قاله هذان السيدان حين سمعا هذين البيتين فإن هذا كله لا فائدة له
في النظر الحقيقي إلا شغل الخاطر والبال هذا فيما يتعلق بالعبد وأما ما يتعلق بالسيد
من فوق في قلبه ونظر عقله وجود مولاه وتوحيده وعظمته وملكيته له لا يسوغ له أن ينظر
في شيء سوى ما يزيده في ذلك تحقيقا ورسوخا فمتى وقف على اعتقاد متمكن ما يجب بعقله
من صفات الله تعالى وأسمائه ووجوب تنزيهه وعلائه واقتصر على ذلك وجمد عليه ونفى
غيره فهو متعز وينبغي على ما ذكرناه أن لا يتشاغل بالنظر في شيء مما فرع أربابها الأصول

المتعززين

على

على وجه التخفيف والتشديد بل يعتقدون الامر اجل من ذلك كله بشيء لا يعلمه هو ولا غيره ويقول
ما قاله امام العالمين والعارفين لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وكذلك الاولى
يتشوفون الى الاطلاع على كثير مما ذكر الامام ابو حامد الغزالي مما سماه علوم المكاشفة وجعله
الغاية القصوى للعارفين وما اشبه هذا مما سودت به الصحف وملئت منه الدفاتر والكتب
كيف ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم لم يبلغنا عنه انه امرنا عن ربه بالنظر في شيء من ذلك ولا
جعله من المتعينات علينا وانما امرنا عنه بالتقوى والطاعة بفعل ما يتقرب به وما عنه ان نعمل
بالاعمال التي شرعها لنا ومن جملتها ما ذكرناه فلا جرم لما تلقى ذلك عنه رضي الله عنهم واهتدوا وبلغه
عنهم من ادركته عناية الله وتوفيقه ممن تاخر عنهم لم يشتغلوا بشيء سوى ما ذكرناه ولم يحرصوا
على طلبه والبحث عنه بل رفضوا خواطرهم واراحوا عقولهم عن النظر في ذلك لعلمهم ان المقصود
الذي طلب منهم قد حصل واحاطوا بعلمها وانهم اذا تشوفوا الى تعرف ما سوى ذلك كان العجز
والتقصير منتهى غايتهم ولذلك لما سمع بعضهم قول الله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا
يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال يكفيني هذا وكان الاعرابي الجلف اذا قدم على النبي صلى
الله عليه وسلم من البلاد النائية ليسلم وليتعلم ما يحتاج اليه لم يلبث معه الا مقدار ما يترك بعيره
معقولا بباب الدار او بباب المسجد بعد نزوله عنه فاذا افاده النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك
الوقت المختصر ما افاد وعلمه ما شاء الله تعالى ان يعلمه من المامورات والمنهيات انقلب
عنه الى بلاده وقومه ولم يحتج الى مراجعته وبقي بقية عمره لا يجتمع به بعد الا نادرا ومعلوم ان النبي
صلى الله عليه وسلم قد نصحه في ذلك المجلس كل النصيحة ولم يترك عنه شيئا مما يوجب له
رفيع الدرجات وعلو المنازل في الدار الاخرة لانه كان هاديا ومهديا معصوما واستطاع جديدا
فلما طالت المسافة عليه ودخل البلاد والاقطار ووقع ما وقع من الافكار ورسم اشياء تنفي
دون معرفتها والاحاطة بها طول الاعمار وصارت مفرقة ذلك الامر المطلوب واوابده ومسائله
تستنفذ فيه التصانيف وتشرح فيه الدواوين وتنمو في تصنيف واحد او في جزء منفرد ففي تصانيف
وفي دواوين كثيرة لا تنضبط لزمام ولا يكاد ان ينقطع فيها الكلام وتدعي مصنفيها انها اي
اقطع وهي في جميع ذلك لم يف بالموعود ولم يلم بالمقصود من فكر حال العليين مع المعبود
وكلما تراخى الزمان تزايد المغربات واستمروا في الجري على هذه المجريات ولم يحسبوا اخذ براءة منه
فلا تتبعوا مع ذلك على الحقيقة او يتشوف الى شيء من الطريقة نعوذ بالله من الغرور وما انه من اهل
الضلال والمحن ومما فهمت منه العجب الخلاف الذي وقع بينهم فيمن لم يكن في اعتقاده مستند

Digitized by Google

الى دليل وبرهان على طريقة اهل علم الكلام وأن ثم من يقول انه لا ايمان له ولا اسلام حتى ان جلا منا
ادام الله توفيقه اذكر انه لما حكى هذا الخلاف في مقدمة الشرح الذي وضعه على القواعد لعياض
الشرح حين يأخذ في جزئيات العقائد التي فيها بالشرح والتفسير ان يعقد هنا بدليل عقلي
مما ذكره اهل علم الكلام ليخرج الناظر في كتابه من الخلاف الذي وقع في هذا الامر وهل اوجب على
تشديد وتنطع وقع في الوجود ام لا فقصد الخروج عن الخلاف الذي لا طائل له وتحصيل المقصود لا حصول
الجزم بلا اعتقاد الشيء من اي وجه امكن فاذا حصل من طريق التقليد كفى ذلك كما يكفي اذا
فارقه دليل وبرهان من غير وجود فرقان بينهما ولا يحتاج الى هذا ولذا الدليل والبرهان الا في
تخلخلت عقيدته بشكوك او شبه واما من هو راسخ في الاعتقاد الشيء كحال عوام الناس
فلا يحتاج الى شيء من ذلك وقد تكون عقيدته ارسخ بكثير من عقائد اولائك الذين ينتحلون
معرفة الادلة وجدا ولو منها وهذا موجود مشاهد وقد اكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اجلاف العرب بمجرد الاقرار والنطق بالشهادة ثم ينصرفون عنه الى اهليهم ورعاية مواشيهم
بل لو تشاغل امثال هؤلاء بالادلة والنظر فيها لخيف عليهم ان تنقدح عندهم وساوس
وخيالات وشكوك وشبه ينتشبون فيها ولا يقدرون على التخلص منها وقد كان قبل ان يتشاغل
بها في امان وصحة ايمان وقد اطنب الامام ابو حامد الغزالي رحمه الله في الرد على هذه الفرقة
التي قالت بهذه المقالة وذلك الاطناب في كتاب التفرقة وحكم بان هذه الفرقة ضيقت رحمة
الله الواسعة فان اردته فانظره في الكتاب المذكور وهذا ايضا مما ينتظم في سلك ما ذكرناه
مما ينبغي ان نرتدع عن النظر فيه العقول ويسلم علمها الى من احاط علمه بكل معلوم ومجهول
حذرا من الزلل والدخول فيما لا يحل والله تعالى اعلم واحكم وهذه كلمة كلام عرض لي في الوقت
ان اكتب به اليكم وان خالف ذلك العادة مني في انه لا يكون كتابي اليكم الا جوابا ولكن لما
جاء هؤلاء الناس قاصدين الى حضرتكم ومعلوم ان الناس اكثرهم اذا قدموا على موضع لا يقدمون الا
لفوائد في ذلك الا ان تلك الفوائد انما تحصل لهم او لمن تعلق بهم واما انتم فلا فائدة لكم في ذلك
بل ربما يوجب ذلك غلاء الاسعار ونقصان الكمية والمقدار فيتكدر عيشكم وينتقص حالكم
فانكم ان كنتم تشترون صاع الحنطة بعشرة دراهم رجعتم تشترونه بخمسة عشر درهما او اكثر
وان كنت تشترون من المذكور اربعين بدرهم مثلا رجعت تشتري بها الان عشرين او اقل وقس على
هذا جميع الفوائد من حيث كونها فوائد لا يشترط فيها ان تكون كذلك في العاقبة بل يكفي في
كونها فوائد ان تكون كذلك الان في نظر المعتاد اياها بمنزلة التاجر الذي يقال له تجر بشغف فلان

بكلمة

فيما جاء اورد عليك كتاب ... معلم ... يكون في ... عليك ... على ... والفوائد

إذا حصل بيد البربر الجاهل يرى أنه حاز بذلك ملك العراق وقد يجيئه الموت قبل أن ينكشف له سر
وينزع عنه ستره ويفتضح فيحصل له في ذلك المرة حالة جميلة ويريد يرخصه فيها وإن كانت فرحة قليلة وكذلك
ما تضمنه هذا الكتاب إنما نستفيد به فوائد نعيش بها أنفسا ونخرج بها في ظلمات كروب قبسا ومن الأمر إلى أن
يقيض الله تعالى من يكشف عن خفاياه وتلبيسه تحرف أمور وبعد الأمر أمور إذا أن يموت الحمار أو يموت
سايقه والإنسان لا ينبغي له الآن يكون إلا في وقته ولا يحصل له إلا راحة الأبدان الساكنة والأبدان مما يلحق البدن
التي استقبلت والمصائب التي ستنزل عقب المصائب التي قد نزلت إلا لم يبرح الإنسان خائفا من
تكررها واستشعار حلول منتظرها بأسباب أقدارها فيحمل هذا الكتاب وأمثاله غيره فيحمل اللعب
بالكعاب والاتقاء عليه البلاء إذ لا بد له من أن ينفق عليه ما سبق به القضاء وتقول العامة ضرب تبنى
في الراس تقوس **وبعد** فقد بلغني منكم كتابان اثنان أحدهما مختصر والآخر مطول وقد
أعجبني ذلك المطول كثيرا وتعرفت منه أمورا منها المسألة التي لم يوافق عليها سبيل وكان
وقولكم فيها بحال كما لا ولو أن تضمنه سلمته الصواب فيه أن تقولوا ولو أن تضمنه لو وافقت عليه
لأن الموافقة مع المطلوبة ومن التي فيها تعويقه وأما التسليم بحاصل فيما يظهر وأما البراءة
التي أتتني طي كتابكم فلم أعثر لها على حقيقة ولا عرفت لعجيب رموزها كثير بعقد وكان فيها رجل أقدر أن
يقف النظر فيها كما يتنكر الكبش في النارنج وغمي على الفص مثنا فيها سوى الحبير وخصوصا
ما فيه منها علامات الأعداد وحروف أبجاد وأما الكلام الأخير فلم أدر فيه من نظمه تفسيرا لكني لا
أعتمد عليه ولا أركن إليه وعرفوا بهذا إذا انتهيا بغداد فبلغوا عني السلام وتقولوا له يقول لك فلان
والله ما أخلت عليك بسر الأمر إلا بكنوى وقد زال قلبي تشتعل منه من أن يشتغل إلا بالإنكار عليه
ولا الاعتقاد شيء وهما تشبه أهل الجهل المركب فيه ولكني رأيت كلامه كثيرا ما يعتريه ويعنى القلب
ويتعب وحينئذ لا يحصل منه شيء ويشبع هذرا ولا يثلج به خاطر ويلا كيف ومن أين قال في ذاك الكلام
الأخير وكل غير قاطع وكل قاطع معذب نافر وهذا ينعكس لا محالة إلى قولنا كل معذب نافر
قاطع وكل قاطع غير والأغيار كلها لا حاجة بنا إليها باعتبار مقصودنا وأيضا قولنا بأنه قصد
أن تعلم رموزه وأن تستقر دقائقه وكنوزه والظاهر أنه لم يقصد ذلك لأن كلامه لا يجري على
أسلوب واحد لأنه تارة يتنازل حتى يقول القائل هو في بيانه لك مسترق وتارة يستعلي في الجو
المتخرو وهذا مثل اللاعب بألقاب الناس موجب لها حصول الإشكال والالتباس كحال الطلاب
الكيمياء فبينما أنا في كلامه أخلع وأعبط وأخبط وأخلط وأتوقف في كل جملة واستنزل معاني
كلامه بلطائف الحيل وأكابد في حمل مجلدة التعب والنصب وأكد في الذكر فيه بالقلب والعيش

اذ انه لبث عنده صبر التبري بخفي حنين ولا يكلف الله نفسا الا وسعها الاكابر الشيوخ هم الذين يلبسون
الحرير ويغربون البعيد وقد يشعر منهم الزمان والمكان وكما روي في خبر كان وكلام الششتري عندي
اقرب ما اخذ من كلامه اعني كلام ابن سبعين واما ازجاله ففيها حلاوة وعليها طلاوة وهذا على
عنى في هذا الامر ومنه تعلم مذهبه في الكتب التي سميتموها لذلك الشيخ لو قدر ان نقع بين الكتب
التحليل على مطالعتها من غير ان اعرج من ابي في ذلك ولا اتكلف استنساخها ولا ابتياعها
يتمنى له بال وما ذاك الا الماما فلتنه لكم واما مقطعات الششتري وازجاله فلي فيها شهوة والميل
اشتياقا واما تحليتها بالنغمة والصوت الحسن فلا نسأل باه فقد ينفع ان تقيدوا منهما ما وجدتموه فلا تعجلوا
ذالك ولا باس اذا استحسنتم شيئا مما ذكرتم من تلك الكتب وقدرتم على نسخه فلا تغفلوا ذالك لان الشاهد
يرى ما لا يرى الغائب وطالعوا بهذا الكله ذالك الرجل وولي توفيقنا هو الله عز وجل وقول الشيخ
ابي مدين في رؤيا ذالك الرجل حين سأله الشيخ ابو حامد فقال له ما روح اللازم فقال نكاح اليك نكاح
اليك الكليم عندي انه خاطب بهذا الكلام ربه عز وجل الا في حال اضمحلال كونه ووجود نفسه
ووجود الشيخ ابي حامد وهذا هو عين الجمع الذي يشير به القوم فلما اتصل في هذا المقام من شهود
ابي حامد بعد العز في المرام جرى على لسانه ذكر حاله الذي هو فيه فقال نكاح اليه فنكاح اليه وتكراره
ابدا ابدا بغلبته منازلته ولقياه ولذا الافعال الراك بانه بغشيهم نور عظيم فاخذتهم الملائكة
ولا يكون هذا الا عند مفاجئة التجلي واستيلاء الفناء والتلاشي وكانت اسئلة الشيخ ابي حامد
موجهة لترقيه الى هذا المقام الكريم وقريب ان يكون الشيخ ابو مدين خطابه ذالك الى النبي
صلى الله عليه وسلم او يبقى على كنايته من مخاطبة الشيخ ابي حامد وسواء قدرنا مقام ابي حامد
اعلى او مقام الشيخ ابي مدين اعلى لان في هذين الوجهين بعدا وفي تقرير حقيقتها طولا لا كثير
ما قد منناه ان لم يكن الناسخ حرف الكلام فقلب المقال كما فقد يمكن ان يكون نكاح اليه بالهاء
ويعود على الله عز وجل ولا يحتاج فيه الى مؤونة والله تعالى اعلم بهذا كله وبحقيقته واما كلام
الشيخ ابي مدين ومراجعة الشيخ ابي طالب له في ذالك في الرؤيا الثانية التي وقفتم عليها في جزء
لبعض المحدثين مجهول فمن كله ولا يخفى على من شم شيئا من علوم هذه الطائفة فيقيم من فنون القوم في
هذه الطريقة وانت تعلم حالنا مع ما كان من هذا الجنس اعني المرائي النومية وانا لا نتتبعها ولا
نبحث عنها وان ما كان منها فيه نوع علم كهذه الرؤيا لم تتوجه الهمة مني الا الى ما يلوح منها
من غير وجوه واذا علمت هذا عرفت انا لا احدج نفسي فاثلبه لما طلبتموه مني من بيان
ما اشكل عليكم من ذلك الكلام كله او بعضه وما اقتصر لكم في هذه الحكاية من ان مقام شيخك

ابو مدين ارفع واعلى من مقام ابي طالب وابي حامد وان سيدي ابا الحسن انشادها على حسب ذالك لا يشق
لاغبار وقد يكون ذالك صحيحا واي شيء يستنكر من مثل هذا وانا نجد بعض المتاخرين من الاولياء قد اعطوا
من اللطايف ومنحوا من العلوم والمعارف ما لم يصل اليه في ذالك اكابر المتقدمين وخذ هذا من قول ابي
بكر الشبلي رضي الله عنه في ابي يزيد لو ادرك زماننا لتاوب بصبياننا او كما قال ومن كلام ابي عبد الله
الترمذي الذي حكاه عنه صاحب كتاب لطايف المنن او فوائد من تلخيصه ونبيه كمال عمر بن ... هنا الله
مما معناه ان الاولياء لا يزدادون مع كمالات العشر الاخر مع استيلاء العسماء على الامم الا استفادة
وظهور او تعلق في كلام سيدي الحسن وسيدي عبد القادر وسيدي ابي العباس المرسي ما يوفيه كلامهم في بلوغهم
رتبة الكمال التي اعجزت احاد الرجال ولم يقع مثل ذالك لاكثر ممن تقدم ربنا ما خلقت هذا باطلا
سبحانك وقد يمكن ان لا يجعل بعض الرؤيا حكم مثل هذا ولا يوخذ منها ما ذكرتموه لان للرؤيا اسرارا
واغوارا الله اعلم بحقيقة امرها وانما المعتبر في هذا الكشف والشهود الذي يكون للاولياء فيه تدرك
تعرف الاشياء وتتبين مراتب الاولياء هذا ما عندي والله تعالى اعلم **واما** كلام الجنيد الذي نقلتموه
من طرق نسخة كتاب الترمذي ونحن ان اكون نقلته في الكتاب الذي ذكرتم حيث يليق به فعلي فيه نظر
لان الحديث ورد مطلقا في اولها ومقتضى التعقيب لذا والتخصيص وابقاه على الاطلاق وعمومه اولى
والله تعالى اعلم لتنا العباد في الوجود من سعة الرحمة وشمول النعمة فيتناول الحديث كل فقير وكل
غني فيهما الحلية دخول الجنة فالفقير العالي الرتبة الذي اشار اليه ما نقلتموه من كلام الجنيد يدخل الجنة
قبل الغني العالي الرتبة في الغني كالمؤثر المتصدق وما اشبه ذالك نحو ماية علم والفقير الذي
هو ادنى رتبة مع الغني الذي هو ادنى رتبة كذالك ولا مانع يمنع من هذا مع بقاء الحديث على الاطلاق وعمومه
وليت شعري هل فيه الفقير بتلك الصفات ايدع الغني على الاطلاق ام يقيد له فان ترككه على الاطلاق لم يستقم
ذالك لان فيه ايضا مراتب لا تكون نسبتها مع ما ذكرتم نسبة واحدة وان قيد عاد الى ما قلناه
ولعل هذا النوع من التضعيف في تفسير الايات والاحاديث لا احبه كما لم احب التضعيف الذي
قيده الامام ابو حامد حين تكلم على الخشوع وحضور القلب في الصلاة وروى ان صلاة من لم يحضر قلبه
فيها ساقطة عن درجة الاعتبار موجبة لصاحبها الخلاء والبوار وان الفقهاء انما قصروا مع الناس
مضاء الحكم الدنيوية وان المصالح الاخروية ليس النظر فيها من شانهم وهذا شيء لا احبه لان الناس فيهم
الاغبياء والبلداء وعوام وخواص والتكاليف الشرعية شاملة لجميعهم وقد وسع الله الرحمة واسبغ عليهم وكل
احد يأخذ منها حظا وافرا على حسب حاله ومقاصد الفقه للايقاد على حمل الجمل ابل الصواب عندي
ان يقال من اتى بالصلاة على الوجه الذي ذكر الفقهاء فقد قام بالواجب عليه وكان له ثواب مثله

Digitized by Google

وقرأته بالصلاة كذلك وأطلق ابيها ما اشتركه الامام ابو حامد ومعنى ابطأ حجبه عنه وهو
مثاب عليها وعلى ما اعتمد فيها من المراقبة والحضور اضعافا مضاعفة فلو كلف الناس كلهم ان
يصلوا على النحو الذي ذكر الامام ابو حامد لم يقدر على ذلك اكثرهم بل لم يوجد منهم واحد من الف
فالكلام الذي نقلتموه عن الجنيد رضي الله عنه لو صح عنه او رايتموه له في كتاب معتبر لا اجيبه
نفسي فالبلية على نقله في الكتاب الذي ذكرتم فقد رايته حكم كما علمتم وقد انقله للاستخراج فمنه معنى
غير ما ذكرتم من ذلك التفسير والتخصيص واما ما ذكرتم من ذلك بالنسبة للعلة التي ذكرتها فكيف
وقد انضاف الى ذلك انه منقول من كراسة كتاب ليس له راس ولا رجلان ولا يدري من نقله ولا من
كتبه ومثل هذا اليسير في كتاب منه شيء والحمد لله لا موفقا او موضعا وأذكر الآن من ذلك
كلاما كنت نقلته من كتاب كان الذي عندي فيه حكايات لم اعرف مؤلفه وهو ذو خط مليح
وترجمة فيه تراجم بالاحمر وعلى ذهني انكم قلتم في ان والذي رحمه الله كان من كتبه ولكن الذي
نقلت منه انما هو كلام معناه كالمجمع عليه فلم احتج الى تصحيح نقله وثم موضع آخر نقلته
من كتاب الترمذي الذي كنت استعرته من ابن فلان وهو كلام مذكور عن الحسن في صفة الفقيه
حين قال فيه هو كذا وهو كذا وعدد صفات حسنة كثيرة لم اره مجموعة الا في كتاب ذلك
الكتاب الذي رايتها في خط فلان وهو ممن تعلم ضبطه واتقانه مع ان بعض تلك الصفات
او اكثرها قد صح نقلها عن الحسن ولا يبعد ان يكون في كتاب بناء من هذا الجنس موضع لا اعرف نسبته
فهذا كله هو الذي منعني من نقل ذلك الكلام مستدلا به على ذلك المعنى من التخصيص
وان كان قد تضمن من صفات الفقراء المتحققين في الفقر ما يعترف بحقيقته كل ذي لب وذي
انه تكون مثل الهبر او كجالب التمر الى خيبر واما ما استبعدتموه من مصنفه الباجي
وبالحاجة بعد الالتماس الى مناكرة طاعن على الامام ابي طالب بكلام الخطيب فيجحد
بشهادة الباجي له واما في تقرير منزلته وعلو درجته فلا او لو كان الزام له غير مطعون
عليه لان هذه الطائفة بينهم وبين غيرهم في ادراك تنازعهم التي يعقلها حدود وقد يخرجون
شيئا كثيرا في القريبين منهم من خواصه من يصيبوا وجه المدح به وانا قد حوا بمثل ذلك
وقد يذمون بما يمدح به ويمدحون بما يذم به لاستغنائهم وعدم استنباطهم كما قال
ابن منزل في قصيدته البديعة [illegible] ونعتها غاية ما يعجز دونه [illegible] يهوي من الخصر مثلا
يشتكي من الكفل [illegible] الى بيت ذلك مما وجدته كان في تقديمه ان الباجي متقدم بالزمان على
الخطيب بن ثابت فلان استغربت ذلك بحيث روى عنه واما رجوعه الى الرواية

مع كثير

فيه

والتشلشل

Digitized by Google

والتشاغل بحرفتنا واخترنا الاخذ بهذا وغيره في الادب فالاقوال فيه وكل احد اليوم حامل بنفسه
ما فضل عن الكسب يقطع وقد فاته كلام محققي المتصوفين من جهة العلماء اشتغل بهذا وبغيره من
انواع الفضول وانما لم يكن محققي المتصوفة انحصر وكثر ولبثه في ذلك الامر ولم يكن فيه منتفع
لغيره واذا لم يوجد اليوم احد فيه فالبلية لعمل فالح خال من الهوى والشهوة يتعبد به
لربه عز وجل في وقت اعراض الناس عن ذلك ورغبة ايلهم خلفه كهؤلاء فالامر رحمه
الله تعالى فاذا عرفت هذا ولم يكن عندك اعتبار لحالك فاشتغل بالرواية او بالقراءة
او بما شئت من انواع الفضول فانك لست بنافع فيها ولا زائد انما هو وقت تقطعه كيف
ما اتفق الا انك تستحب قطعه بما اليق كما ذكرته وغيري ممن الف فقطعه بالفضول
والمجون كذلك وانما العزيز الذي هو بمنزلة الكبريت الاحمر والذهب الابريز من وفقه الله
تعالى فحرق همته نفسه عن الالتفات لمن يقابل بها قولا وهجر بمرتبها في اخراه من غير ان
يكون له فيها غرض دنيوي وقولكم لو كان فيه نجيب لاضربت عن ذلك صفحا في جملة من
اي شيء تجعل المجيب اتدخل الخلوة على تم ام تريد غلوا سنيا كلا لست بشيء دون الداخل
فلم يبق الا القيل والقال وجميل كشهر بنا من الاوزار والاعمال الثقال بالغرور والاطال
والكذب في هذا الامر كله لعظيم وباء والمعتقد بلطف لنا في القضاء وقولكم مع ان اهلها
تعب بذلك اهل الرواية لهم تصريح باحوال اهل الحقيقة صحيح ولكن لا ادري اين اهلها
اليوم الذين لا يكذبون ولا يموهون ويكون لهم العقل الرصين والادراك المتين في حقيقة ما
ينقلون ويسلم مع ذلك الانسان في مجالستهم من مسارقة الطباع وتغير الاوضاع
ولعلة فيه عليكم فيهم من حيث لا تشعر وقولكم ونحن بحضرة اهل الفقه فان عندهم
غلطا وعدم شفقة صحيح ذلك الانتقاد والله تعالى اعلم ولكن ان اردتم ايضا فشانكم
وايام وقد بلغنا كتابكم وتعرفنا منه حالكم وقد كنت اظن ان شيئا من
ذلك لا يدرك ان يقع فالحمد لله الذي قدر لي الامر بما اجراه على يدي فلان من الخير حين جمع بينكم
وبين هذا الرجل ولم تعقلوا شيئا مما ذكرته له فلذلك المسألة وقع لكم في انكم لم تذكروا
له انكم سألتموه عن ذلك او جاوبتم عليه لانكم وجدتم بعضا لذلك وما اختلفتم به من انكم خفتم
ان يحصل منه ما يوجب اعتراضا وانكم لا تعتبرون ذلك فليس بشيء وان ضرر يقع في الوجود
اذا اعترض احد على كلامه وما كتبت كل ما كتبت وجرى به القدر ونفذ به القضاء الا وقد جعلته
هدفا للاعتراض ووقوع المقالات من اصحاب القلوب الصحيحة والمرض الا لم يكن ذلك فلا يسكن

لاتجالته واجلالا كرامة كان ذلك عاجلا كان نصف العمر لانه اعرف بهذا الامر مالا وما علي وفوليس
نصف العمر بل ازاد ليس عندي من ذلك ملك ولا نصف ملك ولا ربعه ولا ثمنه ولا عشره ولا عشر عشره
بل انا محب لذالك لما فيه من تكثير الكلام وان كان من جملة المزاح والله تعالى يتجاوز عنا بفضله
ومن الغريب ما رايت في كتابكم حتى قضيت منه العجب ورايت ان كتابكم هذا بسببه بان كل ما كتبتم
في من كتب لما اشتمل عليه من زيادة لا يقدر ان ينتفع بها الا من نشأ في ما عنده ومن في السماع التي
لم تزالت بعدوا ما لوا انت لا ادري ما الذي كان يكون الحال وذالك قولكم حتى انه اوحي لو حبست عنكم
شيئا من المشاهدات واطلعت عليه من الاخبار بالمغيبات بعد تقرير ما اردتم ان تقرروا لما مس
حرمتكم على ان لا يكون الا حرمتي يتصف بصلاح او علم ذكر معي فصرامنكم بذالك الى من الناس الذي واخبرتم
عني لانهم لا ينفعلون الا الزالة وهذا الكلام منكم يحتمل وجهين احدهما وليس بظاهر من
الكلام ان لا تعتقدوا ان الا موجودا عندي ولكن احببتم ان يوجد ذالك لي وتجعلوه عني من اجل
ذالك الغرض وهذا حسن وغرض صحيح مستقيم لو سلمتم من الجهل بجاه الذي استولى عليكم والثاني
ان تعتقدوا وجود ذالك عندي الا انكم جهلتموه فتريدون ان تعرفوه وتجعلوه لتذكروه لغيركم وهذا
الوجه هو الظاهر من كلامكم لانكم قلتم لو حبست عنكم ولو اردتم الوجه الاول لقلتم لو وقع
منكم وحبست كذا وكذا فبان كان هذا مرادكم فقد جهلتم من وجهين احدهما اعتقادكم ان مقام
الولاية لا بد وان يجري على صاحبها شيء من خوارق العادات على النحو الذي ذكرتم وليس ذالك بلازم
مطلقا وانظر هذا المعنى عند قول ابن عطاء ليس كل من ثبت تخصيصه والثاني اعتقادكم وجود
هذا المقام لي ان اسكت ما عندنا واخفي الكلام عليه لان كل ما اتكلم به في محاولة ازالة هذا
الاعتقاد منكم لا تحملوه على وجهه ولو بلغ في التحرير والخصوصية كل مبلغ ولا بد لي ان اخليكم
في هذا المذكور من ولايتي ومن حكاية هي الاخبار الذي ذكرها كلامكم ثم اعقب ذالك بشيء من المزاح معكم حكاية
اهل بيتنا من نسبي ولو كنت حاضرا معكم استغنيت عن شيء من هذه الحكايات بصوت ربح مستشنع
يخرج من دبر الشخص لان ذالك في المالوف من العادة ابلغ في المعنى المقصود به من كل كلام ملفق
وقد تقدم ويكون لي في ذالك اسوة وقدوة بابي ذر رضي الله عنه فانه فعل ذالك الا حين راه الاقراء
بعض الناس يتكلم في الزهد وعليه ثياب رفاق وازار حاشية بادية عليه اهبة العابدين
وانا اخبرتك بحكاية كانت وقعت سمعته قبل هذا وهو ان بعض المشايخ رضي الله عنه كان له تلاميذ في
بعض الايام نوع بسط وتمام انشراح وقد وجدوا ما بينهم لان … اغتنموا
ذالك منه … من حال المشايخ انهم يتحفون تلامذتهم بتحفة يزداد بها يقينهم

وابلانم

م ذاك

م ذاك

خ ما طلبه

وإيمانهم بكل ما يفعله مشايخهم وذلك بأن يذكروا لهم شيئا مما اختصهم به مولاهم من أنواع الكرامات
وسني الهبات وعثروا من ذلك أشياء من نحو الطيران في الهواء والمشي على الماء وإجابة الدعاء
وغير ذلك ونحن نريد أن تذكر لنا شيئا مما أكرمك به مولاك وأخصك فلما سمع منهم
أطرق قليلا ثم رفع رأسه وقال لهم نعم أنا أخبركم وأحدثكم وأذكر لكم الكرامة التي بها أكرمني
والخصوصية التي بها اختصني وهي كونه أمهلني ولم يرسل علي صاعقة تحرقني أو طوفانا
يغرقني أو بابا من الأرض يبتلعني فهذه هي الكرامة التي بها أكرمني والخصوصية التي بها اختصني
فخذوا ذلك أو دعوا أو كما قال لهم هذا الشيخ رحمه الله تعالى عن الخير إذا سمع هذه الحكاية
ولو كنت شيخا لقلت لك مثل ما قال هذا الشيخ لكني لا أعلم النحو الذي قاله ولما قلته للعلي النحي
إن قاله لأن لصحة هذه المقالة شروطا لا يتيسر عندي منها شيء أفردها أحسن الظن بجميع المسلمين
وليس عندي من ذلك إلا أمرا أو أمرين وأما المزاح إلا أن يريد أن فرح فعلكم حقيقة حكاية أحكيها
لكم عن بعض وهي أن رجلا ممن يحسن الظن بي مرض له ابن وابنة في هذه الأيام القريبة كان يحبهم
حبا شديدا والولد أكثر فجاءني فلما جلس اشتكى إلي بأولاده مرضا وبكاء وبينه حناء من سبع أن أرقي
له ذلك ليستشفع بي لهما ووصف لي مقدار ما بلغ به وجع عليهما فأجبته إلى ذلك وجعلت
ما طلبه مني ثم انفصل عني وهو يرى أنه قد حصل على مطلوبه وبلغ القصد الذي رغبه فلم يكن إلا يسيرا
فإذا وإذا بي قد جاءني وأخبرني أن ابنته قد ماتت فحضرت جنازتها ثم بعد ذلك بيوم جاءني
وأخبرني أن ابنه قد مات فحضرت جنازته ثم جاءني بولد له بقي له أكبر من أخيه وقال لي
خادم يصعده فقد عوفت له فلم يلبث إلا يوما وإذا به قد مرض ثم دخل قبره في اليوم الثالث وحضرت
جنازته فهذه صورة من صور الكرامات صدرت مني رضي الله عني فهذا الخبر ثم اعتذر لما خبرني
بهذا وما أشبهه ولو كان عندي شيء مما يخالف هذا الخبر لكم بعيد ولا أبخل به عليكم والظاهر
من حال ذلك الرجل الذي مات أولاده ببركتي بقاؤه على حسن الظن بي ولا تعجب من ذلك فقد وقع
مثل هذا لي إلا الرجل الحنفي جاءته امرأة ذات يوم بابنها له ليدعو له فما جا البركة ثم رجع
إليه من الغد فأخبرها أنه سقط في البئر وأنه غرق فدعا الذي وسأله أن يزيد في عمر المولود
وأن له أن يطول عمره فجعل عمر الولد أربعين سنة ثم رجع إلى منزله مسرورا فوجد ابنه يعالج
الموت وقالت من بعده وصار على عينيه رجل استشفى بشيخه فأصابت عيناه ومسح رأس
صبي فطلع قرعا فاحشا وفرع نخل مولود ولد له بعد ذلك وقع هذا كله لم يمتنع فإنهم من أن
يقول في حقه * كم آية لك فيهم * كالشمس تطلع من غمامة * وأذكره قوله تطلع من غمامة

Digitized by Google

صاحب الغمامة الذي رواه في توحيد فلان والمراد منكم ان تقولوا الذي يقول لك فلان فقد قال النبي صلى الله
عليه وسلم لا يبلغ المومن من خير قرتيني وانتهى الخ كان لك فيما اخلاق الزمان فتبوع تتبعه وتفتش
به ثم خرجت لما بترا لك منه فيما يأتيك ان يكون مثل الآخر مثله او شر منه فلا تعتمد على كل ما
قرأته في المناقب ولا تلتفت الى الصفات لاصلاح وتقول العامة الميالة في العزاء ولا الشرح الا انزر
وقوله مثله او شر منه كلام مكمل لا بد من تقييد لانه او فيقيد على حقيقة قبل حصول النسبة
ومولم يعقله الك ولو بعد تحقيقها في النسبة وتمام الخاصية وفضلة والعجز واستغفر الله
العظيم من ذلك كله **وبعد** فقد بلغني كتابكم وقد تعرفت منه امورا منها ما استوفكم
لتلك المسئلة التي كان حرفها فلان بنصها ولو نقلتم هذا ولكنتم احتمونه من الكلام فيها
بما تكلمت به ولكنتم ابدأتم فيها حزبكم بعلم ما لم اكن اعلم من تلك الروايات والخطابات
التي ابدا لما النصيحة المناقضة له الشيخ الحاتمي رضي الله تعالى عنه ومثله يتكلم بذلك
الكلام النفيس البديع واما الكلام فيها فقد خشني ربي وانا فيه بمنزلة الخراز اسلمي
يشبع في حرز النقب ولا يتجاسر يخرج عنه فيصلوا ولا اشمالا والله تعالى يلطف لنا بعطية الاتيني
في ذلك الكلام واعتقد فيقين هذا الشيخ الذي ذكرته والتوهيم الذي توهمته هو ما توهمته انا
والاعتراف الذي اعترفت به انه اخبر الله اعترف انا به وهذا القدر في حقه كاف شافي والحمد لله
واما ما ذكرتم من حال فلان في التسليم خلاف الموافقة وحيرتم يخرج بالموافقة في التسليم
لا ينفع في تلك المسئلة اذا نفيت عن جاء حتى يسخره الله تعالى فيجمعها بالموافقة والتسليم
غيرها بل امنه لا ينفعني ولا يضره الا ان دعمها فلان ولكن اذا دعمها فلان بل جمعها فلان بالضرورة ولا
مطمع في تسليم فلان فلا مطمع فيما يتبع ذلك فيفيت المسئلة اذ المكانا فلنت لكم من المعرفة
ولا فوق ان ابالية واما الكلام الذي يحتوي عليه من كتاب فلان وفيه يمنع عندكم ولم تعلقوه من يدكم حتى
تحققوا عدم صحته فاعلموا ان الكلام في نفسه صحيح انما تحقق ذلك الشرط الذي اشترطه او لا
وتحقق ذلك الشرط هنا ومتى اشتبهنا الحال في العادة فاذا لم يثبت تحقق هذا الشرط فبنا
وترابنا ذلك المقصر اجلك فقد رأوا اشر من خطرا وانما تتشوقوا اليه وتميل لعبتنا عليه
ويحرف انفسنا بتحقق الا الشرط فبنا على وجه الاعتذار ويحصل بسبب نفاذ الا الكلام
وشوهاوه العساده ما لا مزيد عليه بل ربما ادى لعنوا وتعقيبه الى ولهم ان في كتبكم التي
عندكم من تلك المعاني ما لا يحصى كثرة ولكن ما عندي ما اعمل انما غلقت لكم الصوفيا كاد يجيبكم فيه
هذا الصوت فان طار ما كم هذا وواحد من الصنفان يعرض عليكم امرا انه لا يتركونها يقول ومثل

عنه

بيمتزع

فتنو

تنور عليكم تلك الاخلاق المباركة فتزدون غبطة الجماع على البدع وان سكتت عن ذلك فيه فايدة
والله تعالى للجميع ولي **واما** ما سألتم عنه من العبارات التي ذكرها شيخنا ابو القاسم الجنيد رضي
الله عنه ونفعنا به فالامر فيها قريب فان شئتم جعلتموها شيئا واحدا وان شئتم جعلتموها
متغايرة مترتبا بعضها على بعض وكلام العارف لا يلزم منه ان يكون مختصرا ولا ان لا يكون
مكررا والظاهر انها متغايرة مترتب بعضها على بعض كما ذكرت لك لان قطع العلائق امر
متحقق ومتأكد ولا يلزم من حصوله ان يجتمع الهم ولكن لا يحصل اجتماع الهم الا بقطع العلائق فقطع
العلائق اعم وجمع الهم اخص وكذلك من قرر الجمع همه وانقطعت علائقه لا يلزم ان يحضر مع
ربه ولكن حضوره مع ربه لا يتصور الا بجمع الهم وقطع العلائق فهو اخص منهما وهما اعم
منه كما يقال قرشي وهاشمي وعلوي فالقرشي لا يلزم ان يكون هاشميا ولا الهاشمي لا يلزم
ان يكون علويا والعلوي فيلزم ان يكون هاشميا وقرشيا والهاشمي يلزم ان يكون قرشيا
على ترتيب تلك الثلاثة الامور من حيث السالك لان اول ما يؤمر به قطع العلائق وهو كل
المأمور به فاذا قطع علائقه منّ الله سبحانه فيجمع همه ويحضر معه كما قال تعالى
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وحال المجذوب شيء اخر **واما** ما ذكرتم من
انصراف همم الناس الى ما ذكرتم فالناس على دين الملك فالله تعالى يصلح الراعي والرعية
ويوفقهم جميعا الى الاعمال المرضية **وقد** بلغني منكم كتابان اثنان اما الاول
فبعثت بجوابه مع رجل كان ساق الينا كتابا من فلان واما الاخر فبعثت بجوابه مع اخيكم
فلما كان الان جاء الينا الرجل الذي يصل اليكم ان شاء الله تعالى هذا الكتاب على يده ولكنه
الرجل الذي كنتم بعثتم معه الكتاب الاول منهما وطلب مني كتابا اجوبه به وقد رأيت فيهما
ان يجيء بكتاب ويرجع بلا كتاب ثم اني طلبت ما الذي كتبت لكم به فلم اجده لان نسخته
الجوابين استوعبت فيهما ما يحتاج اليه من الكلام فعلمت اعلم ان تجديد السلام فيه
البركة ولا ينبغي لاحد ان يستحقر هذا لما تضمنه من اسمه الكريم جل وعلا واسماء الله تعالى
يتيمن بها مقولة بالاسان ومرقومة بالبنان ومذكورة بالجنان اسماء عظيمة كريمة
اذا استصحبها احد كانت له عوذة وتميمة يستشرع موتها عن نفسه شر ما خلق رب
الفلق ويأتي بها مستصحبها من السرق والغرق والحرق اسماء جميلة مجملة اذا انشرح
بها قلب عبد اوجبت له احوال الاسترسال رشيدة من رغبة ورهبة وانس وهيبة وقبض
وبسط وسكر وصحو وغيبة وحضور وفناء وبقاء وغير ذلك من احوال الاولياء والصالحين

جمع

بل

ثم يترقون من ذلك الى احوال شريفة توجب لهم الوصول الى مقامات عالية منيفة ورجعها
الى شهود التوحيد والتحقق بالتجريد وصفاء التجريد ولذلك يلهج بذكر اسماء الله تعالى
الاحباب ويصغي الى سماعها اولو الالباب فاذا انجلت لهم معانيها لم يكن بينهم وبين المسمى
بها حجاب فعند ذلك تحق الحقائق وتحير الخلائق وتتسع المضائق ولا يكون هناك
شيء من العوائق والعلائق فليهن صاحب هذا ما حصل له من الخلائق الاثير والعز السرمدي
قال الله عز وجل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين مع قوله من كان يريد العزة فلله العزة
جميعا وهذه عبارات مشيرة الى معنى ما حكاه ابن البناء عن الصوفية من تمكن المذكور
سابقا في العلية مدبر الامور من حيث لا تكتفي ولا تكيف فلا فتنتفع بذلك ولا تطمع في الزيادة
عليه اذ هو شيء لا حاجة بنا ولا بكم اليه ولا فائدة الخمرية فجلف ان يتمثل ولما تعنت ووصف
والاحرية تقصر سعة عن ان يعبر عنها بلفظ وحرف حتى راع ذلك وقع في الشطح وحصل
في مهوات من الخطا والغلط فسقط بذلك في جملة من سقط وهذا كله كلام سمح به الخاطر
في هذا الزمن الاخير وهو نقص بسبب انقباض الخاطر فانعق العسل ولا نسل واحمد الله عز وجل
وهذا الكتاب وان كان صغير الجرم فهو كبير على التحقيق لما تضمنه من ذكر الله تعالى والتنبيه
على الثناء على اسمائه الحسنى من غير ان نمزج ذلك بشيء من الكلام الغث المتعلق بالاغيار
والاكوان * فكل كمال البشر فيه نقيصة * وكل حديث البشر عنه تغير * ولولاه لم ينطق
لساني بذكره * ولولاه لم اسمع ولولاه لم ارى * واعتبر ما ذكرناه من الكبر والصغر بالبطاقة
التي توضع في كفة الميزان فترجح بها وتطيش السجلات التي كانت مجعولة في الكفة الاخرى
وذلك لما تضمنته من شهادة التوحيد جعلنا الله تعالى من اهلها في الحال والمآل
بمنه وكرمه والسلام الذي يليق بهذا كله بتسبيبه معاد عليكم ورحمة الله وبعد فقد بلغني
كتابكم وتعرفنا منه امورا منها ان فلانا اخذ في نسخ ذلك الكتاب فحفظه الله تعالى
يجزيه خيرا ومنها انكم قراتم ذلك الكتاب الذي فيه الا وجد الثلاثة على رجل لم تسميه
في الانكم اثنيتم عليه بالعلم والنبل وان فلانا وفلانا وفلانا كانوا يثنون عليه ولو عرفت
اسم هذا الرجل لكان حسنا وقوله لكم حبيب باسمه في الكتاب وجاء على خلافكم والله ما
كنت الا اجد من ذلك في نفسي شيئا لا اسميه اما اذكر او من انه يتصور له على صفة ابو فيد
يهوديا ونصرانيا او الا ذلك بقي في خيال الي ليتمنى في كلامي ما ينبغيه ولا ما ينبغيه لان الذي تكلمت
عليه معنى الالام التي تذكر عند النزع وما ذكرته هو من جملة الكلام التي يخاف منها اذ ذاك

م اربابٌ

م تعلى

م ذكر اسم

كرؤية ملك على صورة معقولة أو انكشاف الغطاء في الشفاء والبشرى بشيء مما وقع فإذا زال ذلك
من الآلام البشرية فهذه شبهة والأمر بناه كذا ولا أدري من أين أخذ هذا من كلامه ولم أستحضر الآن
كلامه في ذهني ومنها ما ذكرتم حين رجعتم إلى كلام الشعيبي أنه فهم ظاهر كلامه من أجله لأنكم في
تغتذون بالعلقة تقولون بشرب الحليب لما هو أمر وأين اليوم من يجد الشعير لا يجد إلا
البقول وأما الفرح فقد كان من جملته لا ويبدأ التي يصحبها الطبيب للمرض وفوق لكم فإذا
اشترطتم ذلك أنظروا إلى تلك الحكاية التي فيها أن أمة عجوزا جوع فيها أبناه بأي شيء ردهما
كذلك ينبغي أن يكون العاقل فإن الشبع والتخمة وتكثير الأطعمة وأمثالها مضرة لصاحبها
في كل حال وأنتم وإن كنتم رجعتم إلى هذه الحالة فرضا فلعلكم تنقلون إلى أن يكون ذلك كله عادة
منكم واختيارا للحال ذلك الأجل وما ذلك على الله بعزيز وفوق لكم فلا انظر إلى الكلام
الكثير ومنى الناس من هو خير منه بالدين ضعيف يموتون جوعا فيجب أن تحمد الله وتشكره هذا
حتى منكم لا يستعمل سؤالا لأنه هو أين لما ورد في الحديث انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا
تنظروا إلى من هو فوقكم فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم وقد حملته أنا على عمومه
أعني في أمور الدنيا وفي أمور الدين وحمله غير على أمور الدنيا فقط والله أعلم بالمصيب في
ذلك من المخطئ وأما ما سألتم عنه من أمر المعاد وما عنيتم فيه فأعلم أن الذي عنيتم فيه
ما كنت أشرت به إليكم من أنه لا ينبغي أن يبحث عنه ولا ينظر فيه وإنما الواجب أن يعتقد
فيه ما نطق به الوحي من وجوده وصفاته وأحواله وتفصيلاته وأن يوقن العبد بجميع
ذلك إيمانا تاما فأما الباحث تفتيشا وتحقيقا وتدقيقا وأما النظر فيه هل هو جسماني
أو روحاني أو حسي أو معنوي فهو من الفضول الذي ينبغي أن يتجنبه أرباب العقول وحكم
من أخذ اليوم فيه عندي أن يكون في الرقاع إذ إنما حمله على ذلك ما هو فيه من الراحة
والفراغ مع أنه لو علم تلك الأعيان وكان علمه بها كالعيان لكان ذلك من العلوم التي
لا تنفع وكل ما لا ينفع علمه لا يضر جهله وبعض ما لا يضر جهله قد يضر علمه وإنما العلم
النافع بالمعاد وكذلك بكثير مما يتعلق بالاعتقاد أن يعلم ذلك كما قلناه على سبيل الإجمال
ومنفعة العلم بالمعاد إنما هي ما ينتج ذلك العلم للعبد من رجاء وخوف يبعثانه على
العمل الصالح والتقوى والإجمال في إثارة ذينك الأمرين أبلغ من التفسير لأن كل ما يحيط به فهم
الإنسان وعلمه فلا جرم بحسب قصوره يقل ما يترتب عليه من التأثير بخلاف ما لم يحط به علمه
ولذلك كان قوله تعالى نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم أبلغ

Digitized by Google

في الدارين الرجاء والخوف من الأمور التي لا نسبة بينها في الإجمال إلا بمغفرته ورحمته وعذابه كل ما اقتضى
منهما فمن الانسان أن تعيين شيء لم يستنتب لذلك الا بالاطلاع الذي فيهما وجوز وجود ما هو
أغلب من ذلك وكم في عصر كتب هذا أن الرجاء كما تبين أن ينبني الذي بمقتضى أغلب من الخوف من
وجميع الكتب إذا ينبني على ما ذكر أيمتنا رضي الله عنهم في ذلك ولا يعقل أن يكونوا ذكروهما
ولذا رتبهما الحديث تقديم آية الرجاء وتلي آية الخوف وتقديم الشيء يؤذن بالتهمم به
كما قال سيبويه والشان في الحي في آية الرجاء لعظيم إنها العلية وأسماء بذا الحسنى وذكر في آية
الخوف فعله بفعل وهو عذابه الأليم وبينهما ما بينهما وقد ذكر نحو من أنكم لن تقعوا على
نص الغزالي فيه وكذا لا أنا لم أقف عليه وقد ذكر في كتاب ميزان العمل شيئا يشعر أنه من خزائنه فهو
مذهب في اعتقاد الروحانية والله تعالى أعلم وقولكم في الكتب الأربعة لو وقع فيه الفناء لكبر لمن هو
نظر انجره تابعه ولو عرضتها في أبواب العلم ونادت عليها فيمن يخفي فلا يبقى من ذلك والجميع ما
عندكم فيه جولة مسموسة ولا أرى لمثال قررت بذلك فقد اعترفت بان عندي فنا الطبري مستطرفا من الياقوت
ومعلوم أن شيئا من ذلك لم تشتغل به عن طلب الذي الذي قبله زيد وعمرو ولم يرجع ذلك عندي
حوعا والاتراء والابراء والابطال الذي لا بد فيه من الأسرار الملكوتية التي تعتمدها بالتشوف والتوسل
والمجاهدة والخلوة والأذكار هاو الا العقد الأسماء ركون وإنما هو شيء حسن في عينه غاية ومنها وزنت في
استحسانه واستعملت مبلغ النهاية بحيث استحقرت الفناء الطبري المنتظم من الياقوت أو يعطي
فيه من غير أن يكون لذلك أصل ولا مقابل هو شيء أبوي في قلبك من غير كسب ولا فعل فاذا تقرر هذا
فلتعرف عندك أن كل أحد في أسمائه ما يهيئه وفي قيمته مثل قيمة الذي به شفقته لما كل جزء بما
لديه من وجوه محبوب راجع عنه أو تقبيحه له بقدر تعلقه إن أرشاقه ولا ينبغي لأحد إذا أن يجري من أجله
في حق أحد من شيء زين له ولو يكون ما ذكره من تخفيفا أو حرمان ولعنة في ذلك منه عند أن أراد أو طلب
عيشته معه وما أحسن المعاملة التي يعامل بها ولا من الناس في هذا الزمان لا حاجة إليه لا يمكن أن يغير
أحدا يطلق فيه لسانه بذم ولا عيب على ما أنا وأنت عليه من ضيق الفتح ولا ندري كيف نعيش في هذا
الزمان والله تعالى يلطف لنا بلطفه الخفي الذي ما لطف به لاحد لا عوفيت ولا كبير ولا أول جعلنا الله
الحقيقة رأيتها حاشا لله وحاله حاد ريش وعيش واحدا ولا افضلية لمتسع على ضيق ولا قيمة لية للضيق
على متسع إلا بما تقابل به قولاه أحدهما على الا غزو شيء بما بقابله به لا اطلاع لنا على كنهه وقد لا
يكون لنا شعور به ولذلك تجد أحسن العابد الذين تتميز نفوس العالمين تكون فيه خاصية محمودة
لو وزنت بالياقوت لو زنتها بما لا كندي بحق هو موقد في الحال المحمود ولعل بتلك الخاصية يستوجب

Digitized by Google

والله تعالى المنزلة العالية ويعتبر لسه بتشبيهها لكل حالة ردية وانما شفقت على هذا الكلام كله لتعادي
قلبك سالكنا ونفسك عادتنا اذا ذكرت لك حالة مع علام حبر جاء الى شيخنا والتعلم من ذلك انه في
سنو المعاني وربط بعضها ببعض صانع وكل طريق يتعدى الى الجامع ونعني بهذا ما قدمناه لك من ان
على احد عشر نفسيه جزء لا يتجزى ولعلك ترى فيها اذا ذكرت لك حالها مع علام يتحرك نفسك بانه كانت
فيه وفيه حالات وعنات لكلام يكون شيء من ذلك وانما الرجل جاء الى شيخنا وبقي يترددان او ثلاثة
ولم الشيخ معه ولم يلتفت فيه اما عدم التفاته فيه فهو الوجه لانه خادم والخادم له حق في ان يجاء
اليه واما عدم التفاته معه ولا اعلم له سببا معتبرا الا ان يلحقه الوقوف مع هذا التعبير ولا ادري ما الذي
يؤول اليه ذلك به والله تعالى يتجاوز عنه برحمته وقد لكم قد تسعني غرار المغربي في هذه الازمنة
فيهم انه غرار ما ذكرت لك والى لا الحق بواحد على ذلك الا انك لم تخبرني هل واجب عليه ولا
ان الاعدام اتقن ان يواجب عليه ولا ابلغ بعد من هو واجب من خالف فيهما والثالثة الا انا في ما يستقيم
وقع الفقر والحاجة في ذلك الرابع والخامس ان المقصود قد حصل واما ما ذكرتم من تكاسلكم عن الدعاء
بسبب تشوفكم الى القضاء والقدر وان الدعاء لا يرد ولا ينفع فهو قصور منكم وجهل لان الدعاء من جملة
الاسباب التي اجرى الله تعالى سنته بترتب المسببات عليها من غير ان يكون لها شيء ومنها جعل ان جعل
من اكل الخبز شبع ومن شرب الماء روي ومن جلس في المسيد او الكلام الى الكلام او تردد الى الفلاح في
الشراك والخطاع ربما يحصل في يده فما يكون فيه من اثر او لد وكذلك من دعا في شيء استجيب له وهذا
كلها امور عادية متساوية في السببية وقد قال بعض العلماء في قول من قال ايه فعل ما ادل الرجل
من كسب يوجع ان تنسب شيئا من هو بعضها الى الله تعالى بالدعاء عند الفاقة والحاجة فاذا كان هذا
كله اسبابا واحدا في اي شيء تجعلون البعض دون البعض وقد لكم ربما تغافلوا احد في الدعاء
لكونه اظهار العبودية ولا ادري اي شيء تعتقدون في وجه كون الدعاء اظهار العبودية فان
كنت تعتقد فيه ان تكون في حال دعائك معرضا مشترطا الا ترد لك في استجابة شيء على وجه عادتك
اذ لا يكون الفقر بعادته وانما تنادي بالدعاء لانه عبادة في نفسه فذلك اعتقاد غير مستقيم لان
فيه من الدعوى ما لا يخفى وان اعتقدت في وجه ذلك ان تكون في حال دعائك طالبا منه شيئا رايت
ان لك فيه مصلحة من غير ان تدعي استغناء من ذلك ولا سخاوة نفسك به ومن غير ان ترى دعاءك سببا
موجبا لحصول ذلك الشيء المطلوب دون الحكم الازلي فهو اعتقاد مستقيم سالم من الدعوى وتكون
في دعائك هذا الذي فيه طلب المآرب والحاجات مظهرا للعبودية لا يسبب لك في اظهارها سوى
هذا الذي بين لك بعون انه لم تنشغل عن مولاك بحال لان الله تعالى لما رغبك في كتابه في دعاء الى

خ هادنة

خ تعتقدونه

لنفسه تاركًا لها وتعريفه تشوفها وبرعونة نفسها عند ذلك وكان زيد يقع عند ضررها وعدوان اقتضى منه
عند وجود هذا كله ان ندعوه ونتضرع اليه ونلح في مسئلته ليرفع عنه ما اهمه من ذلك بل لما
خلقه وانقطاع لان تكون ملكا في الاخرة تقول للشيء كن فيكون وتكون من المقرب منه والدنو بحال لا يصفه
الواصفون ولا يعبر عنه المعبرون ولم يمكنك التوصل الى ذلك والتشاغل باسبابه حيلة ولا قوة
الا به اقتضى منك ان تسئله ذلك وترغب اليه فيه ليعينك على ركعة تنفعها وعلة حسنة
تبررها وتكون في حقايقه هاته من الامرين اعني الرزق والاخرى والحاجة وقيل العبد فيه
مطيع الله تعالى ومتعبد له بذلك ومواقف لمرضاته ومظهر للعبودية ومنافيا لحقوق الربوبية
ولا ينافي ذلك ان تكون مفوضا مشوقا راضيا لحال الاينافي ذلك التكسب والتسبب ومحال ان يكون العبد
بحال تسببه وتكسبه لا محبة له ولا ميل الى ذلك الشيء الذي يطلبه ويستجلبه ولا حرج على
بذلك لا اذا تغير قلبه واضطرب وتشوش عند عدم ادراك سببه اي مطلبه فينبغي ان يعلم
انه عاد مفلسا من تلك المقامات العلية ولو اخذ الزينة في صورة تكسبا وطلبا بالكلية
وكذا القول في الدعاء والسؤال وطلب الحاجات والنوم العرف فقال النبي صلى الله عليه وسلم
في بعض دعائه اسئلك الرضى بعد القضاء او كما قال صلى الله عليه وسلم فمقتضى هذا ان الرضى بعد
القضاء هو الحال المطلوب واما قبل وقوع القضاء فالجزع منه لا يضر لانه من مقتضى
الجبلة التي نحن وقوع البلوى والرضى به لا ينفع لانه حديث نفس ومجرد دعوى فان قيل
اذا كان العبد محبا فيما يحصل له بتكسبه وتسببه وهو غايته وطلبه ولا شك انه اذا لم
يحصل له ذلك ينقلب حبه بغضا لان محبة وجود الشيء مقتضية للبغض لعدمه
فكيف يستقيم لك هذا فالجواب ان ذلك صحيح ولكن ذلك اولا مما يجده بمقتضى الطبع ولا يلبث
ذلك ان يذهب ويزول لما يطرا عليه من جنود ايمانه ويقينه ومعرفته فيمنعه من ذلك ويصير
بمنزلة الطايف الذي ينهرم بالتذكر في قوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طايف من الشيطان
تذكروا فاذا هم مبصرون ولم يقل لا يمسهم ذلك اولا يصيبهم لان البشرية للانسان امر
ذاتي لا يفارق ومن شانها التالم والتاثر فقال الله عز وجل ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا
تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون فلم يحكم لهم بعدم التالم عند
نزول البلاء ولكن حكم لهم بكون ذلك التالم مغمورا بقوة الرجاء ولم يكلف الله تعالى عباده ان يكونوا
في احتمالهم مثل الحديد لا يتالمون ولا يتغيرون ولكن والانبياء عليهم السلام والاولياء لم يخرجوا
عن حكم بشريتهم في التالم اليهم ولا اصابتهم الالام الفوية وضروب الاوجاع البدنية وتغيروا بها

ولهذا اذا كان لا يتغير قلبه ولا يضطرب ولا يتشوش عند فقده … تلك المقامات العلية

Digitized by Google

وتأثروا وتألموا بما أصيب به سيدهم وحبيبهم يوم أحد بل قد جرى له من شعثها وأهل الطائف
حين عرض نفسه عليهم ثم انصرف عنهم آيسا من إجابتهم من أشد شيء لقوا به استصغارا وأرجم
بالأحجار حتى قال ما قال حيث لجأ إلى الله تعالى بالدعاء اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني
على الناس إلى آخر الدعاء. وروي أنه لما أصيب بما أصيب به يوم أحد أنشد هذا البيت الحسنة من
قول الحرقة بن العبد * وكلهم والفتى بين امرئ تقاضاه * على النعيم وفقع الخشاش والعنبر *
ولا يكن لما كان الله مغمورا أو مقهورا أو مغلوبا بما كانوا فيه من المشاهدات السنية والمقامات
العلية لم يخرجهم إلى إحساس بذلك ولا وجود التأثر به جملة ولا أخذ له إلا ترى أعينهم لذلك قد
ابتدعت بما ذكرناه بل زاد عليهم ذلك في حال العبودية ومقام الفقر قوة ورسوخا ولسنا أوجب أن ينفكوا
من وجود الآلام في كل حال بل قد يكونوا في بعض الأحوال لا يستأثرون بألم وإن كانوا من لحم ودم ويكون
هذا من جملة الكرامات التي يكرمون بها كما يصيب أهل الحال والوجد فقد يبلغ بعضهم من قوة الوجد
أن يضرب بالسيف في وجهه ولا يحس بذلك وقد حكي مثل هذا الجنيد عن السري رضي الله عنهما
واستنكر له ثم بان له صحته وكما جرى للحسين بن منصور فإنه ذكر عنه أنه كان تقطع أطرافه ولم يتغير
منه شعرة وقد يصرف الله تعالى الآلام عن بعض الناس بالكيفية يخلقها لهم فقد ذكر الشيخ محيي الدين
ابن العربي في بعض كتبه قال رأيت فاطمة بنت التاج بمكة وقد أخذها أبوها يؤدبها لأمر كسرا
اتهمها فيه فضربها ضربا كثيرا وهي قاعدة ما تخبر بشيء من ذلك فقالت إنه لما أن يكلمني والدي
وأخذني بشيء أحسست بشيء رمى نفسه علي وغطاني فكانت العصا تنزل في كمهدة الذي يلبسني
وأسمع وقع العصا ولا أحس بشيء منها في جسمي فكنت أضحك تعجبا من ذلك ولا كرمة من الأحوال
وإن جلت والمواهب وإن عظمت وقلت فلا تقتضي بفضليتها المحال لما توقفه المعتادة في التي
ذكرناها فهذا ما ظهر لي في كيفية الدعاء لإظهار العبودية والقيام بحقوق الربوبية فينزل
عليه كلام ابن عطاء فهو عين المواهب ليس عليه غطاء وليس بمستبعدات في هذا الفن فيما
قلته من التحقيق المنتسبون من أهل هذا الكلام فلا ينكر منهم وجود الاعتراض لأنهم لم يروا
الاستواء في شيء من غير أن يعرفوا له معنى أو يعتقدوا الدعاء علة ويثبتوا أن غيرهم من أهل
الكلام فقد بدا يعترض عليه ولا يطلعون بفرح ولا ألم إلا بالله وقولكم ومن أخشى منه أن
يكون كهذا في الباب للكناية الحجاب فليست بمجرد ترك الدعاء محجوبا ولا كان الجاهل بهذه
الحقائق ربما يكون سببا في ذلك فإذا عرفتها الآن فقد فتح لك الباب ورفع عنك الحجاب
فادخل وتفرج ولا تنصرف عنه ولا تفرغ ولتستكثر من الدعاء والسؤال حتى في الأمور

حكي

Digitized by Google

انني ليس لهما بال لما قال اسلني حتى مل تجميلها وتعلق شأنك وافعل في مكة لبيك كلمها كما كنت
تفعله حين كنت تدعوا على فلان بالالحاح والتكرير وتجعل ذلك بين الجمعة والمنبر ولا
اذا فعلت ذلك في امر تيسر لك فيه صلاح وسداد فلتكن حينئذ مجتنبا شيئي العمل والاعتقاد
اما سوء العمل فان تكون عند عدم اجابة الله اياك فيما طلبته منه متشوشا مضطربا واما
سوء الاعتقاد فهو ان ترى الدعاء منك سببا موجبا فاذا سلمت في دعائك من هاذين المحذورين
فادع بما احببت حتى ما تستغني به وما تستعين وقد عينا لك الذي ذهبت اليه انت في ذلك
ذكرها ولا تخشى والله تعالى اعلم وقولكم ان حالي في هذا الوقت ملهوف جدا ان اتفرغ لقراءة الحروف
من كتاب الله ولم ازد على الفرض شيئا مع كونه الى العقوبة اقرب بل احوج واوجب فهو كلام من
يساوي شجاعة وليس له رفاعة ان بضميمة ودعامة وليت شعري وقت ترى حالك فيه غير ملفق
اوان الفرض الثلاثة فيه انت بسببه للعقوبة غير مستحق لعدم اداء ذلك الوقت لتبتلي
فيه بكاملة كبرى ولا تبكي فيه حزينة مع اخرى واما ما استشرتموني فيه من عرض ما ذكرتم
على فلان وفلان لم يوافقكم على ذلك فاعملوا ان شاء الله على ذلك اذ لا خير في شيء لا يوافق
عليه مع انه اعلم بحال ذلك الرجل منكم وقد كنت ذكرت لكم التسيل في عرض كلام على
الناس فالزموا ذلك واعملوا عليه والله الموفق وبعد ان كتبت هذا ورد علي
منكم كتاب على فوق الخاطر من جهة الاستيفاء ولا كرب يجيء على الخاطر مما يجمن منه من عدم
حصولك من مرضك بسبب ما انا العافية واتى ابرك على الراحة والشفاء اما الاستيفاء فلم
نزع فيه لقاء بل ما يقولوا واما عدم حصولك على الشفاء فلا ابر لنا منه وقبل من ان نتكلم فيه بكلام
معقول مقبول ان شاء الله وحكم وذلك انك لما حكيت في جملة ما حكيته تلك المسائل
القيمة نافلة لها تمام الفائدة عليه فلان عقبتهما بقولك ولولا مخافة ربة الدخول في الحماس
والله اعلم فما وسعني ان اكتب شيئا من ذلك وفهمت ان المعنى ان تكون تفسد عنده الاسالي
بها على اي حالة تكون فلا تنا عن عنهما ولا تستغن بما فيه فان تركتها ومنفعتها ولا تفرق
فيما بينا لفلان خير اوشرا وسعادة او شقاوة فلما كان عند هذا الحال استعملت
بسببه ان تسوق تلك الحكايات انت لا يجوز لك سوقانها واستعملت انتفاء تقول في كل ما
انبعث على خصلة فيه الحمد لله الذي امضى قدره فيه وما انا حتى اكون لذالك وتقول حين حكيت
قوله بعد ان كنت متشوشا والان فيه على ما يسره فانى الله ذلك الحمد لله الذي اظهر ما سبق من
قدره واراد فيه من مثله في الوجود اذ الظهر في انه محل النفوذ قضاء الاله المعبود

مم
تعلى

وفروا

Digitized by Google

وقولك وان المراسم منه رابعة اي شيء يقع في الوجود وانما المقصود ان يتعين ما سبق
من القضاء ويظهر ما سكن في ام الكتاب من سعادة او شقاوة وما اشبه هذا من الكلمات
فكان حالك معي في هذا كله كما تقوله العامة من اين ما ضربت له وتر يعلو لك مثلا وقد
كمقري في بوقات عظيم من حالك الان وحالك الذي ذكرته في الكتاب الذي تقدم لنا في هذه الاوراق
الجواب عليه فان كان حمده وشكره على تلك الحالات المكروهات مع كراهيته لها ونفور
طبعه عنها وتمنيه ان لم تكن عليهما فقد يكون ذلك صحيحا والامر فيه قريب وقد كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم حمد ان يعرف وقال اذا اصابه ما يكره قال الحمد لله على كل حال واذا
اصابه ما يحب قال الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات او كلاما هذا معناه والكلام ان
هذا المعنى هو الذي فهمت ولا ارى تبعد عنه بكلامك وان حمدك وشكرك على تلك الحالات
المكروهات مع عدم كراهيتك لها وعدم نفور طبعك عنهما وعدم تمنيك ان لا تكون عليهما
او تشوفك الى ان يحصل لك عدم الكراهية والنفور والتمني لان لا تكون عليهما كما هو ظاهر
كلامك فقد اخطأت في ذلك غاية الخطأ الا ان التكلم على هذه الحالة يستدعي طولا
كثيرا ولا كنا نختصر في تحريره بالقدر ما يمكننا الان ويكون مع تحريره واختصاره مفهوما
قريب المرام لمن اصغى اليه بقلبه ولبه وتامل كل حرف منه ولا يأخذ جزافا ولا يعتقد ان
فيه لغوا ولا حشوا فان هذا التيسير فيه شأنه في كل ما اقصد تحريره من بيان والله تعالى المستعان
ونبدأ اولا بالفصل الذي عليه الهو اعتماده ثم نرجع ثانيا الى بيان خطئك في افراطك واعجامك
بعون الله تعالى وقوته فنقول اما قلت في مقامنا وان اي شيء يقع في الوجود اذ الخطاب
فيما ذكرت ونحو على سنن المتقدم اقوالك لو سكت مقامنا وكونك الكتاب وبعثت به
اليك بلا زيادة عليه فانت حينئذ بين امرين لا ثالث لهما اما ان ترضى بسكوت مقامنا وبما نعتقد
عليه من الحكم وتسلك تلك المسالك التي سلكت في تلك الكلمات واما ان تتشوف الى
مزيد كلام على ما ذكرت ولا ترضى بحصول هذه ثلاثة اوجه لا زائد عليها فاما على انها بانها
الحالة التي ولا لا فيد انك توافق عليها مع انها موافقة لمذهبك فمن اين جاء هذا العرفان
وليس رضاك بحصول جمعهم بالقرب من رضاك بسكوتنا عن الزيادة على التكلم واستمرارك على
الحكم المتقدم فتبين بهذا ان حالك الان انك غالط في رضاك بغلطك اذ لو كنت فيه
مصيبا لجرى الباب مجرى واحدا فان قلت ارضى بهذا الحال واجري فيه على مذهبي واستمر على
مذهبي فاذا قلت في هذا القول لا يسعني ان اقول لك الا انك بالعافية لانك خير منك

بغفلتك وشكوته عن فان غفلتك لم يبق فائدة للكتاب ولا السؤال والجواب واسترحت منه
واسترحت منى ومعلوم انك لا ترضى بهذا ولو رضيت بالشكوك المبيتة فالظاهر انه لا يمكنك
مقامنا من التوبة من ذلك المذهب ثم انك لا يمكنك من ان تنتقل اما الى الحالة الثانية او
الثالثة اما ان تنتقل الى الحالة الثانية فلا وجه له وفيها من التناقض ما لا يخفى ويجرى
الكلام عليهما مجرى الكلام على الذى ولى وارث فرقى بين رضاك بالحكم وبين رضاك به اذ لا يقع
لك منه كلام لانك رضيت بالحكم من حيث هو قضاء من الله تعالى وقدر وكيف انت اهلا
له وقد قلا وكذلك يلزم في الحالة التى لم نرضها فان التزمت هذا جرى مقامنا الكلام كله
الذى وقع منا على الحالة الاولى وان لم تلتزم هذا وتعتقد فيه وتلك في هذا التفرقة ولا تجد
عليهما وتحكي ابنى بالكلام الذى تفيد منه فلا تزال تبقى لا تطلب منه شيئا ينعشنى
بالفائدة نستعيذ مقامنا عن عدم فائدة لان الفيها اريد بكلامى كله اما من فك عن الحكم والنسخ
بنفسى ان لم يكن ثمنا انك به راض فان انحسمت مقامنا ورأيت مقالة الاولى لذلك كونه جملة
لم تقل ان تتوب ايضا من هذا المذهب فيتعين عليك الانتقال الى الحالة الثالثة ومن ان لا ترضى
بحكمه ولا بشكوته ومقالة الحال معنى الخاطة منه ولا كنا قد ردنا ما ذكرناه من الانتقال
الى كذا او الى كذا على ما اقتضاه كلامك الذى اخذناه عنه فقد تبين فظهر من هذا ان كلامك كله
هذا لم تعبر به عن حالة ثابتة راسخة فيك وان صدر منك ذلك انما ذكرناه عنك حين قلت الحمد لله
على كذا الحمد لله على كذا فبشار في تعاليق يحصل له معنى ما وانت متوهم وراسخ في الحالة
الثالثة وان لم تشعر بذلك من نفسك ومعنى الحالة التى لا يخلو عنها غافل لم يتكلم بالوجود
ولم يغب في الشهود فاذا اعترفت بهذا تبين لك ان يبدل لك كيف تكون في الحكمة مع كونك عليها
ابتنى على مقالة الحالة الثالثة ولنفترض ذلك في مسألة مخصوصة لئلا يتشعب الكلام ومتى
ما وقع منك من انك لا تسمح بذلك للمساكين مما عندك بفضول الوجه ان تعترف بان هذه علة
فيك بينك تعلم انها غير مرضية في الشرع فاذا اعترفت بذلك فلا بد لك من علاجها وزوالها
عنك فان سمحت نفسك بمعالجتها وسمحت بذلك فلا كلام وان لم تسمح ولم تسمح فلا بد لك
من ان تتكره لذلك الذى قد فرضنا انك فاو في مقام انك تحب وتبغض ولذلك هذا لما لم نكونه
على تلك العلة ثم ان كونك على تلك العلة اما ان تعتبره بالنظر الى الماضي او النظر الى المستقبل
فان اعتبرته بالنظر الى الماضي وتقول يا ويلاه انقطع على زمان وانا بتلك العلة فيقال
لك ما مضى فات فالكره للاخلية لا وجه له والحب والبغض المتعلقان بالماضى لا فائدة لهما

بالكره

فالكرب والحب والبغض في هذا الوجه ينبغي للعبد ان ينفيه عن نفسه ما استطاع فاذا انفك
عن نفسه لا يدعي فيه فيقول بلسان حاله ان الكرب زال عني والحب والبغض ليسا عندي ولكن يظهر
التشوق اليه والتمني له لان هذا هو المناسب لحال العبد ومعلوم انه اذا انفك عن نفسه
فانتفى يكون في محاولة ما ينفي به وجود الدعوى عنه مطلقا بحيث لا يبقى له عليه وجد ولا تحمل
عليه فرحة وحزن فاذا ثار قلب الانسان يشكو من كرب يكون على ما مضى لا يدل هذا على انه حاول
بذلك البراءة من الدعوى لان ثوران القلب على خلاف مقتضى البراءة كما قلنا لو هو حالك في
زمن شكوتك التي تقدمت لك في كتبك كلها اذ كانت متعلقة بالماضي وكنت فيها تعتبر
جاه في المضمار من جهة كونك انك بت على شيء مضى وفات وان فرضنا انه اتفق عندك الكرب
لم يدل ما ابديته من الشكوى على نفي الدعوى لانها خرجت من هيجان القلب وكان حقها اذ ذاك
ان تكون من خوف فوات شيء من هذا الذي يقع منك فان قلت ان الحكمة تقتضي انتفاء الكرب من
امور كانت في الماضي واطلقته ولم تقيده كما قيده الامام الغزالي فانه ذكر حال العبد التائب
الباكي على ذنوبه السالفة ومثله بالذي يحتاج الى جواز ماء عظيم عليه جسر فيعمد هذا
الرجل الى تخريب هذا الجسر فيخربه ثم يلجئه الحال الى جواز ذلك الماء فيجيزه بعد
اللتيا والتي فاذا جاوزه وقد عاين ما كابده من الشدائد والمشقات في جوازه اقبل يبكي
على تخريبه لذلك الجسر فقال هذا معنى الامام الغزالي ما معناه ان لم يكن اقامة جسر اخر
يجوز ان تدعو نفسه الى تخريبه فلا وجه لاشتغاله بالبكاء على امر قد فات فلا فائدة وان
كان اقامة جسر اخر فانه يستحسن منه ذلك لينفي الحزن والخوف فلا زمن له فيكون ذلك
مانعا ان تدعو نفسه لتخريب جسر اخر فيلقى من العناء والتعب اذ ذاك ما كان يلقيه قبل
فيكون هذا فائدة بكائه وان كان هذا البكاء على امر قد مضى وان هذا المعنى نشير المسألة
المعروضة عندهم في نسيان الذنوب وتذكرها واكثر هذا الذي ذكرته هاهنا هو معنى
ما ذكره الغزالي وفي سنين وقد مر بي الطابع ذلك ولم تمكني معاودة النظر فيه اذ لم
يحضرني الكتاب الذي ذكره فيه فاقول لا وجه لهذه التفرقة ومعنى نفي الدعوى لانه جعل
معتمد امره في بكائه ان يصاحبه الحزن والخوف فيمنعه ذلك الامر تخريب الجسر الذي اقامه
وهذه دعوى لانه اتكل على نفسه في تسببه الى ان لا يخرب الجسر الذي اقامه مرة اخرى فهلا
لا جعل معتمد امره الالتجاء والافتقار الى الله تعالى والغناء به ان يخرج او ضعفا فاذا كان معتمد
امره هذا كان الاخر بحسب التبع اخف رؤية فعل نفسه فلا يقع في بكائه كل المبالغة

الا ما يقع له من هذا الجنس انما ينبغي ان يكون قصده ان ينفي عن نفسه دعوى الافتقار والاضطرار
فلا يكون له فيه اجتهاد ولا ايثار كما ذكرناه ولا ان يقصد ان ينفي هذه الدعوى كما ذكرناه انما
يكون مع السعة وعدم استحكام الكرب في النفس واما اذا كان الوقت ضيقا وخشي فوات
العافية فلا وجه لتشاغله بالبكاء متكلفا فليبلغ في ذلك وليأخذ مزوده لعله يغنيه وليخف
ولا يعرج على شيء في هذا الموضع من حملني على عدم تكثير كلامي كما فسره الغزالي رحمه الله تعالى
فان قلت فما الكرب على ما قلت لو لم يكن مستحسنا مطلوبا لم يفعله الاولياء والانبياء
والاولياء بكوا وصاحوا وناحوا على وجه لم يقصدوا به نفي الدعوى عنهم كما ذكرت فالـ
فاقول يتعين علينا الجواب عن هذا السؤال كما ذكره الامام الغزالي رحمه الله ونقول في تقريره
على ما كان حصل لي في فهمه من الانبياء والاولياء انهم في مقام الامامة والاقتداء ومن شان
الاقوياء ان ييسروا ويبشروا الضعفاء فلو لم يظهر على ظواهرهم من ذلك بل كانوا اذا اصيبوا او وقع
شيء كثير من حيث لا يلحقهم خوف ولا فزع لرأى ذلك اتباعهم منهم فلم يحملوه على وجهه ولم
يتحققوا علمه باكنهه فيفعلوا البكاء في غير محله فيهلكوا وقد يمثل هذا بالمعتزم الحاذق
الماهر باخذ الحية وقتلها ولعله اذ ينفر عنها ويهرب منها وانما يفعل ذلك لئلا يراه ولده
يأخذها فيأخذها هو فتهلكه وهذا الوجه الذي ذكره الغزالي حسن محتمل ان يكون ومن
قدروا ان يستنبطوا وجها غيره فشأنه وابداء هذا كله كلام على الوجه الاول وهو كربه
على كونه على تلك العلة المذكورة في الزمان الماضي واما الوجه الثاني وهو كربه على كونه
على تلك العلة في الزمان المستقبل فهو كرب صحيح مطلوب لان العبد عليه لانه يصير
ذلك الكرب نشاطا وحسن عزم على مفارقة تلك العلة وكلما اشتد الكرب عظمت الفائدة
بذلك وهو حاصل عن مقام الخوف الذي هو محمود في الدين والشرع وهو الذي يثاب عليه العبد
بالخير الكثير ذكر مما الله تعالى في كتابه الكريم نعم قد يخف هذا الكرب بامر وهو حسن
ظنه بالله سبحانه ان لا يرجعه في تلك العلة بل يرحمه منها او يعصمه ويقويه على عمل
يكون منه في مفارقة تلك العلة حتى ينزاح منها واما عمله هو في دفعها فلا يعتمده ولا يلتفت
اليه واذا لم يعتمده ولم يلتفت اليه لا يحصل له في نفسه تعلق بل يتوهم نفسه مستهلكا
فمن هذا الوجه يخف الكرب عليه بعض الخفة وتكون هذه الخفة محمودة لا مذمومة عليه
فيها اصلا واما اذا خف الكرب او انتفى بالكلية فلا خير في هذا لان ذلك علامة على
الاستهزاء بالطاعة والتهاون بالمعصية ثم يئول به هذا الحال الى الفعال الاباحية

يسير

ومن قدروا ان

Digitized by Google

والترخص واعتقاد انتفاء التكليف بنوع تاويل فاسد وهذا خروج من الدين والعياذ بالله
وان ادعيت ان سبب انتفاء هذا الكرب عند اهله من شهود التوحيد وانه نوع انفصال عن النفس
وحرص على استيلاء الحظوظ فلا بد من ان هذا بالكلية وتشاهدون ملتبسة بشيء منها ان كونها
لم تتجرد من الحب والبغض واللذة والالم شيء لم تشاهد التوحيد ولم تنفصل عن النفس ولم تحرص
على طلب استيلاء الحظوظ فلم تنفك عنها اذا اصبحت النفس ومعلوم ان من ترك شيئا منها بذل الله
لم يكن الا متكلفا وليكن كذلك ايضا ما تسامحت به في جانب الدين ويكون التعبير لك على هذا
التسامح نوعا من الغرور بادعاء المشاهدة التي تاثرت بالمعرفة بزعمك وبعينك عليه
ضعف الايمان بالوعد والوعيد والحشر والنشر وهذه حالة من زعم ان منافرة للشريعة
والحقيقة جميعا اما منافرتها للشريعة فبين واما منافرتها للحقيقة فانك رايت
هذا الراي واستحسنته واستصوبته واعتمدت عليه ومن هاهنا من هذا الامثال هذا
كيف وما يجد من هذا انبعاث الحقيقة المباينة المنافية قيل الحقيقة عبارة عن معنى يقتضي
ان لا يكون للعبد في علومه وفهومه وجميع صفاته وجود ولا نواله وهذا المعنى لا الشرائع
التي جاءت بها الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام لانهم جاءوا باشياء تقتضي العقول
الينا واشياء لا تقتضي العقول الينا ومن جملة ذلك ان يتعبد بها العباد ومن جملتها من التي
ابطلت الاراء والتعقلات بالشرع الا ان الشيء المتعقل والشيء الغير متعقل اذا قرنا معا
شيئا واحدا كان ذلك الشيء لا متعقلا ولا غير متعقل بل كان شيئا خارجا عنهما واذا كان
شيئا خارجا عنهما لم يكن للعبد ادراكه وعلومه وفهومه وجود البتة فيكون اشبه شيء
بالامر الذي يعتقد فيهما ولا معنى للحقيقة الا هذا فالشريعة هي الحقيقة والحقيقة هي
الشريعة فمن خالف الشريعة خالف الحقيقة ومن خالف الحقيقة خالف الشريعة ولولا ان رحم
الله تعالى العباد ببعثة الرسل والانبياء ليصرفوهم الى الحقيقة بما يبينوا لهم من الشريعة لتاهوا
في كلمات الاراء كما وقع لمن لم يقتد بشرائع الانبياء قال الله تعالى في معنى اتحاد الشريعة
والحقيقة والله اعلم بما ينزل ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقال الله تعالى من يطع
الرسول فقد اطاع الله وما احسن ما قاله في هذا المعنى الشيخ جعفر بن محمد الصادق رضي الله
عنه علم الله تعالى عجز خلقه عن طاعته فعرفهم ذلك لكي يعلموا انهم لا ينالون الصفو
من خدمته فاقام بينه وبينهم مخلوقا من جنسهم في الصورة البسه من نعمته الرافة والرحمة
واخرجه الى الخلق سفيرا صادقا وجعل طاعته طاعته وموافقته موافقته فقال من يطع

ايضا

بهما

تعلى

Digitized by Google

الرسول فقد اطاع الله وقال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقد سئل عبد الله بن عمر
رضي الله عنهما فقيل له يا ابا عبد الرحمن انا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر في القرآن ولا نجد
صلاة السفر فقال ابن عمر ان الله بعث الينا محمدا ولا نعلم شيئا فانما نفعل كما رأيناه يفعل الى
غير هذا مما ذكر والاشتغال به تشاغل بما هو معلوم فالواجب على العبد ان يكون اهم اهمه
الدين الذي ما زاد الشرع ولا يسمع الا ما اثبته الشرع وفي معناهما القلب واللسان وسائر
الجوارح والاركان ويكون حاله كحال ذلك الرجل الذي قيل له اتشهد ان محمدا رسول الله فقال
نعم فقيل له اتشهد اني رسول الله فقال لا اسمع واعجب من هؤلاء الناس الذين
فرقوا الدين وجزؤوه وفصلوه فجعلوه فقها وتصوفا وكلاما ظاهرا وباطنا وشريعة وحقيقة فالواجب
هذا التجزئ والتبعيض لا معنى فضرور التكليف ان يشتغل كل واحد منهم ببعضه دون البعض
الاخر متبعا في ذلك هواه وعادة بلاده المعروفة لك واستحلاه فكان الشرع ثم سوى ما انا
عليه والحاصل ان كلا ما هو ذاته ومعلوم ان الطباع مختلفة متباينة فياخذ كل واحد بطرف
ويدوم بسببه نوع غلبة فيه واستحلائه له النفع ويسفرون من ما لغيرهم من الاثم او من الاختلاف
ما لا مزيد عليه ولا ثم من ينبه على هذا الغرور ان عم الخاصة والجمهور وهل ثم الا دين
واحد نعبد الخلق به ربه وواحد تعبدا واحدا في قلوبهم وابدانهم وينقسم الى فرائض
وفضائل والفرائض مختلفة المراتب والفضائل كذلك فاتسع الدين بسبب هذا ودخل
الناس فيه كل على قدره ثم من كانت فيه كزازة وشكاسة وفراغ وزعارة بسبب طبعه
التي تعلقت من عنقه ولم تدعه يتعنى بقسيسه كم فيه عبر كان من حاله ان يتمسك بالفرائض
القلبية والبدنية وبعض الفضائل المتعلقة بهما ولا احد يعذره ليوح له بشيء من فضائله
مما يستحسنه ويستلمه بقدر ليفا العود المروي الذي تستمال به قلوب الصبيان وضعفة
النسوان ومن كان منهم فيه حرية كطبع وكرم سجية وكمال انقياد وتمام قابلية تمسك
بالفرائض كلها واضاف اليها الفضائل من غير ان يحتاج في ذلك الى تلويح بشيء يرغب
له سماحته بالطاعة ليس ثم شيء سوى هذا او ما يشبهه او ما يلحقه وما عداه حشو
البدع لا كر لايروع ولا ينفع فان قلت هذه شهادة على نفس ومن غير متقبلة عند
العقلاء فاقبل شهادة النفس متقبلة في بعض الاشياء وهذا منها فهذا امر الذي ينبغي
لك ان تاخذه مني وتحمله عني وكل ما جاءك عني بما يخالف هذا فتاوله عليه بالتاويل
المرضي والمختار والاقتداء به في البحر الزخار فانه لا اجل الاحرار يتجاوز الحدود ويتهاون

م والقرآن

م وهو

بالارام

باوامر المعبود من غير حياء ولا حشمة ثم يرى في ذلك انه اخزاه منه ونقلة عنه فان قيل
ربما اقول نعم ولا يستكثر عنه فانه يستحضر اثقل كاهله كثرة الاوزار وعموم التهاون والتضييع
دائما الليل والنهار اي النهار وانه محتاج الى التوسل من ذلك والاعتذار والتوبة والاستغفار
للكريم الغفور من ذلك وفات ينبغي في ان لا انكرب له فان خاطرت نفسي في هذا ربما يزول عني
ذلك الكرب وان غمام للان ذلك في رفيت بمنزلة ميلاد العلم انه ان اخفف ذلك عن نفسي
في بغفرانه وفاته بعضا الرجاء بعفوه المساكين والضعفاء واقول ان دعى انه زان فيه بالعقاب
والعذاب او ان بعد قدرة الله تعالى فهو من جملة المهاب بهذا شيء وكلا وكل احد يعرف بحكمه
على المعصية ولولا كرامة الله لتغيير واطلاع الغير على عيوبنا الذكرت لك منها ما لا تركناه
معه فلذا على البعض اني ذكرته والله على ما نقول وكيل فان قلت كيف يستقيم لك هذا الكلام
مع قولك واي شيء يقع في الوجود اذا اجعل ابن عباد في النار ذات الوقود بل ان الكتابة من هذا
انك تفرق الكرب لما تعلقه من الذنب في ما قام او مستقبل فاقول نعم كلامه ذلك ثم اعني
بعد ان انه لما وقع مني الذنب ينبغي في ان لا انكرب له بالتكلم الى ما مضى وانه لو وقت بانزل من
غير ان انا ابالي به نبتغي في ان لا انكرب بل ادخل جهنم علينا لدار الكرب في ذلك عني منتهي
واما في المستقبل فلم اتعرض له البتة فاذا فهمت هذا كله فلنرجع الى مسائلك التي
خرجت في مقام الاضطرار واتبرك كيف ينبغي ان تكون عليه اذ ذاك فاقول اما موافقتك
المضطرين عند رؤيتك المساكين والمحتاجين ولا تسمح لهم بصرفة ان قد مضى من حالك هذا
ترضى به ولا تنكرب بسببه لانه شيء قد مضى وفات ولا ترى مع ذلك انك راض ولا فرح وقد
تستقبل تنكر بامر اخلاء لتتوسل بذلك الكرب الى ان تكون على حال تسمح فيه نفسك بالمواساة
به لكن يخف عنك هذا الكرب بما ترجوه من فضل الله من التوفيق والهداية الى ذلك واما ان
تتشكى الى ان تكون بحال تتناظر عن نفسك ولا تعمل على خلاصها من ذلك منه سوء ادب
واما ان اعتبت ذلك فقد انتقل الى سوء الادب في اعتبار الكرب وكذلك في المسائل التي
حكيتموها عن فلان مما فيه ذكر الغير والتنقص والعيب فاذا تقرر عندك ان ذلك محذور ينبغي
لك ان لا توافقه على حكايتها فان غلبتك شهوتك وكتبت به وقاربت الكتاب فيكون حضر
لك في المضمار ان لا تنكرب لذلك بل انه امر قد مضى وفات واقلا ان تفرح بذلك فانت حينئذ مأمور
بمحوه وابطاله فان لم تكن بالهذا فقد رضيت بالمعصية وانت متمكن من تلافيها وهذا فيه
ما فيه وان انكرت لذلك وابيت محوه وابطاله لما تعلم من انه احب ان اعلم مثل ذلك كله

فليصدق ذلك الكرب عن أن تقول بأثره ولولا مفارقة الدخول في المخمار لما وسعني أن أكتب
لك بشيء من ذلك ولا يكون ذلك حقوقا وجب أن تجعل بدلا من ذلك الاستغفار وطلب التوبة
من العزيز الغفار فهذا مع المخمار الذي ينبغي أن تكون عليه عند إيراد مثل هذه الحكايات ولم
نسمع نفسك بسماعها وإبطالها وأما ان لم يتقرر عندك انها محذورة فيكم فأخي وكذلك حيث
قلت الحمد لله الذي اختصنا بما سبق من قدره وأراده تعبدا ومن مثلي في الوجود إذا اختص في انه محل
لنفوذ قضاء الذي لا إله المعبود لما قلت لك بعد ان كنت متشوفا الى ان يرد علي ما يشرح فؤادي
الله ذلك ووجه دخولك في المخمار فيه ان تقول قد عز علي ان جاءني فيه ما يسوءك ولكن
بعد ان نفذ القدر بذلك وأمره علي فيه استأويتك نرجو من الله تعالى ان نرضى بما سبق من
حكمه بذلك فيه ومن مثلي في الوجود إذ المكلف ذلك الرضى بحكم الإله المعبود وكذلك
حيث قلت وان لم أشم رائحة ان شيء يقع في الوجود والحال المقصود ان ينفذ ما سبق من القضاء
ويحكم ما سطر في أم الكتاب من سعادة او شقاوة ووجه دخولك في المخمار فيه ان تقول عز
علي ما تعبت فيه معي ولكن من ساعة الى ساعة فرج وقد غلب علي الكرب بهذا الكلام منذ
إذ وقع وقال ولكن نرجو الله تعالى في زوال هذا الكرب عني وان يوفقني للكون على ما أنت إليه
تشير وتومي والآثار هذه العبارة منكم ما معناها في تقبيلة الروح متضمنة غاية الدعوى
التي هي أعظم البلوى وكذلك حيث قلت ومن مثلي [illegible] في الوجود إذا جعل مع محبوبه في اليوم
الموعود مع عبيده وخدامه ثم أقول بلسان الحال والمقال * فمتى ان تكر حقا [illegible] ووجه دخولك
في المخمار فيه ان تقول بأثره ولا تحزنوا لانه كلام مليح واستغفر الله من هذا لانه حال غلب
علي في الوقت حتى تمنيت ما تمنيت بإظهار الحال وكذلك في قولكم بل أقول أيضا هذا من
الباد نجارا إذا لم تعتبا لكم وان ستستبشروا وتتشوفوا وكل الان تتكلموا والكون في حبائل الدعوى
والتشكار ليس لي في شيء من ذلك قد خلا وجه الدخول في المخمار فيه ان تحذفه ولا تقوله لأنه
سقطة في معرض الدعوى والاعتذار عن التقصير والمسامحة لها في الضلال الذي مر عليه وكذلك
في قولكم تيسر لي خطكم والحمد لله موالي في قبضة الرحمان وساداتي المنازعة في كل ما يرد علي من
شك ووجه الدخول في المخمار ان تحذف قولك انا في قبضة الرحمان لان سوقه في هذا المعرض لا
ينبغي ان نسوق في معرض الاعتذار واصحاب القبضة من علو المقدار بحيث لا يشوبهم غبار
وهذا ما ظهر لي في الوقت ان نتكلم عليه من المواضع في كتابك وانبه على وجه المخمار فيه
وأما ما يمنعه في مفارقة دخولك في المخمار من كونك لم تتفاصل عن نفسك ولم تسع فيما فيه

تنبيه [illegible]

Digitized by Google

خلاصهما اعتمادا منه على ما قلته بأثره بعد صحيح إذا أردته ولكن من غير في هذا فرصة لك وهو
أن لا تنسى أن تحرص على أن لا تغفل ما يلزم عليه فإذا وقع ذلك لم تنكر بسبب ما وقع وقلت لا إله
كرهه فقال عن النفس ومحبة ما فيه خلاصها مع فوات الأمر وإن لم يفت ذلك بل كان حاله الآن
مستقبلا فلا بد له مما هو من الانتقال عن التعسير وطلب الفرار من ذلك الذنب بينكم فلا
محالة فإذا جعل همه أمره الالتجاء إلى الله تعالى وأن يتفرغ رجاء أن يوفقه ويعينه على ذلك
حتى عنه ذلك الكرب وكانت هنا خلقته عن نفسه على وجهها وأما أنه إذا أقول إن مفارقة الدخول
في المضمار وإن تفعل الغير ما يلزم عليه ثم أن يشتغل في خلاصه من ذلك ولا يناظر عن نفسه
فلا أقول به فليبلغ الشاهد الغائب وإنما ألحقت ذلك الكلام لأنه كنت فهمت منك التوغل
في الكلام في الإثم ثم إنك لما اشتغلت إلى هذا الكلام قلت لك فارقت الدخول في المضمار ولم تدخل
بعد وإنما ترخص فيه بالتوسع ومع ما النصح فيه أن تكون قصدك التصريح بالمضمار الذي قلت
لك إنك فارقت الدخول فيه من غير إشارة ولا تلويح ولا ذكر شيء مما يعبر به وجميع ما فهمته واحمل
عليه قولي إن شاء الله تعالى وإنما أطلقت التعسير في هذا وحذفت الباقي فيه لأنه أصل لا بد من
ذلك كرب شديد ورأيت أنك كالمحتاج إلى استلام جديد وأمثال من البلايا النازلة بك والمستعملة
بها بسببه فلم يسعني إلا أن أنح بذرع المساعد وأبدأ الحوالة كل ما نصح به يعترف وعليه
يساعد وبالله التوفيق **وأما** المسألة التي قد ذكرتها بلا ريب كان قد رفعنا كذلك بالحق
فيهما وإنه لا يعتبر على أحد ومن أن الذي ملكت عشرين يا كلامي فتح عليه بقوته ثم رأى من هو
أحوج منه فقد عاد إليه أفضل من الذي يكتسب ويحبس حاجته ويتصدق بما فضل عن حاجته وإنه
قلت إنه أفضل منه لوجهين أحدهما أن حال الذي أخذ الفقر التجريد بخلاف الآخر وحال أهل التجريد
على الجملة أفضل من حال المكتسب المتسبب والثاني كونه مؤثرا على نفسه بالقوت والأول
ليس بمؤثر لأنه تصدق بالفاضل فقط ولم يتجاوزه إلى غيره وما اعترضت به من تفضيل حال المكتسب
والمتصدق بالفاضل لكونه لم يخص لنفسه وأن غيره اختار لنفسه ليس بشيء لأن كل واحد منهما
لم يخص لنفسه ولا فضل إلا كثرة الثواب الذي يحصل له وفعلت صرفته فيه في غاية الاحتياج
والفاقة فيكون بذلك مختارا للنفس وإنما قصر بذلك سر خلقه من آثر خلقه من صاحبه بعده
ومثل هذا لا دخل فيه من جهة أنه اختار وإنما يتصور الدخل فيه ولا يكون مختارا لأجل نفسه
إذا كان هذا الرجل في مقام الزهد لأنه من معرفة مقام الزهد وإرادة تخفيفه بخروج الشيء من يده لا
ينبغي له أن يختار ما يجد إليه كما قال بعضهم الزهد أن تنزل الدنيا كالمعتق لا تعول إلى ربها

هو

ولا اعمر فسمجزا وقال امير المومنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه الزهد ان لا تبالي من اكل الدنيا
من مومن او كافر فيجب هذا المقام فقد يكون التخيير مدخولا معلولا لانه ان قاد عونه من عدم التخيير
في الرجل المكتسب المتصدق بالفاضل لن احمده لانه اقوال العلماء تخير من تصدق عليه وقولها اللهم
من مات في هذه الليلة جوعا او عريا فلا تواخذني به ابدا وقع منه هذا الدعاء للاحتمال ان لم يكن
بالغ في تطلب من مواضع بالصدقة من الاخ ولكن هذا الدعاء في هذه الحال الذي يقال ان اويس
رضي الله عنه اذ بعيدا ان يتوهم فيه ان يتصدق بالفاضل على كل من اتفق وفي الجائز ان يكون
هذا الشخص قد اشرف على الهلاك جوعا وعريا او كلية لو جاء ثم يردفوا بذاك الدعاء
لان دعاء امثاله بذاك لا يكون الا بعد بذل الجهد بالكلية اذ يخاف ان يكون بقي منه بقية
واستحباب من استحب للانسان اذا خرج بصدقته ان يدفعها الاول من يلقى ليس بلازم ان
يكون ذلك مراعاة لعدم التخيير اذ لعله يكون من قبيل ما يخاف عليه من تغيير نيته اذا لم يعطها
لاول من يلقاه وانظر فعله ذلك الذي نوى وهو في مغتسله ان يتصدق بثوبه لما امر حين
يتصدق به عنه فقيل له يخرج من مغتسله مخافة ان يتغير خاطره او فترقا لولا السخاء اجابة
الخاطر اه وان هذا مما يحكى ان يقال في هذه المسألة انه وقعت على حسب ما قد رسمناها بان يكون
فيها بعض ريبة والله تعالى اعلم ولكن الحالة التي حكمنا بفضوليتها حالة القوة ونثر كلام المعلوم
والحالة الاخرى حالة الحلاج على حسب ما ذكرتم عن قبله لا يدل ذلك على ان الحلاج افضل من اويس
لان افضلية الحال بخلاف افضلية الشخص فلا يلزم من احدهما الاخر والله تعالى اعلم ثم ان
حالنا يجهز الله تعالى ليس كحال الواحد منهما لان الكل منهما مقاما وانما باوامره ونواهيه فياتنا
نحن لا انسانا ولا ثوبا واذا رايناه من يتصدق بالجوع من اجل التجمل والقنوع لا تحرك منا داعية
الى احياء رمقه ولا الكفاء من فيه ومع ذلك نتكلم في الرذائل ونغوص على الحقائق ونبين للناس
واضح الكلام ايضا فنعوذ بالله من فلتة الحياء فانه راس كل داء عياء واما المسألة التي جرت
بين فلان وفلان بعد من المسائل التي جرى القدر بوقوعها وبرضها ومضى من حضر ما قد رمناه
من تعريف الذين اتي او حسبه الجهل بالحق الواضح المبين كما ذكرناه من الحق ان يعتز ولا يوخذ
فيها ولا يلتفت فيها وفيما تفرع لنا فيه هذا اشارة الى وجه الحق فيها وان الحاصل ان التصوف
هو معتمد الكتاب والسنة فمن تصوف فقد اقام الكتاب والسنة ومن عمل بالكتاب والسنة
فقد تصوف ومن لم يتصوف لم يعمل بالكتاب والسنة ومن لم يعمل بالكتاب والسنة لم يتصوف
الا اطرادا وان انعكاسا ليس في ذلك شك ولا التباس عند العقلاء الاكياس في احجبة هذا الكلام

خ الرذائل

Digitized by Google

فلا عتاب عليه ولا ملام ومن لم يعجبه هذا بل تأذى به وآذى فليدخل بيته الاربعة حيطان
وليتمرغ براسه من حايط الى حايط حتى ينشا نوره ما عنده يبقى الا الجرح والكدام وقول ذلك
الرجل المتصوف يجمعون الحوت من الناس صحيح فليح وغير ذلك منهم فليس فيهم الا الحكمة لا يشبع
بها الانتظار والمفاذير كما ان الدرز والحور من ليس بالديوان يعلق على الاعناق والخنازير فاخبروا
بهذا كله من هنا لكم عنه وكل شيء لكم ورسمي انا برئ منه واما ما اختم لكم به من هنا الكلام في
المولد المبارك فقد كان قبل ان اختم فيه في كتاب كتبت به الى وكنت لكم من كلامي كلام تكلم
في فيه انه لم يحملك على عمليه على حسب عادة الناس الا الكلام الناس لك وتحريضهم اياك
عليه ونسبتهم لك في تركه وعليه ان امر شنيع فلما توهمت هذا تكلمت له في الكتاب الذي
بعثت به اليه على حسب هذا التوهم فلما تبين لي الحال وانك رجعت اليه من تلقاء
نفسك لانك ايقنت فيه من المنكر المعتاد اذ ذاك نزهت محلي مما وقع مني من ذلك الكلام
وتبت من التكلم بمثله وما برز من الغيب فيما بعد لنتمو من ذلك مبارك ولو لم يكن في
ذلك الا الدراهم التي انشات عليها من كل جمعة ومكان ومن فلان ومنكم بذل الحال العمل
والشار لكان في ذلك كفاية وغنية فكيف بما انضاف الى ذلك من الفوائد الزوائد وهي
كون الفوائد فاتحة الذات وكذلك انشراح النفوس بالجد والمسرات وتلك التوجيهات
المكتب باضواء النيران ونظر الوجوه الملاح الحسنة الصباح من الصبيان واما الاصوات
الطيبة والنغمات المستلذة المستغربة وتسامع الرجال روايح النساء واحتكاك
فلاحيهم بتلك الملابس الفاخرة والكسا فلا تسال اذ لا يبلغ ذلك كله ساكنا الذي
حركه ولا ناب له انقطع ولا قيمة الا الاحياء الا بكلام ذلك كله قبل اليوم اذ الناس
ناس والقوم قوم واما اليوم فلو اسمعتهم اصوات الموسيقا او غنت لهم اشعار ابي
الشعا وجلوت عليهم اجمل الصور المعطرة بالمسك والعنبر والمزينة بالياقوت
والجوهر لم يتحرك لهم عضو ولم يصبهم من نوار الشمرة شمهم ولا لهو ولقالوا لك
دعنا من كثر يفتح المشكل وبنيك المستتر المستهل واسمعنا صوت المعلم ولو لم يكن
فيما الا اساكيم الصوت التي يستفز بها السادات والشوت فان المكرات اشبع ولو
بالتبن والبهت اذا ارتفع ولو بالشيء المنتن يستقيم منا بسبب ذلك ما ترى ان نسمعناه
من نغمة او نفيري لناس منه قال القاسم بن يحيى ان بالنغمة ولا تكثر يا اخواني فصرت
التنكيت عليها بهذا الكلام وانه لم ارض بها ولعلته في ذلك المقام لانه كما قد رضيته لك

من الدين الواسع انه محتاج الى التوبة عما اتاه فاعلا وصانع ولا كتمان من الملح التي جرت
بها مني لك العادة والمزاح الذي لا يستنكر على اهل الدنيا والسادة والعارف باساليب
الكلام الذي هو فيها فارس واملاح ان جزكان كل ما ياتي به مزاحا وصرفا وانه مزاح ومزح
في قول الحق فهنا واستغفر الله تعالى من هذا الهذر واسأله ان يصلي على سيد البشر
وان يدخلني في شفاعته التي في تضيق عمن ادبر واستكبر انا واخي يحيى ولا ازيد الا اني
فيها ولا احب الا افتراء مني بذالك اني عن ابي الذي عكم حنفه وسناء خلقه فيما له حمد الكريم
تومتك وبلاد بالله تمسكنا والمرعش المغرب والمرعش المحبب اذا اراد ان يفعل شيئا
فعله واذا قاله ولو مثل الذي عباد فعله قاله وقد كنت في اليوم الذي كتبت فيه هذا
وجدت بعض راحة من مرض اصابني والحمد لله فمشيت الى الجامع الى عكم برسم سماع الكتاب
فسمعت فيه من الحلية عن ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي المعروف بالباقر رضي
الله عنهم اجمعين قال بر الاعلى همة قال فقلت لكم في مسئلة الدعاء المتفرقة ففرحت بذالك
غاية الفرح للاجل موافقة ذلك لما كنت فهمته في تلك المسئلة وبمثل ذلك ينبغي ان
يفرح بان ذلك الرجل من سلالة النبوة فالكلام الذي يقع منه في مثل هذا في غاية المتانة
والقوة ومعانيه فان رايتها مخالفا او هو لعلمه او بعض منه لعلته وبعض منه معناه لا تدعوا
الله بما يجب فاذا وقع فلا تكره احببت ما احب فانظروا كيف هو نصه في الحلية في
مناقب هذا الرجل واكتبوه بنصه بعد قوله للانه حديث نفيس ومجرد دعوى وقبل قولنا فان قيل
اذا كان العبد محبا فيما يعطاه بنكسبه وتسببه فهو اقرب موضع يناسبه وسمعت
فيه ايضا ما يوافق قولي قبل هذا حين قلت وجدت بعض راحة من مرض اصابني والحمد لله
بعض موافقة ومعانيه اعني محمد بن علي المذكور قلت له بغلة فقال لي من رد منا النعمة
على الحمرته فهما مرتين [illegible] فلم بليف ارو [illegible] عليه بسرجها ولجامها فلما ان ركبتها
واستويت عليها وسويت عليها ثيابه قال الحمد لله ثم يزد على هذا فقيل له في ذلك فقال
اني لما قلت الحمد لله جعلت الحمد كله لله فانظر كيف هذا وحمده من الكتاب المذكور وقد
اعجبني ذلك واردت ان اتحفكم به ايضا اعني بكلام هذا الرجل نفعنا الله به وبامثاله
ورزقنا شيئا من انفاسهم العالية واحوالهم السامية بمنه وكرمه وليكن هذا اخر الكتاب
والله تعالى الهادي الى الصواب هو بعد ان كتبت هذا ورد علي منكم كتاب وقد
تعرفت منه امورا منها انكم ذكرتم ان فلانا لما ورد عليكم فهمتم انه عند زواجه لم نزوجها

عنزكم

عندكم وانتم غبتم عنه بذلك وازال بذلك عنكم استجلاب الظاهرة في مسئلة الرؤية المباركة
التي استغربتموها في النوم واعلم يا اخي ان الحيرة لا تزال ابدا معي وفي اي شيء ادعي ومثل انا وانت
ونحو وجميع العالم وما عندهم من معارف وعلوم بالنسبة الى القدرة الربانية الا بمنزلة اللعب
الخيالية التي يخرجها المشعوذ فيحركها ويرقصها فيضحك من ذلك الصبيان ويتفرج فيها
الجهلة والنسوان والمشعوذ في حاله لا متعة له في شيء من احوال التنكار له وكذا لا مفوحا لنا
فاعرض عن هذا كله واعلم انك باعتبار ليس بيدك شيء وباعتبار بيدك كل شيء فافهم الرمز
بالقلة وابق مجردا بلا علاقة ولا علة هذا كله حال الباطن واما الظاهر فتتبع فيه كيف يكون
حاله مما تقدم في مسئلة ان وراء وامام المسئلة التي سالتم عنها فلا وسالتم عنها من بكاء
موسى عليه السلام واستحياء رسول الله صلى الله عليه وسلم الوارد ذلك كله في حديث الاسراء
فلا ادري ما اقول في ذلك وقضية الاسراء وما وقع فيها من الكوائن ان يعلم حقائق جميع ذلك
الا صاحبها المباشر لها صلى الله عليه وسلم وامثاله في مقامهم ومن عدا ذلك لم يبلغ بحقيقة
شيء منه بمنزلة النجم الذي يشاهد قرص الشمس والرمد الباكي بمنزلة الناظرين اليه في الشمس
بلا سحاب ولا ضباب وكلما نكص والتيه تشلوت اعينهم بالاشعة التي تتسلط عليها فاذا
سئلوا عن حال ذلك القرص اعترفوا بالعجز عن ادراك حقيقته واهل الظاهر بمنزلة الناظرين له
من وراء السحاب والضباب فاذا انكص والتيه ويرفعوا اعينهم فيه وداموا على ذلك ولم يرد
اعينهم شعاع اعتقدوا فيها كمال الانكشاف وسئلوا عما راوا ادعوا انهم راوا حقيقة قرص
الشمس بلا شك في ذلك ولا لبس فاذا قيل لهم انكم لم تروا حقيقته وانتم محجوبون عنها يقولون
للذي يقول لهم ذلك بل انت هو المحجوب وكذلك حال الاسراء باعتبار الناظرين في شانه فاما
اهل الظاهر فتبعهم فيه ورواه واعتقدوا كانهم راوه كالعيان او نزل عليهم من الله تعالى
كلية البيان واما اهل الباطن فاعترفوا بالعجز والقصور ووكلوا الامر فيه الى من يعلم حقائق
الامور وليس مثاله اخاه بقضية الاسراء بل هو عام في كل شيء غيب علمه عن العبد ولم يجعل
له سبيل الى ان يطلع على حقيقته فان ادعى فلان انه عرف حقيقة ذلك الامر في اعني بكاء موسى
واستحياء محمد صلى الله عليهما وسلم فذلك كرامة في حقه ينبغي لنا ان نتابعه وان فلنجعل
انا وانت ونحو ما يفعله الغلبق ولنعلم ان في ديانة ذلك لا ترك ولا تحقق وقول فلان
في بكاء موسى عليه السلام لكن موسى انه ما يرجع عليه اجر ولذلك بكى فان بكاه مفتقرا
كالمعتذر ذلك بعد حظه ورفعته لم يعتقد مجهوريته بمجرد كلامه للاجر ولعله يشير ان بكاه

عليه السلام على هذه الحالة التي هو بها من جهة خصوصية مقامه والا فلم لم يتلبس غيره من الانبياء
والرسل ونبينا صلى الله عليه وسلم فرضي الله عنهم والكامل انه لا يمكنه تبدل ذاتك فان امكنه
تبدل ذاته وتبقى فيه كرامة في حقه فينبغي لنا ان نتأدب معه كما نتأدب مع الانبياء واما ما سألتم
عنه من معنى قول ذلك الرجل الصوفي الذي يكرم عليهما كل شيء ولا يخرج منهما الا كل
مليح وان قلنا الجواب بما ذكرتم واجبتم انتم بنحو منه فاعلم ان ذلك المعنى هو الذي مشى
عليه في تفسير الآية المفسرون ولكن هو تفسير لا تفسير له سواه ولا كان الشارح في فهم
ذلك التفسير وقولهم في تفسير الصوفي لا يتغير من شيء كالبحر لا يتغير بما يلقى فيه من
الاقذار والنجاسات صحيح مليح ولاكن يحتاجون الى بيان تلك الاقذار والنجاسات اي شيء
هي والمتبادر من ذلك الى الفهم ان الصوفي لا يبالي بما هو عليه من قذارة نفسه وذاتيهما
اذا اخرجه بشيء من الاذاية والضرر احتمل ذلك ولم يفعل اي شيء الا ما قال تعالى واذا
خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما فالمعنى لذلك رضي الله عنه ان كل عليهما قذرا ونجاسة لم تضح
منه ولم ترفعه عن نفسها ولا يمنعها ذلك من ان تخرج انوارها واسرارها وهذا الشيء
المتبادر ليس هو كلية ما اتينا ولكن ذلك البعض والله تعالى اعلم وانما الكلية التي تشاولها
ذلك البعض هو ان الصوفي هو الذي مقامه الكرور اي شيء الكرر هو ان يرى له انية فاذا
حقا من هذا ولم ير لنفسه انية كان مثل الارض في شيء اخفض منها ولا اذل ولذا الذي يقال
اذل من التراب فاذا ورد على الصوفي شيء مما يقتضي اثبات انية في الكامل وهو المعبر
عنه بالاقذار والنجاسات احاله الى نفسه ولم يؤثر ذلك في بطلان انيته فيخرج عنه كل
شيء مليح من اسرار زكية واعمال رضية كما ان الارض اذا كرم عليها شيء من الاقذار
والنجاسات احالته الى نفسها ورجع ترابا من جملة التراب وخرج عليها كل شيء مليح من
انوار واسرار عجاب وقولنا ان الاقذار والنجاسات الظاهر عبارة عن كل غير وسوء ولا نعرف
نجسا ولا قذرا ابدا ما دام عيني في الارض كما تحيل الجيفة كذلك تحيل المسك والعود
كما تحيل ما قرره انه يحيل فالا يمنعها ويبقى مجردا فردا انيا وغير انيا لم يتعلق بشيء ولم يتعلق
به شيء وهذه الجملة يعني معنى ما قلته لك قبل هذا ضرب الابريز بالقلة وابقى مجردا بلا
علاقة ولا علة عقب قولنا واعلم انك باعتبار البشر يرى شيء وباعتبار ربك يرى كل شيء
فالابريز عبارة عما نافره ذاتك وهو باعتبار الكامل ليس يرى شيء والقلة عبارة عما
لا ينافر ذاتك باعتبار الكامل يرى كل شيء لو تكون الابريز عبارة عما لا ينافر ذاتك وهو باعتبار

ومثمر

الباطن

Digitized by Google

الباطن كونه ليس بيده شيء، والفاقة عبارة عما ذكرناه من ذلك وهو باعتبار الباطن كونه بيده كل
شيء، ذاك مقامه بين يدي الله تعالى ويقابل الذل الاعتبار الظاهر في المطالب والمنافع من عطاء العوام والاعتبار
الباطني فيهما من عطاء الخواص وفوق ذلك أن يجردا بلا علاقة ولا علة إلا للتعبير بذل على شيء
يلائمه وينافره إذ لا تتعرض لغير نفسك للإثبات ولا للحب ولا بغض ولا للتحسين ولا تقبيح بل تكون
مجردا عن المكاره والمحاب الظاهرة والباطنة الدنياوية والأخراوية، وجملة هذا من الأقدار
والنجاسات التي تعرضت لك أن تغتر من هذا القوت إذ توجد أنيته كما قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير
فتنة فلا اختيار فيه من البقاء والتحقيق بكمال العبودية أن لا يؤثر ذلك فيه شكيمة بل الحال
جميع ذلك إلى نفسه والحفظ بعالمه وكفى بذلك تبرؤا من الدعوى وتحققا بالحرية والعتق
وهو الشيء المليح الذي خرج منه فإذا فهمت هذا بقدر ما حكيناه لجامع هذا الأمر وحصل لك
بسببه فراغ القلب وثلج الصدر ولم تحتج إلى ما كلفته فيه في قولك ولا التفتيش على معنى واحد بل
تكتفي في ذلك بمعانيه وتذكرها على الترتيب الذي على ما أنت عليه فإنك عرفت المكاره والمحاب
وترتيبها في الجلاء والخفاء والقوة والضعف وأن أي حالة تتسلط على جميع ذلك علمت أن
تسلط أي حالة على الجلي والقوي من المحاب والمكاره هو أول ما يبادر إليه الصوفي لأن أشد
تعلقا وأسرع افتتانا ثم تسلط الحالة على الخفي والضعيف من المحاب والمكاره يكون بعده
بين أضعف في التعلق وأبطأ في الافتتان فعلمت من هذا كيفية الترتيب وتبين لك أن على
وأن ذلك والله ولي التوفيق. وأما ما ذكرته من حال قول فلان حيث قال لك ما عرفته إلا كلاما وما
أجتنيه من قولك أحكامه إلخ بقدر ما حكيناه في ذلك الكلام أشرف الحكم وأركانه فقد علم بذلك
جميعا غاب عنه علمه والخواص الصلاح هو الذي يعرف وأن غير الصلاح لا ينبغي أن يعرف ولا كل الناس
في الصلاح فاهمو ولا أنه للصلاح بمعنى أن الصلاحية للمحل ولا يصلح للحضرة إلا من كان، هذا
فيمن رأى ابن عباد الأكمل هذا التحرير له مراتب بعضها يكون فيه من النقص ما يكون فيه من الصلاح وبعضها
ما يكون فيه من الصلاح ينتفي المعرفة والمعرفة بمعنى المحبة فإذا حصلت تلك المعرفة والمحبة
حصل في ذلك من الفوائد للصاحب والمحبوب ما لا يحصى حسبما أومأت إليه حين تكلمت على قول
ابن عطاء الله لا تصحب من لا ينهضك حاله وأما الصلاح الذي يعرفه الناس اليوم أو الذي تشير إليه
الصوفية حين يذكرون مراتب المنتسبين ويقولون هم عمود ومقربون وهم يقولون ومعظمهم أيامهم في
أدنى المقامات وهو أن يكون العبد قائما بوظائف الطاعات والعبادات الظاهرة ولا يدري
أنه ذاك ولا يدخل معلوما إلا أن يكون ذلك أكملا إلا مجرد الكلمة أعلبنه ولا سواه في

اعتبار
أخ
رفع
إذا
كما ذكرته لك

ان مصطلحات وانه فلو كان ذلك صحيحا اعني تخصيص رسم الصلاح بادنى المقامات لم يسال مقام
الصلاح خواص الانبياء والرسل فقد سال ذلك ابراهيم وسأله يوسف وسأله سليمان على جميعهم الصلاة
والسلام وحكم الله تعالى بتوليه لهم فالاخبار اذا فعليه فهذا المقام على غيرهم وليس ذلك الا ما عنينا به عنه
والصلاح الذي يعرفه الناس ويطلقون عليه اسم الصلاح لا تصلح صحبته ولا مفارقته الا ان فيهما غاية الضرر
للصاحب والمصحوب وذلك لان كل واحد منهما يرى للاخر بحسن مواقع نظره منه لا يحب ان ينتقص
منزلته عنده سواء كانا متماثلين في الصلاح او متباينين لان الصاحب راغب في صحبة مصحوبه بعد ما رجى
ان يقع منه ما يكرهه ذلك والمصحوب لما رغب الصاحب في صحبته احب ان صحبته بعد ما رجى على مثل ذلك ايضا
وهذا المعنى هو الذي اشار اليه ذلك الرجل الذي قال اخاف ان اتزين له ويتزين لي واتصنع له ويتصنع لي ويستمر
كل واحد منهما لاخر من وجوه اخر فاذا كانا متماثلين في الصلاح حرص كل واحد منهما على التماسه عند الاخر
وتشوف الى الاطلاع على عوراته لان كل واحد منهما لا يحب ان يفوقه صاحبه بمنقبة من المناقب ولا ينسب
له هذا الا بتطلب عيوبه وان كانا متباينين في الصلاح فمن هو افضل صلاحا من الاخر يلحقه من قبله الصغار
والمذلة واعتقاد ما فاته من صحبتهما ومن هو اكثر صلاحا يلحقه الكبرياء والعزة واعتقاد مهما ما
فاتت صحبتهما فان كانت صحبة الصلاح متضمنة وقوع غاية المضار لكل واحد منهما اذ هي متعلقة
بامر الدين اعني المضار فحسبك من تلك الصحبة الضايرة والمنفعة لان الضايرة والمنفعة اذا كانت
متعلقة بامر الدنيا فلا تعدل شيئا من مضار الدين وان كانت متعلقة بامر الدين فمنفعة الدين
ترغب فيه نعم لان وجود المنفعة لا يفي بوجود الضرر فالفرار من الضرر هو غاية المنفعة فصار
عدم صحبة هذا الصالح سببا لوجود غاية المنفعة كما ان في صحبته غاية الضرر فاذا تقرر هذا فكان
ونفعنا الله تعالى حين قال لك اعرف فما حائم يغدو ذلك منك لعقلك ذلك الصلاح لك ان تقول له
ما الذي تعني بالصلاح ان عنيت به المعروف عند الناس فعدم صحبتك لي مما اغتنمته سواء كنت في ذلك
الصلاح قدامك او دونه فقولك لذلك للاسباب التي ذكرناها وان عنيت الصلاح الذي هو الصلاح الحقيقي فلا شك
لك انا منه مفلس بل عني مربما ديدنا رواية به في الوقت كالعلماء الا كلهم نعمة من الله وفضلا
فاذا قال لك مما منا الا ادعى فما نعوا وانما سلبت عنا الصلاح لانك ابتدعت وتركت سلوك طريقة
العلماء وتصوفت واتبعت الجهال والاغبياء وادى ذلك كله الى التهاون بالدين والشرع
ورضيت بتهاونك واستحسنته واستصوبته حتى انه لو نصحتك لم تقبل نصيحتي ولو وعظتك
لم تنتفع بموعظتي فاي شيء افعل بصحبة من هذا حاله معي فان قال لك هذا فقد اخذ الكلام الى
الغلب والانبحام وامكنك ان تاخذه اخذ الكرام لانه رماك في امر انت منه بعيد ونقول لك عن كتب

الحبيب انه لم تقع منه كل العناية في البحث عنه وتطلب الشفاء منه بعين صدق يقع لك ان تقول له
دعنا من هذه التشنيعات والتمنا وويل لي انا هالك بزوجي سرا وبلاوة عوائده في عرض الكلام من جملة
الاباطيل فان قلت هذه معرفتي فيما قولك ليست هذه دعوى لانك لم تشاهد فيما انبسط ولا
اعتمدت فيما تكلم له وحرسته بل الغيب الا ربك السلم وتحرمه بما القطيعة من النفع وعندك انك لو جاهد
والاف الالاف فيما حمزتك وفيما ولوتك لعلهم نفع وانجمتهم بتوفيق الله تعالى ومعونته فاذا قلت له
هذا الكلام وتنازل الراوي بتحريف مطلقة هذا الامر ويقبل علينا بكليته حتى يأخذنا عند الحزاب يظهر فيه
انه يؤدي ان تجيب انك وتحكم انت بعفو انصف والانصاف فيه بركة وخير كثير ونرجو من الله تعالى ان
يتيسر له الحق يشتمل على جميله ومع فيه بغير شوب ولا مزية وان لم يتناول الراوي بتحريف مطلقة
هذا الامر برمته وما اختار لنفسه ويوما ربما نصاحبك وارجو سعة الكتاب فاذا وليته هذا لك ولم
تصرفه اليه همته وبالذكر عليه ارتقاء ولا تعرض له بعده الك بسوء ولا بالتهجم والدعاء بهذا الحق
النكتة المستغرقة التي يقبلها كل طبع سليم واما الكلام الذي تكلمت فيه والكلام الذي جاوبت به بعد ذلك
بجارح من لا نوه الانصاف مشتمل على نحو العصبية والاخراج بقوله اعارد ان تعرفني فلا تعرفني
بالصلاح فستشنع الكاتبين وقوله هو بعده لك الله تعالى يتوب علينا قبل ان يقع ما هو مذهبك في
الصلاح ان شيء هو ليس له معنى يعلق بالخاطر والصواب ما قررناه والله تعالى اعلم وكلامي كلام من
اشكل علي ولا بالجمع بين كلامي الحديث وبين مذهب المتصوفة جميعا وحال البقاء هو حال الكمال
والشعور بالاغيار فيه غير مؤثر في نقص ولا اختلال وقد سمع النبي صلى الله عليه وسلم بكاء الصبي
وسمعت امه بكاءه وشعرت ما هنا بان غبار للذي كان شعوره صلى الله عليه وسلم بالاغيار في مقام
البقاء بل لانك وقع منه عند شعوره بها في حالة ذلك البعد الحسي وشعور امه بالاغيار في
حال وجود الغير بهذا الك كان قلبها عند شعورها بها في حال تمامها تنشق وابلغ من هذا الحديث
في الشعور بالاغيار الحديث الذي ذكر فيه حمله صلى الله عليه وسلم لامامة ابنة ابنته زينب وانه
كان اذا سجد وضعها واذا قام حملها ان ترفق ذلك على كماله لا انه انما حمله على هذا سيره صحبه لها
والشعور مع يسره الحب ابلغ من الشعور بلا حب الذي كان هذا كله في مقام البقاء والاشداد النبي
صلى الله عليه وسلم كان في كلامه كما الناس يحب ويبغض ويرضى ويغضب ويشتهي ويقام ويلتذ
وينام وغير ذلك من لوازم البشرية للذين قد توهموا ان حاله في هذه الاشياء على حد حال غيره او ان
حال غيره مثل حاله بل لو ارتكب امرا بكيفية او اعتقد بعقد اشنيعا ولم يجعل لما اعطاه الله تعالى
من العلم والفهم في الانبياء يبين بمقامه الرفيع الذي هو غاية الغاية ونهاية النهاية ما تراه لمن له انتهى

Digitized by Google

تفعلها وأحوالها التي يتصف بها فإذا رأينا النبي صلى الله عليه وسلم في الكلام تتشاغل بالغير
في صلاته وحكمنا بأن هذا هو حال الكمال ورأينا غيره يتشاغل في صلاته بالأغيار لم يلزمنا أن نحكم على
تلك الحالة بالكمال بل يجوز أن يكون حال الشخص الذي يشتغل بالاسطوانة الساقطة والشخص الذي يعد
الحصى بيمينه وشماله في العمل وإنما حتى يتحقق حاله ونعلم كيف وقد قال صلى الله عليه وسلم إني لست كهيئتكم
وهذا الكلام وإن كان ما ذكر في مسألة الوصال فهو عام في جميع الأحوال فلا بد من اعتقاد بينونة عظيمة بين حاله
وبين حال غيره وإن لم يظهر لنا نحن فرقان البتة وفائدة هذا الكلام والله تعالى أعلم أن يستتب لنا حصول
الاقتداء به إذ لو ظهر لنا فرق لم يتم لنا ذلك ولتوهمنا نحو ما توهمه ذلك الرجل الذي قال ما
معناه لسنا مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم يحل لرسوله ما شاء حتى شق ذلك عليه صلى الله عليه
وسلم وغضب وقال ما بال أقوام يتنزهون عن شيء أنا أفعله والله إني لأشدهم له خشية أو كما قال
صلى الله عليه وسلم وهذا من جملة الرحمة التي بعث من أجلها وهو أن يدخل في ربقة الاقتداء به
كل من علا وسفل إذ هو في بعثه إلى الأحمر والأسود ليس كغيره من الرسل وقول فلان هذا ما رأيته
ولا عرفته لهم حين اختبرته فلأن حال الكمال عندهم هو مقام البرهان للأولياء ولأن من علم حجة على من
لم يعلم والفقهاء الذين هم أهل التحقيق في الفقه لا يبعد في حقهم أن يجهلوا مسائل من التصوف
كما أن أهل التصوف الذين هم أهل التحقيق فيه قد يجهلون مسائل من الفقه فلو قيل للفقيه مثلا
ما معنى حضرة القدس لم يدر ما معنى حضرة القدس ولو قيل للمتصوف مثلا أي شيء مسألة الحمار والفرس
لقال لا أدري ما مسألة الحمار والفرس في مذهب الأئمة ومن جهل شيئا عاداه وهذا ما حضر من الكلام على
مسائلكم **وقد بلغنا** جنابكم بعد كونه تشوق وتعرفت أمورا منها مسألة فلان وأنه
كنتم عوضتموه بشيء عنه لم يصح والحمد لله وقولكم في مسألة الكلام عنه وما نزلت فكم استفعل وأنكم على فلان
وفلان كذا وكذا صحيح ذلك لا نكلف وقد أصبتم فيه وأصاب ذلك الحال في الغالب لا بد لهم من أن يمتحنوا
ويبتلوا ببلايا ترجع أيديهم فيها الجماعة فنعوذ بالله من الدعوى فإنها أصل كل بلوى **وقولكم** وأريد
أن تبين لي كيف يكون مدخولا ما أنا آخذ فيه من الرواية فليت شعري كيف يخفى عنكم ذلك وكل ما يفعله
الإنسان اليوم بشهوة وهوى مدخول وفي هذا اليوم أشرت به إلى الوقت الذي أعز فيه وجود أنوار اليقين
التي تكون أعمال العباد بسببها غير مدخولة ولا معلولة **وقد** قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله
عنه حين سمع القائل يقول لا حكم إلا لله كلمة حق أريد بها الباطل فلذلك أعمالنا وأقوالنا اليوم
كلها أقوال حق وأما بغلوصها ولا بد له مخرج إذا أخذ في التنقيب واعتبر هذا كله في أقوالك وأفعالك
من حين تدخل منزلك إلى حين تخرج منه فاعتبره في أفعالك وأقوالك بحضرتك لا فلانة لزيد وعمرو وكيف

Digitized by Google

تلقاه وبما تلقاه فانك اذا فتشت ذلك كله فان لم تجد الدخل فيه لم تكن على يقين من وجود
سلامته فاذا انكم هذا فكن فيه في فضل من افعالك انت فيه على الكم بصفة المثلى خصوصا ان خفي مستمسكا
لك في الرواية وفي الاشتهار والثابت عن الكتاب المميز معروفا بغرائبه المعلوقة والمراد منكم
ان تخبروني بما استشكل عليه امركم من حال الناس الذين هم يموتون جوعا وعريا من غير مبالات احد بهم
فلا ادري اجعلوا في ذلك رخصة ام اخذوا في قلوبهم وابدانهم من شؤم حال ما ذكرناه حتى انهم شكوا
في ذلك للحاكم والمنتدون والمعتقد وخلو الكعبة تنكح العمد وهذا هو الكامن فان كان هذا هو
الواقع فان نعيبه تشمئز من شكوتهم في ذلك كثيرا لما تضمنته شكوتهم من فساد الناس وعدم مروءتهم
فيكم هذه النازلة التي هم فيها حجوز اليها الاحتياج التام ويغنا ان يعرى في ما علوا علكم ويمران تخرج
لهم فتنة دجالية تفسد فيها اديان الناس واعتقاداتهم لجبريتهم ولابد من ينتج في مثل هذه الحال
تلك الشبهة الخيالية ويقع السكوت عنها كما وقع في هذه وهذه النازلة من مفرعات ذلك ومن
ادل الدلائل عليه الآن فلكشف الله تعالى والشدة عن هذه النازلة لم يكن ومثلها فيما تقدم —
فيسأل الناس فيها مسألة المتقدمين حتى يفتي لهم في ذلك وان اخذ العمل في ذلك اعتقدوا انهم
على الخطا فيقع منهم اي عمل او نزاك كيف ومثل هذه النازلة قد شملت وبلية غلبت سائر البلايا
وفرت او فسدت فيها اديان الناس وقد اتهم واخلاقهم اما فساد اديانهم فلاهمالهم المساكين
وتخليتهم اياهم حتى يموتوا جوعا وعريا ومنهم قد وجبت عليهم مواساتهم وقد كانوا قبل اليوم
يكثرون فيهم بغض الكيئات واما اليوم فلا فرق عندهم بينهم وبين الفقراء والكلاب وقد يصبح
بعضهم في ازقة المدينة وقد اكل الكلاب بعضه وجروه ويمرون عليه بعد ان لا حيلة في الجيف
ثم ان باب الورع في الحرام قد انسد عليهم بالكلية فلا يبالون بشيء من الاشياء لا رشوة ولا من
خيانة ولا من خديعة ومن له قدرة وغلبة لم يتق في شيء من الغصب والظلم ولقد كانت هذه الاشياء موجودة
ولكن قبل هذه النازلة ولا يتحرجوا غير الستار في هذه الازمنة وقد كانوا اهل السنة حاليهم للفقهاء
المشتغلين بتفهيم الاحكام الشرعية اشتغلوا بها انتم وغيركم حتى تعلمها منكم اهل المحشر واما
نحن فلا حاجة لنا بها الآن اذ نقدر لو نقدر الحق بفساد الزمان واما فساد مروءاتهم فكل من في يده
شيء فهو ضنين به ويشح به عليه ولا يستحيي من رد من يسأله مواساته حتى يموت اليه بقرابته او
معرفته ولا يستحيي السائل ان يقول ان يبذل وجهه بالسؤال والكدية ومنهم من هو قادر على التسبب
يقيم به حاله وقد يسأله بعضهم حتى لو كان يبذل مهره او امكنه ان يضربه بيده لضرب واما فساد
الاخلاق فهو قبل بقدر الشفقة والايثار وعدمها من الرأي الفضال فترى احدهم يتعرض له المسكين

الشافعة العظمى الذي لم يبق منه الا الرسوم فلا يعبر له بصلاة واذا اصابه الكسوف في جميع ولا ولاد بزل
ولا ادري في اي وقت تعود لقلة الشفقة الان انقرض هذا الجيل باسره لانه على تقدير ان يبقى لهم وقت رخاء
وزمان خصب ليس لهم في ذلك مطمع لان المساكين اذ لم يكونوا احسن حالا من امثالهم ان علمه ومن
يقوى بعضهم على حال الدو على كل حال فشفقة الناس عليهم تكون معدومة بالكلية لانهم اذ اعدموا حل
والبلايا بهم فتبقى فتنة والمحن عليهم مثل الحجة فاحرى ان يعدموها في حال يكون فيها بعض اتساع
فلا ترى الا اذا احدا من المساكين يشتهي له احد ولا ياخذ له بيده فقد انقلبت منهم من هذا الوقف المسكين
فلا تسال عما يكون فيه من الاقبال على الدنيا والحرص عليها وعلى جمعها ومنعها الا انه يخاف ان يدركه
زمان يكون فيه مثل هذا الامر النازل او اشد وعلى الجملة فقد وقع في الناس الفساد الذي لا يرجى زواله
الى يوم التناد ثم انه لا يكون الا في ازدياد الا من رحم الله تعالى لان الاسباب التي جبلت لم يبق في ايدينا
منه الا الاسم والدين المحمدي لم يبق عندنا منه الا الرسم وعلوم على الامرين وقد تبا بهما
يتلقى البلايا الكبار النازلة على الفقراء ويشتعلن بسببهما الرزايا التي تمثل العيش ويعوز فيها
له مكان فالى ماذا يلجا الناس وبماذا يتمسكون واي رقة تاويهم وفي اي ارض يسلكون وبناء
الدين في تداع وضعف الايمان قد نفيا الرحيل ووقف للوداع ومما يكاد ان يخرج منه القلب ويتفطر
له اللب عدم تعرض الخطباء والوعاظ لتنبيه الناس على هذا الامر ابد الدهر فترى احدهم في اكثر
البلدان يرقى على خمس درج او ستة او سبعة من عيدان ويقف على روس الناس في كل جمعة فيطلع
لا ينفع احدا ابدا بعظة بما كان او يكون الا انه انما يرقى به على كفره قبل ان يقيمه او يتملك احب
بريد خرقة المسجد اخرجه ويتبعكم ولو يعلن ذلك كان وعظه بما انفع من وعظ هذا الخطيب
المسكين ولا يحتج ما علمه صورة الكتاب معه لانه يتلو لقوم يوم حين قل للذين امنوا يغفروا
للذين لا يرجون ايام الله ليكفيهم ما هم فيه وقد قال عمر رضي الله عنه لما سبق الناس لعمر فرات
واستسقى فما قال ان تجمعوا عليه العكس والفعل وما منه الا مقال ولم يشتغل ان ما بان لمشروعية
البكور يوم الجمعة والتزود اي نفقات اذ ما كان ما يسمع منه اليوم يسمع في سائر الاوقات وقد قال
الامام ابو حامد رضي الله عنه في بعض كلامه فيشير الى ما يفتقد من مفاهيم ولقد سلمت المنابر اليوم
الى قوم قل من الله حياؤهم ولا ادري ما قال بعد هذا والكلام ولقد سلمت المنابر اليوم للعجم ومن
ليس له من المعرفة بمصالح الناس في دينهم ودنياهم لا قليل ولا كثير واعظم منهما ولا واشد
وادهى وامر المعجبون باراءهم وادعائهم والقبر جون بانهم انهم اصحاب الكراسي والاشياخ
الذين يشتغلون في امتثال الناس لاوامرهم وتواضعهم بالسلاكين فتراهم مشتغلين بمسائل

وبا ذلين

Digitized by Google

وبادلين جهدهم فيها وربما انّ يحتاجون منها الا الى مسئلة واحدة من مائة مسئلة وتسعة وتسعين
مسئلة لا حاجة بهم اليها واذا لم يحتاجوا منها اليها بما بعدهم اخرى ان لا يحتاج اليها الحكم ازمان
الفاسد بذلك ثم انهم اهملوا معرفة النازلة المعضلة والقضية المشكلة التي عم ضررها الخاص
والعام ونبذوا الفرق بها على الخلاف سلام فلم يرسموا فيها بابا ولا وضعوا فيها سؤالا ولا جوابا
حتى يكون الناس على جلية من امرهم اما من كلامهم واما من روايتهم ولو وقعت نازلة لم افر
مما يرجع الى شهوات برجيه مثلا وتنازل الى السؤال عنها عن ذلك ويقول قد سبق لسانه بكلام لا ادري
هل يفوتني بعض غرضي من الجارية الفلانية التي انا احبها ام لا لرأيت فيها من الفتاوى والاوضاع
والنصوص والاقيسة للامر بريمه .   جارية في املها غضب للجالب حبسها والرؤية لها
وفضلا عن مضاجعتها وقبلها بعينها ودونه يجعل عوضا من ذلك الكلام الى تكلم بتسميتها وتقريبها
وهذا معروف شأنهم في اكثر امورهم فانهم يقولون انما نتعلم العلم ونعلمه من حيث هو واما ثم نه
وفائدته فليس لهم تعرض لذلك واما مفاسده فقد تحموا عنه وفيها منه واحدهم في مجلسه
سباع ضارية وكلاب عاوية اعظم مقاصدهم في حضور ذلك المجلس ان يتعلموا كيف تنتزع اشباهم نعم
للابتها سر الناس ذباب في ثياب يكثر للناس على ضواميرهم التودد والسمت الحسن فاذا تمكنوا
من رياسة وولاية تنزوا اخلاق الخمر منهم فما تعلموه منه من الشر ويكفي ان يكون في المجلس من هذا
الجنس واحد على الدوام او ترمى المفاوز بعضهم حتى يحضر مجلسه في بعض الايام وقال الحزم في هذا
الوقت للمدرس المشكيل الذي يفعل ما فعله ابو سفيان بن حرب في الليلة الظلماء لما خشي ان يدخل
جنده فيها احد من الاعداء فمن يتحسس خبره ويعلم ضرره فقال ليتفكر امرؤ من جليسه لا كي
للمنافقة معاول الذين كلامنا فيهم وحذ ببيتهم فربما يفعلون معه ما فعله حذيفة بن اليمان
في ذلك الاوان فانه بادر واخذ بيد من على يمينه وقال له من انت واخذ بيد من على شماله وقال
له من انت وحينئذ يضيع حزم صاحب ذلك الزمن ولقد قال رجل للاعمش قد احيا علمك وضيعه
له بتعليم الناس العلم المجالس اليه لقد اخذ الله بك العلم لكثرة الآخذين عنك اولما قال
فقال له انك عم ما بعد الهم على ثلاثة اقسام فقسم منهم يموتون من قبل الادراك فيذهب
علمهم وقسم منهم يصحبون الملوك فيذهب علمهم وقسم منهم الغنة قاربيفسقون فما علموا
فيذهب علمهم لسان حال هذا الزمان قائل فيه من تعليم العلم لم يعدم فيه ضررا او ان تعبد في
ذلك قسما مفردا وقد جرى القلم بما لم اكن قصدت ان اذكره فلنرجع ولنقل اما ذات الفريقان
من الناس فيها الذي يلزمها الاخذ في هذا الامر اما الفقهاء فيلي بانيه وانا اريد برهانه

وأما المتكبر فيا أشد عيبه وأعظم ذنبه لأنهم لم يعقلوا والله تعالى يوفقنا وإياهم إلى ما يحبه
ويرضاه وقد ذكرنا في الكتاب الذي قبل هذا شيئا من هذا المعنى الذي هذا أو عجب وأكثر والله
تعالى يخلص الجميع بفضله وقد رأيت أن أذكر لكم مقطعا أبياتا أربعة يتضمنها مربع وأذكر
لكم معه أبياتا يستفاد منها كيف يستخرج منه والمعنى الذي يتضمنه معنى شريف يتعين
به أي معتناه وقد سمع به الخاطر الذي ليس بخاطر معتز وأدات منه وأزول به منه وقد رأيت
المتطفلين فيه يفعلون ذلك مع المتطفلين مثله فيقولون وقد أجزت لفلان كذا وكذا وجميع ما
لي من نظم أو نثر وقد جعلت أنا معه فيلهم في هذا المربع وما يتعلق به وهو هذا

زكيتم وإن تشا: ككو فإن روح وضم

وهذه هي الأبيات المفسرة لذلك
واعرف بدايتها وضعا وغايتها
وعكس أخر به ينبيك بالخبر
ثم استمر على أسلوب ذا النثر
فيها امتزاج جميل الوصف مقتدر
فاسمع لقائله واعمل بما فيه
تكون وينمى لي ذكر لمدكر
ثم ارسم مثلا تدعو له رجلا
أو قد ترى سببا سمه لمعتبر

أخذ من معناه معنى يتبع به
ووجها حفظها من جودة النظر
فانسق عطاء به بانا منعتج
في بدء ما ختمها فلتقتصر بالكبر
ثم الدعاء إلى استحلال مرتضى
تكفر بكفالة معتزا بالكدر
وإن شرفت له فاسأل وضمنه
ولا تكن وحدا أن ثلث أو تزر
واستر لنا خطلا واغفر لنا زللا

أبياتنا انتظمت كالسلك بالدرر
تعد منها ابتداءات بأوسطه
وإذ عقب يمينا وحل قافية بالأثر
أذى له قد أسفرت عن وجهها وبدا
من أجل حشر تشمير أولي الفكر
فربنا بدلا ما إن يغير له
رأيا ينيلكه في لمحة البصر
وعزة الزيادة لم يكن عجبا
وأبلغ أفلا ليكن تعتذر

بهذا الشيخ ما ان نقافيه * تغلو ابها عيمي ذكا الأديم ارثيه * بهذا اعوا المربع وأتى بأبيات
فانظر منها ان فرزت على استخراج ذلك والابتداء بالعمل معونة استخراجها واذكرك
نص الا تعقيل الابيات برمتها فاذا عرضتها على المربع تفرجت فيها كيف تطابقه وهي هذه
حيا ربنا بالخير وليس نشأ * ككوكب روح ونور شيب دوايح * علا وقت حسن شامخ اقبل كذا
لربه ولنستغفر لأن زاد ناجح * فجانا ازر انوار وجمال * وذا الاولا بمحتا بها زدن ماوج
خزامى دريها العلى بزان نفسيه * وليس اغو بجمر جبار بزا بيح * وانما قلت في تلك الابيات
المبسوطة ثم ان تمر منها الا نه كنت نقصد بذلك ان مما كان يكتب الي في هذه الايام ابياتا من نظمه
فاردت ان ابعث به اليه ثم تغافلت عن ذلك وقد اتفق في هذه الليالي ان كان في بعضها زغب فوق حتى
ادركني منه رعب وقلت في نفسي ان شئت يمنع من ان تتنزل بنا الارض ويرجع لغلا ما اشغلها
فنظمت هذه الابيات الان بعد ذلك ان اطلعت ماكان منها متمثلا فانزوا ذلك معي
ايا فوزي ان تحيي بغفية * او ابن قو في ثنا العفو الحوايج * ان ازيد وافتدا روعة * بما الامر عن فنيقها الدرج
وليس بزافيها ما ثاامحلا * سوى بفضله اذ ما عراه الحلج * وليس له نفع بي وكفاية * على عجلة اذ ذا الشيء يمنع
وليس له ملجأ ولا منجا له * من الله وا دنيا ولا يوم يخرج * فيشرا الى الله الذي الامر امره * فهذا ام مستقيم ومنهج
وهاذا اعتقاد العارفين بربهم * فبالله فاعقد امرهم لا تعرج * فهذا ما اردت ان اذكر لكم
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته * فهذا ما نقلت من ذلك الكتاب الذي احتوى على جملة من المواضع
يسيرة منه فانه نقلتها على المعنى الذي كانت عليه وقد احتسبتم في بعث ذلك الكتاب المشتمل عليه
اشتغلت به ولولا ذلك لانتسبت وذلك المربع لمعونته ان تكتب فيه ثم وزن احد اسمائه فهو
يمر اغلب به انما يقال في الروايح والامور العظيمة بعثت به لمجرد العظم فقط والثاني قوله ناجح لم
ار له في اللغة مستعملا على هذه الصيغة من الثلاثي وانما استعمل على صيغة منجح من الرباعي لكن هذه
الصيغة التي ذكرت ما الوقعة في العادة والذي يظهر لي ان كل خطيب يخطب فهو خارج عن المضمار الذي
استشنيته سواء خطب في كل جمعة بخطبة واحدة لا يزيد عليها شيئا او زاد عليها ولكن في بعض الجمع
دون بعض او زاد عليها في كل جمعة ولكن لم يراع في خطبته حالة ذلك الوقت او راعى حال ذلك الوقت
ولكن لم يحسن سياقة ذلك كما ينبغي او استوفى ذلك كله ولكنه لم ينو الله تعالى ولم يرد فيه خالص
فيه اخطأ ان التصنع والرياء فهؤلاء الخمسة من الخطباء ونعني بخروجهم عن المضمار انهم اشتركوا
في انهم لا حظ لهم من ثواب ولا اجر وهم منها وتوبة في الاثم والوزر فالاول والثاني منهم وزن الا نه
نرغم في تلك الاعواد ولم يرع احدا غيره ليسمع الناس وانه تستبعد والثاني دونه والثالث دونه

م خارج عن المضمار

الثاني والرابع دون الثالث والخامس ودونها الرابع وابن عرفة أجاز في المختصر الخطيب النازع العارف
بالمقاصد والمصالح أن يعلم وجه مشروعية الخطبة في كل جمعة ويذكر للناس فيها من وجوه النصيحة
ما أمكنه ويستعين على ما يعلمهم الأمر الذي يحتاجون في الوقت إلى علمه والعمل به ويبلغهم
ذلك على أحسن وجه بحيث يراعي ذلك في نغماته وفي ترتيب كلماته ويختلف ذلك باختلاف
المطلب الذي يعود الخطيب فيه فيرفع صوته في موضع ويخفض الكلام في موضع ويرفعه في موضع يليق به
رفعه والإسراع في ذلك على شيء واحد بل يضع كل شيء في موضعه ففي الصحيح عن جابر بن عبد الله
رضي الله عنه أنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته
واشتد غضبه كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم الحديث ثم ينصرف بذلك وجه الله تعالى
والدار الآخرة فقد أجاز المختار السابق في تعاطي ذلك من الأوزار الكائنة في عرائق
المتطيرين الأبرار وهو من لم يكن مخلصا في ذلك لأنه لم يعرف له معنى الذي يقوم مقامه في شأن
تلك المسائل وهو عندي بنفسه شيء معالك وقد يكون ما ذكر المختصر مبانيه عن درجة الاعتبار
ليس وراءه دار [illegible] واعلم أن العامة والغوغاء لا سبيل لهم إلى الاتباع على أيدي الفقهاء
المتصدرين للإقراء والتدريس لأن مسائلها وأدلة الأحكام الشرعية وذكر علماء شعرت لهم أن
يسألهم عنها والعامة الإفريقية ليس تحملهم على سؤال العلم عن ذلك لما هم فيه من الجهل والغفلة فيحتاجون
لأعمالهم إلى من يعاني قلوبهم بالموعظة والتذكير والتخويف والتحذير من تشبثهم في أثناء ذلك إلى
ذكر الأوامر والنواهي والسنن والآداب وكم يقتصر في هذا أوسع من كم يقصد الفقهاء وأقرب فأخذ
وهذا يقع لهم الانتفاع بغير رأي ثم هم يقعون بقضاء أو لا يكون أو شيء يجمعهم معه حتى يقع منه ذلك لهم
وليس له سبيل إلا بأمر الداعي فيناديهم على الناس إلا أحضروا مجلس فلان فإنه يريد أن يعظكم
ويذكركم ويعلمكم ما تجهلونه فإنهم يقولون له لا حاجة لنا بهذا أحسنوا العبارة والألفاظ واشتغلوا
بالخير [illegible] تلك الفرص لهم في توصله إلى ذلك بمشروعية الاجتماعات العامة كالجمعة والجماعات والأعياد
والمواسم يحضرون إليها على ما أقبلوا وكرهوا سمعهم من ذلك فما يقدر لهم سماعه وتلطف لهم
مع ذلك بأمور مثل التبكير والدنو من الإمام وإيجاب الإنصات والتوعد عليه بتكلان الصلاة حتى
أنه ورد النهي يوم الجمعة والإمام يخطب عن الاحتباء لجلب النوم ويمنعه من الاستماع للخطبة
وفسر العلماء على ذلك الاستناد وأمره بالجلوس ومشتغلين أترون هذا كله شرع لكي يسمعوا
منه ما هو مقصود لهم أو غير ذلك ثم إن الأزمنة التي كان الخير فيها منحطا وغلب فيها على الناس الغلبة
الكثير لم يبق معهم أي شيء سوى تذكيرهم بالقرآن وإسماعهم إياه كما قال تعالى فذكر بالقرآن

بعض

من زمان بعيد فكان لهم في الصلوات الجهرية وفي الخطب في الجمعات والاعياد والاستسقاء الحظ في مواطن
الحج سبيل النوادب فكان يتلى عليهم القرآن ويسمعونه ويفهمون ما خوطبوا به من العقائد والآداب بقدر ما يفقهون
وان لم يفهموا فيفهمون منه ما كتبوا بذلك ولم يحتاجوا معه الى ذلك كله بسبب ان لم تكن اذ ذاك العامة والغوغاء
فلما تناقص الحين واظلمت القلوب بعض الكلمة حرفت العامة والغوغاء فاحتاجوا الافادة الى

وفشى

مزيد كلام بالعربية فنشأ من اولي العلم والامراء ونواحيه وزواجر لهم وتغيير لهم وعيد وبانتشار الخطباء والوعاظ
والقصاص للقيام بوظيفة تكميل هذا الغلو الذي اكابر التحق العلوية الاد وقد اشتهروا في ذلك
مناطقهم العجيبة كل على حسب ما اشتهر له في وجه المعاملات والمعالجة للامراض الحادثة في ذلك
الوقت فانتفع بهم عالم كثير ثم من بعد هذا الامر مختلفون فمنهم من تأسس مهده وعمل به العافية
على غير هدى ومنهم من وقف يعلمه عن التمادي حتى انقرض العلماء فوق من ولا يتلو الواعظين والمذكرين
وبقي منهم امثال التصنع والرياء فيخبر المتصل الريا ووعظهم البلادة اللامعاذ الله على حال ما هم عليه
من الفساد لم يخلوا ايضا من انتفع بهم عالم كثير ولما انقرض هذا الاداء ايضا لم يوجد من يقوم مقامهم
وان يحسن ما يحسنون فبقي الخطباء على حالهم فمنهم من يحسن بعض الاحسان ويراعي في خطبه الوقائع

تعبير

والنوازل ويذكر للناس ما يليق بذلك فينفع لهم في ذلك المجلس بعض الانتفاع ومنهم من لم يعرف شيئا
من ذلك واعتقد ان الخطبة انما شرعت لا لغاية بعرفها في كل جمعة ويسرده على الناس خطبة مرادة
من هيا المكاتب يحفظونها لما يحفظها غيره ومنهم من يأتي بشيء من خطب الناس ولا كرك ان الف
خارج عن الحضار واما الوعاظ والقصاص فعرفوا وكادوا يعرفون الا تلك الالهي يقدح تعب المراح
تحتاج الى شروح لنشر جمعها ذي الازمنة من يعرف بها فلما ضعفت طريقة الوعظ والتذكير احتاج ارباب
الامر الناظرون في مصالح الناس الى ان يقيموا لهم من يسمع الناس كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله
عليه وسلم وكلام العلماء المتقدمين رضي الله عنهم اجمعين في المساجد الجامعة وغيرها على من يحسن
سياقة ذلك على وجهها الذي راوه المرتبات لهم لهم وعلى الفقهاء والمدرسين ليقع لمن يحضرهم من غير اشتغال
بحرفة حلق الحزب بالغداة والعشي ولولا ذلك لبعد عن الناس سماع القرآن ولم يسمع من احد الا في
قيام رمضان واما الصلوات الجهرية فلا يقرؤ فيها الا بسور معلومة قليلة الحروف والكلمات ولم
يحصل لهم علم من ذلك لم يفصل ولو حصل ايضا قراءة الكتب التي فيها ذكر الدين ونعوت الصالحين
وكيفية التعبد لرب العالمين فكان قراءتها على الناس كالنائبين عن مؤلفيها الذين سلفوا فهم متكلمون
بالسنتهم وان كانوا في ازمنة بعيدة من ازمنتهم ولهذا لا يحصل بها كمال الانتفاع للسامعين
والمنطا لعين لهذا لا ينتفع في الناس النوازل التي تحدث كما هو مر نصوص الكتب الفقهية حتى يتفقه فيها

وبذلك يستبيحوا امورا كثيرة ولاكن فيها مخاطر كثيرة فالمهارة الحاصلة الآن في اطباء الدول الذين قد اتوا بها من قبل
تشاغلهم بذلك من غير مشقة ولا تعب في وقتنا هذا لكثرة تسببوا في فلاحتهم وهذا الامر لم يحصل لهم
مثل ما حصل الآن للاولين على ما انتم عليه من الجهل والغباوة او من بلوغ مرادهم فاستشبت لهم ذالك
من قبل فساد الوضع فلما تعاطى ذالك من لا يحسنه ولم يعرف السبب الذي لاجله كان ذالك صار
اضرهم في تعديه على الناس والفساد نيته وجهله بوجه فرسو فيه يكون ارادة ذالك عليهم
لا يبالي بعشرتهم ولا يعرف او يبيح بدنا او نومين او نحو عشرة ومنهم من لا يبرأ ولا يعرف ومن ثبته جار
عليهم بتوكل يسير وسهولة تأتيه بحسب طباع الناس ودناءة همتهم ومقالته الدنيا لهم ولم يحرزوا
تعينا ولا نجاح امر قلوبهم وبقوا متمسكين في دنيا الحرق فما في شهواتهم وعوائدهم وذالك من تقصيرهم
ومثالهم الا انه يغيب منهم بغاية يعرفون شيئا فيما من الحق ويعم الحزن بين ربعها ومن المساجد ولازموه
بمجالس العلم وحلق الذكر للذي اكثرهم يعقل ذالك شرارة وعادة ويدعوا لا يهتدي الى ذالك بجهله وقصوره
عن الاخرة والدنيا ومزاحمة اهله اعليهما ولو قدر على ذالك لم يرض بذالك ومن العصمة ان لا تقدر
واقلهم يعقل ذالك حسبة وقربة ثم ان مثال الله على قسمين مقتدر رضي بحاله واستحسنه وقال ليس
في الوجود الا مثل الحال واقلهم من لم يقتدر بحاله ورأى ان ما هو اخر فيه شغل من جملة اشغاله
ومن امثال اليوم الطبيب ومن يشار اليه بالعقل واللب ايضا ثم من المعلوم ان الداء اذا اعضل واستحكم
في الناس فانه يحتاج الى من يقوم بوظيفة طبيبه وذالك بان يكون بصيرا بذالك الداء ولا سيما ان كان ذالك
الداء يفتقر تركيبه سائر الادوية فيحتاج في ذالك من الاعشاب والعقاقير شيء كثير
وربما احتيج الى ان يضاف اليها اشياء فيها سمية كالذراريح المعلومة ولحوم الافاعي والحشيش
المسمومة ومعلوم انه ليس كل طبيب يقدر على معرفة ان يتعاطى مثل ذالك القليل فلا بد من
طبيب ماهر ابن زمانه بمنزلة في العلم بمنزلة الكفوا مير ومعرفة العزلة في الغاية فكذالك مثا
نحن فيه في الناس اليوم كالمجاذيم وقد تعاطى علاجهم اشرهم جزافا فكيف ينتفعون على يديه
او قطع وجوههم يتغير بلهيم عليه لعمر الله لم يعرفوا مثال الله لمعاناتهم كثيبا اسالنا من الجزاء يعرف
معناه في الامراض والاسقام ومضادة الادواء والالام وما عندهم فاين الطبيب يضع الهنا مواضع
النقب فانهم لا يبرون في احوالهم فرد عيش وان احتمروا في ذالك ابا زكرياء الرازي او حنين وابن
الرشد فاحسنوا ولاكن حيث لم يعقلوا ذالك فهو خير له ومنهم خير له لانه سليم من تبعات دابهم
وشر لهم لانهم بقوا بعلتهم بلا طبيب وما مثله مثل الا مثل طبيب اراد ان يكتب جماعة من المرضى
احتاج في معالجتهم الى ان يركب لهم ادوية يستخرجها من اجسام تجتهد بروا لها كل من يحتاج لعلاجهم

الترجم

[illegible]
والعقاقير

عى

Digitized by Google

عن ذلك وقيل له ان الامراء يطلبونك وتصغر اكثر حياؤك فيمنعك من ذلك راحة تستمتع بها وان ادعيت
انك قادر على التحرز منها فربما يخرج الامر عن الاختيار ولا ينضبط في ابطاله فعلمها شربة عسل
ولا سم فيه ممزوج ولا تزعقه بنار وقد كنت في غنى عن كتب اهل الحارة وان تانفت في اذ وبينك
المستحسنة المختارة بدع الخلق وما يقوله الناس فيهم ان الحق منهم فاسمع عليه ومن اما كلمتك في ان
يقال في مثل هذه المسالة يغتر ان كنت فتقطع الكلام فيها ولا اذ يحصل يعود لنا الكلام اخر ان لا اكتفي
رايته ابن زكريا في بيان قوله اكثر الحكماء والمذكور في قراءة الكتب فما يشير كما يخبر من حيث لا يشعرون
وقد كانوا فيه في راحة ولاكن لا في هذا الزمان نوع اسم اخذ فيما توثر راحته على راحتهم حسبما اقتضاه
الزمان والله المستعان وكم رايت فيه من شخص في رفيقه دون نسبتها او تغافل عنها او رقد على
فعاله ثم جاءه الطالب حيث برسم مشهود عليه فيه بذلك الدين فاقتضاه وضيق عليه فان كان
الغريم غنيا مليا والاخر فقيرا فكل من دب ودرج يلعنه في تطلبه ويعذر من له الدين في طلبه ومطله
وان كان الغريم فقيرا وصاحب الدين غنيا يقوله ما رفيقه ويعلو كلمته فيجعله تحت حكمه وان كان زايله
استعن عليه بحقه وضغطه ولاكن الذي يلي الظلم ويزيل الغمم ويسر من التهم ويصوب حكم من يديه
حكم قول الذي علم بالعلم ان يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم فتبارك الله احكم الحاكمين
وقد تقرع لنا ايضا كلام كثير في الفقهاء والطلبة وتمثرت به كثوا فيهم وجهلاء لو علم صانعها
ما الذي اكتب فيها من ذلك لكان من المحتمل ان لا يستعملها الا كن فاسمع يحيى انا في امان وان متاحيد
لدى منال كتمانها لا اشتهارها واعلانها فان قدر موتي قبلك فعذري في احتسب بمنائي وشغلي
فيها اللاي في ذلك اكون بمنزلة من سال عن مسالة فلم يجبها او دعي برعوة فلم تستجيب وان قدر
موتك قبلي فسيكون فيها من الزحام وكثرة الكلام واتعاب الايدي والاقلام ما لو علمت ذلك وانت
في البرزخ لعضضت على انامله والكف بروزي عنفيا وغيظا وندما ان لم تكن قدع ذلك سمعه
وانت في عالم الدنيا الذي الرزق مقسوم والرزاق سبحانه حاكم لا محكوم لا مانع لما اعطى ولا معطي
لما منع تطلع على قول القايل لمن يعز له ويلومه على التعريض وترك العمل بالحال اليها وفيه
لذلك وهل هذا القول خطا او صواب وعلى ما تعلق به من معان اخر اعلموا ان هذا القول في
حال خطا وفي حال يكون صوابا فاما الحال الذي يكون فيه خطا فهو اذا قاله صاحبه منتصرا
لنفسه ومحتجا لها من غير حضور افتقار ولا غلبة انكسار لان العبد من حيث هو عبد لا ينبغي
ان ينتصر لنفسه ولا يحتج لها وان كان في كل امر ذلك ينطق بالحكمة ويتكلم بمحض الجود الذي
من اعظم الجنايات التي لا انتقام له منها عند سيده ولم يعذر الله تعالى الكفار حين قالوا

يكون
فيه
افتقار

لو شاء الله ما أشركنا ولو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء وما أشبه هذا وهو كلام صحيح يجب على
كل أحد اعتقاد مضمنه كما يجب عليه أن يعتقد أن الله تعالى واحد لا شريك له ولكن كان كلامهم ذلك لما
أراد منهم الانتصار والاحتجاج لنفوسهم وستر العيب مبادرة لهذا الكلام وقولهم وكذلك يقوله
من لا يحلي ولا يتكلم من جنابه إنما يقوله على هذا الوجه المذموم ولذلك ذم منهم هذا القول وأما
الحال الذي يكون فيه هذا بمعزل إذا قاله قائله غير منتصر لنفسه ولا محتج لها وإنما قاله اعتبارا
منه عن قدرة الله تعالى فيه ونفوذ تقديره عليه مع شدة افتقار ودوام انكسار وخير من هذا المعنى
من قول النبي صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى أي غلبه بالحجة والحديث صحيح مشهور إن
شئت أن تقف عليه كل أحد يحتج به وقولهم وتعرف النفس الخبيثة ما تحب إلا الثناء والحمد
ولا ينبغي الثناء والحمد إلا لله تعالى بغير قولك وغيرها أن عرف ما أنا عليه يمقتني ويبغضني
وهو يعذرك فيه لئن علمت ما كنت فيه لما يدخل لك من أذى ويخرج من ذلك ولا كنت أعذر في
ذلك كما هو الحال لو كان فيه لأنك لم تخل من أحد لا عقلا ولا جهلا ومن هذا الكلمة من غير العقلاء
والعلماء في البلد الا كليس في ابن عبيد وغيرهما من الصوفية الناصحين الذين رغبتموه من الله تعالى
في الكتاب الذي قبل هذا لو سافرت إلى أقصى الصين وعمرت ما عمر نوح من السنين لم تصل إلى ذلك
وعندك شيء من الدعوى التي هي من أعظم البلوى أن تعتقد في نفسك أنها خبيثة وأن كل من يمقتك هو
يعذرك فيها ليت شعري من أين حصل لك هذا الاعتقاد وهذا العلم ولا تكثرت في هذا الكلام أنكر
عليك وجود هذا الاعتقاد كيف وهو مطلوب به كل العباد لأني أنكر عليك أن تبنيه على أساس
غير مستقيم والأساس الذي هو غير مستقيم أن تشاهد ما أنت عليه من الذنوب وتغفل عما لله
عليك من النعم ولا شك في كونك على هذه الحال ومن كان على هذه الحال لا تفلح أبدا إلا أن الغفلة
عن النعم تؤدي إلى كفرانها وكفرانها يؤدي إلى سلبها ولست أعني بالنعم الدينار والدرهم والمأكول
والمشروب فقط وإنما أعني بذلك أن وفقك لأن تقول لا إله إلا الله يوما من الدهر وأن تسبيحة
من تسبيحات أو تسافر حين تسمع أذان الزوال وتتقرب بنية الوضوء لتتوضأ منها وأن تقوم
إلى الصلاة فتتحرم بها لغير الدنيا بهذه وما أشبهها من النعم التي أعنيها ولا أقول لك من ما
انبعث بها من دين أو صلاح أو إقبال على خير وتجنب لشر بل الغي هذا كله والكل بواحدة من
تلك النعم التي تقر بأن الله تعالى أنعم عليك بها بلا شك وأنت تستحقرها وتستصغرها فإذا
قررت بها يعني عليك أن تعرف قدرها ومعرفة قدرها هو أن ترى أنها لا تليق بك من حيث أنت
فإذا عرفت أنها لا تليق بك من حيث أنت استولى عليك من الفرح بها ما يمنعك من التطلع إلى

مشغولا
تراهم
ويبغضك
بقيد
رك

Digitized by Google

سواهما وذلك هو حقيقة الشكر الذي تستوجب به المزيد ومن مقتضى ذلك ان يرحمك مولاك
فيستر لك عن مساويك وعيوبك التي انت متخذ بها وهو في رقبتك بمنزلة صباغ القلم ولا سبيل
لك الى ازالة شيء منها عنك بقوة ولا حيلة لانك لا تتشوف الى ذلك بقوة او حيلة كالذي
من احكم المساوي والعيوب التي تزداد بها الى حملك حجابا انت ترى هذا الذي ما اقبحه وما
استعمله بحرامل له وما بعده من المهالك والمعاطب التي تعرض لمن لم يتوب له وترى انغماس
سيافه هذا الكلام مثل انثنيت على الله وحكمت التقصير في اسبابها بلسانه او انثنيت على التقصير
والغيبة الثناء على رب العالمين كلا والتي بل انت ومن استعمله بما تروقونه عكستم الامر وانثنيتم
على النفس بكمال العلم والقدرة والقوة اذ شانكم انكم تلومونها على التقصير والكسل اللازم
المعبر من غير وجه ولولا اعتقاد ان لها عندكم قدرة او قوة ما لمتموها ذلك اللوم والغيتم
الثناء على الله تعالى بتفضيله عليكم عن النعم التي انعم بها عليكم من غير استحقاق وقلتم فلا اعطينا
اكثر من ذلك واي شيء انتم حتى ينعم عليكم والذين من اين انكم واشباهكم قدركم وابعدوا
بما هذا الجهل والسفه ارايت لو ان عبدين مشتبهين وكل شيء فلكمتهما بانواع الافزار
والاجلاس اشتريتهما من السوق التي يعين عندكم سوء الخدم والعبيد من غير حاجة منك اليهما
ثم حملتهما الى منزلك فكسوت احدهما من الافزار والاجلاسات وكسوت الاخر قميصين وسراويل ودراهم
معدودات ثم ان احدهما رأى بينك من موجبات الشكر لك وقبلا راسك لحرمة البر وبالغ شيئا كثيرا
فقال لك اكسني جبة مثل هذه الجبة او فرجية مثل هذه الفرجية فلما قابلته انت عاقلته التي عاقلتني والقميص
الذي البستني ليس لشيء ومن ذلك يجيء وفتح وسكت الاخر فلم يقل شيئا بل لم يمل بخاطره الى شيء
من ذلك علما منه بانه لم يستحق ذلك التنكيف الذي نكفته والقميص الذي البسته فضلا
عما فوق ذلك مع علمه بانك قادر ان تنزع عنه الستر وانه عبدك وتنزعه الى غيره القبلة من غيره
مبالاة منك بذلك الا ان العبد من كبراء ان تحصل واقرب الى تحصيل رضاك واولى باستحقاق
النعم التي بعثه منك عليه اهذا العبد الشاكر ام ذلك العبد الكافر والاشد ان العبد الملتفت
في هذا في الحياة الدنيا بمنزلة المشابه فهو عبد انعم الله عليه بنعمة ان نعمة كانت تجات من
منزلة الحياء من الله تعالى في كونه ذكره بتلك النعمة على خساسة قدره وتقاعده عن ما استحق
في الشكر عليها وخجل عن تطلب ما سواها ومن عبد انعم الله عليه بنعم كثيرة وهو يرى انه
فانه من النعم ما استحق فانعم به عليه في جنبه لو لم يستحق ذلك فلا تطلع الى غيره
فلا خير في هذا بانه يسلب عنه النعم بكثرة الطلب كفرها وما اشبه العبد الاول الذي شكر تلك

النعمة التي انعم بها عليه مولاه بان يضيف عليه من النعم ما لم يخطر له قط ببال وهذا الشخص
الذي يرى نفسه مقصرا في حقوق الله تعالى غافلا عن جملة النعم التي انعم بها عليه ان كان يعتقد ان
لنفسه في ذلك قدرا فليس الاعتقاد الا ذلك وان لم يعتقد له بل اعتقد ان الله تعالى حرمه مما
عنده لما يعمل ولا لشيء ينظر الى قيام مع تبكيه النعمة الموجودة ولا ينظر الى ما يرد الزمه فيه من فعل
بشكرها عن نطلب النعمة المفقودة فهذا الامر عين البطالة نعوذ بالله من ذلك قال
عين البصيرة تمنوا ان اوجب لكم كونكم انقذتم من الله تعالى بنفوسكم فتروون من اجل التكليف
الذي كلفكم انه مفوض اليكم اصلاحها وافسادها فاذا افردتم وقوع الاصلاح بها منكم فرحتم
بما لكم في ذلك من المنفعة التي تتوهمونها تكون لكم في الدار الاخرة الا الاقامة العبودية
لله عز وجل واذا افردتم وقوع الافساد بها منكم حزنتم لما لكم في ذلك من المضرة التي تتوهمونها
تقع منكم في الدار الاخرة الا لما تركتموه من ادب العبيد بين يدي الرب الحميد وكل ذلك عند
العارفين بالله تعالى المطلعين على حقيقة الحق جهالات وخيالات لا يثبت منها في نظرهم
التحقيق شيء بل التنظر المحقق يوجب لهم ان يروا انفسهم وقلوبهم بيد الله تعالى ليس لهم فرحة
مشتغلة على شيء من الخير يطلبونه اليهم ولا ابنا على شيء من الشر يدفعونه عنهم بالجملة
تحققوا بمنزلة المعرفة كان معتمد امرهم اللجا الى الله تعالى والافتقار اليه في ان يوصل اليهم
الخيرات ويدفع عنهم المضرات فان كل حركة تجري عليهم في موافقة او مخالفة ملغاة في نظرهم
لا يعتدون لها بسببية في حصول منفعة او مضرة ولا يرون في ذلك سببية الا الارادة الله
تعالى ومشيئته فقط فتعلقت قلوبهم بذلك واطمأنت بها مفاصلك بالجملة اطمأنت قلوبهم
الى ذكر الله زالت عنهم خبائث نفوسهم من حيث لا يشعرون وصارت كبيتة كامراة لولا ذلك
ما فارقتها الخبائث ولو انها بلغت من العبادة والزهادة في كل مبلغ فنفس اكثر العباد وانفس
من عرف في الاوتاد منهم كنار في الخبائث وقلت التجابية الاقر رحمه الله تعالى بهذا الامر العزيز
الذي لا يوصل اليه بسبب ولا حيلة بل لا يعرفه الا من يشار اليه في هذه الازمنة الا من نزاح المشاع
في توجد في بيوت الكنائس والسرائر وتعني بهم كل من لا نفس وعلقة من عنفه كانا وامثالي
نتجمل منها على ارقابنا حمالة ثقيلة مع انها ليست بحسنة ولا جميلة لو فزعت الى كلب
ليبولها او كرهت الذئب لنتيبها للاما هي عليه من ذنب وعصيان بل لما هي عليه من تكبر
وطغيان ولا اعني بها التكبر والطغيان ان يرفع صاحبها شعوره على الخلق او يظلمهم
ويبخسهم شيئا من الحق وانما نعني بذلك ان يكون عنده شيء من الدعوى التي هي اعظم البلوى

ولو

ولو كان صاحبها اخا من اهل التحكيم الاول فر من كلامه النفور وعلامات وجود الدعوى في الغير لا ذكرها
لئلا نقع من ذلك في امر نتكلم ونتعرض على من غير حاجة بذلك الى والله تعالى يعلم المفسد من المصلح وهذا
لله جهرنا به القلم وتعرضت به هذه الدعوى من غير كثرة الا ينشغل البعض فقط بوان اجزيتم
ان الكلم من المستقبل الذي صدر عنه بما كتمتم في ذلك الكلام الذي تكلمتم به قبل وصاه ومن فيه الغرض
فالحمد لله ونسئل الله تعالى ان يغفر لنا واياكم الى سبيل الرشاد من غير ان يكون للكلام في هذا الامر شيء
من النتائج والذي نقابل فيه الغرض فاجعلوا من جملة المغارم التي مشاركتكم الخبيثة من بعضكم او
تعرض بمثلها الا كنتم فصرت ارتاح بكم بعد مجيء في الحاجة واقبلوا عذري وسامحوني فيما ترون فيه
من خشونة او جفاء فما حملني على ذلك الا انه عز علي اني سمعت انكم عليها من التنبيه والتحذير
والعمل بعد ما وقع فيه الكم التنبيه المنكر والله تعالى الهادي والموفق للارب بغير لا واله غيره
سواه وقد كان بلغنا منكم كتاب جمعة قبل ذلك وتعرفت منه ما كتبتم به وتعرفت
من كتاب قبل انكم في غاية الكرب ونهاية الضر فها انا اذكر لكم ما تستعينون به على الصبر عليه
والرضى عن الله تعالى فيعفو الله ولي التوفيق لنا ولكم واعلموا ان العبد لو كان لا يبلغ الا عند
تعالى الا بعلمه بالطاعات والعبادات الكاملة لما كان له في ذلك منتفع ولكانت صحائف
حسناته خالية خاوية لان فيه من عبادات العبد مشوبة باخلاصه فيها وبعيد الاوقات عنها
وكيف يسلم امثالنا ونحن مع حبنا للدنيا واتباعنا لها عند العوائد فمن نعمته علينا ورحمته
بنا ان ابتلانا بالمصائب والنوائب والهموم والغموم ليحصل لنا بذلك في العاجل رقة وافتقار
بالقلب ودعاء وابتهال بالاسرار وذلك من اعظم العبادات والقربات ويحط بذلك في
الآجل تكفير السيئات وترفيع الدرجات من غير ان نخشى عليها آفة ولا عاقبة ويقرر عيننا
بذلك ولتكن لكم اسوة حسنة في الانبياء وخواص الاولياء فانهم اعظم الناس بلاء لانهم
اعظم عند الله تعالى ثوابا وجزاء ولو لم يرد في هذا المعنى الا قوله تعالى انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب وقوله عز من قائل وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا
لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون
لكان ذلك كافيا فالله تعالى يرزقنا واياكم الصبر على ما ابتلانا به والعافية مما لم
يبتلنا به واذا لم نكن من رجال البلاء فينبغي لنا ان نسئل الله تعالى العافية في الدين
والدنيا والآخرة فهذا مما يخفف وقوع المصائب عليكم ويحليها لكم ومما يخففها ايضا
على العبد توقع نزول المرض به في كل نفس وفي بعض الآثار اكثروا ذكر هاذم اللذات فانكم

كلام

الخال

ووقع

ان كنتم في ضيق عيش وسعة عليكم فرضيتم به واجرتم وان كنتم في سعة نغصها عليكم فرضيتم
به ولا تبتم وقد قال بعض امثال رجل حبسه السلطان في محبسه على نية ان يخرجه للقتل والصلب
في اي وقت اراد فانه في حال كونه هنالك لا يجد لذة شهوة ولا متعة ولا يجد الما لضربة ولا
خدشة لانه يتوقع نزول ذلك الامر العظيم به وتجرعه مرارة حده وجسده ولا اشك ان الانسان
في هذه الدار محبوس ومقيم مرتقب في كل نفس ان ينزل اليه ملك الموت فينتزع روحه عن جسده ويصيره
جيفة من الجيف وان من يشاهد من الاقربين لمن كان محافظا فاذا استشعر خاطره ذلك وكان له
بفكره وادمن تذكاره فلبه لم يتصور منه وجود غم ولا اضطراب من مصائب الدنيا كائنة ما
كانت ومما يجب بهذه اليدنا على العبد ان يعتقد ان في مقدور الله تعالى ما هو اعظم مما ابتلاه
به وقد صرف الله تعالى ذلك عنه وابتلى به غيره الذي هو اكثر ومما يدل منه وقد كان
السلف الصالح رضي الله عنهم يعتادون في كل وقت حضور ديار المرضى والزمنى ويتفقدون
مواضع اقامة الحدود والعقوبات على الجنايات وارباب الجرائم من قطع او ضرب او قتل كل ذلك
ليستذكروا نعم الله تعالى عليهم فيحملهم ذلك على الشكر لربهم عز وجل اذ عافاهم مما ابتلى
به غيرهم مما ذكرناه ويقفوا على حدود الادب في حضرته وصدق المعاملة له وقد جاء في
الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انظروا الى من هو اسفل منكم ولا تنظروا
الى من هو فوقكم فانه اجدر الا تزدروا نعمة الله عليكم او كما قال صلى الله عليه وسلم وانتم
اذا نظرتم في هذا الامر بعين البصيرة وجدتم من هو اكثر من ان يحصى في امور الدنيا وفي امور الدين
وانكم تفوقونهم لا محالة بنعم دينية ودنياوية ولا يمكنكم انكارها اما النعم الدنياوية
فكثيرة ولو لم يكن من ذلك الا صحة بدنكم وخفة ظهركم من تبعات الاهل والعيال واما
الدينية فيعرفكم بحمد الله منها شيء كثير وذلك مثل ملازمتكم لمذهب اهل السنة ومجانبتكم
لارباب الضلال والبدعة وسلامة جوارحكم من الظلم والعدوان والانهماك في متابعة الشيطان
وما رزقكم الله تعالى من محبة الخير واهله ونعمة التحسر وسوء الظن بها والخوف من الذنوب
والحزن عليها وابتلاء الله تعالى لكم بالفقر والفاقة اللذين هما من شعار الصالحين وملازمة
الذلة والانكسار اللذين هما من اخلاق المؤمنين الى غير ذلك من النعم التي لا يمكنكم انكارها
ولا جحودها ويكفيكم من ذلك ما تفرغ لكم من هذا الآن شيخي سليمان رحمه الله تعالى ونفعنا به
وخدمتكم له الى ان فارق الدنيا وقد كنتم اذ ذاك تتعلقون الى السعة والقدرة تحبسكم
حتى بلغتم من ذلك غاية الامل والمرغوب وان رجل المذكور من اولياء الله تعالى المتمكنين

فيها

مسبوق

لم يتصور

الشيء

أدنى منكم

النعم

خ مواليا زيد

والائم

ولا يشهم وقد انعم الله تعالى عليكم بجميع ذلك من غير حول منكم ولا قوة وكثير من الناس تعروهم ومنهم معرّة

الصفات والاحوال عن قدر في بحار التيه والضلال بمنزلة كلمتا ادوية نافعة لمادة العلل التي حررت

عندكم فاذا استعملتموها حملتم على فيهما ان شاء الله تعالى والله تعالى يفرج عنكم ويجعل ما طابكم

تكفير الذنوبكم وترفيعا لدرجاتكم **وقد بلغني كتابكم** بكمولا بعد ان كنت بعثت اليكم

جواب كتاب بعثتموه التي بعثتم وتعرفت منه حال الكرم الشيخ ولست اعني بحال الكرم الشيخ ما

حكيته عن نفسه مما يرجع الى قلة اليدين وقلة الدنيا وانما نعني به مجرد وصفك لذلك وحملك

عليه وكونه بين عينيه وسنوات احتفاظك اشياء اهلكت نفسها وحملت من ذلك انفا من الجبال

الرواسي والجمل يحمل بالانسان الى من ذلك كما قال الشاعر * لا يبلغ الاعداء من جاهل *

* ما يبلغ الجاهل من نفسه * ويا اخي كيف ساغ لك ان تقول في كتابك المتقدم بغير المهلة انه من باب

من لا يرجى ودّه وكل خير ان اراد اخلى به فغوث مبغود وقولك ومما انا الان من حقن عليه كلمة

ايات تنفيذ من في النار وقولك وبيان كل زمن انه شقي محروم مطرود مذموم انتهى ان معصية

وقعت فيما بهذا الكلام وبالحال الذي حملك عليه من انك رايت نفسك وحسبت انها شيء معتبر

وان الاحوال المحمودة فيه منشئة من قبلها وجعل فيها متاع فابليته لنيلها والوصول اليها ثم فيها

عن ذلك فاستولى عليها من الغفلات وما هي مشتاقة به من الشهوات وتوهمت قدرتها ان لا يعزّ بها

ذلك ولا ينفيها عن الخير ان الشيء من فعلها لكنها لا تكملها لم تعقل ولم تنشأ على ذلك ومن ادنى

شيء من الدعوى ولا رؤية التقصير وتوهم ان منعك بعللها وعللها واستمعها فالمرتبة من المراتب او

حال من الاحوال التي بقية شيء عظيم ثم قيم من الدعوى المذكورة منازعة الارادة وان قدرة الى ان

تعلم انه لا يكون في ملكه الا ما يريد وان قدرة الله تعالى غالبة على قدرة العبد ثم مع هذا تجري وجرت

وتكدر وقتك وتشوش حالك ولم يكن سبب ذلك الا انك رايت قدرة الله تعالى غالبة لك وارادته نافذة

فيك ثم انك كرهت ذلك وانبعثت ان ينفذ علم الله تعالى وقدرته وارادته وحكمه فيك لما انت له

محب وله مؤثر ولا معنى للمنازعة الا هذا بمنزلة من اخذ لمعاليك فأمر وقيّده بقيود وغلّه بأغلال

وكم حدّ في سجن ومحن زلنا بفعله معه الملك وتعرّف في نفسه مثل الاكرمني وخلع علي وجعلني في بستان

او قصر بدلا مما فعله معي فما احبني في ان يكون فعل في ذلك وتغير ما فعل به على هذا او فان

عليه لانك لم تكن بمولى شغيق ولم تجزع ولم تضطرب الا للامور او فهمتها بك فرضيت وخرجت عنها

فان قلت انما الموجب لكم في ان يدوم في هذا الحال ولا يكون في منعه انفكاك ولا زوال فاقول

لك ان الامور كما يكون ولعلك فيما تستقبل ستغير قوتك وتنقضه الى الاعمال الصالحة والحالات

تعالى

م العذاب

م أن

م زيك

المرضية والسلافة بلغ فلم يرض بعجز القدرة وكم رأيت من كان كابرا من الامراء وعظيما من الملإ او
نقول خلا من اشتغال بمنزل معصية وبرهة وقعت فيها وانت لا تشعر بها اذ لو شعرت بها لتمنيت
ان القلم الذي كتبت به ذلك الكلام تكسر وان الكاغد الذي كتبت فيه تمزق وان اليد التي تمد في ذلك
الكتابة تجذ وان تعاشر حتى لا تخرج تلك الصورة المستقبحة للوجود هذا كله ان رأيت نفسك في جميع
ذلك وحسبت انها شيء معتبر واما ان لم تر نفسك في ذلك بل رأيتها اسيرة في قبضة القدرة
لا تمييز ولا تعبير فقد وقعت بذلك الكلام في طامة اخرى وهو سوء ظنك بربك وان شيء اذن الحق من
ان علمت انك مقهور وبعبودية معروف وانك من حقت عليه كلمة العذاب اتعب بذلك الله رسوله
او انزل عليك كتابا كلا بل اساءت بربك الظن وحكمت بان سوء قدرته فرقت فيه لا لكن بالتحمير والحزن
وهلا احسنت بربك وقلت انه فعال لما يريد قدرة وقضاء ومقدر لسبحانه اقداره وكل ما يحكم به على
من هداية او ضلال او سعادة او شقاوة او ربح او خسارة او طاعة او معصية كل ذلك سواء بالنسبة
الى حكمته فمن الجائز لما حكم عليك بالضلال في الماضي حكم لك بالهداية في المستقبل وكما حكم لك بالشقاوة
حكم لك بالسعادة وكما حكم لك بشيء حكم لك بضده فسل الرجاء وحسن الظن ينبغي ان يكون الغالب
لامرين احدهما التقرب ذلك منه والثاني حسن المعاملة التي عاملك بها في دينك ودنياك اما تحقيق
ذلك فهو معلوم بنصوص الشرع وللبعض ما ورد من هذا المعنى واما حسن المعاملة التي
عاملك بها في دينك ودنياك فانك اذا امعنت نظرك فيهما وتصفحتهما وفتشتهما لم تجد معاملة
واحدة من الف معاملة خالية من الاحسان واللطف البتة بل انما ذلك كله وقد رأيته فيه من
الدين وفيهم من الدنيا فاما الفقر الحقيقي من الدين لا يتصور الا بوجود الكفر والفقر الحقيقي من
الدنيا لا يتصور الا بان تسلب عنه جميع النعم الداخلة فيه والخارجة عنه فيسلب عنه مثلا
ماله وصحته وجماله ويكون مجذوما او مبروصا مدفوعا بالابواب مقتا وفي الناس مسخوطا بالابعاد
والحجاب فهذا هو الفقر ما يقدر لكن اذا عرف هذا الشخص حاله في سلب النعم الدينية والدنياوية
عنه كان معرفته بحاله نعمة عظيمة فائقة جميع النعم بحيث انه لو انتفت فيه ثم وخير
بين ان يسلب معرفة المعرفة ويعطى جميع النعم او تبقى عليه هذه المعرفة ويسلب جميع النعم
لاختار ان تبقى عليه ويسلب جميع بل لو انتفت فيه لشاهد ان معرفته بحاله هي النعمة
التي تستغرق جميع النعم وان فاقد ذلك وان اخذ بيده وجعل في العدد وساد الاعلى ليس الا في خسار
وبكاءه فلا دائم فتأمل هذا الباب عينيك وانفتحت وشاهدت لك الفضل على تسع مائة وتسعة
وتسعين شخصا من الف شخص فشاهدت خالية من الآفات والعلل وبقي واحد من الف اما ان يكون

لا الفضل عليك او تتساوى معه ولهذا كانت خالية من الافات والعلل لانك لم تشاهد منها من حيث
انت ولم تطالع بها حظا من حظوظ نفسك البتة هذا كله بتقدير ان تكون مشغولا بجميع النعم كيف
وقد هداك ربك لان تقول لا اله الا الله وتبقى ثلاثة ايام او اربعة وتاخذ النعمة للاية لا احد فيه
عليك وتجعلها في بيتك ويجري لك شانها في حقك وتشاهد في بعض الخواطر ولدينك فلانا وفلانا فقرا امتنا
الله تعالى يغفر لي ولكما ويرحمكما وكذلك فلانة وانت في هذا كله شاكر الجاهل تقول الله وعند هذا
اقل ما يمكن ان تعترف به ولو شئت ان تتزايد لك من هذا وانت قريب قليلا قليلا الى ان اريك من نعم
ربك عليك في الدين والدنيا ما لا تسعه عبارة ولا تحيط به اشارة وتعترف بجميع ذلك ثم اعتراف مع
ما انت عليه من القبائح وانواع الفضائح لم تقلع ولم ترجع للعقلت ولا لحق التنبيه والايماء في هذا
المذكر ابلغ من الافصاح والتصريح فلما رايت انك في علم الله مطرود مبعودا ممقوتا وممن حقت عليه
كلمة العذاب باعتبار ما انت عليه من الصفات الخسيسة والاعمال الخبيثة فلم تجوز تجويزا غالبا
ان تكون عنده حظيا مقربا محبوبا وقد سبق لك من الله الحسنى باعتبار ما هو عليه من الجود والكرم
والمن والفضل بلا سبب ولا لانك تركت اعتبار نفسك وما هي عليه من الصفات اللائقة بها ونظرت
الى ربك وما هو عليه من الصفات الحميدة والنعوت المجيدة مع ان عندك من افعاله معك ونعمه قلائد
لك الاول فالاول مما تقيس عليه ذلك وليس عندك مما تقيس عليه في الجانب الاخر شيء ولا يستقيم
اذا الابليس ان يقول لك لم احسنت بربك الظن واتكلت على فضله وكرمه والغيت امر نفسك ولم
تعتبرها ولم تبال بها ويستقيم كل الاستقامة ان يقول لك ربك لم اسات ظنك بي واعتبرت نفسك
ووقفت مع صفاتك واقاتك اما شاهدت المعاملة التي عاملتك والتربية التي ربيتك من اول ما
بارزتك وجه مناسبة ذلك وموافقته بحيث لم تملك نفسك ان استحسنته واستحليته وهو اكثر ما
يكون ومنها ما خفيت عنك مدة لحكمة انفردت بعلمها ثم اظهرت ذلك لك لانك بليته من
جملة البلايا مع كونك بها قد بريت ولعل من جملة النعم التي اخفيتها عنك رؤيتك نفسك بالعين
التي رايتها بها من كونها ممقوتة مبعودة ولو اشعرتك بان هذه نعمة عليك من قبل ان
اسلبك عن نفسك واخرجك منها لخرج السعد من العجيب لكان في ذلك من الضرر عليك والفساد
لما انت فيه ما لا مزيد عليه وعندي ذلك لو ناحت عليك النوائح وبكت على مصيبتك البواكي لكان
ذلك قليلا في جنب ما ابليت به ولولا اني لطفت لك بان رفعت لك عنها امر عظيم وجعلت لك
ولكلاءتي مرفقا من قبلك بمصر الى نفسك التي هي معتبرة عندك ورايت منها عكسها كل وقت
وتدريجا لتجعلها بين يديك تصرح عليها وتروضها بنعالك الا ان وقع لك بمثل انزوى به نعمي عليك

بذلك

فابكى منها وما ظهر وجعل لك سبيلا الى الوقوف ببابه ولاذ بواء الى جنابه لكن ذنبك وابعدتك كم ذا
ونحن الا نتشفع بهما فيه كما تعلمه بالذي قد نزل بنا من اجحاف الثقلاء البيبر والحملا الكبير الذي منه في حوز
الالات كبير ولا كثير في بمواد الاداء البسر وذلك انه ابتسمتهم لباس الاغنياء او احكمت في قلوبهم رداءة
الاغنياء وتمنوا بذلك الدعة الى التعفير وحادوا عن سواء الطريق اما سمعت ما نقل لك عني مثالا وحيث
مغناه الى نبيين بعقوبة لولا الكتفي لك وعنايتي بك لجعلت نفسي عندك اجزل الباخلين ولكن
لعنايتي بك جعلت نفسي عندك ارحم الراحمين فاذا ارايتني عاقلت لك بمنزلة المعاقلة الحسنة التي
تجري في وصفها الافلاك والالسنة بكل شيء نسيت ذكرها في بيتها وانكرت ذنبك وابعدتك وفتنتك
وجعلتك ممن حقت عليهم كلمة العذاب رؤية كدرت عليك عيشك وشوشت عليك نفسك ومنعتك
راحتك وانستك ان اذنت لك في ذلك او من قطعك عليه او نزعتك اليه في حكمي تحرم اقع في مملكتي تزيد
وتنقص ولقد كان لك في مكابدة امر معايشك وتمرير اللقمة لك ولعيالك ما يكفيك حضور العذاب
بوارثي تتشاهد فيه لطفي وعطفي وكيف وقد اضفت اليه الكرب الذي اصابك من التحزن في قدرتي والتحكم
علي في مملكتي وسوء الظن بي فاعرضت بذلك عن بابي وتحجبت عن حضرتي واشتغلت بمعاندة قدرتي
ومراغمة حكمتي فهذا كله كلام مستقيم لا يفتقر ان يرد منه حرف واحد فها انا رحمنا ربنا وهو نادانا
نازلنا ربك وبهذا كان حالك الذي انت عليه من الغم والكرب شيئا لا يرضى به عاقل ولا يصبر ويصبر
الا من غبي جاهل وهو الذي نصحت ان اتكلم لك عليه وانبهه وانبهك فيه وانت اذا تاملت هذا الكلام
كله من اوله الى اخره وامعنت النظر بقلبك وفرغت له سرك نفعك النفع البين من هذا المرض الذي
وهل انت اما من هما واما فرنايا واما مجنونا واما الكسيد ان شيء اخبث ان تسميه سميه وهو
الذي ركبته لك لترجع به عن حدسك وتخبطك وهولك وفوتك واجتماعك وتكلم الى نفسك حسبما
طلبته فيه واما الحال الذي هو عندك سيئ وهو الذي سقتم في ذلك الكلام كله من اجله حتى اخذت
بسببه في اودية كثيرة وطرق متشعبة وهو كونك مبتلا بالشهوات على خلاف التحلي بكل فعل
حسن في العقال اذا رايت كم فيه او شهوة تجد نفسك عليها كالمتكل ولا تبالي في التوصل الى
ذلك بما حل او حرم وانك كالذي لا تعلم بل انت اضل الى اخرها فلك من هذا المعنى فقد اشتركت معك
وداؤك وداؤنا واحد ولولا كنا اذا احكمنا المعاني التي ذكرنا امثالك في هذا وان عليه الجهل الذي اصابك
حتى نعرف بذلك جلالة ربنا وحقارة انفسنا ويخيم لنا ذلك ملكة وحالة ثابتة راسخة رجونا
الله تعالى ان يلطف لنا في هذا الداء الذي ابتلينا به وهذا ما حضر من الكلام الذي طلبتموه مني على
الحال السيئة التي لم تعجبني منك فواكب على تكراره وتكرار ذلك اناء الليل واطراف النهار لتكون

معاقبة

Digitized by Google

معانيه فللازمة للطلب لترجع بعد ما يحصل من الآلام الى ربه والابتهال المشكلية والله تعالى
الموفق لذلك والمعين عليه لا رب غيره **وقــــــد وصلنا اليكم بكم** وتعرفت منه ما لكم
وحال الزلاذ لكم وانكم تتقلبون في النعم هذا مراد بالكلمات فالحمد لله على ذلك وقد شرحنا بسم
كثير او انا ما سألتم عنه من تلك المشاهدة وانما هل يتوصل اليها بسبب ام لا وقد قال العلامة في
كونها نصيب للانسان وملكة احد الامرين فالسبب لا يدرك منه في الغالب الذي سبب لا ينقص بتغيير
العبد في السببية التي يتعاطاها فاصل البطانة ان المطلب بالكلية الاخروي لهذا الانتقال هادي الحيثية
الذي من حيث كون ارادة العبد وقدرته متوجهتين لهما امر باطل والمشاهدة التي اشرنا اليها امر حق
وشيء من الباطل لا يمكن ان يتوصل به الى الحق ولذلك كان من لكم بل تشكيك المشاهدة المذكورة
واشتغالكم لعلكم التكلف في هذا الامر حكمنا خطأ ولو امكن ان يتوصل اليها بسبب يعتمده الانسان
ويقصده لم تكن عزيزة في الوجود ولكانت من جملة المألوف والمعهود واخفى السبب في ذلك الدعاء
بمشيئة الله تعالى للعبد من غير ان يشعر بشيء من سوابقه او لواحقه فاذا وجد العبد الريح
واقض به الى المقصد الذي كان متطلعا اليه شعر اذ ذاك وليس هذا خاصا بهذا المطلب بل
هو جار في كل مطلب من المطالب منه بعد ما كان غير منتبه وكم مرة يروم العبد امرا ويجتهد ويأخذ
فيه بكليته ثم لا يصل اليه وكم مرة يصل اليه ما لم يتشوف اليه ولم يعول عليه وقد نبه على هذا العبد
اشتباه ومرة غفلة لا يشعر وقد يفتح الحق تعالى له بابه من حيث لا يحتسب او يفعل ويصادفه
الحال الآن كلمتان من اغلب حال الدنيا العبد واما السبب الذي تتخذه لهما اكثرها يطلبه وعرفه ولا
يميله بغيته ولا فضله وان تعرف ان في علو من العرض المقدر والعرض المدبر فلا التعب في
تعاطي تلك الاسباب عشيرو كذب صاحبه من اجل سوادة بها من الفقراء بعيد ومارية بكلام
المعتبر بنسبة معرفة العبد الاسباب بما كان يحصل له الرؤية من الدعوى واشغاله اليها التي
وجودها في نكو السناء وعقد الجنان من اعظم المحن والبلوى وبهذه الحالة يتحقق في مقام التوحيد
والجمع ويجد الراحة بمفارقة عالم الغرور الذي هو سبب كل هم وتكلف وهو انما محل التعب والكلفة
ووجود الكدر والنصب حسبما نجده لنا في المقالات والمخاطبات مع بعض الذي تضمنها كلامكم
مقرا من اول الى آخره فاحذروا بالقلب عن هذا كله لا ينبسط لك رجلك وذلك بان تكون نفسك
عند ما كونها مسلوبة عنها كل فعل وجعل مع اجتهادك في القيام بوظائف الشرع من غير تقصير
ولا نقص بحال وهذا ذات اللازم فهذا هو اللازم يجب عليك وتوجيه لك ان تفهما والمنافع
والعوائد التي في الامر الاول حقيقة توجب لك وكذا لعمها الى الراحة من التعب والامر الثاني يقع

بيه

توديع منازل الهمة الى غاية الارب وبذا انت وفيت هذين الامرين حقهما فاشكر الله تعالى على
توفيقه لذلك وان لم تقم بحقهما واصابك من اجل ذلك ضيق وكرب واقر بذلك العقل واللب فهو
معدود لك في جملة القربات موضوع في كفة الحسنات فلا يرشئ تطلب الانفصال عنه ونزوع
التقصير منه ثم من بعد هذا لا تبال بكل وسواس يرد عليك من ربك بعد ان تعتقد انها اما محققة او كما الحق
او موهومة او نافعة او مثبتة للالاهية والدار الاخرة او نافية لهما او انها بصدد العقوبة او
المثوبة فان ذلك كله خواطر واوهام ووساوس لا تعيرها شيئا سوى الحرمان واه ان اقتبلها ادنى
في اخذ الامر الى دخول الحمام تيار لا على الوجه الذي دخله عليه السبيل ولكن لجمع وجود كل
واحد منها بصدد ان يقول معربه مثلا بعد تحصل لك من هذا الكلام كله الجواب عن سؤالك الاول
وهو هل يتوصل الى تلك المشاهدة بسببه او لا مع ما انجر اليه الكلام من امور غيره واحد وأما
السؤال الثاني وهو سؤالكم عن العلامة التي يعرف بها تلك المشاهدة للعبد فلكنه فاعلم ان صاحب
الملكة لا يحتاج الى علامة كما قيل * من هو منغمس في الماء الى ذقنه كيف لا يعرف من الماء من برد *
ولكن من ادنى علاماتها ان تحس عن باطنه اثار تلك الوساوس والخيالات ويجد الراحة منها في
جميع الاوقات والحالات ويكون كما قال سيدي عبد القادر * اصبحت لا املا ولا امنية *
ارجو ولا موعودة اترقب * لكن مع توفية الادب حقه وابتداء الاجلال لله تعالى مستمد
وهذه هي المشاهدة والموارد العذاب والعطايا الفاخرة والمزايا التي حظينا بها او نابها في
الدنيا قبل الا جعل الله حظنا منها الوافر بالامتلاء ونظمنا في سلك من اخذ منها بحظكم
وكل ذلك بمنه وفضله هذا ما حضر من الكلام على السؤالين المذكورين وهو مع ذلك فهم كيفية
التخلص من تلك الاوركلات التي ذكرتم كلها بتوفيق الله تعالى وتاييده والله تعالى يرفع عنا
وعنكم الاسواء ويحول بيننا وبين عدوان الاعداء والسلام عليكم والرحمة والبركة وقد
بلغنا منكم كتابا رائبا وتعرفت منه احوالكم في الابتداء وما ال اليه في الانتهاء من تفرق
روعتكم وسكون خاطركم بالنسبة الى ما كان اصابكم من الضيق والكرب فنسال الله تعالى
ان يجزي افضل الجزاء كل من سعى في تسليتكم بلسان او قلم او قدم وان يعطيه افضل ما يرجوه من
ربه ويامله من رضاه وقربه بمنه وكرمه وخبرتكم هذا الذي ذكرتموه من جملة الاخبار التي تذكر في
الفرح بهذه السيرة وكم لك من ضمن مثل هذا في كم من الحجاز وغيره وهذه الاخبار اعون شيء على
زيادة الايمان والايقان لا بوجود ما يحصل للعبد خاليا الشكر لرب العالمين وهو من ابلغ ما
تستجلب به القلوب الضعيفة لملازمة الادب والكون بين يدي الله تعالى كما يجب وقد حصل لي

ش العلامة

م الجواب

Digitized by Google

بسكناك هنالك مذكرا فقد تحيرت العلم والاطلاع الذي ذكرته اذ اعرفه ويعرفني مقولا الذي كنت
عمرته هنالك حين كان رجلا من رحمة الله عليه ومن رجل من اهل الخير واكثر حالة شيمتها لكم
من انزلكم وكثرة العيال وفراقكم هنالك والغريب للغريب نسيب والامر في سكنى تلكم البلدة
لما كنت فلنذكر لكم في السكنى التي رسمتها في اخر ذلك الكتاب وذكرتم انكم انتفعتم بهذا الارض ذلك
الموضع من النفحات الكبار التي جاءتك في الحضرة في سواد الليل وبياض النهار اما في الليل فحين تسمع
نغمات الاسحار في الاسوار ونقنقة الضفادع في الاسحار على شواطئ الانهار واما في النهار فحين
تقف بباب المدرسة وتشاهد رباط المليح وعزته ومنعته وترى الوجوه حوله داخلين خارجين
راغبين راهبين منهم من يخلع عليه اسنى الخلع ومنهم من يرمى به الى باب السبع وانت تعلم
ما الذي يصنع به هنالك واما اذا صعدت منار الجامع في الليالي المقمرة واشرفت على قلعة هنالك
والبساتين المثمرة وغير المثمرة والجبال المنيفة والمباني الرفيعة وتحققت ما فيها من الالوان
وانواع الثمرات وما تضمنته من الوجوه الملاح التي ليس عليها فيما تفعله جناح وتنزلت منزلة
الجملة بمنزلة العروس التي تستوفي بحسنها وجمالها على القلوب والنفوس لم تشك ولم ترتب
في ان خطابها فاستغربوا عن ابيها لما منعهم افتراقها وكلا بها فرضوا بقتلها لما تمسكوا
بحبلها وعزت هنالك الذين جاءوا ومنها مبادر من ليلا تنزع من ايديهم ما عن من وعزت ايضا ذلك
الذي يجئ من جهة الاندلس لانه يتطوف به هنالك كيف كان نفسه واما انت وذلك الرجل البادسي
والذي يعمل الحمام بينهم انما هو لغة تبلغها في مسافة تعجمها وانت اذا اقبلت من يقول
حي على الفلاح الصلاة خير من النوم يقولون لك بلسان حالهم كذلك ... فاذا كبر ذلك الرجل
البادسي تكبيرة الاحرام يقولون صل انت وحدك لانهم غرقى فيما عليهم اسماء من شانهم المسلمين
وحالهم المستحلى وانتم وهم وان تباينت احوالكم ففي التراب تجتمعون كلكم ورأينا في هذا
كله قدرة من قادر وحكمة من حكيم قاهر فاذا ادركنا هنا الحال والوجد وقفت على مناسبة
هذه النغمات الروحانية التي ليس بينها وبينها مسافة ولا يعلم لمن يكون ذلك منها بعجب ولا
مستنكر لذي كل عارف لبيب ومعرفة الله تتجلى عنده كل غمة وكربة ويعمل هذا الحال فيه ما لا يعمله
سماع نغمة ابن يعقوب ولا ابن ابي ضربة فهذا كله رأيته في هذا الحال التي ذكرتم في عرائفكم حين قلتم
ونكتب في جوابكم لكم ان فيه منفعة فانا في هذه الايام في كرب شديد وعيش نكيد فاذا رأيت كتابا بكم
لعل انجر فيه ما يسليني مما انا فيه فنسأل بهذه الجملة واحمد الله تعالى على ما منحه من فضله
وارجو ان تنسل بهذا الى بسلى شيء غيره والله تعالى يفرج عنكم الكرب ويوفقنا للكون على حال نسعد

والاوتار المعنوية

بقاء الحال والمنقلب بعفوه وكرمه والسلام عليكم والرحمة والبركة **وفصل** وبلغني كتابكم وذكرتم
فيه حالكم من قلة الراتب وعدم انتفاعكم فيه وانكم رجعتم تحتكمون في دار الصنعة نيابة أولاد
الناس ولن تتشاغلوا بالبيوع بشيء فأبصر من ذلك فينقطع البغل وحرز الشغل ويأتي ضائق الأسباب
عليكم وبلغ من ضيقها ان جعلتم تتشاغلون بأمر حذر منه أهل الورع والدين وجعلوا متعاطيه في عداد
الظالمين مع تمكنكم من غيره بأن تأخذوا تخبيطة من البلد البالي حيث الرعية والعامة وتتشاغل به في
موضع قبالة المعاش عندكم لما سمعت قدرتكم في التجارات والصناعات فما أسرع ما عمل ويليد ما
كنته لك من الكلام الذي يصيب من يصبح ويمسي على جموده ولا يبك الكلام حتى حملك ذلك على
إعانة الظلمة في أمور دنياهم وقد جاء رجل الى ابن المبارك فقال له اني خياط فربما خطت شيئا
لبعض وكلاء السلطان فما ذا ترى اكون من أعوان الظلمة فقال لست من أعوان الظلمة بل انت
من الظلمة انما أعوان الظلمة من يبيع منك الإبرة والخيوط وغير هذا مما هو معروف عنهم وقد كان
لك في الراتب الذي تأخذه من هنالك والرفق كفاية ولكن ذلك كله لا بركة فيه وكيف يبارك في
الأشياء الحسنة وذلك كله يجري وما اشبهه ذلك الحرام إذا حصل في جوف الإنسان ان
يعمه لم أنفق فيها ما عسى أن يلقى الا وتقول هل من مزيد ولكن كنت واقعتكم على ذلك الراتب
لأجل ان لم يكن أصابكم من كونكم تتعوقون الأيام والليالي لا تدرون فيما كحقا ما فكان
ذلك عندكم عذرا لكم في رفع حالكم بعض توقيع فلو كنتم صبرتم ولو ذلك تجرون ما لا نه
لم تعبوا ان تستكثروا منه ويجعلوه في مراة علة فلتكم بمنزلة العين السفلى ولكنكم وجدتم حلاوة التي
هي منها ذات حلاوة الايمان والضدان لا يجتمعان فذهبت أخرى الحلاوتين بالأخرى فكلفتم الاستكثار
من ذلك الشيء الحلو ولم يقع لكم هذا في خاطر ولم يتعين لكم بسببه قلب ومثل هذا الذي الظلمة التي
كنت ذكرت لكم ولكن مع هذا كله فلا تأخذ على ما فيه بجهلي ولعل هذه حالك تبلغ بك الى ان
يجوز لك مثل هذا وانا لا اعلم والشاهد يرى ما لا يرى الغائب وانما قصدت بهذا التنبيه لك ليلا يقع
الاغترار والاستغراق وحتى لا تغتر بما وراء ذلك ولا ما قدامك مع ان العلم علمه بعيد ان من ترك شيئا
لوجه الله تعالى عوضه الله خيرا منه ولا يلزم من هذا العوض ان يكون من جنس ما ترك ولكن لعله يكون
رضى وصبرا وقناعة وزهدا وما أشبه هذا مما يعمر به القلب كل عاقل لبيب وينتهي به الحال الى
يقول ما قاله ذلك الرجل الذي بقي سبعة أيام لم يذق فيها ذواقا فابتهل بذلك وقال يا رب ان لم تطعمني
ثلاثة أيام لأصلين لك ألف ركعة ولكن قد قلت لك في تلك النعمة التي منيت لك نعما بها وانت
لا ترى؟ فما انت اذا امرت من يقول حي على الفلاح يقال لك كذا لك من عندك فلولا ما قدمت من

امر

آخر

الاعتزاز

الاعتذار حين قلت لك الشاعر يرى ما لا يرى الغايب ثم ذا امراي تقول في مثل ذالك المقال لما افكر ان يكون
استولى عليك من الكلمة التي لا يمكنك عنها في الوقت انفصال ولا زوال والاشياء كلها نسبية
فالكناس اذا راى الحايك يشتمه ويستنزله انه مغبون الراي في اختياره ما اختاره والحايك اذا راى
الكاتب كذالك الا من جعل شيئا عادة الابد اذا قررنا ان نقول في ذالك سلمت لك في حالك وخليتك بصوابك
وغلطك وقلت كما قال العبد الصالح نوح عليه السلام ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان
الله يريد ان يغويكم ورايت من امر اين النجعات التي تعبات لي في هذه الازمنة التي اتت من بعد
وما يجب ان يرفق فيها ولا يكرهني الاكراه حين نذكر نحن ولا بد للانسان بد ذاليد اذ لم احكم علمه انما
معنا اليه كما ذكرت لكم واما ما ذكرتم من الخوف الذي اصابكم من الم الموت فهو امر يعتري الانسان من مقتضى
مزاجه وطبيعه لانه ايسر بهذا الهوى وايقه وقضى فيه وكره ان عنه يكون مليكا او مغلوبا ومراده
المائل امر فغب هذا الزكاه الموت دون الم ولا يصيب صاحبه كرب ولا غم وكيف اذا اتفاق
اليه ذالك على الوجه الذي يذكرونه بحيث لا ينكر ما ذكرتم عن انفسكم من انكم اذا تذكرتم ان الموت يسلب
عنكم اثر النزع ومنعكم الانشراح والانس احق بهذا وجملة ان اجتمعا عليكم ان جبلا لكم كراهية الموت
وحب الحياة ولا دواء لذالك الا الايمان بما جاءت به الاخبار والاثار من ان الموت من اجل التحف
التي يتحف بها المومن ولهذا كان السلف الصالح يتعرضون للمنون ويلاقون السيوف ويبادرون
فدروا اعلى ما جرى على ايديهم من افتتاحهم البلدان وغلبتهم جميع اهل الاديان وقد كان كلمة
الاسلمي الذي تنبأ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بعد ذالك تاب وراجع الاسلام قال انه
بعض اصحابه حين انهزم عنه اشياعه واتباعه وتعجب من ذالك انذره ليس ذالك الا ان اصحابي كل
واحد منهم يحب ان يموت قبله صاحبه وعدوهم كل واحد منهم ان يموت قبل صاحبه وقد صدق فيما
قال لان من طالع في خاطره نفاسة شيء لم يتمالك ان يتمادى في طلبه والوصول اليه ومنهم
من لاح لهم جمال الاخرة فاستحقروا لو امروا اقامتهم في الدنيا واستعجلوا القدوم عليها وتسببوا
لذالك ببذل المهج في مواطن الحرب ومعارك الطعن والضرب ويقول احدهم لما اصابه جرح بغير
واستشعر انه يفضي به الى الموت انك لصغير وان الله ليبارك في الصغير وكذالك كان بارك الله
فيه حتى مات منه حيا لله ومثل هذا كله امر معلوم مقرر واما الوجه الثاني وهو توقع الالم
الذي يذكر في الموت فعندي فيه نظر اما اولا فبالذي ما يذكر من مبلغ الم الموت لم يذكروا عليه فالطفارة
حجة قوية فالاولى بالانسان ان يضرب عن ذالك صفحا ويستشعر فيه من الخفة ما ورد عن النبي
صلى الله عليه وسلم في شان الشهداء من ان الموت عندهم بمنزلة قرصة النملة او كما قال صلى الله

م ويعتقد

م وزيادة

م يحب

مثل

عليه وسلم وإذا كانت الشهادة مما تغير حال الموت وتنقله من الثقل إلى الخفة ومن الألم الكثير إلى
الألم اليسير علمنا منه أن الألم في الموت ليس بكيفية حتى لا يمكن أن نبكي كما عنه وقد كنت كتبت
بهذا إلى فلان وطلبت منه أن يعرضه على من يمكنه ممن يشار إليه بعلم أو ممن لا نظن به أن يوافقه
عليه أو يخالفه فيه وقد كان ذكر في كتاب ما كان من الأول وبلانا وافق عليه فإن صح هذا الكلام فيه
فعليه أعظم تقوية لما ذكرنا الحالة تكره يعني سرير وأماتنا ثانيا قبل الخوف مما لا بد منه وتوقعه
مما يزداد ما جيء به التأوه كربا قبل مجيء وفيه لما قال سقراط استهينوا بالموت فإن مرارته في خوفه
ومثل هذا الذي ينبغي لها قبل أن ينشغل عنه أو يهمه بالكلية به فإذا وقع ذلك سر الخادم به فينبغي له
أن يدفعه عنه إما باستماع نغمات أو استعمال أمور كثيرات من المفرحات وغيرها ويكون ذلك بقدر
ما استبع إن الخلط السوداوي أن غلب سائر الأخلاط بالأطباء وغيرهم مما هو مشهور عند الأطباء
والغالب منه في هذا الكلام الرعاية والمزاح لتستعين به نوع انشراح ليتوافق الطبع والمعنى في
حصول الأفراح والأفكار من التعب إلى حيلة كثيبة أي سبب الكلمة الوحشة فلو يقدم المكلمة ليصلح
بذاته وحدته ويدفع به بقيته كيف يجد سعة للاستعمال الشراب المفرح الذي هو مشتمل على نحو
خمسة عشر جزءا العلاقة المسك والعنبر وأدناها السكر والنور والورد الأحمر وكذلك لئلا يجد
سعة لاستعمال الدواء المستعمل للمرة السوداء وهو أيضا يشتمل على أجزاء كثيرة جدا وليس له
يعبر من الانتفاع فلا يمكنه أن تشتري معه من أدويته نصف صاع والطرق والتحف لا أثر منها
الشبع ولا الاستمتاع ولعله تقول هذه فواحة من حيث أنك جعلت أدويته من الكرب والتحفة
فأقول نعم هي فواحة ولكن فيها فلاحة ولا تغفل أيضا عما في هذا الهذر من الكذب والبهتان
لأن من هو في حضرة الملوك وليس بمتفنن ولا مشغول بهذا أن يكون محتاجا إلى أدويته وهو
يشاهد كل ما يدار له الكبار من المرزوقة بالأطعمة المعسلة المؤنقة تتحاشى عليه وتنشر نسيم
روائح أنوار من الأنبذة ومما الذي يكون في الأكاليل والمنثور وليس لذلك إنسية وبشرة ولا شيء
من المروءة بحيث لا يشير على غيره من ذلك بشطنية كثيبة لم يقع هذا شيء لا يتصور في مجرى
العادة أيضا الفقير لا بالشرق ولا بالغرب لا يهم من الناس الكبار الذين لا يرضون بالعار وأما
إذا وجد فضلة رخيصة من تلك الأنوار فلا تخليه نفسه حتى يشتريها ولو لم يبق له إلا القوت
وكيف يلتفت مع هذا إلى أدويته التي هي نحو من مقارنته وبحسنه لما فيها من الحرارة الزائدة
التي ليس فيها شرب التفرج بها فائدة وهذه الحرارة مما سمع به في الوقت فليس فيه المحصول
الغرض الذي به فرابتها وهو ابتغاء تسليته وتفنن حسرته مع أنه العلم أنه ليس فيه فائدة

في ابدان الجرح والالم كما تقوله العامة دمر على فتح وانما الدواء الحقيقي الذي ينفع من كل داء
عضال ولا يكون في صحة تركيبه واقتضائه الى الالام احد والشفاء مرتفع ولا مقال فلازموا التقوى ونفي
النفس عن الهوى على ما كان عليه ايمتنا وسادتنا رضي الله عنهم وعند ذلك تجدون السرور والاريحية
السنية في الروح فما يحصل لك به من كل الامنية ولا يبقى عليكم من الكرب الدنياوية والنفسانية
بقية وتقول حينئذ ما قاله ابراهيم بن ادهم رضي الله عنه لو علم الملوك ما نحن فيه من النعيم
لجالدونا عليه بالسيوف فلمثل هذا فليعمل العاملون وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وهذا
ما اردنا ان نذكر لكم مما يمكن ان تستمر فوائده عليكم ما عرض لكم من الكرب بسببها توقع الموت
وبسبب ما اصابك من ضيق الوقت وجعلناه مشتملا على جد وهزل وبعض حكايات وكلام جزل كل
ذلك لتستخرج منه الوجد الكامن ويقول لسان حالك وهذا الذي يا ابن عباد ما عرفت بهذا والا علل
البواطن فاذا سمعت هذا منه ادركني فرح واستبشار فخرجت الى دون تباعد علي من شيء فقهاء
الانصار الذين ليسوا في المضمار الا كنهم في فيهم الرشد لا يشق لهم غبار ولا يحام لهم تيار لاكن
بعض ذي العناء والدمار وينظرون بانكسار منزلة الدار ولا ينبغي لهم من ذلك الا ما وافق اعمال الحقيق
الابرار الا ان في ذلك مقصدا انتفع به في الدار الاخرة لا والله ولاكني اقول لك كما قال الحريري
رحمه الله * فكن فاعلا ما يحسن يؤثر به * ولا تسال الشهد عن نحله * واستغفر الله ولا
قوة الا بالله واما ما طلبتم من النصيحة والوصية فانكم تستغنون عنها مما تقدم من
الكلام ان شاء الله تعالى ولا فائدة في الكلام الكثير وكيف تنفع الوصية والنصيحة ممن لم ينصح
نفسه ولم يوصها بما ينفعها * ابدا بنفسك فانهها عن غيها * فاذا انتهت عنه فانت حكيم *
فهناك ينفع ما تقول ويقتدى * بالقول منك وينفع التعليم * لا تنه عن خلق وتاتي مثله *
عار عليك اذا فعلت عظيم * والله يلهمنا رشد انفسنا ويوفقنا للخير قبل حلول اجلنا
بمنه وكرمه واما المسالة التي سالتم عنها فلا زلت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
عقب قراءة الحزب جماعة بلفظ اللهم صل على محمد وعلى ال محمد بقرينا نرى يفعلون ذلك
مقاطعا ثم تركوا ذلك وصاروا يستعملون الصلاة التامة اي انك حميد مجيد عشر مرات
غدوة وعشر مرات عشية الا يوم الجمعة وليلتها فيقولونها عشرين عشرين ولا ادري من الذي كان
ردهم الى ذلك والكلام في هذه المسالة كالكلام في مسالة المولد الذي كنت كتبت لكم به فالوجه عندي
ان لا ينكر ولا يعترض شيء من هذا الجنس وان يعتقد فيه وفي امثاله الاباحة والتوسعة ولا يقال
فيه انه حرام ولا بدعة ان لم يصادم ذلك سنة ثابتة ولم يؤد استعماله الى منكر ولا محظور

بل ينبغي أن يكون ذلك مندوبا ومطلوبا لقوله تعالى وافعلوا الخير ومثله كثير وقد كنت رأيت تأليفا
من نحو الكراس ينقل فيه هذا الفقيه ابن البقال ولأداء رأي ابن البقال معه في هذه النازلة بعينها أحكم فيهما
بالجواز والله أعلم واحتج لذلك بحجج وإن يكن هذا في أمر الدين إذ ذهب والإيمان إذا سلب وتمسك
الناس بشيء مما يكفرهم أنه من آثاره كأمثال هذه المسائل لم ينبغ للأحد أن ينكر هذا فينبغي إن الناس بلا
دين ولا رابحة دين ولا ينبغي لمن سنانه العلم أن يفاتح في أمثال هذا وبمثل هذا أجاب كل من
يشغب ويقول لو كان هذا جائزا أو مطلوبا لفعله السلف الماضون لأن أصول الدين كانت
عندهم راسخة قوية وفروعه كما تلقوها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غضة لم يقع فلم
يحتاجوا إلى استعمال شيء من هذه المراسم كما لم يحتاجوا إلى تدقيق النظر في نوادر المسائل
الفقهية ولا وضع التواليف والكتب فيها فإن جرى هذا ذلك بدعة مذمومة فهذا أيضا مثلها
فلا شيء لم ينكر هذا وأنكر أمثال ذلك ويجري مجرى ما قلناه من الصلاة على النبي صلى الله عليه
وسلم جماعة وإقامة المولد على الوجه المعتاد إذا سلم من المنكر الدعاء بإثر الصلاة على
حسب ما ألفه الناس وكذلك قراءة الحزب بالدائرة وكذلك اتخاذ المصابيح الكثيرة في المساجد
في رمضان لأنهم إنما قصدوا بذلك تعظيمه لكن إذا سلم ذلك من المنكر كما قلناه في المولد
وغير هذا مما لم يحضرني الآن وتصريح ذلك الرجل بأن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في جماعة
حرام أمر شنيع ولعل ثم يجد بذلك الكلام أقرب إلى أن يكون حراما مما حكم هو عليه بالتحريم لوجود
منقطا بسماعه هذا العظيم وقوله في جماعة لا يزيل سماعه ولا يبطل سماعه وأن قوما من جماعة
يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم على لسان واحد متى أسلموا وشبه أن يجتمع جماعة فيصلي
عليه كل واحد ومنها ما تعرض له بسبب ذلك من أذى الناس له كما وقع لذلك الفقيه
الحسني من فقهاء الغرب وإنه لما حاد عادة الناس إذاية عظيمة بسبب ما سمعوه من قوله إن
قراءة القرآن بالدائرة بدعة وشنعوا عليه أنه يقول إن قراءة القرآن بدعة ولم يتخلص منهم
وينقلب من أيديهم إلا بعد النية وإياه ومنها وهو أعظمها الحكم بالتحريم على شيء من غير
دليل قاطع والله تعالى قد حذرنا من ذلك بقوله ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا
حلال وهذا حرام الآية وقوله قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون وما احتج به لذلك
من كونه لم يكن في السلف احتجاج ضعيف وليس كل ما لم يفعله السلف يحكم بتحريمه ولعل
قراءة الحزب بالدائرة أقرب إلى أن ينكرها مما أنكره ذلك الفقيه من هذا لما اعتبر في ذلك
من تقطيع الحروف واختلاط الكلمات والقراء لا يقرؤون إلا على وجه مخصوص وليس في الصلاة

الن

Digitized by Google

التي ذكرتها مانع والله تعالى اعلم واما قيام المؤذنين بالليل للدعاء فيعترض عليه ابن الفرس في احكام
القرآن وذكر فيه خلافا ولا ادري عمن حكاه واظنه عن بعض فقهاء عصره وكيفما كانت مسألة الذكر في
ذلك ولو كان ذلك الكتاب بين يدي لنقلت لكم كلامه في هذه المسالة وينبغي ان ينكر من ذلك على
المؤذنين الذين يطرحون في ابيات من القصائد يقرؤونها اذا لم يكن في ذلك من المعنى العاصي الذي يغير
المعنى وربما يتاذى بسماع اصوات بعضهم بعض من جاورهم فلينظر في ذلك وقد كان بلغني
كتابكم جوابا لما كنت كتبت به اليكم وذكرتم فيه امورا من جملتها انه يعرض لكم فتور لا تعرفونه من
نفوسكم فاذا ذكرتم انكم تعرفون امثالها تتوسمون فيه الصلاح ينجلي عنكم بعض الكرب وانكم ترددتم
في الوجهين من المسائل التي عملتم في ذلك علة ان لا وان لم يزل اثار العلة في الوجهين ثابتة لا ميل لكم عنها امثلها
نفوسكم الى ما تعرفونه من نفسكم حتى يؤديكم ذلك الى الفتور والعلة فيه كما اعرف لا ان موجب ذلك
وجود الغفلة منكم عن الذكر الى فضل الله تعالى وكرمه وما اسداه اليكم من الهداية ونعمه مع انكم مطروقة
في صفة الفترة لا تملكون لانفسكم من الهداية والارشاد فاذا زال عن الفتور لا وجه له وهو جهل
محض وهو من كبائر الذنوب التي عدها العلماء وغاية الامر ان يغلب عليكم حال الخوف وذلك
وهو محمود موجب لقواعد الفوز والامان وبلوغ الرضوان للمتقين مع حال الرجاء ومقام حسن
الظن بالله لمن قام ورجا والله تعالى عند حسن ظن عبده كما ورد في الخبر وبهذا المعنى تنتفي العلة
في هذا الوجه ولا يكون لها وجود البتة الا على ما يرى من خواص المتصفين بالتوكل والاخلاص وتفويض
ذلك لا يليق بالوقت واما الوجه الاخر وهو تركهم معرفة الصالحين لتنتفعوا بهم والاتباع
بينهم لا يعدوا انكم لا تقاوجدوا اما في الدنيا فبالارشاد والدعاء واما في الاخرة فبقيامه مقام
الشفعاء وهذا الوجه مما يفتتن به كثير من الناس والعلة في ذلك موجودة لا انكم اذا انكم تم بعيش
البصيرة فيهم لا تجدون فيهم الا اشباحا واشجارا لا يملكون لانفسهم فضلا عن غيرهم ابراء او المراد
ولا نفعا ولا الم ان اقبال لسحر احدكم الى شيء من ذلك فهو مجرور بسلسلة في عنقه لا يستطيع
لما نزعا ولا الانفراد التي تجر بهذا دفعا ولا ردعا وان لم يسحر لذلك بقي على اهله من العجز
وعدم الحيلة ومن كان بمنزلة المثابة لا ينبغي للاحرار ان يعتمد عليه ولا يركن اليه بل يكون اعتمادا
على الواحد القهار العزيز الجبار الذي كل من سواه بالنسبة الى جلاله في غاية الاحتقار والفقد
والصغار والقلة والتبار فاذا اقيم لك بابا اليه والاخ لك نورا بعثرته وتركت عليه
اما بتوفيقه ابلاك الى معاملة عاملتهم بها الله عز وجل او محبة فذرها في قلبك لهم ففرحت
على الكبريت الاحمر ووصلت الى الملك الاكبر وانجلت عنك الوحشة وسر وهرب منك الشياطين

واشجارا

Digitized by Google

والابدال سواء كان ذلك اهلا للخير ابتغي عليه ومعنا حصينا تلبية اليه لانك شاكر له وبعد بك
ومعاملته تعالى فاذا وجدت هذا وهذا العشاق الفانين وسكرت من هذا المشروب الذي لا يشبهه جيد
خمرة لا نبيذ قلت ليس في الدنيا صالح ولا عارف الا هو من عباد ولا فاجر ولا جاهل الا من هو منهم
مناجي ومعاد فاذا صحوت من سكرها وتبينت من حقيقة امرها لاح لك ان الخلق عباد رسم من الرسوم
لا يعصون عنه ولا يغلبون وان ما اتاهم من قبله فالله سبحانه هو المتولي لتفصيله وجمله من
غير حول منه ولا منة ولا قوة فحينئذ تقبل على مولاك وتعرض عنهم وليس الا ما اخفى عنه بالذي يوجب
لك من قبله انقطاع منفعته بل ذلك مما يزيدهما ويذكرهما الا من قلبه فيرق اغتمام عليه
وافتقرت اليه لا كن يحتاج الى القيام بالادب ومن رعاية حق النسب عملا على مقتضى الشرع منك
طلب فاذا حصل لك فهم هذا المعنى في التعلق الذي هو احد وجوه الانقطاع المذكورة فهمته ايضا
في الوجهين الباقيين فاضربت على كل احد ولم تتعلق بشيء الا بالواحد الاحد وكنت في معاملتك
للخلائق بين مراعاة حق الله فاما بامر الله متعلق بالجميع ذلك ان الله تعالى وكان بينا وله على فاعله
حجة لا اختلال فيها فان اتعبوك يتعين على احد منهم قلبك فان القلب اسير تقلبات من القدر
اذا استجمعت عليها تاخيتهما ورد به الخبر سلموا منك وسلمت منهم اما سلامتهم منك فبعدم
التباعات عليهم من قبلك لانك لم تعاملهم وانما عاملت ربك فيهم بمقتضى البنت فيهم ما وكد
عليهم واما سلامتك منهم فبلقاء ما حصل لك من الثواب على مراعاة حقهم للعوض وجل ما شاهدنا
موجود الذي يعتبر لخبطه وان يعرض له بطلان وان لم يتعلق عليه تغير بل كان حسن كله بانفبا
فلا تسأل عما اتاك له من الله تعالى من الخير الذي ليس له حصر ولا تحديد حتى اذ ذلك اضعافا مضاعفة
بحسب ما اتيت من حسن الظن وجميل الاعتقاد فانك في كلا الامرين امين في تغير قلبك عليه وعدم
تغيره فقلبك سالم غانم كل ذلك ببركة تعلقكم بالله وايواكم اليه وفضل مبهمكم عليه رزقنا الله من
ذلك ما رزق اولياءه بمنه وكرمه وهذا المعنى الذي ذكرته لكم الآن به تورث صحة دعوى هذه الحال
لكي تسلم من الاختلال اذ لا ينبغي ان يقبل من النفس جميع ما تدعيه حتى يتوثق منها بشيء عليه
ويتزن حالها بينهما ان يعتو صحيح لان النفس اسرع شيء الى ذلك واعظم صفة عليه فاذا ادعى من زعم
انه معتمد على الله تعالى وقائم بمنته عليه ومخلص في معاملته له فيحتاج ان يكون بفكر الى سؤاله فلا تمهله
هذه الدعوى حتى يجرب من نفسه مع كل من يعتمد له ويلتمس منه البركة والمنفعة في معاملته له فان
لم يتغير قلبه عليه بانقطاعه منه على ما يوجب ذلك بحاله صحيح لانه لا ينقطع بعطفه وعصمته بل
يعلم انه مقهور في قبضة القدرة وكذلك ان تغير قلبه عليه لانه لم يؤثر ذلك خلل في معاملته معه

Digitized by Google

بل يجري في حاله معه في الوجهين بحري واحد الا فانما تاثيره لا يكون له شيء وكذلك الا اثر للالة الا كرم برفع
منه بسبب ذلك ما يجبكم سالف عمله معه من يفعله من وقوع نداءة او فقر او فاقة للا ما كان لله لا
يشفع الا فيكنه وصونه من الافات والعاهات ليجد في صحيفته يوم لا ينفعه الا الاعمال الصالحات
فان وقع منه شيء من هذا فهو كذاب في دعواه ان رغبته لله وهو متخذ للخلق من دون الله في معاملته معه
مدخولة معلولة بحكم التعبير والهوى وما هذا صفته لا ينفع له فيه في الاخرة ولا قليلا وعسى ان يكون نافعا
له في دنياه الفانية البائدة فهذا ما اردنا ان نذكر لكم في بيان ما اشكل عليكم وترددتم فيه وذلك
امر بين فان اشكل عليكم شيء منه فحرروا فيه مع فلان حفظه الله فانه قد حصل له انس بكلامي وحرص
على فهمه ومرامي والله تعالى الموفق لجميعنا للارب بمنه ولا قوة لنا الا به وما ذكرتم من الغشاوة
التي اعترتكم فلا اعلم لها سببا الا عدم الكتمكم للاخوال العقلية المحجبين للروية المتمكن البين عليهما وعدم
اعتنائكم بحضور مجالس الذكر ومجالسة الذاكرين لله عز وجل المذكرين له بلسان حالهم ومقالهم
فهذا هو الذي اوجب ما ذكرتم من الغشاوة والحجاب ومن اراد مداواة ذلك فليقطع اسبابه مع توكلكم على الله
ووقوفكم ببابه **فصل** بلغني في كتابكم وتعرفت منه انكم اجتمعتم مع بعض المتلبسين وتحدثتم في
الحجاز فذكر لكم انه ما يحمل الناس اليه الا الهوى وطلبتم منا فيه ان اشرح لكم الهوى والعلة
التي تكون على المسلم واني اقول لكم ان الهوى له سلطنة عظيمة على المتلبسين لاسيما في هذه الازمنة التي
صار الناس فيها امثال البهائم اعني من جهة افلاسهم من معرفة حقائق الدين ومن اشرهم فلا شك
في ذلك بعض من يتبعه ويتبعهم ولعل الذي قال لك ما يحمل الناس اليه الا الهوى لم يحمله على هذا
الكلام الا الهوى واحتمل ان يكون مدركا ولعله في هذا الكلام ايضا لم يحمله عليه الا الهوى فلا فائدة
ان تلتفت لو زدته وقد كنت كتبت للاخ محمد بن ادريس رحمه الله في المسير الى الحجاز وما يحمد منه وما يذم
بالنسبة الى الاشخاص والاحوال ذكرت ذلك فيه وذكرت ايضا فيه شيئا مما طلبتم منا بيانه من
امر الهوى وعلله الشهير وهو الان منسوخ عند اخي محمد السراج فان شئتم ان تطلعوا عليه فاطلعوا
فاذا اطلعتم عليه فانتفعوا به فان الوقت لم يتسع لتقرير ما طلبتم من ذلك لانه كنت في الوقت
الذي وردت فيه كتابكم فيه وارجاني حاملة **واما** ما سالتم عنه من التمسح بالكواغد المكتوبة فيها
الاسماء المعظمة فقد كان شيخي الحاج يتجنب من ذلك وهذا الفرق في الورع والتحفظ ولا شك انه يغيب
من ادب بالاسماء فيها كان فيه ذلك فيه قرآن او حديث من كلام النبوة الا للكي الا من جهة كون المسعر
يخفي عليهما الذي يتلفها بالقراءة او ينكسهما كما ذكرتم لا مثل هذا الذي يفعل ان يتسامح به اذا حمل عليه
غرض صحيح وقد نسب بنا بعدله عثمان بن عفان رضي الله عنه من تحريق المصاحف او تخريقها وانما يكون

اشرهم

كلامنا

Digitized by Google

ذلك بغيرها من الأدب من جهة كون المستعمل يجعل ذلك من جملة الوقاية والصون للكتاب الذي يستعمله
وإذا كانوا لم يجعلوا من الأدب أن يسندوا المصحف بالخبز ويضعوا على الخبز ما لا يؤكل به لكون
الخبز محترما كان الأولى أن لا يجعلوا من الأدب كون الكواغد المكتوبة فيها الأسماء المعظمة وقاية
وصونا لغيرها فإن الاعتناء بالأسماء أكثر من احترام الخبز فيما يظهر وإن كان الكل محترما وقد يستفاد ذلك
من الفضائل التي ذكروا في رفع الكواغد المكتوبة الحكم وحتى في الكم فانظره وقصة بشر بن الحارث الحافي
رضي الله عنه في ذلك معلومة ويعطي معنى اليسير من الأدب أن يجعل ما اعتاده الناس من جعل رق مكتوب
فيها الأسماء وقاية لغيرها ولا الجمع فيه كما ربما يخيطه فيه أو غير مخيطة ولا يضمها في كتاب من الكتب
فيجعل وسادة للرأس أو يكون منزلا في موضع فيجعل عليه شيء من متاع البيت وفي على معنى ما
أشبهه مما يكون الكتاب فيه آلة ووسيلة بمعنى ما من الحكم عندي في ذلك مع أني لست بفقيه ولا عالم
ولاكن لما سألتني عن ذلك أجبتك بما رأيت والله الموفق للأدب غيره وما ذكرته من خوف حالكم بسبب
تقصيرهم في طاعة الله عز وجل فاعلم أن العارفين والمتصوفين من أهل الحقائق الباطنة قد
سلموا من معرة الجهالات وذلك أنهم عملوا على تصحيح التوحيد أول مرة بأن التزموا عقد أنفسهم
ابتهلوا إلى ربهم بألسنتهم وقلوبهم في تخفيفه لهم هذا الأمر وحرصوا على أن يستعملوا في ظاهرهم جميع
استطاعتهم فلما علم ذلك منهم رحمهم بأن جعلهم لا يرون لأنفسهم حولا ولا قوة فيما يأتون
أو يذرون بل تولى حفظهم وكلاءتهم وتكفل بمصالحهم وكفايتهم لأنهم عشيرة الصالحين لحزبه وقد
قال تعالى أليس الله بكاف عبده وقال تعالى إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين
وقال تعالى فيما يروى عنه أنا عند ظن عبدي فيستقل عليهم الصعب ويسهل عليهم العسير وأن تجمعهم
وفتنهم التعبير الحكيم وأعلمهم في نعيم ومثلي كنيم فلا تجد كونه ولا يشكون الذنب ولا يعمرون إلا
عمليه ولا يرجعون مصيبتهم إلا إليه لحسن ظنهم به ومنزلة هي التي سبقت بها منزلة الأمة سائر الأمم
وفي بعض الأحاديث النبوية أن الله تعالى أوحى إلى عيسى عليه السلام أني باعث بعدك أمة إن أصابهم
ما يحبون حمدوا وشكروا وإن أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا ولا حلم ولا علم فقال عيسى عليه السلام
يا رب وكيف يكون ذلك ولا علم ولا حلم فقال الله عز وجل أعطيهم من حلمي وعلمي وبمنزلة الخاصية
أيضا انصفت منزلة الملة المحمدية بالسماحة والسهولة ومن وإن كانت سهلة المتناول قريبة
المرام فلا شك أن ما فيها من التكاليف الشاقة والتثقيل العام لا يكون إلا بمنزلة أخف منزلة التي
ذكر تلك قال الله عز وجل وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين
من قبل وفي هذا وملته إنما هي الإسلام والتوحيد وقال نبينا صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية

السمحة

السمحة وهي ملة ابراهيم عليه السلام وقال بعض العارفين في معنى قوله صلى الله عليه وسلم
يسروا ولا تعسروا معناه دلوهم على الله ولا تدلوهم على غيره فان من دلك على الدنيا فقد غشك
ومن دلك على الاعمال فقد اتعبك ومن دلك على الله فقد نصحك والمقصود من هذا ان تعلموا
ان هذه الطايفة المذكورة يقول العلماء فيهم من هذا الوجه الذي ذكرناه لغيبتهم عن شهود انفسهم
ورؤية حولهم وقوتهم ولولا ذلك لم يكن لهم حال ولا مقام فاذا وقع ذلك منهم نادرا اثروا وركنوا
بالحفظ والكلاءة فيثبتوا في مقاماتهم ووقفوا على حد الحزم منهم عناية من الله تعالى بهم واما
اهل الكذب والدعوى فلا كلام معهم فقد علمتم بهذا من اين وقع الغلط على هذه الطوايف وبها
ذا سلم من سلم وهل ذلك الا بهذه الحالة العظيمة التي اختص بها عباد الله وبها صاروا اولياء
له فاذا علمتم هو فهمها من الدين وانها الوسيلة الى القرب من رب العالمين وتشوقتم الى ان تترقوا
الى هذا المقام الكريم وتنتظموا في سلك من انالهم الله هذا الملك العظيم فستعلمون بما قد ذكرناه
ان لا سبيل لكم اليها الا بها كما قال بعضهم عرفت ربي بربي ولولا ربي ما عرفت ربي ويحكى انه سئل
علي بن ابي طالب رضي الله عنه وقيل له اعرفت الله بمحمد ام عرفت محمدا بالله فقال لو عرفت الله بمحمد
ما عبدته ولكان محمد اوثق في نفسي من الله ولكن الله عرفني نفسه بنفسه فالذي اذكره لكم
فهذا المتوسل به والمتوسل اليه على وجه لا تبقى معه بقية العقول ولم تزل في ذلك نتداينوا ولا تغايروا
فقد كنتم في هذا الامر بغاية الطالبين ونهاية رغبة الراغبين اذ لا يمكن التوسل الا بموجود حاضر
قريب فاذا كان المطلوب موجودا عندكم وحاضرا معكم وقريبا منكم فماذا تطلبون من بعد او فماذا
تتوسلون فيه سواه وما مثلكم في ذلك الا كمثل رجل بيده درة خطيرة لا يعرف لها قدرا بل يحسبها
في عداد الاحجار التي يعود بها بلا شعور له بها وهو يشكو الفقر والضر ويتكفف الناس فبينما هو
كذلك اذ انكشف له حقيقة امرها وانه متمكن من ان ينال بها درجة الملك فلا تسأل عما هو فيه من
الغبطة والسرور والنعمة والحبور وليس العجب من السيارة حيث طلبوا الماء فوجدوا يوسف وانما
العجب ممن يطلب المغفرة فيجد الله قال الله تعالى ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد
الله غفورا رحيما وقد قربت لكم العبارة عن هذا الامر لعلكم تفهمونه والا فهو الطف من ان تضبطه
عبارة او تحمله اشارة ولكل شيء سبب قدره الله تعالى بمشيئته من غير حول منا ولا قوة فعسى
تكون معرفتكم في واعتقادكم انه احسن الارشاد الذي طلبتموه وكتبتم الي بما كتبتم به وجوابي لكم
على هذه الاسباب في حصول مطلوبكم من غير حول منا ومنكم ولا قوة وستنزون بهذه النكتة اخوانكم فلعلها
جارية هذه المجرى ايا الله ان يرزق عباده المؤمنين الامن حيث لا يعلمون فيعيم العناء والتعب والكد والطلب

وعن الفرح والتأسف والنزاهة والتلهف دون الله تريدون كما كنتم برب العالمين اعلموا ان في
الله عوضا من كل فائت وخلفا من كل ذاهب بل من وجد الله فما فقد شيئا ومن فقده فما وجد شيئا
فعليكم بعين الفاعلية التي بشر عليها اهل التحقيق العارفون المحققون فكل قاطع بكم من الوساوس والافكار
وما يحجبكم عن نيل المراد وفضله الاذكار فاعلموا انكم لما غاب عنكم من معنى التحقيق فاذا ابيتم الا السد
عليكم في بينهم ما ذكرناه واخذتم به انفسكم ان تكونوا عليه في مراكزكم ومعاهدكم كانت عندكم عبادات
مسترقة وقربات مؤبدة لا يتخللها فتور ولا ملل من غير تعب منكم ولا نصب ومنزلة مثل الغنيمة
الباردة والتجارة الرابحة والمن بذلك الذي اوجبه الشكر الذي انعم به عليكم من تيسير الاشياء بالله
ومن الله بكونه لكم اذ ذاك وخسر من تاب وصاحب المسألة المذكورة تحمله على ان لا يهمل الكلب
ولا السبب بتخييم منه فان دام على التيقظ في مقام فقد وصل الى مقام يتمكن له كل مقام وحصل على مرام
يستحقه في جنبه كل مرام فتلقفوا ايها الاخ ما قلناه لكم بحسن القبول ونزلوه على كل معقول ومنقول
واعلموا ان العقل لا يدركه والنقل لا يفصح به بل هو من العلوم اللدنية التي اودعها الله تعالى في
غيابات القلوب وقد روي ان في بعض الكتب المنزلة على بعض انبياء بني اسرائيل لا تقولوا العلم في
السماء من ينزل به ولا في الارض من يصعد به ولا في البحار من يعبر به العلم مجعول في صدوركم موضوع في
قلوبكم فتأدبوا بين يدي بآداب الروحانيين وتخلقوا باخلاق الصديقين الربانيين اظهر العلم من
قلوبكم على السنتكم حتى يغمركم ويغمركم هذا ما اردنا ان نذكره لكم من بين النصح واخوانكم
ليكون اهلا لما به يرجع اليه واساسا ينبني عليه والسلام .. كمل بحمد الله تعالى وعونه
والحمد لله على الابد وحمده والصلاة والتسليم على سيدنا محمد خير بريته وعلى اخوانه وآله وصحابته
وسلم كثيرا انتهى والحمد لله حق حمده والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبيه وعبده وآله وصحبه
وسلم تسليما كثيرا اثيرا كثيرا مباركا فيه سرمدا ابدا

الحمد لله انتهى بحمد الله تعالى طبع الرسائل الكبرى والغنيمة التي تعز لمن حصلها ذخرا بتصحيح الفقيه
البقية العالم الحفيظ احمد بن محمد الحسني بن العباس ابن صاحب البوعزاوي بل الله ساحته من الرضا وجعل الاستكمال
من غير ادعاء البراءة من التصحيف والاضاعة تحقيقا للاختيار معجزة كتاب الله ونفي ما حيث والو لو كان من عند
غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا والله يصلح كل امورنا ويبارك لنا بمنه وفضله آمين على ذمة الشريف
الاجل الفقيه الانجب الامثل سيدي محمد بن يحيى عثمان التكناوتي بمطبعة المعلم الابر السيد العربي الازرق رحمه
الله الجميع بمطبعته الحسنى آمين في اواسط محرم الحرام فاتح عام 1320

Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google



Digitized by Google